

مطبوعات دار المأثور

الوفيق من ذهبين

الدكتور الأبرار فريد رافعي

مكتبة الفتاة والثقافة

مديرية الصحافة والنشر والثقافة

الأدبيات

المصرية

سلسلة المصادر العربية

نفع الطيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المبر في المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلّقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الخامس

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

اهداءات ٢٠٠٠

مهندس / راداميس اللقاني

مَطْبُوعُ عَاشِرَةٍ دَارِ الْمَاهُونِ

الدُّرُورُ الْمُهَذَّبُ وَالْمُهَذَّبُ

مكتبة العشرة والثقافة
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة
الأدبيّة
المصنّعة

سلسلة المصادر العربية

نَفْحُ الطَّيِّبِ

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلّقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الخامس

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الجبلي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِي

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي غَدِهِ : لَوْ غُيِّرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا الْكَانَ مُتَحَسِّنًا ،
وَلَوْ قُدِّرَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جَمَلَةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَأَمَّا » مَسْجِدُ قُرْطَبَةَ فَشَهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ
وَصَفِ قُرْطَبَةَ
الْكَلَامِ فِيهِ ، وَلَكِنْ نَذَكُرُ مِنْ أَوْصَافِهِ ، وَنَنْشُرُ^(١) مِنْ
أَحْوَالِهِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَنَقُولُ : قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : لَيْسَ فِي
بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْهُ وَلَا أَعْجَبُ بِنَاءً ، وَآتَقَنُ صَنْعَةً
وَكَلَّمَا اجْتَمَعَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ سَوَارِي^(٢) كَانَ رَأْسُهَا وَاحِدًا
ثُمَّ صَفَّ رُحَامٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورِدِ فِي أَعْلَاهُ
وَأَسْفَلِهِ . انْتَهَى .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ « وَلَنْشُرَ مِنْ أَحْوَالِهِ إِلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ » (٢) الْأَوَّلَى :

أَرْبَعُ سَوَارٍ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

وَكَانَ الَّذِي ابْتَدَأَ بِنَاءَ هَذَا الْمَسْجِدِ الْعَظِيمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَعْرُوفُ بِالْدَّخِيلِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ فِي زَمَانِهِ
وَكَمَلَهُ ابْنُهُ هِشَامٌ ، ثُمَّ تَوَالَى الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى
الزِّيَادَةِ فِيهِ حَتَّى صَارَ الْمَثَلُ مَضْرُوبًا بِهِ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ
غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كُلُّ خَلِيفَةٍ يَزِيدُ فِيهِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ
إِلَى أَنْ كَمَلَ عَلَى يَدِ نَحْوِ الثَّمَانِيَةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلَ لَمَّا اسْتَقَرَّ
أَمْرُهُ وَعَظُمَ بَنَى الْقَصْرَ بِقُرْطُبَةَ ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ
وَأَتَقَى عَلَيْهِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَبَنَى بِقُرْطُبَةَ
الرُّصَافَةَ تَشْبِيهَا بِرُصَافَةِ جَدِّهِ هِشَامٍ بِدِمَشْقَ .
وَقَالَ بَعْضُ : إِنَّهُ أَتَقَى عَلَى الْجَامِعِ ثَمَانِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ ، وَأَشْتَرَى مَوْضِعَهُ - إِذْ كَانَ كَنِيسَةً - بِمِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلِ
مَا صُورَتْهُ : إِنَّهُ لَمَّا تَمَهَّدَ مُلْكُهُ شَرَعَ فِي تَعْظِيمِ قُرْطُبَةَ ،

فَجَدَدَ مَعَانِيهَا^(١) ، وَشَيْدَ مَبَانِيهَا ، وَحَصَّنَهَا بِالسُّورِ ،
وَأَبْنَى قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَالْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَوَسَّعَ فَنَاءَهُ ، وَأَصْلَحَ
مَسَاجِدَ الْكُورِ ، ثُمَّ أَبْنَى مَدِينَةَ الرُّصَافَةِ مُتَنَزِّهًا
لَهُ . وَاتَّخَذَ بِهَا قَصْرًا حَسَنًا وَجَنَانًا وَاسِعَةً ، نَقَلَ إِلَيْهَا
غَرَائِبَ الْغُرَاسِ وَكَرَائِمَ الشَّجَرِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْأَقْطَارِ . انْتَهَى

وَكَانَتْ أُخْتُهُ أُمُّ الْأَصْبَغِ تُرِيدُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ
بِالْغَرَائِبِ مِثْلَ الرِّثْمَانِ الْعَجِيبِ الَّذِي أَرْسَلَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ
دِمَشْقِ الشَّامِ كَمَا مَرَّ . وَسَيَّأَتْنِي كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ بِمَا هُوَ أَتَمُّ
مِنْ هَذَا . وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالِ زِيَادَةَ الْمَنْصُورِ بْنِ
أَبِي عَامِرٍ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا عَايَنَهُ
النَّاسُ فِي بُنْيَانِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ الْعَامِرِيَّةِ أَعْلَاجُ النَّصَارَى
مُصَفَّدِينَ^(٢) فِي الْحَدِيدِ مِنْ أَرْضِ قَشْتَالَةَ وَغَيْرِهَا ، وَهُمْ

(١) جمع مغنى: اسم مكان من غنى بالمكان « كرضى » إذا أقام به

(٢) صفده : وأصفده وصفده إذا شده وقيده وأوثقه فى الحديد وغيره

كَانُوا يَتَصَرَّفُونَ فِي الْبُنْيَانِ عِوَضًا مِنْ رَجَالَةِ الْمُسْلِمِينَ
 إِذْ لَا لِلشُّرْكِ وَعِزَّةٌ لِلْإِسْلَامِ . وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى زِيَادَتِهِ هَذِهِ
 جَلَسَ لِأَرْبَابِ الدُّورِ الَّتِي تَقِلُّ أَصْحَابَهَا عَنْهَا بِنَفْسِهِ ، فَكَانَ
 يُؤْتِي بِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي لَكَ
 يَا هَذَا أُرِيدُ أَنْ أَتَبَاعَهَا لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَا لِيهِمْ وَفِيهِمْ
 لِأَزِيدَهَا فِي جَامِعِهِمْ وَمَوْضِعِ صَلَاتِهِمْ ، فَشَطَّطُ^(١) وَأَطْلُبُ
 مَا شِئْتُ ، فَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَقْصَى الثَّمَنِ أَمَرَ أَنْ يُضَاعَفَ لَهُ
 وَأَنْ تُشْتَرَى لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَارٌ عِوَضًا مِنْهَا ، حَتَّى أَتَى بِامْرَأَةٍ
 لَهَا دَارٌ بِصَحْنِ الْجَمَاعِ فِيهَا نَخْلَةٌ ، فَقَالَتْ : لَا أَقْبَلُ عِوَضًا إِلَّا
 دَارًا بِنَخْلَةٍ ، فَقَالَ : تُبْتَاغُ لَهَا دَارٌ بِنَخْلَةٍ وَلَوْ ذَهَبَ فِيهَا يَنْتُ
 الْمَالُ ، فَاشْتَرَيْتَ لَهَا دَارًا بِنَخْلَةٍ وَبُوْلَغَ فِي الثَّمَنِ . وَحَكَى
 ذَلِكَ ابْنُ حَيَّانٍ أَيْضًا . وَقِيلَ : إِنَّ إِتْفَاقَ الْحُكَمِ فِي زِيَادَةِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ : فَاشَطَّطَ يُقَالُ شَطَّطَ فِي سِلْعَتِهِ يَشَطُّ
 شَطَطًا إِذَا جَاوَزَ الْقَدْرَ الْمَحْدُودَ وَتَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ ، وَشَطَّ عَلَيْهِ فِي السُّومِ
 وَأَشَطَّ إِذَا أَبْعَدَ ، وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي بَيْعٍ أَوْ طَلَبٍ أَوْ احْتِكَامٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ،
 مُسْتَقًى مِنْ شَطَّتِ الدَّارُ إِذَا بَعْدَتْ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَّارٌ »

الْجَامِعِ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَنِيفًا ،
وَكُلُّهُ مِنَ الْأَخْمَاسِ . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «مَجْمُوعِ
الْمُفْتَرِقِ» وَكَانَ سَقْفُ الْبَلَاطِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ،
وَالْعَرْضُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَةً ^(١) ذِرَاعٍ
وَحَمْسَةَ أَذْرُعٍ ^(٢) ، ثُمَّ زَادَ الْحُكْمُ فِي طُولِهِ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَخَمْسَةَ
أَذْرُعٍ ، فَكَمَلَ الطُّولُ ثَلَاثِمِائَةَ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا .
وَزَادَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِأَمْرِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي
عَرْضِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا ، فَمَّ الْعَرْضُ مِائَتَيْنِ
ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ عَدْدُ بَلَاطِهِ أَحَدَ عَشَرَ بَلَاطًا
عَرْضُ أَوْسَطِهَا سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ

(١) بالأصل « مائتا » ويعلم أن صوابها « مائة » مما يأتي بعد كما مر
(٢) لعل الأصل مائة ذراع وخمسون ذراعا - فسيأتي أنه لما زيد فيه
ثمانون ذراعا صار عرضه ٢٣٠ ذراعا ، والنراع يؤنث ويذكر ، وهو هنا في
ألفاظ الأعداد إراعى الأمران وإن كان التأنيث أفصح وأكثر بل لم يعرف
الأصمعي فيها التذكير ، فالأحسن أن يقال خمس أذرع « أحمد يوسف نجاتي »

الَّذِينَ يَلِيَانِهِ غَرْبًا وَالَّذِينَ يَلِيَانِهِ شَرْقًا أَرْبَعُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ،
وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا .
وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ فِيهِ ثَمَانِيَّةَ عَرْضِ كُلِّ وَاحِدٍ عَشْرُ
أَذْرُعٍ . وَكَانَ الْعَمَلُ فِي زِيَادَةِ الْمَنْصُورِ سِتِّينَ وَنِصْفًا ،
وَحَدَمَ فِيهِ بِنَفْسِهِ . وَطُولُ الصَّخْنِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ
مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَخَمْسُ أَذْرُعٍ
وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّقَائِفِ الْمُسْتَدِيرَةِ بِصَحْنِهِ عَشْرُ
أَذْرُعٍ ، فَتَكْسِيرُهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَةٌ
وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا . وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ تِسْعَةٌ : ثَلَاثَةٌ فِي صَحْنِهِ
غَرْبًا وَشَرْقًا وَجَوْفًا ، وَأَرْبَعَةٌ فِي بَلَاطَاتِهِ اثْنَانِ شَرْقِيَّانِ
وَاثْنَانِ غَرْبِيَّانِ ، وَفِي مَقَاصِيرِ النِّسَاءِ مِنَ السَّقَائِفِ بَابَانِ :
وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْمِدَةِ أَلْفُ عُمُودٍ وَمِائَتَا عُمُودٍ وَثَلَاثَةٌ
وَتِسْعُونَ عُمُودًا رُخَامًا كُلُّهَا ، وَبَابُ مَقْصُورَةِ الْجَامِعِ
ذَهَبٌ ، وَكَذَلِكَ جِدَارُ الْيَحْرَابِ وَمَا يَلِيهِ ، قَدْ أُجْرِيَ فِيهِ

الذَّهَبُ عَلَى الْفُسْفِسَاءِ^(١)، وَرَبَّاتُ الْمَقْصُورَةِ فِضَّةٌ مَحْضَةٌ
وَأَرْتِقَاعُ الصَّوْمَعَةِ الْيَوْمَ - وَهِيَ مِنْ بَنَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ - ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا إِلَى أَعْلَى الْقُبَّةِ الْمُتَفَحَّةِ الَّتِي
يَسْتَدِيرُهَا^(٢) الْمُؤَذِّنُ، وَفِي رَأْسِ هَذِهِ الْقُبَّةِ تَقَافِيحُ ذَهَبٍ
وَفِضَّةٍ، وَدَوْرُ كُلِّ تَقَاحَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ وَنِصْفٌ، فَأَثْنَتَانِ
مِنَ التَّقَافِيحِ ذَهَبٍ إِبْرِيزٌ وَوَاحِدَةٌ فِضَّةٌ، وَتَحْتَ كُلِّ
وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَفَوْقَهَا سَوْسَنَةٌ قَدْ هُنْدِسَتْ بِأَبْدَعِ صَنْعَةٍ،
وَرُمَانَةٌ ذَهَبٍ صَغِيرَةٌ عَلَى رَأْسِ الزُّجِّ، وَهِيَ إِحْدَى غَرَائِبِ
الْأَرْضِ. وَكَانَ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ فِي يَتِّ مَبْنًى مُصَحَّفُ

(١) هي ألوان من الخرز يؤلف بعضها الى بعض ثم تتركب في حيطان
البيوت من داخل كأنه نقش مصور، وهذه الكلمة رومية الاصل
Psephosis وقد كانت وجهة الحراب مصنوعة من الفسفيساء الدقيقة
المتقنة الصنع قد أحكمتها يد حاذقة صناع من قطع رخامية ذات ألوان
مختلفة في أثناءها قطع صدفية وأخرى ذهبية، وصيغت على شكل عجيب
يتألف منه صورة بدیعة اذا نظرت اليها من جهة اليمين رأيت مشاهد غير
التي تبصرها جهة الشمال لانعكاس أشعة الضوء فيها، فكانت آية في الفن
واتقان الصنع، تأخذ بمجامع العقول، وتستولى بجمالها على الافئدة

(٢) في بعض المراجع « يستدير بها » « أحمد يوسف نجاشي »

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - الَّذِي
خَطَّهُ يَدُهُ^(١) ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ ذَهَبٌ مُكَلَّمَةٌ بِالذُّرِّ وَالْيَاقُوتِ
وَعَلَيْهِ أَغْشِيَةُ الدِّيْبَاجِ ، وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّ الْغُودِ الرَّطْبِ
بِمَسَامِيرِ الذَّهَبِ

* *

« رَجَعَ إِلَى الْمَنَارَةِ » وَارْتَفَاعُ الْمَنَارَةِ إِلَى مَكَانِ
الْأَذَانِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ كُلِّ حَائِطٍ مِنْ
حِيطَانِهَا عَلَى الْأَرْضِ ثَمَانٌ عَشْرَةَ ذِرَاعًا . انْتَهَى بِحُرُوفِهِ .
وَفِيهِ بَعْضُ مُخَالَفَةٍ لِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَرَضِيِّ وَبَعْضُهُمْ
إِذْ قَالَ فِي تَرْجُمَةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا صُورَتُهُ : وَكَانَ
مِنْ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ الدَّاخِلَةِ فِي أَبْوَابِ الْبَرِّ وَالْقُرْبِ بُنْيَانُ

(١) هذا محل نظر ، ولـى فيه وقفة شك - ولما استولى للوحدون على
الانديلس ، نقل هذا المصحف الى مراكش سنة ٥٥٢ هـ عبد المؤمن بن علي
واحتفل بدخوله الى القرب احتفالا عظيما ، وبقى هذا المصحف الشريف
موضع اجلال لدى ملوك القرب يتبركون به و يأخذونه معهم في غزواتهم
حتى وصل الى بني مرين ، وبينما كان السلطان أبو الحسن المريني عاتدا من مدينة
تونس في سفينة بالبحر الابيض سنة ٧٥٠ هـ غرقت سفنه وابتلعها الماء وكان
فيها هذا المصحف الكريم فكان ذلك آخر العهد به « أحمد يوسف نجاتي »

الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَالزِّيَادَةُ فِيهِ سَنَةً سَبْعَ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا زَادَ النَّاسُ بِقَرْطَبَةَ ، وَانْجَلَبَ إِلَيْهَا قَبَائِلُ الْبَرْبَرِ
مِنَ الْعُدُوَّةِ وَإِفْرِيقِيَّةَ ، وَتَنَاهَى حَالُهَا فِي الْجَلَالَةِ ، صَافَتْ
الْأَرَبَاضُ وَغَيْرُهَا ، وَصَاقَ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ عَنْ حَمْلِ^(١) النَّاسِ
فَشَرَعَ الْمَنْصُورُ فِي الزِّيَادَةِ بِشَرْقِيَّةٍ حَيْثُ تَمَسْكُنُ الزِّيَادَةُ
- لَا تَصَالُ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ بِقَصْرِ الْخِلَافَةِ - فَبَدَأَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ
فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ عَلَى بَلَاطَاتٍ تَمْتَدُّ طَوْلًا مِنْ أَوَّلِ الْمَسْجِدِ
إِلَى آخِرِهِ ، وَقَصَدَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ الْمُبَالَغَةَ
فِي الْإِتْقَانِ وَالْوَثَاقَةِ دُونَ الزَّخْرَفَةِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ مَعَ هَذَا
عَنْ سَائِرِ الزِّيَادَاتِ جَوْدَةً - مَا عَدَا زِيَادَةَ الْحَكَمِ - وَأَوَّلُ
مَا عَمِلَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ تَطْيِيبُ نُفُوسِ أَرْبَابِ الدُّورِ الَّذِينَ
أَشْتَرَبَتْ مِنْهُمْ لِلْهَدْمِ لَهُذِهِ الزِّيَادَةُ بِإِنْصَافِهِمْ مِنَ الثَّمَنِ ،
وَصَنَعَ فِي صَحْنِهِ الْجُبِّ الْعَظِيمِ قَدْرَهُ الْوَاسِعَ فَنَاوَهُ . وَهُوَ
- أَغْنَى ابْنَ أَبِي عَامِرٍ - هُوَ الَّذِي رَتَّبَ إِحْرَاقَ الشَّمْعِ
بِالْجَامِعِ زِيَادَةً لِلزَّيْتِ ، فَتَطَابَقَ بِذَلِكَ الثَّوْرَانِ . وَكَانَ عَدَدُ

(١) في بعض النسخ «جل» وكأنه جمع جملة أى جميع . «أحمد يوسف نجاشي»

سَوَارِي الْجَامِعِ الْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ^(١) وَاللَّاصِقَةَ بِمَبَانِيهِ وَقَبَابِهِ
وَمَنَارِهِ بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ أَلْفَ سَارِيَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ سَارِيَةٍ
وَسَبْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَقِيلَ أَكْثَرُ . وَعَدَدُ ثُرَيَّاتِ الْجَامِعِ
مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ ثُرَيَّا ، وَعَدَدُ الْكُوُوسِ
سَبْعَةُ آلَافٍ كَأْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَأْسٍ وَخَمْسُ وَعِشْرُونَ
كَأْسًا ، وَقِيلَ عَشْرَةُ آلَافٍ وَثَمَانِيَةٌ وَخَمْسُ كُوُوسٍ ،
وَزِنَةُ مَشَاكِي^(٢) الرِّصَاصِ لِلْكُوُوسِ الْمَذْكُورَةِ عَشْرَةُ
أَرْبَاعٍ أَوْ نَحْوُهَا ، وَزِنَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَتَانِ لِلْفَتَائِلِ
فِي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقِنْطَارِ ، وَجَمِيعُ
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَامِعُ مِنَ الزَّيْتِ فِي السَّنَةِ خَمْسُمِائَةِ رُغْبِ
أَوْ نَحْوُهَا ، يُصْرَفُ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ خَاصَّةً نَحْوُ نِصْفِ الْعَدَدِ ،

(١) أى سقفه (٢) جمع مشكاة ، واختلف فى معناها ، والمراد بها هنا
الحديدة أو الرصاصة التى يكون فيها الفتيل ، أو العمود الذى يكون
للمصباح على رأسه ، أو قصبه الزجاجة التى يستصحب فيها وهى موضع الفتيلة ،
أو الحديدة التى يعلق بها القنديل - والمشكاة فى قوله تعالى « مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح » المراد بها - والله أعلم - الكوة فى الحائط غير
النافذة ، وهى أجمع للضوء ، والمصباح فيها يكون أكثر انارة وأعظم اضاءة
منه فى غيرها . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَمِمَّا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ رَمَضَانُ الْمُعْظَمُ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرَ مِنْ
 الشَّعْرِ، وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقِنْطَارِ مِنَ الْكَتَّانِ الْمُقَطَّنِ لِإِقَامَةِ
 الشَّعْرِ الْمَذْكُورِ، وَالْكَبِيرَةُ مِنَ الشَّعْرِ الَّتِي تُؤْخَذُ
 بِجَانِبِ الْإِمَامِ يَكُونُ وَزْنُهَا مِنْ خَمْسِينَ إِلَى سِتِّينَ رِطْلًا
 يَحْتَرِقُ بَعْضُهَا بِطُولِ الشَّهْرِ. وَيَعْمُ الْحَرْقُ لِجَمِيعِهَا لَيْلَةَ
 الْخِثْمَةِ. وَكَانَ عَدَدُ مَنْ يَخْدُمُ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ بِقَرْطَبَةِ فِي
 دَوْلَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَيْمَةٍ وَمُقَرَّبِينَ
 وَأَمَنَاءَ وَمُؤَدِّينَ وَسَدَنَةٍ^(١) وَمُوقِدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
 الْمُتَصَرِّفِينَ مِائَةً وَتِسْعَةً وَخَمْسِينَ شَخْصًا، وَيُوقَدُ مِنَ
 الْبُخُورِ لَيْلَةَ الْخِثْمَةِ أَرْبَعُ أَوَاقٍ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ، وَتَمَانِي
 أَوَاقٍ مِنَ الْعُودِ الرَّطْبِ. أُنْتَهَى.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ: كَانَ لِلْجَامِعِ كُلُّ لَيْلَةٍ^(٢) جُمُعَةٍ
 رِطْلُ عُودٍ وَرِثْمُ رِطْلٍ عَنْبَرٍ يُبَخَّرُ بِهِ. أُنْتَهَى.

(١) جمع سادن وهو من يقوم بخدمة للسجد ويتولى أمره ويفتح
 أبوابه ويفلقها (٢) في بعض المراجع « كل جمعة » بدل « كل ليلة جمعة »

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ بَشْكُوَالٍ : طُولُ جَامِعِ
 قَرْطَبَةَ الْأَعْظَمِ الَّذِي هُوَ بِدَاخِلِ مَدِينَتِهَا مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى
 الْجُوفِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، الصَّخْنُ الْمَكْشُوفُ
 مِنْهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مُقَرَّمَدٌ^(١) ، وَعَرْضُهُ مِنْ
 الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَعَدَدُ أَبْنَائِهِ^(٢)
 عِنْدَ اكْتِمَالِهَا بِالشَّمَالِيَّةِ الَّتِي زَادَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
 بَعْدَ هَذَا تِسْعَةَ عَشَرَ بَهْوًا ، وَتُسَمَّى الْبَلَاطَاتِ ، وَعَدَدُ
 أَبْوَابِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ بَابًا . فِي الْجَانِبِ
 الْغَرْبِيِّ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا وَاحِدٌ كَبِيرٌ لِلنِّسَاءِ يُشْرَعُ إِلَى
 مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَفِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا لِدُخُولِ
 الرِّجَالِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ ،
 مِنْهَا لِدُخُولِ الرِّجَالِ بَابَانِ كَبِيرَانِ وَبَابٌ لِدُخُولِ النِّسَاءِ
 إِلَى مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَلَيْسَ لِهَذَا الْجَامِعِ فِي الْقِبْلِيِّ سِوَى بَابٍ

(١) بناء مقرمى أى مبنى بالآجر والحجارة (٢) جمع بهو وهو البيت

وَاحِدٍ بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ الْمُتَّخَذَةِ فِي قِبْلَتِهِ مُتَّصِلٍ
بِالسَّابِاطِ^(١) الْمُقْصِي إِلَى قَصْرِ اخْلَافَةَ ، مِنْهُ كَانَ السُّلْطَانُ
يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْجَامِعِ لِشُهُودِ الْجُمُعَةِ ، وَجَمِيعُ
هَذِهِ الْأَبْوَابِ مُلَبَّسَةٌ بِالنَّحَاسِ الْأَصْفَرِ بِأَغْرَبِ صَنْعَةٍ ،
وَعَدَدُ سَوَارِي هَذَا الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ
وَاللَّاصِقَةِ بِمَبَانِيهِ وَقِيَابِهِ وَمَنَارِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ
يَبِينُ كِبَارَ وَصِفَارِ الْفَتْ وَأَرْبَعُمِائَةٍ سَارِيَةٍ وَتِسْعُ سَوَارٍ ،
مِنْهَا بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ مِائَةٌ وَتِسْعَ عَشْرَةٍ سَارِيَةٍ .

وَذَكَرَ الْمَقْصُورَةَ الْبَدِيعَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الْحُكْمُ
الْمُسْتَنْصِرُ فِي هَذَا الْجَامِعِ فَقَالَ : إِنَّهُ خَطَرَ بِهَا عَلَى خَمْسِ
بَلَاطَاتٍ مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَكِيمِيَّةِ ، وَأَطْلَقَ حِفَافِيهَا^(٢) عَلَى
الْسَّتَةِ الْبَاقِيَةِ ثَلَاثَةِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَصَارَ طُولُهَا مِنَ
الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا مِنْ
جِدَارِ الْخَشَبِ إِلَى سُورِ الْمَسْجِدِ بِالْقِبْلَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ
ذِرَاعًا ، وَأَرْتِفَاعُهَا فِي السَّمَاءِ إِلَى حَدِّ شُرُفَاتِهَا ثَمَانِي أَذْرُعٍ ،

(١) تقدم القول في الساباط (٢) الحفاف : الجانب ، وجمعه أحفة

(٢ - نفع الطيب - خامس)

وَأَرْتَفَاعُ كُلِّ شُرْفَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ ، وَلِهَذِهِ الْمَقْصُورَةُ ثَلَاثَةُ
أَبْوَابٍ بَدِيعَةٍ الصَّنْعَةِ عَجِيبَةِ النَّقْشِ شَارِعَةٍ ^(١) إِلَى الْجَامِعِ
شَرْقِيٍّ وَغَرْبِيٍّ وَشَمَالِيٍّ . ثُمَّ قَالَ : وَذَرَعُ الْمِخْرَابِ فِي الطُّولِ
مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ ثَمَانِي أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَعَرْضُهُ مِنْ
الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ سَبْعُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَأَرْتِفَاعُ قَبْوِهِ
فِي السَّمَاءِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَنِصْفٌ ، وَالْمِنْبَرُ إِلَى جَنْبِهِ
مُؤَلَّفٌ مِنْ أَكَارِمِ الْخَشَبِ مَا يَبِينُ آبَنُوسٍ وَصَنْدَلٍ وَنَبْعٍ
وَبَقْمٍ وَشَوْحَطٍ ^(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَمِيزَانُ النِّفْقَةِ فِيهِ
خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعِمِائَةَ دِينَارٍ وَخَمْسَةُ دَنَانِيرَ
وَلِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَعَدَدُ دَرَجِهِ تِسْعُ
دَرَجَاتٍ . صَنَعَهُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

(١) أى نافذة ومفتوحة اليه (٢) السبع من أشجار الجبال ينبت في قلتها
وهو أصفر العود وزينه ثقيله في اليد، وإذا طال عليه العهد احمر، تصنع منه
القسي الجيدة اتى تكرم كل ما اتخذ من غيرها لشدة النع ولينه، ولا
يكون العود كريما حتى يكون كذلك، وتتخذ السهام من أغصانه، والبقم
خشب شجره عظام، وورقه كورق اللوز، وساقه أحمر يصنع بطيخه،
والبقم شجرة جوز مائل، والشوخط ضرب من شجر الجبال «جبال السراة»
تتخذ منه القسي - أو هو ضرب من شجر السبع ينبت في سفح الجبل

وَذَكَرَ أَنَّ عَدَدَ ثُرَيَّاتِ الْجَامِعِ الَّتِي تُسْرَجُ فِيهَا
 الْمَصَابِيحُ بِدَاخِلِ الْبَلَاطِ خَاصَّةً سِوَى مَا مِنْهَا عَلَى
 الْأَبْوَابِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ ثُرَيَّا جَمِيعُهَا مِنْ لَاطُونٍ^(١)
 مُخْتَلِفَةِ الصَّنْعَةِ ، مِنْهَا أَرْبَعُ ثُرَيَّاتٍ كِبَارٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْبَلَاطِ
 الْاَوْسَطِ ، أَكْبَرُهَا الضَّخْمَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي الْقُبَّةِ الْكُبْرَى
 الَّتِي فِيهَا الْمَصَاحِفُ حِيَالِ الْمَقْصُورَةِ ، وَفِيهَا مِنَ الشُّرُجِ
 -فِيمَا زَعَمُوا- أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسُونَ ، تُسَوِّقُ
 هَذِهِ الثَّرَيَّاتُ الضَّخَامُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 تُسَقِّي كُلُّ ثُرَيَّا مِنْهَا سَبْعَةَ أَرْبَاعٍ فِي اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ
 مَا يُنْفَقُ مِنَ الزَّيْتِ عَلَى جَمِيعِ الْمَصَابِيحِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ
 فِي السَّنَةِ أَيَّامَ تَمَامِ وَقُودِهِ فِي مُدَّةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ مُكَمَّلَةً
 بِالزِّيَادَةِ الْمُنْسُوبَةِ أَلْفَ رُبْعٍ ، مِنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
 سَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ رُبْعًا . قَالَ : وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ :
 كَانَ عَدَدُ الْقَوْمَةِ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةٍ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ

(١) اللاطون : هو النحاس الأصفر

وَفِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ . انْتَهَى ، وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ
لِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمُ الزَّيْتَ - وَلَكِنَّ قَوْلَهُ أَوَّلَى بِالِاتِّبَاعِ
لِنَقْلِهِ عَنِ ابْنِ بَشْكُوَالٍ ، وَلِمَعْرِفَةِ ابْنِ سَعِيدٍ بِمِثْلِ هَذَا
وَتَحْقِيقِهِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، - وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ -
فَقَالَ : أَلْفُ رُبْعٍ وَثَلَاثُونَ رُبْعًا ، مِنْهَا فِي رَمَضَانَ خَمْسُمِائَةٍ
رُبْعٍ ، وَفِي الثَّرَيَاتِ الَّتِي مِنَ الْفِضَّةِ - وَهِيَ ثَلَاثَةٌ -
أُتَانٍ وَسَبْعُونَ رِطْلًا ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِي لَيْلَةٍ
وَقَدِيمًا ، وَقَالَ فِي الْمُنْبَرِ : إِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ
أَلْفٍ وَصَلٍ ^(١) ، قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِسَبْعَةِ دَرَاهِمٍ فِضَّةً ،
وُسْمِرَتْ بِسَامِيرٍ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَفِي بَعْضِهَا نَفِيسُ
الْأَحْجَارِ ، وَاتَّصَلَ الْعَمَلُ فِيهِ تِسْعَةٌ ^(٢) . ثُمَّ قَالَ : وَدَوْرُ الثَّرَيَاتِ
الْعَظِيمَةِ خَمْسُونَ شِبْرًا ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَلْفِ كَأْسٍ وَأَرْبَعٍ
وِثْمَانِينَ ، كُلُّهَا مُوَشَّاةٌ بِالذَّهَبِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْغَرَائِبِ .

(١) الوصل « بكسر النون وضمها » الفصل وجمعه أوصال (٢) لملها « نفع سنين »

وصف إبراهيم
الولبي للجامع
قرطبة

« وَكَتَبَ الْفَقِيهَ الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَاحِبِ
الصَّلَاةِ الْوَلْبِيِّ » يَصِفُ جَامِعَ قُرْطُبَةَ بِمَا نَصَّهُ : عَمَرَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ بِشُمُولِ السَّعَادَةِ رَسْمَكَ ، وَوَفَّرَ مِنْ جَزِيلِ
الْكَرَامَةِ قِسْمَكَ . وَلَا بَرَحَتْ سَحَائِبُ الْإِنْعَامِ تَهْمِي
عَلَيْكَ ثَرَّةً ^(١) ، وَأَنَامِلُ الْأَيَّامِ تُهْدِي إِلَيْكَ كُلَّ مَسَرَّةٍ .
لَنْ يَكُنْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - طَرِيقُ الْوُدَادِ يَنْتَنَا عَامِرًا ،
وَسَبِيلُ الْمَحَبَّةِ غَامِرًا ^(٢) ، لَوْجِبَ أَنْ تَقْضَى خَتْمُهُ ،
وَتَرْفُضَ كَتْمُهُ ، وَلَا سَيِّمًا فِيمَا يُدِرُّ أَخْلَافَ الْفَضَائِلِ ،
وَيَهْزُ أَعْطَافَ الشَّمَائِلِ ، وَإِنِّي شَخَّصْتُ إِلَى حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ
- حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مُنْشَرِّحَ الصَّدْرِ ، لِحُضُورِ لَيْلَةِ
الْقَدْرِ ، وَالْجَامِعُ - قَدَسَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَعْتِهِ وَمَكَانِهِ ، وَثَبَّتَ

(١) همى المطرا إذا سال متتابعاً ، وثره : غزيرة (٢) يريد القمر المملوء
- وقد كانت له مندوحة عن استعمال هذه الكلمة لولا الشغف بالسجع
والجناس ، فإن الطريق الغامر أكثر ما يستعمل في الحراب ضد العامر

أَسَاسُهُ وَأَزْكَاهُ - قَدْ كَسَى بِبُرْدَةِ الْإِزْدِيَّاءِ ، وَجَلَّى^(١) فِي
مِعْرَضِ الْبَهَاءِ ، كَانَ شُرْفَاتِهِ قُلُولٌ^(٢) فِي سِنَانٍ ، أَوْ أُشْرٌ^(٣)
فِي أَسْنَانٍ ، وَكَأَنَّمَا ضُرِبَتْ عَلَى سَمَائِهِ كِلَلٌ^(٤) ، أَوْ
خُلِعَتْ عَلَى أَرْجَائِهِ حُلُلٌ ، وَكَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ خَلَفَتْ
فِيهِ ضِيَاءَهَا ، وَنَسَجَتْ^(٥) عَلَى أَقْطَارِهِ أَفْيَافَهَا ، فَتَرَى
نَهَارًا قَدْ أَخْذَقَ بِهِ كَيْلٌ ، كَمَا أَخْذَقَ بِرَبْوَةٍ سَيْلٌ ، لَيْلٌ
دَامِسٌ ، وَنَهَارٌ شَامِسٌ ، وَلِلذُّبَالِ تَالِقٌ كَنَضْنَضَةٍ^(٦)

(١) « جلى » أبرز وأظهر كما تجلى العروس ، للعرض التوب الذى تجلى
فيه ، وفى الأصل « وحل » محرفة (٢) جمع فل وهو الثلم والكسر فى
حد السنان ، وهو دليل الشجاعة كما قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
(٣) أشر الأسنان التحزيز الذى فيها ، وهو تحديد أطرافها ، يكون ذلك
خلقة ويكون مصنوعا ، وإنما يكون الأشر فى أسنان الأحداث (٤) جمع
كلة : سترقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض « التاموسية »
(٥) قد يكون محرفا عن « نسجت » والعرب تقول نسجت الشمس الظل
أى أزالته وحلت محله (٦) الذبالة : القتيلة التى تسرج ، ونضضت الحية :

أخرجت لسانها وحركته - والجلتان من قول الشاعر « أبى جعفر البنى »
وقد يدل كأن الضوء منه سناوجه الحبيب اذا تجلى
أشارالى الدجا بلسان أفعى فشمز ذيله هربا وولى

الْحَيَاتِ ، أَوْ إِشَارَةَ السَّبَّابَاتِ ^(١) فِي أَلْتَحِيَّاتِ ، قَدْ أَتَرَعَتْ
مِنَ السَّلِيلِ ^(٢) كُؤُوسَهَا ، وَوُصِلَتْ بِمَحَاجِنِ ^(٣) الْحَدِيدِ
رُءُوسَهَا ، وَنَيْطَتْ بِسَلْسِلٍ كَالْجُدُوعِ أَلْقَاعَةَ ، أَوْ
كَالْتَمَائِينَ أَلْمَاعَةَ ، عُصِبَتْ بِهَا تَفَاحٌ مِنَ الصُّفْرِ ، كَاللَّفَاحِ ^(٤)
الصُّفْرِ ، بُوْلِعَ فِي صَقْلِهَا وَجَلَّأَهَا ، حَتَّى بَهَرَتْ بِجُسْنِهَا
وَلَا لَأَمَّا ^(٥) ، كَأَنَّهَا جُلِيَتْ بِاللَّهَبِ ، وَأَشْرَبَتْ مَاءَ الذَّهَبِ ،
إِنْ سَمَتْهَا ^(٦) طُولًا رَأَيْتَ مِنْهَا سَبَائِكَ عَسَجِدٍ ، أَوْ قَلَانِدَ
زَبَرْجَدٍ ، وَإِنْ أَتَيْتَهَا عَرْضًا رَأَيْتَ مِنْهَا أَفْلَاكَ وَلَكِنَّهَا
غَيْرُ دَائِرَةٍ ، وَنُجُومًا وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِسَائِرَةٍ ، تَتَعَلَّقُ

(١) من قول أبي الحسن محمد بن عمران الأنباري البغدادي وقد اقترح
عليه عضد الدولة وصف شموع موقدة بين يديه :

كَأَنَّ الشَّمُوعَ وَقَدْ أَظْهَرَتْ مِنْ الْبَارِقِ كُلِّ رَأْسٍ سَنَاثَا

أَصَابِعَ أَعْدَانِكَ الْخَائِفِينَ نَضْرَعُ نَطْلَبُ مِنْكَ الْإِمَانَا

(٢) أي الزيت (٣) جمع محجن يريد به هنا متعلق به المصاييح (٤) عدل

عن « كَأَنَّهَا جَمَلَةٌ صَفْرٌ » إِلَى الْإِفَاحِ لَتَرْصِيعِ السَّجْعِ وَمَوَازِنَتِهِ

وَفِي بَعْضِ الْمَرَاجِعِ « كَالْإِفَاحِ » (٥) الضياء والامعان والاشراق

(٦) مِنَ السَّمْتِ وَهُوَ قَصْدُ الشَّيْءِ وَالطَّرِيقِ ، وَهُوَ يُسَمَّى سَمْتَهُ أَيْ يَنْحَوِ

نَحْوَهُ ، وَسَمَّى الطَّرِيقَ : قَصْدَهُ ، وَسَمَّى يُسَمَّى ، وَتَسَمَّى : إِذَا قَصَدَ نَحْوَهُ

وَتَعَمَدَهُ « أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ نَجَافِي »

تَعْلُقَ الْقَرْطِ مِنَ الذَّفَرَى ^(١) ، وَتَبْسُطُ شُعَاعَهَا بَسْطَ الْأَدِيمِ
حِينَ يُفَرَى ^(٢) ، وَالشَّمْعُ قَدْ رُفِعَتْ عَلَى الْمَنَارِ رَفْعَ الْبُودِ ،
وَعَرِضَتْ عَلَيْهَا عَرْضَ الْجُنُودِ ، لِيَجْتَلِيَ طَلَاقَةُ رُؤَاهَا ^(٣)
الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَيَسْتَوِيَ فِي هِدَايَةِ ضِيَاءِهَا الشَّقِ وَالسَّعِيدُ ،
وَقَدْ قُوِلَ مِنْهَا مُبْيَضٌ بِمُحْمَرٍّ ، وَعُورِضَ مُحْضَرٌ بِمُضْفَرٍ ،
تَضَحَّكَ بِبِكَائِهَا وَتَبَكَى بِبُضْحِكِهَا ، وَتَهَلَّكَ بِبِحَيَاتِهَا
وَنَحْيَا بِبِهَلِكِهَا ، وَالطَّيْبُ تَقَمُّ ^(٤) أَفْوَاخُهُ ، وَتَنْتَسِمُ
أَرْوَاحُهُ ، وَقَتَارُ الْأَلْتَجُوجِ ^(٥) وَالنَّدُّ ، يَسْتَرْجِعُ مِنْ
رُوحِ الْحَيَاةِ مَا نَدَّ ^(٦) ، وَكُلَّمَا تَصَاعَدَ وَهُوَ مُحَاصَرٌ ، أَطَالَ
مِنْ الْعُمُرِ مَا كَانَ تَقَاصَرَ ، فِي صُفُوفِ مَجَامِرَ ، كَكُعُوبِ ^(٧)

(١) القرط : الحلق ، والذفرى أصل الاذن (٢) الأديم : الجلد أو الأحمر منه ، وجمعه آدمة ، وفراه يفريه أى شقه وقطعه (٣) الرواء : حسن للنظر (٤) فغمة الطيب « كمنع » سدخياشيمه وملأه ، وفاح السك فوحا : انتشرت رائحته ، وفي الأصل « تقم » (٥) القطار - بضم القاف - ربح البخور وهذه الكلمة مكتوبة في الأصل هكذا : « فتا » محرفة ناقصة ، والالتجوج : عود الطيب وهو البخور ، وكذلك الند (٦) أى بعدو غاب (٧) الكعب الذى يلعب به هو فص الترد ، وأكثر ما يجمع على كعاب ، وجمعه هنا على فعول لموازنة صفوف في الفقرة قبلها . « أحمد يوسف نجاتي »

مُقَامِرٍ ، وَظُهُورُ الْقَبَابِ ^(١) مُؤَلَّةٌ ، وَبُطُونُهَا مُهَلَّلَةٌ ^(٢) كَانَتْهَا
تَيْجَانٌ ، رُصَعٌ فِيهَا يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ ، قَدْ قُوسَ مَخْرَابُهَا أَحْكَمَ
تَقْوِيسٍ ، وَوُشِمَ بِمِثْلِ رِيشِ الطَّوَاوِيسِ ^(٣) ، حَتَّى كَانَتْهُ
بِالْمَجَرَّةِ مُقَرَّطَقٌ ^(٤) ، وَبِقَوْسٍ قُزَحٍ مُنْطَقٌ . وَكَانَ
الْلاَزُورْدَ حَوْلَ وَشُومِهِ ، وَبَيْنَ رُسُومِهِ ، تُتَفُّ مِنْ قَوَادِمِ

(١) مؤلة أى محدة الطرف ، وأل الشئ : حدد طرفه وحرفه ، وأذن
مؤلة أى محدة منصوبة ملطفة (٢) أى مقوسة مخنية كالللال .

(٣) أى بألوان مختلفة جميلة زاهية (٤) قرطه فخرطق فهو مقرطق أى
ألبسه القرطى ، وهو لباس قصير شبيه بالقباء «معرب عن كرتة بالفارسية»
والعامة تسميه شاية ، والمولودون يسمونه حنينى ، قال ابن نباتة :

لما تبدى فى حنينى تحاربا قلبى وعينى
فاعجب لها من غزوة جاءت بيدى حنينى

وقد صرف المولودون لفظ القرطى فى أشعارهم كثيرا ، ومنه قول ابن المعتز :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة فى درة بيضاء

وأخطأ عمر الوداعى « أو ابن الوردى » فظن أن المقرطق ذو القرط

فى قوله :

قلت لهم لما بدا مقرطق يحكى القمر
هكذا أبو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وكان حقه أن يقول مقرط ، وأراد بالؤلؤة القرط ، وورى عن ذى القرط
الؤلؤ باسم أبى لؤلؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه - وفى « عمر » كذلك تورية . « أحمد يوسف نجاشى » .

الْحَمَامِ ، أَوْ كَسَفٌ^(١) مِنْ ظُلُلِ النِّعَامِ ، وَالنَّاسُ أَخْيَافٌ^(٢)
فِي دَوَائِعِهِمْ ، وَأَوْزَاعٌ^(٣) فِي أَغْرَاضِهِمْ وَمَرَامِيهِمْ ، بَيْنَ
رُكْعٍ وَسُجْدٍ ، وَأَيْقَاطٍ وَهَجْدٍ ، وَمُزْدَجِمٍ عَلَى الرُّقَابِ
يَتَخَطَّاهَا ، وَمُقْتَحِمٍ عَلَى الظُّهُورِ يَتَمَطَّاهَا ، كَأَنَّهُمْ بَرْدٌ خِلَابِلَ
قَطْرِ ، أَوْ حُرُوفٌ عَلَى غُرُضٍ سَطَرٍ ، حَتَّى إِذَا قَرَعَتْ
أَسْمَاعُهُمْ رَوْعَةُ التَّسْلِيمِ^(٤) ، تَبَادَرُوا بِالتَّكْلِيمِ ، وَتَجَادَبُوا
بِالْأَثْوَابِ ، وَتَسَاقَوْا بِالْأَكْوَابِ ، كَأَنَّهُمْ حُضُورٌ طَالِ
عَلَيْهِمْ غِيَابٌ ، أَوْ سَفَرٌ أُتِيحَ لَهُمْ إِيَابٌ . وَصَفِيكَ مَعَ
إِخْوَانِ صِدْقٍ ، تَتَسَكَّبُ الْعُلُومُ بَيْنَهُمُ انْسِكَابَ الْوَدْقِ ،
فِي مَكَانٍ كَوَّكِرِ الْعُصْفُورِ - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - أَوْ كِكِنَاسِ
الْيَعْفُورِ^(٥) ، كَأَنَّ إِقْلِيدِسَ قَدْ قَسَمَ يَنْتَنَا مِسَاحَتَهُ بِالْمَوَازِينِ

(١) جمع كسفة أى قطعة ، ومنه قوله تعالى : « أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا » - وظلل : جمع ظلة وهى السحابة التى تظل - وهو من قوله
تعالى : « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من النعام » أى يأتيهم
عذابه (٢) أى مختلفون ، والاضيف : الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال
(٣) الأوزاع : الفرق من الناس والجماعات (٤) أى التسليم الذى تختم به
الصلاة (٥) اليعفور : الظبي ، أو ولد البقرة الوحشية ، وكناسه : مأواه
ومنزله الذى يكنس فيه أى يقيم ويختفى . « أحمد يوسف نجاشى »

وَأَرْتَبَطْنَا فِيهِ أَرْتَبَاطَ الْبِيَادِقِ^(١) بِالْفَرَازِينِ ، حَتَّى صَارَ عِقْدُنَا
لَا يُحْلَى ، وَحَدَّثَنَا لَا يُفْلَى ، بِحَيْثُ نَسْمَعُ سُورَ التَّنْزِيلِ كَيْفَ
تُنْتَلَى ، وَتَتَطَلَّعُ صُورَ التَّفْصِيلِ كَيْفَ تُجَلَى ، وَالْقَوْمَةُ
بِحَوَالَيْنَا يَجْهَدُونَ فِي دَفْعِ الضَّرَرِ ، وَيَعْمِدُونَ إِلَى قَرْعِ

(١) من اصطلاحات الشطرنج - والبيدق في الشطرنج معروف ، وأصل
معناه الراجل وجمعه بيادقة « تعريب بياده » قال الفرزدق :
منتك مبراث الملوك وناجههم وأنت لدرعي بيدق في البيادق
أى وأنت راجل تمدواى - ويطلق البيدق على أصغر أصناف البازى
ويعيد المصافير ، قال أبو الفتح كساجم :

حسبي من البراة والبيادق بيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سائق ليس له في صيده من عائق
ريسته وكنت غير واثق أن الفرازين من البيادق

وفرزان الشطرنج كذلك أعجمى معرب فرزين ، ومن المجاز تفرزنت
البيادق ، وما أطف قول الشاعر :

وقتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوالى الراح مشى الرخ وانصرفوا

والراح تمشى بهم مشى الفرازين

أى أنهم راخوا اليها صاحبين مستقيمي السير ، وعادوا تملين تنقادهم الطرق
ويتلوى سيرهم في كل جهة . « أحمد يوسف نجاشى » .
وقال آخر :

يقولون ساد الارذلون بأرضنا وصار لهم مال وخيل سوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وانما تفرزن فى أخرى الدسوت البيادق

الْعُمْدِ بِالرَّرِّ^(١) ، فَإِذَا سَمِعَ بِهَا الصَّبِيَّانُ قَدْ طَبَقَتِ الْخُافِقَيْنِ
وَسَرَتْ نَحْوَهُمْ سُرَى الْقَيْنِ^(٢) ، تَوَهَّمُوا أَنَّهَا إِلَى أَعْطَافِهِمْ
وَاصِلَةٌ ، وَفِي أَفْحَافِهِمْ حَاصِلَةٌ ، فَفَرَّوْا بَيْنَ الْأَسَاطِينِ ، كَمَا
تَفَرُّ مِنَ النُّجُومِ الشَّيَاطِينُ ، كَأَنَّمَا ضَرَبَهُمُ أَبُو جَهْمٍ^(٣)
بِعَصَاهُ ، أَوْ حَصَبَهُمُ عُمَيْرُ بْنُ ضَايٍ بِحِصَاةٍ^(٤) ، فَأَكْرَمَ بِهَا

(١) جمع درة وهى ما يضرب به كالسوط والفرعة (٢) يريد سرى موهوما
خيله الخوف ، وهو من المثل « اذا سمعت بسرى القين فاعلم انه مصبح »
يضرب مثلا للرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه - وأصله أن القين
أى الحداد ينتقل فى مياه البادية فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله فيشيع
فى أهل الماء انه مرتحل الليلة وهو ينوى الإقامة ليستخدمه من له حاجة
اليه ، فكثرت ذلك منه حتى صار لا يصدق ، وضرب به المثل ، قال نهشل بن حري
وعهد الغانيات كمهد قين وت عنه الجمائل مستذاق

كبرق لاح يعجب من بعيد ولا يشفى الحوائم من لماق
ونت عنه الجمائل أى قصرت فلم تبلغه ، والجمائل جمع جعالة أى أجرة
عمله ، والمستذاق : المجرب ، والحوائم : العطاش ، ومن لماق أى من شئء
» أحمد يوسف نجاشى .

(٣) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن
عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى ، قيل اسمه عامر ، وقيل عبيد
ابن حذيفة ، أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان معظما فى
قريش مقدما فيهم ، وكان مهيابا مرهوبا فيه وفى بنه شدة وعرامة ، وقوة وشهامة
وتوفى زمن سيدنا معاوية عن عمر طويل ، وقد ابنه اسمعيل على هشام
ابن عبد الملك وكان أكبر القوم سنا - وقتل ابنه محمد بن أبى الجهم
يوم الحرة . » أحمد يوسف نجاشى . (٤) فى الأصل « عين بن صاف »

مِنْ مَسَاعٍ تَسُوقُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ ، وَتَهْوُنُ فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا
الطَّوَارِفُ وَالْثُلَّةُ ، تَعْظِيماً لِشَمَائِرِ اللَّهِ ، وَتَنْبِيهاً لِكُلِّ سَاءٍ
وَلَاةٍ . حِكْمَةٌ تَشْهَدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرَّبُّوبِيَّةِ ، وَطَاعَةٌ تَذِلُّ بِهَا
كُلَّ نَفْسٍ أَيْيَّةٍ . فَلَمْ أَرَ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِزَّكَ - مَنْظَرًا
مِنْهَا أَبْهَى ، وَلَا مَخْبَرًا أَشْهَى ، وَإِذَا لَمْ تَتَأَمَّلْهُ عِيَانًا ، فَتَحْيَلْهُ
يَا نَا . وَإِنْ كَانَ حَظُّ مَنْطِقِي مِنَ الْكَلَامِ ، حَظُّ السَّفِيحِ (١)

بدل « عمير بن ضابي » وهو تحريف ضال ، وتصحيف خاطي . وعمير
ابن ضابي بن الحرث البرجمي التميمي أدرك أبوه النبي صلى الله عليه وسلم
ثم جنى جناية في زمن سيدنا عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك
بعثمان رضي الله عنه ثم جبن عنه ، وفي ذلك يقول :

هممت ولم أفعل وكنت ولينى تركت على عثمان تبكي حلاله

ثم لما قتل عثمان يوم الدار وثب عليه عمير هذا فكسر ضلعين من أضلاعه
ولما ولي الحجاج بن يوسف الكوفة وقدمها أميراً وصعد المنبر ليخطب
مكث ساعة لا يتكلم ، فقال عمير بن ضابي : ألا أحضبه لكم ؟ فقالوا أمهل
حتى ننظر ، ثم خطبهم الحجاج خطبته القاسية المشهورة التي تقطر عباراتها
دما ، ثم نزل فأقبل عليه عمير وهو شيخ يرعش كبرا يستأذنه أن يأخذ
ابنه مكانه في حرب الخوارج فقبل ، فلما علم أنه ممن حضر قتل عثمان
وأنه وطني . بطنه وهو مقتول وكسر ضلعين من أضلاعه قتله ، وأمر أن يرى
برأسه إلى البراجم وكانوا قد أقبلوا ولهم ضوضاء يريدون نصرته فقولوا هار بين
(١) السفيح : قدح من قداح اليسر مما لا نصيب له ، وهو الرابع من القداح
الغفل التي ليست لها فروض ولا أنصاء ، فليس لها غم وليس عليها غم

مِنَ الْأَزْلَامِ ، لَكِنَّ مَا يَتَنَانِ مِنْ مَوَدَّةٍ أَكْثَرُ وَسَائِلِهَا ،
وَدِّمَةً تَقْلَدُنَا حَمَائِلَهَا^(١) ، يُوجِبُ قَبُولَ اتِّخَافِ سَمِينًا وَغَثًا^(٢)
وَلُبْسَ الْطَافِي جَدِيدًا وَرَمًا^(٣) لَا زِلْتَ لِزِنَادِ النُّبْلِ مُورِيًا^(٤)
وَإِلَى آمَادِ الْفَضْلِ مُجْرِيًا ، وَالتَّحِيَّةُ الْعَبْقَةُ الرَّيَّا^(٥) ، الْمُشْرِقَةُ

وإنما يشغل بها القداح ويتكثر بها اتقاء الهمة ، وأولها المصدر ، ثم المضعف
ثم النسيح ، ثم السفيح ، والزم قدح لاريش له ، والأزلام سهام كانوا يستقسمون
بها في الجاهلية ، وكانت لقريش مكتوب عليها أمر ، ونهى ، وافعل ، ولا
تفعل ، وقد زلت أى سويت ووضعت في الكعبة يقوم بها سدة البيت
فإذا أراد الرجل سفرا أو زواجا أو غير ذلك أتى السادن وقال أخرج لى
زما ، فيخرجه وينظر اليه ، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ،
وإن خرج قدح النهى قعد عما أراد ، وقد حرم الاسلام أن يستقسموا
بالأزلام :

لم يزر الطير أن مرت به سنحا ولا يفيض على قسم بأزلام

(١) الذمة : العهد والحرمة ، والمحائل جمع حمالة وهى علافة السيف ، شبه
ما بينهما من الصلة والعهد بسيف لأنه يبق من النكث ويمنع من الحيانة
(٢) الغث : للمهزول ضد السمين ، وفعله غث يث « كفرح وضرب » غثاثة
وغثوثة (٣) الطافة والاطف : النخفة والمهذية وجمعه أطاف ، وأطفه بكذا
الطافا إذا تحفه به وبره - والرث : القديم الخلق البالى (٤) ورى الزند :
خرجت ناره وانتقد ، أوراها ووراه ، واستوراها إذا أوقده ، والزند الوارى
الذى تخرج ناره سرىعا (٥) عقب الطيب : لزق وبقى ، وفاح وانتشر ، ورجل
عقب وامرأة عقبه إذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنهما أياما وبقى شذاها
أرجا عطرها ، والرياء : الرائحة - والحيا الوجه « أحمد يوسف نجاشى »

الْمُحْيَا ، عَلَيْكَ مَا طَلَعَ قَمَرٌ ، وَأَيْنَعَ قَمَرٌ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَبَرَكَاتُهُ . أُنْتَهَى .

« وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَال » أَنَّ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصَرَ
هَدَمَ الْمِيْضَاةَ الْقَدِيْمَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَاءَ الْجَامِعِ وَالَّتِي (١)
يُسْتَسْقَى لَهَا الْمَاءُ مِنْ بَيْتِ السَّانِيَةِ (٢) ، وَبَنَى مَوْضِعَهَا أَرْبَعَ
مِيْضَاةٍ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَانِبِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ
مِنْهَا ثِنْتَانِ ، كُبْرَى لِلرِّجَالِ وَصُغْرَى لِلنِّسَاءِ ، أُجْرِي فِي جَمِيعِهَا
الْمَاءُ مِنْ قَنَاةٍ أُجْتَلِبَهَا مِنْ سَفْحِ جَبَلٍ قُرْطُبَةٍ إِلَى أَنْ صَبَّتْ
مَاءَهَا فِي أَحْوَاضٍ رُخَامٍ لَا يَنْقَطِعُ جَرْيَانُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
وَأُجْرِي فَضْلُ هَذَا الْمَاءِ الْمَذْبُوحِ إِلَى سِقَايَاتِ (٣) اتَّخَذَهُنَّ
عَلَى أَبْوَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ بِجِهَاتِهِ الثَّلَاثِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ
وَالشَّمَالِيَّةِ ، أُجْرَاهَا هُنَالِكَ إِلَى ثَلَاثِ جَوَابٍ (٤) مِنْ حِيَاضِ

(١) فِي الْأَصْلِ « الَّذِي » مُحَرَفَةٌ وَحَذَفُوهَا هُنَا حَسَنَ (٢) السَّانِيَةِ: الْغَرْبِ

« الدُّلُو الْعَظِيمَةُ » وَأَدَاتُهُ ، وَسَنَى الْقَوْمُ يَسْنُونُ إِذَا اسْتَقَوْا .

(٣) السَّقَايَةُ : الْإِنَاءُ يَسْقَى بِهِ (٤) جَمْعُ جَائِيَةٍ وَهِيَ الْحَوْضُ الضَّخْمُ يَجْبِي

الرَّخَامِ اسْتَقَطَمَهَا بِمَقَطَعِ الْمَنْسْتِيرِ^(١) بِسَفْحِ جَبَلِ قُرْطَبَةِ
بِالْمَالِ الْكَثِيرِ ، وَأَتَقَاهُ الرَّخَامِيُّونَ هُنَالِكَ ، وَاحْتَفَرُوا
أَجْوَاهَهَا بِمَنَاقِيرِهِمْ فِي الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى اسْتَوَتْ فِي
صُورِهَا الْبَدِيَّةَ لِأَعْيُنِ النَّاسِ ، فَخَفَّفَ ذَلِكَ مِنْ ثِقَلِهَا ،
وَأَمَكَنَ مِنْ إِهْبَاطِهَا إِلَى أَمَاكِنِ نَصْبِهَا بِأَكْنَافِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ ، وَأَمَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِعُمُوتِهِ ، قَسِيئاً حَمَلُ
الْوَاحِدَةِ مِنْهَا فَوْقَ عَجَلَةٍ كَبِيرَةٍ أُتْخِذَتْ مِنْ ضِخَامِ خَشَبِ
الْبَلُوطِ عَلَى فَلَكَ^(٢) مُوثَقَةً بِالْحَدِيدِ الْمُثَقَّفِ^(٣) مَحْفُوفَةً

اليه الماء ويجمع فيه (١) Al-Monastir اسم لهذا المقطع بسفح جبل قرطبة
Monastère معناه بالفرنسية الدير . ومنستير أيضا : موضع بين المهديّة
وسوسة بإفريقية بينه وبين كليهما مرحلة كانت خمسة قصور يحيط بها
سور واحد يسكنها قوم من أهل العلم والعبادة والزهد ، وفيه جماعة من الصالحين
المرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن - والمنستير
أيضا في شرقي الأندلس بين لغنت وقرطاجنة ، وحصن من حصون اشبيلية
كان يقرى به أبو بكر محمد بن عبيد بن ملطون الأموي المقرئ الشنتريني
سكن اشبيلية وتوفي في نواحيها في نحو سنة ٦٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) في الأصل « قلل » وهو تحريف فاسد ، والعجلة هذه الآلة التي
تجرها الدواب ، سميت بذلك لسرعة مرها ، وخشب ثَوَافٍ تحمل عليها
الأنقال وهي السِماة « عربة » وأفلاكها ما يسمى « عجلانها » (٣) ثقفه
إذا سواه وعدله وقومه « أحمد يوسف نجاتي »

بِوِثَاقٍ ^(١) اُحْبَالَ قُرْنٍ ^(٢) لِحَرْهَا سَبْعُونَ دَابَّةً مِنْ أَشَدِّ
الدَّوَابِّ ، وَسَهَّلَتْ قُدَّامَهَا الطَّرِيقَ وَالْمَسَالِكَ . وَسَهَّلَ اللَّهُ
تَعَالَى حَمْلَهَا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي مُدَّةِ
اِثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، فَنُصِبَتْ فِي الْأَقْبَاءِ الْمُعْقُودَةِ لَهَا . قَالَ :
وَأَبْنَى الْمُسْتَنْصِرُ فِي عَرَبِيَّ الْجَامِعِ دَارَ الصَّدَقَةِ . وَاتَّخَذَهَا
مَعْمَدًا لِتَفْرِيقِ صَدَقَاتِهِ الْمُتَوَالِيَةِ ، وَأَبْنَى لِلْفُقَرَاءِ الْيُبُوتَ
قُبَالَةَ بَابِ الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ الْغَرْبِيِّ . اُنْتَهَى .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لِعِظَمِ أَمْرِ قُرْطُبَةَ كَانَ عَمَلُهَا حُجَّةً بِالْمَغْرِبِ
حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْأَحْكَامِ : هَذَا مِمَّا جَرَى بِهِ عَمَلُ
قُرْطُبَةَ . وَفِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ زِنَاعٌ كَثِيرٌ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ

(١) جمع وِثَقٍ أى متين محكم مبهرم (٢) قرن بين الدابنتين اذا
جمعهما فى حبل واحد ، والقرن : حبل يجمع بين البعيرين ، والبعير
المقرون بأخر كالقرين ، وخيط من سلب يشد فى عنق الفدان
يفتل ويوثق على عنق كل واحد من الثورين ثم توثق فى وسطهما التائومة «وهى
جماعة آلة الفدان حديدها وعيدانها » والفدان اسم لهذه الآلة وجمعه
أفدنة ، والعدان ، والفدان اسم للثور الذى تحرث به الأرض أيضا كما
تسمى بهما الآلة ، ثم استعير هذا اللفظ لجزء من الأرض معلوم مقداره ٢٤ قيراطا
(٣ - نفح الطيب - خامس)

اعتماد عمل
قرطبة بالمغرب

نَذَرَ مَالًا بُدِّ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ ^(١)
 - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ عَلَى الْقَاضِي الْحُكْمَ
 بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ وَإِنْ خَالَفَ مُعْتَقَدَ الْمُشْتَرِطِ اجْتِهَادًا أَوْ تَقْلِيدًا
 ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ ؛ الصَّحَّةُ لِلْبَاجِي ^(٢) وَلِعَمَلِ أَهْلِ قُرْبَةِ

(١) ابن عرفة هو الامام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي
 ولد بتونس سنة ٧٣٢ كان عالما جليلا القدر ضليعا في علوم الشريعة واللغة
 وآدابها مع الزهد والورع والاشتغال بالعلم والتعليم، ولم يكن في زمنه بالمغرب
 من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، وله
 مؤلفات ثمينة مفيدة ، ولما ملك تونس السلطان أبو الحسن المريني سنة ٧٤٨
 كان الامام ابن عرفة ممن تلقاه بظاهر تونس مع وفد تونس وشيوخها
 من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأبوه طاعتهم ، وكان قدم في حملة السلطان
 أبي الحسن جماعة من أعلام المغرب، وتوفي ابن عرفة سنة ٧٨٣ (٢) هو
 أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي فقيه محدث
 امام عالم متكلم جليل القدر ، روى عن جماعة من الأندلس ثم رحل الى
 المشرق سنة ٤٢٦ وروى فأكثر وتفقه ففقه ، وأقام ببغداد مدة يدرس
 الفقه ويروي الحديث، ثم عاد الى الأندلس وقد نال حظا وافرا من العلم
 وروى عنه جماعة من الأئمة منهم الحافظ أبو بكر الطرطوشي وغيره ،
 وكان علم عصره علما وفقها وديانة توفي سنة ٤٧٤ رحمه الله - وأبو محمد
 عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة المعروف بالباجي ، أصله من باجة
 القيروان لاباجة الأندلس وسكن اشبيلية ، وهو فقيه محدث جليل، توفي
 سنة ٣٧٨ « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِظَاهِرِ شَرْطِ سَحْنُونَ^(١) عَلَى مَذْهَبٍ مِّنْ وَلَاهِ الْحُكْمِ
بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - قَالَ الْمَازَرِيُّ^(٢): مَعَ اخْتِمَالِ كَوْنِ
الرَّجُلِ مُجْتَهِدًا - الثَّانِي الْبُطْلَانُ لِلطَّرْطُوشِيِّ^(٣) إِذْ قَالَ فِي
شَرْطِ أَهْلِ قُرْبُطَةَ: هَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ، الثَّلَاثُ تُصَحِّحُ التَّوَلِيَّةُ
وَيَذْهَبُ الشَّرْطُ تَخْرِيجًا عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّرْطِ
الْفَاسِدِ فِي الْبَيْعِ - الْمَازَرِيُّ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ . انْتَهَى مُخْتَصَرًا .
قَالَ ابْنُ غَزَارٍ : إِنَّ ابْنَ عَرَفَةَ نَسَبَ لِلطَّرْطُوشِيِّ
الْبُطْلَانَ مُطْلَقًا ، وَابْنُ شَاسٍ إِنَّمَا نَسَبَ لَهُ التَّفْصِيلَ . انْتَهَى .
وَلَمَّا ذَكَرَ مَوْلَايَ الْجَدُّ الْإِمَامُ قَاضِي الْقَضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ
ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِفَاسَ - سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

(١) سحنون هو أبو سعيد عمده السلام بن سعيد التنوخي الإفريقي من
أئمة المالكية. صحب الامام مالكا مدة ثم قدم بمذهبه الى افرقية فأظهره
فيها، وتوفي سنة ٢٤١ وسحنون اسم طائر بالمغرب حديد الذهن ، لقب
الامام عبد السلام به لندة ذكائه وقوة ذهنه (٢) هو الامام أبو عبد الله
محمد بن علي بن عمر التميمي المازري أحد أئمة المالكية وشارح صحيح مسلم
المسمى « العلم » وهو من شيوخ القاضي عياض ، توفي سنة ٥٣٦ وهو
منسوب الى مازر بلد بالمغرب بجزيرة صقلية ، ينسب اليها أيضا أبو عبد الله
محمد بن مسلم المازري الأصولي (٣) تقدمت ترجمته وهو الامام المشهور
صاحب الضريح بالاسكندرية توفي سنة ٥٢٥ . « أحمد يوسف نجاتي »

الْمَقْرِي^(١) التَّلَمْسَانِي فِي كِتَابِهِ الْقَوَاعِدِ شَرَطَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ
الْمَذْكُورَ قَالَ بَعْدَهُ مَا نَصَّهُ : وَعَلَى هَذَا الشَّرْطِ تَرْتَبُ
عَمَلُ الْقَضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَيَيْنَمَا
نَحْنُ نُنَازِعُ النَّاسَ فِي عَمَلِ الْمَدِينَةِ ، وَلَنَصِيحُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ
مَعَ كَثَرَةِ مَنْ تَزَلَّ بِهَا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ كَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ
وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا

* لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ *

سَنَحَ لَنَا بَعْضُ الْمَجْهُودِ وَمَوْدَةُ التَّقْلِيدِ^(٢)

اللَّهُ آخِرَ مُدَّتِي فَتَأَخَّرْتُ

حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا

(١) هو القاضي الجليل محمد بن محمد بن أحمد كان من أعيان قضاة السلطان
أبي عنان المريني المتوفى سنة ٧٥٩ (٢) هذه الجملة جواب بينها وقد
كانت هذه العبارة في الأصل هكذا (سنح لي بعض الجلود ومعدن التقليد)
ومن هذا وأمثاله تعرف كيف كان التصحيف يشوه الكتاب ، ويشوك
طريق القارئ إلى الاستفادة منه ، ويسدل حجابا كثيفا دون فهم المعاني
المقصودة والأغراض المرادة المستترة في ظلمات تلك العبارات المصحفة
والالفاظ المحرفة ، حتى آذن الله بهتك هذه الحجب فأسفرت المعاني مشرقة
الطلعة واضحة الجبين تأنس النفوس إليها وترتاح الافهام لها ، وذلك بمعونة
المراجع المختلفة ومنها القطعة المطبوعة بأوربة « وهي ذات قيمة على ما بها »

يَا لَهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ! ذَهَبَتْ قُرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا ، وَلَمْ يَبْرَحْ
مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا ! مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْعَى فِي مَحْوِ
الْحَقِّ فَيُنْسِيهِ ، وَالْبَاطِلُ لَا زَالَ يُبَلِّغُهُ وَيُبَلِّغِيهِ ، أَلَا تَرَى
خِصَالَ الْجَاهِلِيَّةِ كَالنِّيَاحَةِ وَالْتَفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ وَالطَّعْنِ
وَالْتَفْضِيلِ وَالْكِهَانَةِ وَالتَّجُومِ وَالْخَطِّ^(١) وَالتَّشَاوُمِ وَمَا

وغيرها من كتب التراجم والتواريخ الأندلسية وسواها - هذا الى بذل
الجهد المضني والامعان في النظر والتفكير وتقلب كثير من الكلمات على
كل وجوهها الممكنة واستنطاق العبارات عما يراد منها وحسن التأني لما يمكن
به أن تبوح بأسرارها ، ولا يعلم الا الله كم أنفقنا في ذلك من وقت ثمين
وجهد كبير أحيينا به الايالي الطوال سهرا وتنقيبا وبخنا ومراجعة فتجافت
جنوبنا فيها عن المضاجع ولم نطعم الغمض بها الا غرارا أو مضمضة ،
وقد نام الحلى ملء جفونه حتى أعان الله بتوفيقه وأمر الاخلاص في
العمل لوجهه ، ومنه تعالى نستمد دوام اللعونة ونسأله أن يمدنا بروح من
عنده وهداية تراقبنا حتى التمام ، وصواب يحالفنا الى النهاية والكمال .
« أحمد يوسف نجاتي » .

(١) كان الزاجر في الجاهلية يخط في الأرض خطا بأصبعه ثم يزجر ،
قال البيهقي :

ألا انما أزرى ببارك عامدا سويح كخطاط الخطيطة أسحم
الخطيطة هنا هي الرملة التي يخط عليها الزاجر ، وأسحم : اسم خط من
خطوط الزاجر ، وهو علامة الحية عندهم ، وذلك أن يأتي الى أرض رخوة
وله غلام معه ميل فيخط الأستاذ خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد
ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين ، فان بقي من الخطوط خطان فهما

أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَأَسْمَاءَهَا كَالْعَتَمَةِ ^(١) وَيَثْرِبَ ^(٢) ، وَكَذَا
التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ ^(٣) ، وَحُذِرَ مِنْهُ ،
كَيْفَ لَمْ تَزَلْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَتَقَلَّتْ إِلَى غَيْرِهِمْ مَعَ تَيْسُرِ
أَمْرِهَا ؟ حَتَّى كَانَهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالَّذِينَ رَأَسُوا ، بَلْ يَجْعَلُونَ
الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ أَسَاءً ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشُّعْرِ وَالتَّلْحِينِ
وَالنَّسَبِ ^(٤) ، وَمَا انْخَرَطَ فِي هَذَا السُّلُوكِ ثَابِتَةُ الْمَوْعِ مِنْ

علامة النجس وقضاء الحاجة ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الحيبة -
ويقال فلان يخط في الأرض ، إذا كان يفكر في أمره ويدبره (١) كان
الأعراب في الجاهلية يسمون وقت العشاء بالعتمة « وهي ثلث الليل الأول
بعد غيوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة » ، وفي الحديث : « لا يلبسكم
الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فإن اسمها في كتاب الله العشاء وإنما
يعتم بحلاب الابل » أي لانتموا صلاة العشاء بالعتمة كما يسميها الأعراب
كانوا يخلبون ابلهم إذا اعتموا ولكن سموها كما سماها الله تعالى ، وفيه
النهى عن الافتداء بهم فيما يخالف السنة ، أو أراد لا يغرنكم فعلهم هذا
فتؤخروا صلاتكم ولكن صلوا إذا حان وقتها ، والتأويل الأول أظهر
« أحمد يوسف نجاشي » .

(٢) يثرب اسم - كان - للناحية التي منها المدينة ، أو اسم للمدينة نفسها
وقد نهى في الحديث عن تسمية المدينة يثرب وسميها طيبة ، كأنه كره
الثرث لأنه فساد في كلام العرب ، أو كراهة التثريب وهو اللوم والتعير
(٣) قال تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » (٤) قد تكون محرفة عن
النسب أو مراده التفاخر بالنسب

الْقُلُوبِ ، وَالشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعِ وَسِتِّينَ سَنَةً ، لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا ، وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلَامًا^(١) . أَتَنْهَى وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ غَازِي - بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ مَوْلَايَ الْجَدِّ مَا نَفْسُهُ : وَحَدَّثَنِي ثِقَةً مِمَّنْ لَقِيتُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مَدِينَةَ فَاسَ الْعَلَمَاءُ أَبُو يَحْيَى الشَّرِيفُ التَّلَمَسَانِيُّ ، وَتَصَدَّقَ لِإِقْرَاءِ التَّفْسِيرِ بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ الْمُرِينِيُّ^(٢) الْحَفِيدُ أَعْيَانَ الْفُقَهَاءِ بِحُضُورِ مَجْلِسِهِ كَانَ مِمَّا أَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ مَنَزَعُ الْمُقَرَّرِ هَذَا ، فَبَالَعُوا فِي إِنْكَارِهِ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا مَعْدِلَ عَمَّا عَوَّلَ عَلَيْهِ زُعَمَاءُ الْفُقَهَاءِ كَابْنِ رُشْدٍ وَأَصْحَابِ التَّوَائِقِ

(١) الكل: أى الثقل ، وفي حديث البخارى: « انك لنحمل الكل » أى الثقل من كل ما يتسكف (٢) تقدم التعريف به وأنهولى الأمر سنة ٧١٠ وهو السلطان أبوسعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق . وفي سنة ٧٢٠ أمر السلطان أبوسعيد ببناء المدرسة التى بفاس الجديد فبنيت أحسن بناء وأتقنه ورتب فيها الطلبة والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المراتب والوظائف الكافية فى كل شهر ، وحبس عليها الرىاع والضىاع ابتغاء وجه الله . وغبة فيما عنده . وفى سنة ٧٢٣ أمر أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة بمدرسة المطارين . وحضر السلطان حفلة الشروع فى تأسيسها بنفسه فجاءت من أعظم الأبنية وأفخم المصانع ، وعنى بأمرها ووقف

كَالْمِطْطِي^(١) مِنْ أَعْتِمَادِ عَمَلِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ وَمَنْ فِي
مَعْنَاهُمْ . انْتَهَى .

« وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ » حِينَ ذَكَرَ قُرْطُبَةَ مَا مَلَخَّصَهُ
مدن قرطبة
هِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَهِيَ
مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَهْلُهَا أَعْيَانُ الْبِلَادِ وَسَرَاةُ النَّاسِ فِي حُسْنِ
الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَآكِبِ وَعُلُوِّ الْهَيْمِ ،
وَبِهَا أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ ، وَسَادَاتُ الْفَضَلَاءِ ، وَأَجْلَادُ^(٢) الْفَرَازَةِ
وَأَنْجَادُ الْخُرُوبِ . وَهِيَ فِي تَقْسِيمِهَا خَمْسُ مَدُنٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا
بَعْضًا ، وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةِ سُورٌ عَظِيمٌ حَصِينٌ حَاجِزٌ ،
وَكُلُّ مَدِينَةٍ مُسْتَقِلَّةٌ بِنَفْسِهَا . وَفِيهَا مَا يَكْفِي أَهْلَهَا مِنْ
الْحُمَامَاتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالصَّنَاعَاتِ ، وَطُولُ قُرْطُبَةَ ثَلَاثَةُ

ما يكفي النفقة على طلبتها والقائمين بالدراسة من العلماء فيها (١) انظر فعل الكلمة
معرفة عن « المتيجي » نسبة الى متيجة Mattiga بلد في أواخر امريقية
من أعمال بني حماد ، ينسب اليها أبو محمد عبدالله بن ابراهيم بن عيسى المتيجي
(٢) أجلاذ: جمع جلد وهو القوى الشديد ذو الصبر والصلابة . والانجاذ
جمع نجذ ، وهو الشجاع الشديد البأس السريع الاجابة الى ما يدعى اليه .

أُمِّيَالٍ فِي عَرْضِ مِيلٍ وَاحِدٍ ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مُطْلٍ
عَلَيْهَا ، وَفِي مَدِينَتِهَا الثَّلَاثَةِ وَهِيَ الْوُسْطَى - الْقَنْطَرَةُ وَالْجَامِعُ
الَّذِي لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهُ ، وَطُولُهُ مِائَةُ ذِرَاعٍ فِي
عَرْضِ ثَمَانِينَ ، وَفِيهِ مِنَ السَّوَارِي الْكِبَارِ أَلْفٌ سَارِيَّةٌ .
وَفِيهِ مِائَةُ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُرَيَّا لِلْوَقُودِ ، أَكْبَرُهَا تَحْمِلُ
أَلْفَ مِصْبَاحٍ . وَفِيهِ مِنَ النُّقُوشِ وَالرُّقُومِ مَا لَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ عَلَى وَصْفِهِ ، وَيَقْبَلَتِهِ صِنَاعَاتٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ . وَعَلَى
فُرْجَةِ الْمِحْرَابِ سَبْعٌ قِسِيَّ قَاعَةٍ عَلَى عُمْدٍ ، طُولُ كُلِّ قَوْسٍ
فَوْقَ الْقَامَةِ ، قَدْ تَحَيَّرَ الرُّومُ وَالْمُسْلِمُونَ فِي حُسْنِ وَضْعِهَا .
وَفِي عِضَادَتِي ^(١) الْمِحْرَابِ أَرْبَعَةُ أَعْمِدَةٍ اثْنَانِ أَخْضَرَانِ
وَاثْنَانِ لَازُورْدِيَّانِ . لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ لِنَفَاسَتِهَا ، وَبِهِ مِنْبَرٌ لَيْسَ
عَلَى مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَنْفَسُ مِنْهُ وَلَا مِثْلُهُ فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ ،
وَحَشَبُهُ سَاجٌ وَآبِنُوسٌ وَبَقْمٌ وَعُودٌ قَاقِلِيٌّ ، وَيَذْكُرُ

(١) العِضَادَتَانِ: النَّاحِيَتَانِ ، وَعِضَادَتَا الْبَابِ: الْحَشْبَتَانِ اللَّعْنَتَانِ عَنِ عَيْنِ
الْبَاطِلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ .

فِي تَارِيخِ نَبِيِّ أُمِّيَّةَ أَنَّهُ أُحْكِمَ عَمَلُهُ وَنَقَشَهُ فِي سَبْعِ
سِنِينَ ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ ثَمَانِيَةَ صُنَاعٍ ، لِكُلِّ صَانِعٍ فِي
كُلِّ يَوْمٍ نِصْفُ مِثْقَالٍ مُحَمَّدِيٍّ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَا صُرِفَ
عَلَى الْمُنْبَرِ لَا غَيْرُ عَشْرَةِ آلَافٍ مِثْقَالٍ وَخَمْسِينَ مِثْقَالًا ،
وَفِي الْجَامِعِ حَاصِلٌ كَبِيرٌ مَلَأَ مِنْ آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
لِأَجْلِ وَقُودِهِ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ مُصْحَفٌ يُقَالُ إِنَّهُ عُثْمَانِيٌّ .
وَالْجَامِعِ عِشْرُونَ بَابًا مُصَفَّحَاتٍ بِالنَّحَاسِ الْأَنْدَلُسِيِّ مُخَرَّمَةٌ
تَخْرِيمًا عَجِيبًا يُعْجِزُ الْبَشَرَ وَيَبْهَرُهُمْ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ حَلَقَةٌ
فِي نِهَايَةِ الصَّنْعَةِ وَالْحِكْمَةِ . وَبِهِ الصَّوْمَعَةُ الْعَجِيبَةُ
الَّتِي أَرْتَفَاعُهَا مِائَةُ ذِرَاعٍ بِالْمَكِّيِّ الْمَعْرُوفِ بِالرَّشَاشِيِّ ،
وَفِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّنَائِعِ الدَّقِيقَةِ مَا يَعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ
وَصْفِهِ وَلَمَنَّهُ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ ثَلَاثَةُ أَعْمِدَةٍ حُمْرٍ مَكْتُوبٍ
عَلَى الْوَاحِدِ اسْمُ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى الْآخِرِ صُورَةُ عَصَا مُوسَى
وَأَهْلِ الْكَهْفِ . وَعَلَى الثَّلَاثِ صُورَةُ غُرَابِ نُوحٍ ،
وَالْجَمِيعُ خَلْقَةٌ رَبَّائِيَّةٌ .

وَأَمَّا الْقَنْطَرَةُ الَّتِي بِقَرْطَبَةٍ فَهِيَ بَدِيعَةُ الصَّنْعَةِ قَطْرَةُ فَرْطَبَةٍ
عَجِيبَةُ الْمَرَأَى . فَاقَتْ قَنَاطِرَ الدُّنْيَا حُسْنًا ، وَعَدَّةُ قِسْيَهَا
سَبْعَ عَشْرَةَ قَوْسًا ، سَعَةُ كُلِّ قَوْسٍ مِنْهَا خَمْسُونَ شِبْرًا ،
وَيَيْنَ كُلِّ قَوْسَيْنِ خَمْسُونَ شِبْرًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَمَحَاسِنُ
قَرْطَبَةٍ أَفْضَلُ الْمَحَاسِنِ ، وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهَا وَصْفًا .
أَنْتَهَى مُلَخَّصًا ، وَهُوَ وَإِنْ تَكَرَّرَ بَعْضُهُ مَعَ مَا قَدَّمْتُهُ
فَلَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ . وَمَا ذَكَرَهُ
فِي طُولِ الْمَسْجِدِ وَعَرْضِهِ مُخَالَفٌ لِمَا مَرَّ ، وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ
بِأَنَّ هَذَا الذَّرَاعَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ - كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ فِي
أَمْرِ الصَّوْمَعَةِ - وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي عَدَدِ السَّوَارِي ، إِلَّا
أَنْ يُقَالَ مَا تَقَدَّمَ بِإِعْتِبَارِ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَهَذَا الْعَدَدُ
الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ لِلْكِبَارِ فَقَطْ - كَمَا صَرَّحَ بِهِ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَأَمَّا الثَّرِيَّاتُ فَقَدْ خَالَفَ فِي عَدِّهَا مَا
تَقَدَّمَ ، مَعَ أَنَّ الْمُتَقَدَّمَ هُوَ قَوْلُ ثِقَاتٍ مُؤَرِّخِي الْأَنْدَلُسِ ،
وَنَحْنُ جَلَبْنَا النُّقْلَ مِنْ مَوَاضِعِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُ
وَمَضْمُونَاتُهُ . وَقَالَ فِي الْمَغْرِبِ - عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِذِكْرِ جَامِعِ

قُرْبَةَ مَا نَصَهُ : اَعْتَمَدْتُ فِيْمَا تَقَلَّتُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى
كِتَابِ ابْنِ بَشْكُوَال ، فَقَدْ اَعْتَنَى بِهَذَا الشَّانِ اَتَمَّ اَعْتِنَاءٍ
وَاَعْنَى عَنِ الْاِسْتِطْلَاعِ إِلَى كَلَامِ غَيْرِهِ ؛ عَنِ الرَّازِيِّ اَنَّهُ لَمَّا
اَفْتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْاَنْدَلُسَ اُمْتَثَلُوا مَا فَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ رَأْيِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - بِالشَّامِ مِنْ مُشَاطَرَةِ الرُّومِ فِي كَنَائِسِهِمْ مِثْلِ
كَنِيسَةِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِمَّا اخَذَهُ صَلْحًا ، فَشَاطَرَ الْمُسْلِمُونَ
أَعَاجِمَ قُرْبَةَ كَنِيسَتِهِمُ الْمُطْعَمَى الَّتِي كَانَتْ دَاخِلَ مَدِينَتِهَا
تَحْتَ السُّورِ - وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا بِسَنْتَ بَنْجَنْتَ ^(١) وَأَبْنَوْا
فِي ذَلِكَ الشَّطْرِ مَسْجِدًا جَامِعًا ، وَبَقِيَ الشَّطْرُ الثَّانِي بِأَيْدِي
النَّصَارَى ، وَهَدَمَتْ عَلَيْهِمْ سَائِرُ الْكَنَائِسِ بِحَضْرَةِ
قُرْبَةَ ، وَاقْتَتَعَ الْمُسْلِمُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ كَثُرُوا ،
وَتَرِيدَتْ عِمَارَةُ قُرْبَةَ ، وَتَزَلَّهَا أَمْرَاءُ الْعَرَبِ ، فَضَاقَ عَنْهُمْ
ذَلِكَ الْمَسْجِدُ ، وَجَعَلُوا يُعَلِّقُونَ مِنْهُ سَقِيفَةً بَعْدَ سَقِيفَةٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « سَنْتَ بَنْجَنْتَ » وَأَرَاهَا مُحَرَفَةٌ عَنْ « سَنْتَ بَنْجَنْتَ »
Saint-Benjamin أي القديس بنيامين . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي »

يَسْتَكُونُ بِهَا، حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَنَالُونَ فِي الْوُصُولِ إِلَى
 دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَشَقَّةً لِّتَلَاقِ تِلْكَ السَّقَائِفِ
 وَقَصَرِ أَبْوَابِهَا وَتَطَامُنِ سَقْفِهَا، حَتَّى مَا يُمَكِّنُ أَكْثَرُهُمُ
 الْقِيَامَ عَلَى اعْتِدَالِ لِقَارُبِ سَقْفِهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَزَلِ
 الْمَسْجِدُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَى أَنْ دَخَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَرْوَانِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوَلَى عَلَى إِمَارَتِهَا
 وَسَكَنَ دَارَ سُلْطَانِهَا قُرْطُبَةَ وَتَمَدَّنَتْ بِهِ . فَظَرَ فِي أَمْرِ
 الْجَامِعِ، وَذَهَبَ إِلَى تَوْسِعَتِهِ وَإِتْقَانِ بُنْيَانِهِ، فَأَحْضَرَ أَعَاظِمَ
 النَّصَارَى وَسَامَهُمْ يَبِيعَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ كَنِيسَتِهِمْ لِصَقِ
 الْجَامِعِ لِيُدْخِلَهُ فِيهِ . وَأَوْسَعَ لَهُمُ الْبَذْلَ وَفَاءً بِالْعَهْدِ
 الَّذِي صُوِّلُوا عَلَيْهِ، فَأَبَوْا مِنْ يَبِيعَ مَا بِأَيْدِيهِمْ، وَسَأَلُوا
 بَعْدَ الْجِدِّ بِهِمْ أَنْ يُبَاخُوا بِنَاءِ كَنِيسَتِهِمْ الَّتِي هُدِّمَتْ عَنْهُمْ
 بِخَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّوْا لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ هَذَا الشَّطْرِ
 الَّذِي طُوِّبُوا بِهِ، قَمَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ
 سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، فَأَبْتَنَى عِنْدَ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ عَلَى صِفَةٍ ذَكَرَهَا لَا حَاجَةَ إِلَى تَقْسِيرِ
الزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا الْحَاجَةُ فِي وَصْفِهِ بِكَمَالِهِ . وَفِي بَنَائِهِ
لِهَذِهِ الزِّيَادَةِ يَقُولُ دِحْيَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَأَتَّقَ فِي دِينِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ

تَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ

تَوَزَّعَهَا فِي مَسْجِدٍ أَشْهُ الثَّقَى

وَمَنْهَجُهُ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

تَرَى الذَّهَبَ النَّارِيَّ فَوْقَ سُمُوكِهِ

يُلُوحُ كَبَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ

قَالَ : وَكَمَلَ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَمِائَةً . ثُمَّ ذَكَرَ زِيَادَةَ

أَبْنَيْهِ هِشَامِ الرِّضَا وَمَا جَدَّدَهُ فِيهِ وَأَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ مُخْنَسِ

فِي أَرْبُوعَةِ ، ثُمَّ زِيَادَةَ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لَمَّا

تَرَايَدَ النَّاسُ ، قَالَ : وَهَلْكَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ الزَّخْرَفَةَ فَأَتَمَّهَا

وَلَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . ثُمَّ رَمَّ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ

مَا وَهَى مِنْهُ . وَذَكَرَ مَا جَدَّدَهُ خَلِيفَتُهُمُ النَّاصِرُ وَتَقَضَّاهُ

لِلصَّوْمَةِ الْأُولَى وَبَنَانَهُ لِلصَّوْمَةِ الْعَظِيمَةِ . قَالَ : وَلَمَّا
وَلِيَ الْحُكْمَ الْمُسْتَنْصِرُ بْنُ النَّاصِرِ - وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ
قُرْطَبَةَ وَكَثُرَ أَهْلُهَا ، وَتَبَيَّنَ الضِّيقُ فِي جَامِعِهَا - لَمْ يُقَدِّمَ
شَيْئًا عَلَى النَّظَرِ فِي الزِّيَادَةِ ، فَبَلَغَ الْجُهْدَ وَزَادَ الزِّيَادَةُ الْعُظْمَى ،
قَالَ : وَبِهَا كَمَلْتُ مَحَاسِنُ هَذَا الْجَامِعِ . وَصَارَ فِي حَدِّ يَقْصُرُ
الْوَصْفُ عَنْهُ . وَذَكَرَ حُضُورَهُ لِمُشَاوَرَةِ الْعُلَمَاءِ فِي تَحْرِيفِ
الْقِبْلَةِ إِلَى نَحْوِ الْمَشْرِقِ حَسَبًا فَعَلَهُ وَالِدُهُ النَّاصِرُ فِي قِبْلَةِ
جَامِعِ الزَّهْرَاءِ - لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْدِيلِ يَقُولُونَ بِانْحِرَافِ
قِبْلَةِ الْجَامِعِ الْقَدِيمَةِ إِلَى نَحْوِ الْغَرْبِ - فَقَالَ لَهُ الْفَقِيهُ
أَبُو إِبْرَاهِيمَ ^(١) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ صَلَّى إِلَى هَذِهِ
الْقِبْلَةِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَجْدَادِكَ الْأَيْمَةِ وَصُلَحَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ مُنْذُ افْتُشِحَتِ الْأَنْدَلُسُ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ

(١) أَظَنَّهُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ اسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْرَةَ مِنْ أَهْلِ قُرْطَبَةَ « وَأَصْلُهُ
مِنْ طَلِيظَةَ وَهُوَ مِنْ مَوَالِي بَعْضِ أَهْلِهَا » كَانَ مِنْ أَيْمَةِ الْمَقْبَاهِ لِلْمَالِكِيَّةِ
مُشَاوَرًا فِي الْأَحْكَامِ صَدْرًا فِي الْفِتَا وَقُورًا مَهِيًا جَلِيلًا تُوْفِيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سَنَةَ ٣٥٢ بِطَلِيظَةَ عَنْ ٧٥ سَنَةٍ وَكَانَ قَدْ خَرَجَ غَازِيَا مَعَ الْخَلِيفَةِ
لِلْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاقِي » .

مُتَأَسِّينَ بِأَوَّلِ مَنْ نَصَبَهَا مِنَ التَّابِعِينَ كَمُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
وَحَنَشِ الصَّنَعَانِيِّ وَأَمْثَلِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَإِنَّمَا
فَضْلٌ مَنْ فَضَّلَ بِالِاتِّبَاعِ ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ بِالِابْتِدَاعِ .
فَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ بِرَأْيِهِ وَقَالَ : نِعَمْ مَا قُلْتَ ! وَإِنَّمَا مَذْهَبُنَا
الِاتِّبَاعُ . قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال : وَتَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرِ أَنَّ النِّفَقَةَ فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ وَمَا اتَّصَلَ
بِهَا أَتَتْهُ إِلَى مِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ وَأَحَدٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ
وَحَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَدِرْهَمَيْنِ وَنِصْفٍ ،
ثُمَّ ذَكَرَ الصَّوْمَعَةَ ثَقْلًا عَنْ ابْنِ بَشْكُوَال فَقَالَ : أَمَرَ
النَّاصِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِهِدْمَ الصَّوْمَعَةِ الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وِثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ هَذِهِ الصَّوْمَعَةَ الْبَدِيعَةَ ، فَحَفَرَ فِي أُسَاسِهَا
حَتَّى بَلَغَ الْمَاءُ مُدَّةً مِنْ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا كَمَلَتْ
رَكِبَ النَّاصِرُ إِلَيْهَا مِنْ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ ، وَصَعِدَ فِي الصَّوْمَعَةِ
مِنْ أَحَدِ دَرَجَتَيْهَا وَنَزَلَ مِنَ الثَّانِي ، ثُمَّ خَرَجَ النَّاصِرُ وَصَلَّى
كَمَتَيْنِ فِي الْمَقْصُورَةِ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ : وَكَانَتْ الْأُولَى

ذَاتَ مَطْلَعٍ وَاحِدٍ ، فَصَيَّرَ لَهُذِهِ مَطْلَعَيْنِ فَصَلَ بَيْنَهُمَا الْبِنَاءَ
فَلَا يَلْتَقِي الرَّاقُونَ فِيهَا إِلَّا بِأَعْلَاهَا ، تَزِيدُ مَرَاقِي كُلِّ مَطْلَعٍ
مِنْهَا عَلَى مِائَةِ سَبْعًا . قَالَ : وَخَبَرُ هَذِهِ الصَّوْمَةِ مَشْهُورٌ فِي
الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ فِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ صَوْمَةٌ تُعَدُّلُهَا . قَالَ
أَبْنُ سَعِيدٍ : قَالَ ابْنُ بَشْكُوَالِ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ صَوْمَةٌ
مُرَّا كِشَ وَلَا صَوْمَةٌ إِشْبِيلِيَّةَ اللَّتَيْنِ بَنَاهُمَا الْمَنْصُورُ مِنْ
بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، فَهُمَا أَعْظَمُ وَأَطْوَلُ - لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ طُولَ
صَوْمَةِ قُرْطَبَةَ إِلَى مَكَانِ مَوْقِفِ الْمُؤَذِّنِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ
ذِرَاعًا ، وَإِلَى أَعْلَى الرُّمَّانَةِ الْأَخِيرَةِ بِأَعْلَى الزُّجِّ ثَلَاثٌ
وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرَضُهَا فِي كُلِّ تَرْبِيعٍ مِنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وَذَلِكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَطُولُ
صَوْمَةِ مُرَّا كِشَ مِائَةٌ وَعَشْرُ أَذْرُعٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ صَوْمَةَ
قُرْطَبَةَ بِضِحَامِ الْحِجَارَةِ الْفُطَيْعَةِ ^(١) مُنْجَدَّةٌ غَايَةَ التَّنْجِيدِ ،

(١) كذا بالأصل وامله يريد الهائلة التي جاوزت الحد في العظم والاضخمه
وفي بعض النسخ « القطيعة » و « القطيعة » أى للقطوعة من الجبال -
ونجده اذا سواه وحسنه وصله « أحمد يوسف نجاتي »

وَفِي أَعْلَى ذِرْوَتِهَا ثَلَاثُ شِمَسَاتٍ ^(١) يُسَمُّونَهَا رُمَانَةً مُلَصَقَةً
 فِي السَّفُودِ ^(٢) أَلْبَارِزٍ فِي أَغْلَاهَا مِنَ الثُّحَاسِ ، الثُّنْتَانِ مِنْهَا
 ذَهَبٌ إِبْرِيْزٌ ، وَالثَّلَاثَةُ مِنْهَا وَسْطَى يَنْهَمَا مِنْ فِضَّةٍ كَسِيرٍ ^(٣)
 وَفَوْقَهَا سَوَسَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسَدَّسَةٌ ، فَوْقَهَا رُمَانَةٌ ذَهَبٌ
 صَغِيرَةٌ فِي طَرَفِ الزُّجِّ أَلْبَارِزٍ بِأَعْلَى الْجَوْ ، وَكَانَ تَمَامُ هَذِهِ
 الصَّوْمَعَةِ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ
 فِي رِوَايَةٍ أَنَّ مَوْضِعَ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ بِقُرْطُبَةَ كَانَ حُفْرَةً
 عَظِيمَةً يَطْرَحُ فِيهَا أَهْلُ قُرْطُبَةَ قِمَامَتَهُمْ وَغَيْرَهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمَا - وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ قَالَ
 لِلْجِنِّ : أُرِدُّمُوا هَذَا الْمَوْضِعَ وَعَدُّلُوا مَكَانَهُ ، فَسَيَكُونُ فِيهِ
 بَيْتٌ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَبُنِيَ فِيهِ بَعْدَ
 ذَلِكَ الْجَامِعُ الْمَذْكُورُ . قَالَ : وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّ الدَّارَاتِ ^(٤)

- (١) جمع شمس شبهت الرمانة بها في الاشراق والضوء (٢) السفود في الاصل
 حديدية ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم أطلقه هنا على ما يشبهه .
 (٣) يريد الفضة الخالصة النقية ، والذهب الابريز ايضاً هو الخالص (٤) الدارة
 هي الدائرة ، وللالثة أى الشاخطة البارزة .

الْمَائِلَةَ فِي تَزَاوِيْقِ سَمَائِهِ مَكْتُوبَةً كُلُّهَا بِاللَّهِ كَرِ وَالِدَعَاءِ
إِلَى غَيْرِهِ بِأَحْكَمِ صَنَعَةٍ . اُنْتَهَى .

* *

مصحف عثمان
رضي الله عنه

وَذَكَرَ مُصْحَفَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - الَّذِي كَانَ فِي جَامِعِ قُرْطُوبَةِ وَصَارَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
فَقَالَ: هُوَ مُصْحَفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - بِمَا خَطَّهُ يَمِينُهُ ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ
شَأْنٌ عَظِيمٌ . اُنْتَهَى . وَسَنَدُ كُرٍّ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى هَذَا .

* *

مدينة الزهراء
ومسجدها

وَأَمَّا الزَّهْرَاءُ فَهِيَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ - وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ -
وَهِيَ مِنَ الْمُدُنِ الْجَلِيلَةِ الْعَظِيمَةِ الْقَدْرِ . قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ
وغيره: كَانَ يَعْمَلُ فِي جَامِعِهَا حِينَ شُرِعَ فِيهِ مِنْ حُذَاقِ
الْقَلَمِ كُلِّ يَوْمِ أَلْفُ نَسَمَةٍ مِنْهَا ثَلَاثُمِائَةٍ بَنَاءً وَمِائَتَانِ نَجَارَ
وخمسمائةٍ مِنَ الْأَجْرَاءِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ ، فَاسْتَمَّ بُنْيَانُهُ
وإِتْقَانُهُ فِي مُدَّةٍ مِنْ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَجَاءَ فِي غَايَةِ

الْإِتْقَانِ مِنْ خَمْسَةِ أَهْكَ عَجِيَّةِ الصَّنْعَةِ ، وَطُولُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ - حَاشَا الْمَقْصُورَةَ - ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ
الْبَهْوِ الْأَوْسَطِ مِنْ أَهْائِهِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ بَهْوٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْمَكْتَنَفَةِ
لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَحْنِهِ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ
إِلَى الْغَرْبِ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَجَمِيعُهُ مَقْرُوشٌ
بِالرِّخَامِ الْخَمْرِيِّ ، وَفِي وَسْطِهِ قَوَارَةٌ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ ،
فَطُولُ هَذَا الْمَسْجِدِ أَجْمَعٍ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ سِوَى
الْمِحْرَابِ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى
الْغَرْبِ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَوْمَعَتِهِ فِي الْهَوَاءِ
أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا عَشْرٌ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا . وَأَمْرُ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ بِاتِّخَاذِ مَنَبَرٍ بَدِيعٍ لِهَذَا الْمَسْجِدِ ، فَصُنِعَ فِي نِهَآيَةِ
مِنِ الْحُسْنِ ، وَوُضِعَ فِي مَكَانِهِ مِنْهُ ، وَحُطِرَتْ ^(١) حَوْلَهُ

(١) من الحظيرة وهي كل ما أحاط بالشيء خشباً أو قصباً أو غيرهما ، والحظار
كل ما حل بينك وبين الشيء ، وكل حاجز بين شيئين

مَقْصُورَةٌ عَجِيبَةُ الصَّنْعَةِ ، وَكَانَ وَضَعُ هَذَا الْمِنْبَرِ فِي
مَكَانِهِ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ عِنْدَ إِكْمَالِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ
بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ : وَفِي صَدْرِ
هَذِهِ السَّنَةِ كَمَلَ لِلنَّاصِرِ بُيَانُ الْقِنَاةِ الْغَرِيبَةِ الصَّنْعَةِ الَّتِي
أَجْرَاهَا ، وَجَرَى فِيهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ جَبَلٍ قُرْطُبَةَ إِلَى قَصْرِ
النَّاعُورَةِ غَرْبِيٍّ قُرْطُبَةَ فِي الْمَنَاهِرِ ^(١) الْمُهَنْدَسَةِ وَعَلَى الْخَنَائَا
الْمَعْقُودَةِ ، يَجْرِي مَآوُهَا بِتَدْيِيرٍ عَجِيبٍ وَصَّنْعَةٍ مُحْكَمَةٍ
إِلَى بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَيْهَا أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ
شَدِيدُ الرُّوعَةِ ، لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي
غَايِرِ الدَّهْرِ ، مَظَلِّيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ ، وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ هُمَا
وَبَيضٌ ^(٢) شَدِيدٌ ، يَجُوزُ هَذَا الْمَاءُ إِلَى عَجْزِ هَذَا الْأَسَدِ
فَيَمُجُّهُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ ، فَيَبْهَرُ النََّاظِرَ بِحُسْنِهِ
وَرُوعَةِ مَنَظَرِهِ وَتَجَاجُعِهِ ^(٣) صَبَّهِ ، فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِعِهِ ^(٤) جِنَانٌ

(١) أصل النهر موضع في النهر يحتفره الماء ، وموضع النهر (٢) وبص
البرق وغيره يبص وبصا اذا لمع وبرق ، والوباص البراق اللون .
وفي بعض النسخ « وميض » وهو مثله (٣) ثج الماء : أسأله ، وثج الماء
اذا كثر صبه وسيله (٤) مج الماء من فيه اذا لفظه وألقاه ، والمجاج اسم
لهذا الماء الذي يرمى من الفم

هَذَا الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا، وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَتِهِ، وَيَمْدُ
النَّهْرُ الْأَعْظَمَ بِمَا فَضَلَ مِنْهُ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَنَاةُ وَبِرْكَتُهَا
وَالْتُمَثَالُ الَّذِي يَصُبُّ فِيهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَابِرِ
الذَّهْرِ؛ لِبُعْدِ مَسَاقِهَا، وَاخْتِلَافِ مَسَالِكِهَا، وَقَحَامَةِ بُيَانِهَا
وُسْمُو أَبْرَاجِهَا الَّتِي يَتَرَقَّى الْمَاءُ مِنْهَا، وَيَتَصَوَّبُ^(١) مِنْ أَعَالِيهَا،
وَكَانَتْ مُدَّةُ الْأَعْمَلِ فِيهَا مِنْ يَوْمِ ابْتَدَتْ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ
وَصَلَتْ - أَغْنَى الْقَنَاةُ - إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ
شَهْرًا، وَكَانَ انْطِلَاقُ الْمَاءِ فِي هَذِهِ الْبِرْكَةِ الْإِنْطِلَاقُ
الَّذِي اتَّصَلَ وَاسْتَمَرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غُرَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ
السَّنَةِ، وَكَانَتْ لِلنَّاصِرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِقَصْرِ النَّاعُورَةِ
دَعْوَةٌ حَسَنَةٌ، أَفْضَلَ فِيهَا عَلَى عَامَّةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وَوَصَلَ
الْمُهَنْدِسِينَ وَالْقَوَّامَ بِالْعَمَلِ بِصِلَاتٍ حَسَنَةٍ جَلِيلَةٍ جَزِيلَةٍ.
وَأَمَّا مَدِينَةُ الزَّهْرَاءِ فَاسْتَمَرَ الْأَعْمَلُ فِيهَا مِنْ عَامِ خَمْسَةِ
وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى آخِرِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ وَابْنِهِ الْحَكَمِ
وَذَلِكَ نَحْوَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمَّا فَرِغَ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِ

(١) صاب الشيء وتصوب اذا نزل من علو الى سفلى وانحدر .

الزَّهْرَاءِ عَلَى مَا وُصِفَ كَانَتْ أَوَّلُ جَمَاعَةٍ صُلِّيَتْ فِيهِ صَلَاةُ
الْمَغْرِبِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ، وَكَانَ الْإِمَامُ
الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عِيْسَى^(١)،

(١) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي « وجده يحيى
ابن يحيى الليثي توفي سنة ٣٠٣ » ولي قضاء الجماعة بقرطبة وكان فقيها
جليلا موصوفا بالعقل والعدل والصلاح في الحق والاعتصام بحبل الدين حسن
التهديب قويم النقااة، يجمع الى العلم أدبا وظرفا ، والى الدين مروءة وبلاغة
والى الفقه والقضاء كتاباة وشعرا، مع رقة حاشية، ودماثة طبع ،ولين كنف
ناهيك منه بطبع ألطف من الهواء ، وشماثل أعذب من زلال الماء، وخلق
أرق من نسائم الأسحار ، اذا غازلت عذبات الأشجار ، تغرد فوقها بلابل
الاطيار. ناهيك بقاض عدل، وفقه أديب كان عذب الروح خفيف الظل.
اذا أقبل لم تر بين الناس - مع هيئتهم له - الاقوادا رافعا ، وطرفا شاخضا
حدث القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله قاضي الجماعة بقرطبة عن أبيه
عبد الله بن محمد بن مغيث أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في
دار رجل من بني حدير مع أخيه أبي عيسى في ناحية مقابر قریش وقد
خرجوا لحضور جنازة وجارية للحدیر نفی هذه الايات :

طابت بطيب لثائك الاقداح وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا النسيم تنسمت ارواحه طابت بطيب نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي في يده ثم خرجوا ، قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته
يكبر للصلاة على الجنازة والايات مكتوبة على باطن كفه وتوفي سنة ٣٣٧،
رحمه الله . قلت هذا وربك يسر الدين يتجلى في معرض الادب ، والعلم
الغزير ينمو بالادب على الطلب ، وهذا هو الصلاح الجهم ييسم في طلاقة
وبشر ، ويرى أن الدين متين ليس فيه عسر ، وكذلك كان ابن عباس

وَمِنَ الَّذِينَ صَلَّى النَّاصِرُ فِيهِ الْجُمُعَةَ ، وَأَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِهِ
الْقَاضِي الْمَذْكُورُ .

فصل الزهراء

وَلَمَّا بَنَى النَّاصِرُ قَصْرَ الزَّهْرَاءِ الْمُنْتَهَى فِي الْجَلَالَةِ
وَالْفَخَامَةِ أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ
الْبَتَّةَ ، وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالنَّحْلِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مَلِكٍ وَارِدٍ وَرَسُولٍ وَافِدٍ وَتَاجِرٍ
جَهِيدٍ^(١) - وَفِي هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مِنَ النَّاسِ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ
وَالْفِطْنَةُ - إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ لَهُ شَبْهًا ، بَلْ لَمْ
يَسْمَعْ بِهِ ، بَلْ لَمْ يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ أَعْجَبَ
مَا يُؤْمَلُهُ^(٢) الْقَاطِعُ إِلَى الْأَنْدَالِ فِي تِلْكَ الْمُسُورِ النَّظَرِ
إِلَيْهِ وَالتَّحَدُّثِ عَنْهُ . وَالْأَخْبَارُ عَنْ هَذَا تَنْسَعُ جِدًّا ، وَالْأَدِلَّةُ
عَلَيْهِ تَكْثُرُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُمَرَّدُ^(٣) الْمَشْرِفُ
عَلَى الرُّوْضَةِ الْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ ، وَالْقُبَّةِ وَعَجِيبُ

حبر هذه الائمة وغيره ممن فهم حقيقة الدين ، لاما يسوم الناس تجسسه
من عابسي التنظمين ، والمنجهمين من غلاة التزميتين «أحمد يوسف نجاتي»
(١) في الأصل « وجهيد » وهو تحريف - والجهيد هو النقاد الحير
بغوامض الامور البارع العارف بطرق النقد « وهو لفظ معرب » (٢) في
الأصل « يوصله » وهو تحريف (٣) بناء ممد أى مطول مسوى ملمس

مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهِمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ
وَبَرَّاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ - مَا بَيْنَ مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ ^(١) ، وَذَهَبٍ
مَوْضُونٍ ^(٢) ، وَعُمْدٍ كَأَنَّمَا أَفْرِغْتَ فِي الْقَوَالِبِ ، وَنُقُوشٍ
كَالرِّيَاضِ ، وَبِرِّكٍ عَظِيمَةٍ مُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ وَحِيَاضٍ ،
وَتَمَائِيلَ عَجِيبَةِ الْأَشْخَاصِ . لَا تَهْتَدِي الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ
اُسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا لَكِنِّي . فَسُبْحَانَ الَّذِي أَقْدَرَ هَذَا الْمَخْلُوقَ
الضَّعِيفَ عَلَى إِبْدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ الْمُتَحَلِّةِ ،
كَيْمَا يُرَى الْغَافِلِينَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ مِثَالًا لِمَا أَعَدَّهُ لِأَهْلِ
السَّعَادَةِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ الَّتِي لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ ، وَلَا
تَحْتَاجُ إِلَى الرَّمِّ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْكَرَمِ

(١) للسنون أى الملمس ، قال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

ثم خاصرتها الى القبة الحظراء تمشى في مرممر مسنون

« وتروى هذه الأبيات لابن دهبيل الجمحي » (٢) في الأصل « مصون »

محرقة - ضمن الشيء يضمنه « كوعد » إذا ضاعفه ونضده ، والدرع الموضونة

النسوجة بالجواهر ، والوضن : نسج السرير أو الثياب بالدر ، وسرير موضون

مضاعف النسج ، ومنه قوله تعالى : « على سرر موضونة » .

« وَذَكَرَ الْمَوْرِخُ » أَبُو مَرْوَانَ بْنَ حَيَّانَ ^(١) صَاحِبُ
الْشَّرْطَةِ أَنَّ مَبَانِي الزَّهْرَاءِ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ سَارِيَةٍ
مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ وَمَحْمُولَةٍ - وَنِيفٍ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ
سَارِيَةٍ هُوَ سِتُّ عَشْرَةَ ^(٢) . قَالَ : مِنْهَا مَا جُلِبَ مِنْ مَدِينَةِ
رُومَةَ ، وَمِنْهَا مَا أَهْدَاهُ صَاحِبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - وَأَنَّ مَصَارِيْعَ
أَبْوَابِهَا صِغَارَهَا وَكِبَارَهَا كَانَتْ تُنِيفُ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ
أَلْفَ بَابٍ ، وَكُلُّهَا مُلْبَسَةٌ بِالْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ الْمُمَوَّهِ ، وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَهْوَلِ مَا بَنَاهُ
الْإِنْسُ وَأَجَلَّهُ خَطَرًا وَأَعْظَمِهِ شَأْنًا . انْتَهَى
قُلْتُ : فَتَرَبَّعْتُهُمْ ذَلِكَ النِّيفُ فِي كَلَامِهِ بِثَلَاثِ
عَشْرَةٍ ^(٣) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) هو حيان بن خاف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان
مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، من
أهل قرطبة وصاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس كان ذا حظ عظيم
من العلم والأدب والمعرفة والبيان والبراعة والبلاغة وصدق اليراد والتحري
للصواب فيما ينقله ويكتبه ، ولد سنة ٣٧٧ وتوفي سنة ٤٦٩ (٢) كانت
هذه العبارة في الأصل مشوهة مهوشة بالتحريف والتقديم والتأخير ،
والذى يقصده أن عدد السوارى كان ٤٣١٦ سارية (٣) فيكون مجموع
عدد السوارى على ذلك ٤٣١٣ سارية « أحمد يوسف نجاتي »

« وَقَالَ بَعْضُ مَنْ أَرَّخَ الْأَنْدَلُسَ » : كَانَ عَدَدُ الْفَتَيَانِ
بِالزَّهْرَاءِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَتَى وَسَبْعِمِائَةَ وَخَمْسِينَ فَتَى ،
وَدَخَلَتْهُنَّ مِنَ اللَّحْمِ كُلِّ يَوْمٍ - حَاشَا أَنْوَاعِ الطَّيْرِ وَالْحَوْتَ -
ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ ، وَعِدَّةُ النِّسَاءِ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ الصُّغَارِ
وَالْكِبَارِ وَخَدَمِ الْخِدْمَةِ سِتَّةُ آلَافٍ وَثَلَاثِينَ أَمْرَأَةً
وَأَرْبَعَةَ عَشْرَةَ . اُنْتَهَى .

وَقِيلَ إِنَّ عَدَدَ الصَّبِيَّانِ^(١) الصَّقَالِبَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
وَسَبْعِمِائَةَ وَخَمْسُونَ . وَجَعَلَ بَعْضُ مَكَانٍ أَرْبَعِينَ سَبْعَةً
وَعِشْرِينَ . « وَقَالَ آخَرُ » سِتَّةُ آلَافٍ صَقْلِيٍّ وَسَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ،
وَالْمُرْتَبُ مِنَ الْخُبْزِ لِحَيْتَانِ بُحَيْرَةِ الزَّهْرَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ
خُبْزَةٍ كُلِّ يَوْمٍ ، وَيَنْقَعُ لَهَا مِنَ الْحَمِّصِ الْأَسْوَدِ سِتَّةُ أَفْرِزَةٍ
كُلِّ يَوْمٍ . اُنْتَهَى .

ثُمَّ قَالَ الْأَوَّلُ : وَكَانَ لَهُوْلَاءُ مِنَ اللَّحْمِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ
رِطْلٍ ، تُقَسَّمُ مِنْ عَشْرَةِ أَرْطَالٍ لِلشَّخْصِ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ

(١) في بعض النسخ « الفتيان » وهو المؤلف المعروف .

سِوَى الدَّجَاجِ وَالْحَجَلِ وَصُوفِ الطَّيْرِ وَصُرُوبِ الْحِيتَانِ .
أُنْتَهَى .

« وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ » : أَلْفَيْتُ بِحَظِّ ابْنِ دَحْوَنَ^(١) أَلْفَقِيهَ :
قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرِيفُ الْمُهَنْدِسُ : بَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بِعِمَارَةِ الزَّهْرَاءِ أَوَّلَ سَنَةِ خَمْسِيٍّ وَعِشْرِينَ
وَتَلْثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا يُنْفَقُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الصَّخْرِ
الْمَنْخُوتِ الْمَنْجُورِ الْمَعْدَلِ سِتَّةَ آلَافِ صَخْرَةٍ سِوَى
الصَّخْرِ الْمُنْصَرَفِ فِي التَّبْلِيطِ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي هَذَا
الْعَدَدِ ، وَكَانَ يَخْدُمُ فِي الزَّهْرَاءِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً

(١) في الأصل « دجون » وهو تحريف - وأرى أن ابن دحون هذا
من ذرية أبي سليمان حبيب بن الوليد بن حبيب « الداخِل إلى الأندلس »
ابن عبد الله بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، من
أهل قرطبة ويلقب بدحون ، كان فقيها عالما وشاعرا محسنا في أيام الأمير
عبد الرحمن بن الحكم ، وابنه بشر بن حبيب كان فقيها عالما ، وجده
حبيب والد جماعة الحبيبيين من فريش بالأندلس ، ومنهم محمد بن سليمان
ابن أحمد بن حبيب بن الوليد بن عمر بن حبيب بن عبد الملك بن عمر
ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم المعروف بالحبيبي توفي
سنة ٣٢٨ وسوف نوفي هؤلاء الجماعة حقهم من البيان ، فقد كان لهم
ولتريتهم أثر حميد في العلم والفقه والأدب بالأندلس . « أحمد يوسف نجاتي »

بَعْلٍ ، وَقِيلَ أَكْثَرُ ، مِنْهَا أَرْبَعُمِائَةٍ زَوَامِلُ^(١) النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ ، وَمِنْ دَوَابِّ الْأَكْرِيَةِ^(٢) الرَّائِبَةِ لِلْخِدْمَةِ أَلْفُ
بَعْلٍ ، لِكُلِّ مِنْهَا ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ فِي الشَّهْرِ ، يَجِبُ لَهَا فِي الشَّهْرِ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ مِثْقَالٍ . وَكَانَ يَرْدُ الزَّهْرَاءِ مِنَ الْجِيرِ وَالْجِصِّ
فِي كُلِّ ثَلَاثٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَلْفٌ وَمِائَةٌ حِمْلٍ ، وَكَانَ فِيهَا
حَمَّامَانِ وَاحِدَةٌ لِلْقَصْرِ^(٣) وَثَانِيَةٌ لِلْعَامَّةِ . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ

(١) جمع زاملة وهي التي يحمل عليها الطعام والشراب والراد والمتاع في السفر من
الابل وغيرها ، من الزمل وهو الحمل (٢) الأكريّة جمع كراء وهو أجرة
المستأجر ، وفي بعض النسخ « أكرياه » جمع كرى وهو المكاري الذي
يكري دابته « ولعل هذه النسخة أصح ، فان جمع كرى أولى من جمع
كراء لأن كراء مصدر كاري مكاراة وكراء ، وفي جمع المصدر مافيه -
والراتب : الثابت المقيم . ورتب الشيء « كقعد » اذا ثبت ودام ولزم ،
ورتيه ترتيباً : أثبتة (٣) أنث الحمام والمعروف أنه مذكر « وهو أحد ما جاء
من الأسماء على وزن فعال نحو قذاف وجبان » قال سيبويه : جمعه
بالألف والياء « حمامات » وان كان مذكراً حين لم يكسر جعلوا ذلك
عوضاً عن التذكير ، اه وما يدل على تذكيره قول عبيد الله بن القرطبي الأسدي
نهيتهما عن نورة أحرقتهما وحمام سوء ماؤه يتسر
وأشدد أبو العباس اللبرد لرجل من مزينة :

خليلى بالبوابة عوجاً فلا أرى بها منزلاً الا جديب المقيّد
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمامها التوقّد
وذكر أبو محمد بن برى تأنيته في بيت زعم الجوهري أنه يصف حماما هو
فاذا دخلت سمعت فيها رجة لفظ المعاول في بيوت هدا

الْخِدْمَةِ فِي الزَّهْرَاءِ أَنَّهُ قَدَّرَ النِّفَقَةَ فِيهَا فِي كُلِّ عَامٍ
بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ مُدَّةَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا الَّتِي بَقِيَتْ
مِنْ دَوْلَةِ النَّاصِرِ مِنْ حِينَ أَبْتَدَاهَا - لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ
فَحَصَّلَ جَمِيعَ الْإِنْفَاقِ فِيهَا فَكَانَ مَبْلَغُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ
بَيْتَ مَالٍ . قَالَ : وَجَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ مِنْ قَرطاجنة وإفريقية
وَتُونُسَ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَحْلِبُونَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ عَرِيفُ
الْبَنَانِينَ وَحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْإِسْكَندَرَانِي ،
وَكَانَ النَّاصِرُ يَصِلُهُمْ عَلَى كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بِعَشْرَةِ
دَنَانِيرٍ . ائْتَمَى .

وَقَالَ بَعْضُ ثِقَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّهُ كَانَ يَصِلُهُمْ عَلَى
كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ، وَعَلَى كُلِّ سَارِيَةٍ بِثَمَانِيَةِ
دَنَانِيرٍ ، قِيلَ : وَكَانَ عَدَدُ السَّوَارِي الْمَجْلُوبَةِ مِنْ إِفريقيةَ
أَلْفَ سَارِيَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَمِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ
تِسْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ مِائَةً
وَأَرْبَعِينَ سَارِيَةً ، وَسَارُهَا مِنْ مَقَاطِعِ الْأَنْدَلُسِ ؛ تَرَكُونَهُ
وغيرها ، فَالرُّخَامُ الْمُجَزَّعُ مِنْ رِيَّةَ ، وَالْأَيْضُ مِنْ غَيْرِهَا ،

وَالْوَرْدِيُّ وَالْأَخْضَرُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ كَنِيسَةِ سَفَاقْسَ .
وَأَمَّا الْحَوْضُ الْمَنْقُوشُ الْمَذْهَبُ الْغَرِيبُ الشَّكْلِ الْعَالِي
الْقِيَمَةِ فَجَلَبَهُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ أَيْوَنَانِي مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ
رَبِيعِ الْأَسْقُفِّ الْقَادِمِ مِنْ إِيلِيَاءَ ، وَأَمَّا الْحَوْضُ الصَّغِيرُ
الْأَخْضَرُ الْمَنْقُوشُ بِتَمَائِيلِ الْإِنْسَانِ فَجَلَبَهُ أَحْمَدُ مِنَ الشَّامِ
وَقِيلَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ رَبِيعِ الْأَسْقُفِّ أَيْضًا ، وَقَالُوا
إِنَّهُ لَا قِيَمَةَ لَهُ لِفَرْطِ غَرَابَتِهِ وَجَمَالِهِ ، وَحُمِلَ مِنْ مَكَانٍ
إِلَى مَكَانٍ حَتَّى وَصَلَ فِي الْبَحْرِ ، وَلَصَبَهُ النَّاصِرُ فِي بَيْتِ الْمَنَامِ
فِي الْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمُؤَنَسِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ اثْنَيْ
عَشَرَ تِمْنَالًا مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةً بِالذَّرِّ الْفَيْسِ الْعَالِي
مِمَّا حُمِلَ بِدَارِ الصَّنَاعَةِ بِقُرْطَبَةِ : صُورَةُ أُسَدٍ إِلَى جَانِبِهِ غَزَالٌ
إِلَى جَانِبِهِ تِمْسَاحٌ ، وَفِيمَا يُقَابِلُهُ ثُعْبَانٌ ، وَعُقَابٌ وَفِيلٌ ، وَفِي
الْمُجَنَّبَتَيْنِ ^(١) حَمَامَةٌ وَشَاهِينٌ وَطَاوُوسٌ وَدَجَاجَةٌ وَدِيكٌ
وَحِدَاةٌ وَتَسْرٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ

(١) أى فى الجانبين الايمن والايسر - والمجنب « كمنبر » الستر .

النَّفِيسِ ، وَيَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهَا ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى
لِهَذَا الْبُنْيَانِ الْمَذْكُورِ ابْنُهُ الْحَكَمُ ، لَمْ يَتَّكِلْ فِيهِ
النَّاصِرُ عَلَى أَمِينٍ غَيْرِهِ ، وَكَانَ يُخْبِزُ فِي أَيَّامِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
بِرَسْمِ حِيتَانِ الْبُحَيْرَاتِ ثَمَانِيَةَ خُبْزَةٍ - وَقِيلَ أَكْثَرُ -
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَتَبُّعُهُ . وَكَانَ النَّاصِرُ كَمَا قَدَّمْنَا
قَسَمَ الْجَبَايَةِ ثَلَاثًا : ثُلُثٌ لِلْجُنْدِ ، وَثُلُثٌ لِلْبِنَاءِ ، وَثُلُثٌ مُدَّخَرٌ ،
وَكَانَتْ جَبَايَةُ الْأَنْدَلُسِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكُورِ وَالْقُرَى
خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفٍ ^(١) وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،
وَمِنْ السُّوقِ ^(٢) وَالْمُسْتَخْلَصِ سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ
وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَمَّا أَخْمَاسُ الْغَنِيمَةِ فَلَا يُحْصِيهَا
دِيوَانٌ . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا كُلُّهُ ، وَإِنَّا كَرَّرْنَاهُ لِقَوْلِ بَعْضِهِمْ
إِثْرَ حِكَايَتِهِ لَهُ مَا صَوَّرْنَاهُ : وَقِيلَ : إِنَّ مَبْلَغَ تَحْصِيلِ النِّفْقَةِ
فِي بِنَاءِ الزَّهْرَاءِ مِائَةُ مُدٍّ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْقَاسِيَةِ بِكَيْلِ

(١) في الاصل كلمة ألف زائدة أى مكررة ثلاث مرات فجعلت العدد كأنه
غير معقول ولا مقبول (٢) في الاصل « السُّوق » محرفة .

قُرْطَبَةَ ، وَقِيلَ إِنَّ مَبْلَغَ التَّفَقُّةِ فِيهَا بِالنَّكِيلِ الْمَذْكُورِ
تَمَانُونَ مِثْقَالًا وَسَبْعَةٌ ^(١) أَقْفِزَةٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَاتَّصَلَ بُنْيَانُ الزَّهْرَاءِ أَيَّامَ النَّاصِرِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً
شَطْرَ خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بَعْدَ وَفَاتِهِ خِلَافَةُ ابْنِهِ الْحَكَمِ
كُلَّهَا - وَكَانَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا وَأَشْهُرًا - فَسُبْحَانَ الْبَاقِي
بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ ابْنُ أَصْبَغٍ الْهَمْدَانِيُّ ^(٢) وَالْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ »
كَانَ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَرْضِ وَإِقَامَةِ مَعَالِيهَا
وَأُسْتَنْبَاطِ مِيَاهِهَا ^(٣) وَأُسْتَجْلَابِهَا مِنْ أُبْعَدِ بَقَاعِهَا ، وَتَحْلِيدِ

(١) في بعض النسخ « ستة » (٢) في الأصل « البديع الهمداني » وهو
تصنيف بديع - وابن أصبغ الهمداني هو أبو بكر عباس بن أصبغ بن
عبد العزيز بن غصن الهمداني من أهل قرطبة ، كان عالما فاضلا ثقة ذا دين
وعفة وصيانة ولد سنة ٣٠٦ وتوفي سنة ٣٨٦ . « أحمد يوسف نجاشي » .
(٣) في الأصل « وانبساط مجاهلها » والقصد يأباه وان وجد الطباق بين
العالم والمجاهل ، وفي بعض النسخ « وانبساط مياها » ولا بأس به ، وانبسط
يعنى اتسع ، وأرى أن خيرا منهما أن تكون « وانباط مياها » أو
« استنباط - » يقال أنبط البئر إذا استخرج ماءها ، وأنبط الحافر واستنبط
إذا بلغ الماء ، وكل ما أظهر بعد اخفاء فقد أنبط واستنبط - ومنه استنبط

الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ وَعُلُوِّ الْهَيْمَةِ ،
فَأَفْضَى بِهِ الْإِغْرَاقَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءِ
السَّائِعَ ذِكْرُهُ ، الدَّائِعَ خَبْرُهُ ، الْمُنْتَشِرَ فِي الْأَرْضِ أَثَرُهُ ^(١)
وَأُسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَنْمِيقِهَا ، وَإِثْقَانِ قُصُورِهَا ، وَزَخْرَفَةَ
مَصَانِعِهَا ، وَأَنْهَمَكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى عَطَلَ شُهُودَ الْجُمُعَةِ
بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الَّذِي اتَّخَذَهُ ثَلَاثَ جُمُعٍ مُتَوَالِيَاتٍ ،
فَأَرَادَ الْقَاضِي مُنْذِرًا أَنْ يَفُضَّ مِنْهُ بِمَا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ
بِفَضْلِ الْخُطَابَةِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرَّجُوعِ وَالْإِنَابَةِ ^(٢) ،
فَأَبْتَدَأَ فِي خُطْبَتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ^(٣)

الْفقيه ، أى استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده ، قال تعالى : « لعلهم
الذين يستنبطونه منهم » . أى يستخرجونه ، وأصله من النبط وهو الماء .
الذى يخرج من البئر أول ما تحفر . وفى اللطمح : وتكثير مياهاها (١) فى
الأصل « الزائد المنتشر صيته فى الأرض » والزائد محرف عن الدائع ،
والباقي لا غبار عليه ، غير أن ما نقلناه عن اللطمح للفتح ابن خاقان أولى
بالاتباع لحسن العبارة عليه ووافها بحق السجع الذى يتحراه مثل السكاك
مع انارة المعنى ووضوحه . « أحمد يوسف نجاشى » .

(٢) أناب الى الله أى رجع وعاد الى طاعته وأقبل عليه تائباً (٣) الرّيع :
الارتفاع من الأرض ، أو كل فج أو طريق ، أو الطريق للنفرج عن الجبل

إِلَى قَوْلِهِ مِنَ الْوَاعِظِينَ « ثُمَّ وَصَلَهُ بِقَوْلِهِ « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا
 قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ لِمَنِ اتَّقَى » وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ وَمَكَانُ
 الْجَزَاءِ ، وَمَضَى فِي ذِمِّ تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ وَالْإِسْتِغْرَاقِ فِي
 زَخْرَفَتِهِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ بِكُلِّ كَلَامٍ جَزَلٍ
 وَقَوْلٍ فَضْلٍ ^(١) ، فَجَرَى فِيهِ طَلْقًا ^(٢) وَأَنْتَزَعَ فِيهِ
 قَوْلُهُ تَعَالَى « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ » إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَأَتَى بِمَا
 يُشَاكِلُ الْمَعْنَى مِنَ التَّخْوِيفِ بِالْمَوْتِ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ
 فَجَائَتِهِ ، وَالذِّعَاءِ إِلَى الزُّهْدِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، وَالْخُصِّ
 عَلَى اعْتِرَالِهَا ، وَالرَّفْضِ لَهَا ، وَالنَّدْبِ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا ،
 وَالْإِفْصَارِ عَنْ طَلَبِ اللَّذَاتِ ، وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنْ اتِّبَاعِ
 الشَّهَوَاتِ ، فَأَسْهَبَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ
 آيِ الْقُرْآنِ مَا يُطَابِقُهُ ، وَجَلَبَ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ مَا
 يُشَاكِلُهُ وَيُؤَافِقُهُ ، حَتَّى أَذْكَرَ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ النَّاسِ
 وَخَشَعُوا وَرَفُؤُوا ، وَأَعْتَرَفُوا وَبَكَوْا وَضَجُّوا ، وَدَعَوْا وَأَعْلَنُوا

(١) فِي اللَّطَامِ بِمَذْكَاءَ : جَاشَ بِهِ صَدْرُهُ ، وَقَنَفَ بِهِ عَلَى لِسَانِهِ بِحِرَّةِ

(٢) الطَّلَقُ بِفَتْحِ اللَّامِ : الشُّوْطُ وَالْعَايَةُ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْفَرَسُ .

التَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّوْبَةِ وَالْإِبْتِهَالِ فِي الْمَغْفِرَةِ ،
وَأَخَذَ خَلِيقَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْقَرِ حَظٍّ - وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ
الْمَقْصُودُ بِهِ - فَبَكَى وَنَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ لَهُ ^(١) مِنْ فَرْطِهِ
وَأَسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ ^(٢) عَلَى مُنْذِرٍ لِفَلْظِ
مَا قَرَعَهُ ^(٣) بِهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لَوْلَدِهِ الْحَكَمَ بَعْدَ انْصِرَافِ
مُنْذِرٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَعَمَّدَنِي مُنْذِرٌ بِخُطْبَتِهِ ، وَمَا عَنَى بِهَا
غَيْرِي ، فَأَسْرَفَ عَلَى وَأَفْرَطَ فِي تَقْرِيعِي ، وَأَسْرَفَ فِي تَقْرِيعِي
وَتَرْوِيعِي ، وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي ، فَرَزَعَنِي قَلْبِي
وَكَادَ بِعَصَاهُ يَقْرَعُنِي ، وَأَسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ ، فَأَقْسَمَ الْأَيْصَلِيُّ
خَلْفَهُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ، فَجَعَلَ يَلْتَزِمُ صَلَاتَهَا وَرَاءَ

(١) في الأصل : على ماناله - وفرط في الأمر فرطاً إذا قصر فيه ، والفرط
الاسم من الإفراط وهو مجاوزة الحد في الأمر ، والفرط : تجاوز الحد في
الأمر أيضاً ومنه قوله تعالى : « وكان أمره فرطاً » (٢) أى غضب وحقد
(٣) في الأصل تفرعه ، وهو تحريف ، فليس هناك تفرعه ، والتفريع
التعنيف واللوم والتثريب والايجاج في ذلك ، ويقال النصيح بين الملائم تفريع
وتفرعه إذا وبخه وخذله ، ويقال قرعني فلان بلومه فلم أرتقع به ، أى
لم أكرث به . « أحمد يوسف نجاشي »

أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ ^(١) صَاحِبِ الصَّلَاةِ بِقَرْطَبَةَ وَيُحَابِبُ الصَّلَاةَ
بِالزَّهْرَاءِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ
مُنْذِرٍ عَنِ الصَّلَاةِ بِكَ وَأَنْ تَسْتَبْدِلَ غَيْرَهُ ^(٢) مِنْهُ إِذْ كَرِهَتْهُ ؛
فَزَجَرَهُ وَأَنْتَهَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَمِثْلُ مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ
وَخَيْرِهِ وَعَلَيْهِ - لَا أُمَّ لَكَ - يُعْزَلُ لِإِرْصَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنِ
الرُّشْدِ ، سَالِكَةٍ غَيْرِ الْقَصْدِ ؛ هَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَإِنِّي
لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ إِلَّا أَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ
شَفِيعًا مِثْلَ مُنْذِرٍ فِي وَرَعِهِ وَصِدْقِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخْرَجَنِي
فَأَقْسَمْتُ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كَفَّارَةِ يَمِينِي
عَمَلِكِي ، بَلْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حَيَاتَهُ وَحَيَاتَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) هو أبو عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم بن علقمة بن
جابر بن بدر الأزدي من أهل قرطبة ويعرف بابن المشاط، كان فقيها محدثا
وعالما جليلا فاضلا ذا منزلة رفيعة لدى أولى الأمر يشاورونه فيمن يصلح
لتقلد شؤون الأعمال والقضاء ويرجعون إليه في ذلك لسداد رأيه وصدوره
فيه عن اخلاص ومراعاة للمصلحة العامة والدين مع زهده وورعه وعدله
وولى الصلاة بجامع قرطبة بعد الامام محمد بن عبد الله بن أبي عيسى التتقدم
ذكره الى أن توفي سنة ٣٥٣ رحمه الله ، وكان جده قد رحل مع عبد
الرحمن بن معاوية الداخل في الجند الساميين . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) في الأصل : والاستبدال بغيره منه ، وهو استعمال يعدل عنه فصيح اللغة

تَعَالَى - فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا . وَقِيلَ إِنَّ الْحُكْمَ
أَعْتَدَرَ عَمَّا قَالَ مُنْذِرٌ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ
وَمَا أَرَادَ إِلَّا خَيْرًا ، وَلَوْ رَأَى مَا أَنْفَقْتَ ^(١) وَحُسْنَ تِلْكَ الْبُنْيَةِ ^(٢)
لَعَدَرَكَ ، فَأَمَرَ حِينَئِذٍ النَّاصِرُ بِالْقُصُورِ فَفُرِشَتْ ، وَفُرِشَ
ذَلِكَ الْمَجْلِسُ بِأَصْنَافِ فُرُشِ الدِّيَابِجِ ، وَأَمَرَ بِالْأَطْعَمَةِ
وَقَدْ أَخْضَرَ الْعُلَمَاءُ وَغَصَّ بِهِمُ الْمَجْلِسُ ، فَدَخَلَ مُنْذِرٌ
فِي آخِرِهِمْ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ أَنْ يَقْعُدَ بِقُرْبِهِ ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَقْعُدُ الرَّجُلُ حَيْثُ أَنْتَ بِهَ الْمَجْلِسُ
وَلَا يَتَخَطَّى الرَّقَابَ ، فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ
رَمَّةٍ . ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْقَائِلُ بَعْدَ هَذَا كَلَامًا مِنْ كَلَامِ
الْمُنْذِرِ يَأْتِي قَرِيبًا . وَقَحِطَ ^(٣) النَّاسُ آخِرَ مُدَّةِ النَّاصِرِ
فَأَمَرَ الْقَاضِي مُنْذِرًا الْمَذْكُورَ بِالْبُرُوزِ إِلَى الْإِسْتِسْقَاءِ
بِالنَّاسِ ، فَتَاهَبَ لَذَلِكَ وَصَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيَّامًا ثَلَاثَةً
تَفَقُّلاً وَإِنَابَةً وَرَهْبَةً ، وَاجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فِي مُصَلَّى الرَّبَضِ

(١) قد تكون « ما أنفقت » (٢) البنية ما بنيت وجمعه بنى وبنى - أما البنية

« بالتشديد » فهي الكعبة سميت بذلك لشرفها فأشرف مبنى

(٣) القحط الجذب واحتباس للطر .

بِشُرْطَةِ بَارِزِينَ إِلَى اللَّهِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَصِيدَ الْخَلِيفَةِ
 النَّاصِرُ فِي أَعْلَى مَصَانِعِهِ الْمُرْتَفِعَةِ مِنَ الْقَصْرِ لِشَارِفٍ^(١)
 النَّاسَ وَيُشَارِكُهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالضَّرَاعَةِ لَهُ ،
 فَأَبْطَأَ الْقَاضِي حَتَّى اجْتَمَعَ النَّاسُ وَغَصَّتْ بِهِمْ سَاحَةُ
 الْمُصَلَّى ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَهُمْ مَاشِيًا مُتَضَرِّعًا ، مُخْبِتًا^(٢) مُتَخَشِّعًا ،
 وَقَامَ لِيَخْطُبُ ، فَلَمَّا رَأَى بِدَارَ^(٣) النَّاسِ إِلَى أُرْتِقَائِهِ
 وَأَسْتِكَاتِهِمْ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ وَإِخْبَاتِهِمْ لَهُ وَأُبْتِهَالِهِمْ إِلَيْهِ
 رَقَّتْ نَفْسُهُ ، وَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَاسْتَعْبَرَ^(٤) وَبَكَى حِينًا ، ثُمَّ
 أَفْتَحَ خُطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ،
 ثُمَّ سَكَتَ وَوَقَفَ شِبْهَ الْحَصْرِ^(٥) - وَلَمْ يَكُ مِنْ عَادَتِهِ -
 فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لَا يَدْرُونَ مَا عَرَاهُ وَلَا
 مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ ، ثُمَّ أُنْدَفَعَ تَالِيًا قَوْلَهُ تَعَالَى « كَتَبَ رَبُّكُمْ

(١) شارفه وأشرف عليه إذا اطلع عليه من فوق ، واسم ذلك المكان
 مشرف (٢) أخبت : خضع وتواضع ، وأخبتوا إلى ربهم أى اطهأوا إليه
 وتواضعوا بين يديه (٣) بادر مبادرة وبدار إذا عجل إلى فعل ما يرغب
 فيه (٤) استعبر إذا جرت عبرته « أى انهملت دموعه بدون أن يسمع
 البكاء » (٥) الحصر : العلى فى المنطق ، وأن يحاول الرء الكلام فيستعصى

عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ « إِلَى قَوْلِهِ رَحِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ « اُسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » اُسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ »
وَتَرَلَّفُوا^(١) بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَدَيْهِ ، قَالَ الْخَالِكِي : فَضَجَّ
النَّاسُ بِالْبُكَاءِ ، وَجَارُوا^(٢) بِالْدُّعَاءِ ، وَمَضَى عَلَى تَمَامِ
خُطْبَتِهِ ، فَقَرَعَ^(٣) النُّفُوسَ بِوَعْظِهِ ، وَأَنْبَعَثَ الْإِخْلَاصُ
بِتَذْكِرِهِ ، فَلَمْ يَنْقُضِ النَّهَارُ حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ بِعَمَاءِ
مُتَهَمِرٍ ، رَوَّى الثَّرَى ، وَطَرَدَ الْمَحَلَّ ، وَسَكَّنَ الْأَزَلَ^(٤) ،
وَاللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ . وَكَانَ لِمُنْذِرٍ فِي خُطْبِ الْإِسْتِسْقَاءِ
اُسْتِفْتَاخٌ عَجِيبٌ ، وَمِنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا - وَقَدْ سَرَّحَ طَرَفَهُ
فِي مَلَأِ النَّاسِ عِنْدَمَا شَخَّصُوا^(٥) إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ فَهَتَفَ بِهِمْ
كَالْمُنَادِي : أَيُّهَا النَّاسُ - وَكَرَّرَهَا عَلَيْهِمْ^(٦) - مُشِيرًا بِيَدِهِ فِي
نَوَاحِيهِمْ - « أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ » إِلَى بَعْزِيزٍ ، فَاشْتَدَّ وَجْدُ

عليه ، ويدعو القول فينفر منه (١) تقر بوا (٢) جأر الداعي « كمنع »
إذا رفع صوته بالدعاء ، وجأر الى الله تضرع بالدعاء وضع واستغاث .
(٣) أو « ففزع » أى خوف ، وفي المطمح « فأفزع » (٤) الأزل :
الضيق والشدة والقحط ، والأزل الداهية أيضا لشدها (٥) شخص بصره
« كمنع » إذا فتح عينيه وجل لا يطرف (٦) فى بعض النسخ « ثلاثا »

النَّاسِ ، وَأَنْطَلَقَتْ أَعْيُنُهُمْ بِالْبُكَاءِ ، وَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ .
وَقِيلَ إِنَّ الْخَلِيفَةَ النَّاصِرَ خَرَجَ مَرَّةً لِلِاسْتِسْقَاءِ وَأَشْتَدَّ
عَزْمُهُ عَلَيْهِ ^(١) فَتَسَابَقَ النَّاسُ لِلْمُصَلَّى ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ - وَكَانَ
مِنْ خَوَاصِّ النَّاسِ - : ^(٢) كَيْتَ شِعْرِي ^(٣) مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الْخَلِيفَةُ
سَيِّدُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا رَأَيْتَاهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا ، إِنَّهُ
مُنْتَبِذٌ ^(٤) خَائِرٌ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ ، لَا بَسُّ أَحْسَ ^(٥) الثِّيَابِ ،
مُفْتَرِشٌ الثَّرَابَ ، وَقَدْ رَمَى ^(٦) بِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى لِحْيَتِهِ
وَبَكَى وَأَعْتَرَفَ بِذُنُوبِهِ - وَهُوَ يَقُولُ : هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ
أَتُرَاكَ تُعَذِّبُ بِي الرِّعْيَةَ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ؟ ! لَنْ
يَفُوتَكَ شَيْءٌ مِنِّي . قَالَ الْحَاكِي : قَهْلَلْ وَجْهَ الْقَاضِي مُنْذِرٍ
عِنْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ : أَجْمِلِ الْمَطَرَ ^(٧) مَعَكَ فَقَدْ

(١) في بعض المراجع «وقيل ان الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء واشتد
عزمه عليه الخ» أى ألح في طلب ذلك منه ، وهو أظهر لقوله بعد : فقال للرسل
الخ (٢) في المطمح وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه (٣) أى لينى أعلم
وأعرف (٤) الانبذ التنجي والاعتزال ، يقال انبذ عن قومه اذا تنجى ،
وانبذ فلان الى ناحية أى تنجى منفردا قال تعالى في قصة مريم : «فانتبذت
من أهلها مكانا شرقيا» (٥) يجوز أن تكون أحسن (٦) فى الأصل
« رمد » وهو تحريف ، ولم أجد رمد من الرماد (٧) كذا بكل الأصول

أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّقْيَا ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ فَقَدْ رَحِمَ
جَبَّارُ السَّمَاءِ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ، فَلَمْ يَنْصَرِفِ النَّاسُ إِلَّا عَنِ
السُّقْيَا . وَكَانَ مُنْذِرُ شَدِيدِ الصَّلَابَةِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَالْمَهَابَةِ
فِي أَقْضِيَّتِهِ ، وَقُوَّةِ الْحُكُومَةِ ^(١) ، وَالْقِيَامِ بِالْحَقِّ فِي جَمِيعِ
مَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، لَا يَهَابُ فِي ذَلِكَ الْأَمِيرَ الْأَعْظَمَ فَمَنْ
دُونَهُ .

« وَقَالَ ابْنُ الْحَسَنِ النَّبَاهِيُّ ^(٢) » - وَأَصْلُهُ فِي الْمَطْمَحِ
وَعَبْرِهِ - وَمِنْ أَخْبَارِ مُنْذِرِ الْمُحْفُوظَةِ لَهُ مَعَ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ
فِي إِنْكَارِهِ عَلَيْهِ الْإِسْرَافَ فِي الْبِنَاءِ أَنَّ النَّاصِرَ كَانَ
قَدْ اتَّخَذَ لِسَطْحِ الْقُبَيْبَةِ الْمُصَفَّرَةِ الْأَسْمَ لِلْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي

ولعلها محرفة عن المطر وهو توب من صوف يلبس في المطر ليتقي به -
كأنه لثقتة بنزول الغيث أخذ يستعد لما يتوقى به انهماره في الطريق .
« أحمد يوسف نجاتي » (١) الحكم والقضاء ، « في المطمح » وقوة القلب
في القيام بالحق » (٢) أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي
من أهل مالقة ومن ذوى أحسابها وأهل المكانة والمنازلة بها ، ومن أعيانها
الناهبين وقضائها العالمين ، وبيته بيت قضاء وعلم ونباهة وجلالة لم يزالوا
يرنون ذلك كبرا عن كابر ، واستقضى النصور بن أبي عامر جده الحسن
وولى هو قضاء غرناطة أيضا ، وكان نبيلًا ذا دين وفضل وصلاح وتوفى
سنة ٤٧٢ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

كَانَتْ مَائِلَةً عَلَى الصَّرْحِ الْمُرْدِ الْمَشْهُورِ شَأْنُهُ بِقَصْرِ
الزَّهْرَاءِ قَرَامِيدَ ذَهَبٍ وَفِضَةً أَتَقَقَّ عَلَيْهَا مَا لَا جَسِيمًا وَقَرَمَدَ
سَقْفَهَا بِهِ ، وَجَعَلَ سُقْفَهَا صَفْرَاءَ فَاقِعَةً ، إِلَى يَبِضَاءَ نَاصِعَةٍ ،
تَسْتَلِبُ الْأَبْصَارَ بِأَشِعَّةِ نُورِهَا^(١) ، وَجَلَسَ فِيهَا إِثْرَ تَمَامِهَا
يَوْمًا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَقَالَ لِقَرَاتِهِ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْوُزَرَاءِ
وَأَهْلِ الْخِدْمَةِ مُفْتَخِرًا عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ مَا يَتَصَلُّ
بِهِ مِنَ الْبِدَائِعِ الْفَتَانَةِ : هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلِكًا كَانَ
قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ هَذَا أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّكَ لَا وَحْدُ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ ، وَمَا
سَبَقَكَ إِلَى مُبْتَدَعَاتِكَ هَذِهِ مَلِكٌ رَأَيْنَاهُ ، وَلَا أَنْتَهَى
إِلَيْنَا خَبْرُهُ ، فَأَبْهَجَ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ ، وَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ^(٢)
إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ وَاجِمًا^(٣)

(١) في الطمخ : تلب الابصار بمطارح أنوارها المتشعة ،
(٢) في الطمخ زيادة « سارضاك » (٣) في الأصل « واما » ، وفي
القطعة الأوربية « وهونا كس الرأس » وفي الطمخ « واجما » أما ،
وهم « كوجل » فعناه غلط وسها ، وهم في الشيء « كوعد » ذهب وهمه
إليه وهو يريد غيره ، وكلا العنيين غير مناسب هنا - أما « وجم » كوعد

نَاكِسَ الرَّأْسِ ^(١) ، فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ لَهُ كَالَّذِي
قَالَ لَوْزَرَائِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّقْفِ الْمُدْهَبِ وَأَقْتِدَارِهِ عَلَى
إِبْدَاعِهِ ، فَأَقْبَلَتْ ^(٢) دُمُوعُ الْقَاضِي تَحْدِرُ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ
الشَّيْطَانَ - لَعْنَةُ اللَّهِ - يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا
أَنْ تُمْكِنَهُ مِنْ فَيَادِكَ هَذَا التَّمَكِينِ - مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَفَضَّلَكَ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ - حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنَازِلَ
الْكَافِرِينَ ، قَالَ فَانْفَعَلْ ^(٣) عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِقَوْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ :
أَنْظِرْ مَا تَقُولُ ، وَكَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ أَلَيْسَ اللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً » الْآيَةُ ^(٤)

وجما ، ووجوما فهو واجم فمعناه أطرق لشدة الحزن ، والواجم أيضا من
أسكنه الهم وعلته كآبة لحزن أو خوف حتى أسك عن الكلام ، وهذا
هو المعنى المناسب الذى أراه وأؤثره . « أحمد يوسف نجاشى » . (١) فى
الطمح « واجما نا كذاذقنه » (٢) فى الطمح « فجرت » (٣) فى الطمح
« فاقشر » (٤) هى قوله تعالى فى سورة الزخرف : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتَهُمْ سَفَافًا مِنْ فُتَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَسَكَّتُونَ ، وَزُرُفًا ، وَإِنْ
كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ »

فَوَجِمَ الْخَلِيفَةُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا^(١) وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ خُشُوعًا
لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مُنْذِرٍ وَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ يَا قَاضِي
عَنَّا وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا ، وَعَنِ الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجَلٌ
جَزَائِهِ ، وَكَثُرَ فِي النَّاسِ أَمْثَالُكَ ، فَالَّذِي قُلْتَ هُوَ
الْحَقُّ ، وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى
وَأَمَرَ بِنَقْضِ سَقْفِ الْقُبَّةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِيدَهَا رُبَابًا عَلَى
صِفَةِ غَيْرِهَا . انْتَهَى مَا حَكَاهُ ابْنُ الْحَسَنِ النَّبَاهِيُّ ،
وَلَنَذَكُرْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَغَيْرَهَا وَإِنْ خَالَفَ السِّيَاقُ مَا
سَبَقَ - وَهَذَا مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحِجَارِيِّ فِي « الْمُسْهِبِ
فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَتَمَّ فَائِدَةً ، إِذْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
دَخَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ يَوْمًا عَلَى النَّاصِرِ بَابِ الزَّهْرَاءِ وَهُوَ
مُكَبِّ عَلَى الْأَشْتَغَالِ بِالْبُتْنِيَانِ فَوَعَظَهُ ، فَأَنْشَدَهُ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ :

هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا

مِنْ بَعْدِهِمْ فَيَأْلَسُنِ الْبُتْنِيَانِ

(١) إلى: الوقت والساعة الطويلة ، ومنه قوله تعالى : « واهجرني مليا »
أى طويلا . « أحمد يوسف نجاشي » .

أَوْ مَا تَرَى الْهَرَمَيْنِ قَدْ بَقِيََا وَكَمْ
 مُلْكٍ نَحْنُ حَوَادِثُ الْأَرْمَانِ ؟
 إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاطَمَ شَأْنُهُ
 أَضْحَى يَذُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
 قَالَ : فَمَا أَدْرِى أَهَذَا شِعْرُهُ أَمْ تَحْتَلُّ بِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ شِعْرُهُ
 فَقَدْ بَلَغَ بِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنْ كَانَ تَحْتَلُّ بِهِ فَقَدْ
 أَسْتَحَقَّهُ بِالتَّمَثُّلِ بِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . وَكَانَ مُنْذِرٌ يُكْثِرُ
 تَعْنِيفَهُ عَلَى الْبَنِيَانِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً وَهُوَ فِي قُبَّةٍ قَدْ
 جَمَلَ قَرَمَدَاهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَاحْتَفَلَ فِيهَا أُحْتِفَالًا ظَنَّ
 أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَقَامَ خَطِيبًا - وَالْمَجْلِسُ
 قَدْ غَصَّ بِأَرْبَابِ الدَّوْلَةِ - فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى « وَلَوْ لَا أَنْ
 يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » الْآيَةَ
 وَاتَّبَعَهَا بِمَا يَلِيقُ بِذَلِكَ ، فَوَجَّهَ الْمَلِكُ وَأَظْهَرَ الْكَاتِبَةَ ،
 وَلَمْ يَسْمَعْ إِلَّا الْإِحْتِمَالَ لِمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، لِعَظَمِ قَدْرِهِ فِي

عَمَلِهِ وَدِينِهِ . وَحَضَرَ مَعَهُ يَوْمًا فِي الزَّهْرَاءِ فَقَامَ الرَّئِيسُ
أَبُو عُمَانَ بْنُ إِدْرِيسَ^(١) ، فَأَنشَدَ النَّاصِرَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

سَيَشْهَدُ مَا أَبْقَيْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ

مُضِيْعًا وَقَدْ مَكَّنْتَ لِلدِّينِ وَالْذَّنَا

فَبِالْجَامِعِ الْمَعْمُورِ لِلْعِلْمِ وَالْتَقَى

وَبِالزَّهْرَةِ الزَّهْرَاءِ لِلْمُلْكِ وَالْعُلَا

فَاهْتَزَّ النَّاصِرُ وَأَبْتَهَجَ ، وَأَطْرَقَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ

سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَ مُنْشِدًا :

يَا بَابِي الزَّهْرَاءِ مُسْتَعْرِقًا أَوْقَاتَهُ فِيهَا أَمَا تُنْهَلُ^(٢)

(١) هو الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس كان وافر الأدب
كثير الشعر ، ومن شعره في الورد :

تَحَلَّتْ مِنَ الْوَرْدِ الْأَنْبِقِ حَدَائِقُهُ وَبَانَ حَمِيدُ الْأَنْسِ وَالْعَهْدِ رَائِقُهُ
أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ لَمْ يَشْفِ غَلَّةُ وَلَمْ يَرَوْهُ مُشْتَاقُ الْجَوَانِحِ شَائِقُهُ
فَمَا كَانَ إِلَّا الطَّيْفُ زَارَ مَسَامَا فَسِرَ مَلَايِقُهُ وَسَى مُفَارِقُهُ
عَلَى الْوَرْدِ مِنْ إِلْفِ التَّصَانِي تَحِيَّةٍ وَإِنْ صَدَمْتَ إِلْفَ التَّصَانِي عِلَاقُهُ
وَيَهِنَا الْحُدُودُ النَّاصِرَاتِ أَنْفَرَادَهَا بَوْرِدِ الْحَيَاءِ الْمُسْتَجِدِّ شَقَائِقُهُ
وَكَانَ جَلِيلٌ لِلنَّزَلَةِ وَلَا سِيَا فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَلِيقِ
بِالنَّاصِرِ الْأَمِيرِ بَعْدَ أَخِيهِ لِلْمُلْكِ وَالتَّوْفِي سَنَةَ ٣٩٩ هـ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاشِي »
(٢) مِنَ الْمَلِيقِ وَالْمَلْهَةِ وَهُوَ التَّوَدُّةُ وَالرَّفَقُ ، وَأَمْلَاهُ إِذَا أَنْظَرَهُ وَرَفَقَ بِهِ وَلَمْ
يَعَجَلْ عَلَيْهِ وَمِثْلُ الْبَيْتِ الثَّانِي :

لِلَّهِ مَا أَحْسَنَهَا رَوَقًا لَوْ لَمْ تَكُنْ زَهْرَتَهَا تَذُبُّلُ
فَقَالَ النَّاصِرُ : إِذَا هَبَّ عَلَيْنَا نَسِيمُ التَّذْكَارِ وَالْحَيْنِ ،
وَسَقَتَهَا مَدَامِغُ الْخُشُوعِ - يَا أَبَا الْحَكَمِ - لَا تَذُبُّلُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ مُنْذِرٌ : اللَّهُمَّ أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَشَّرْتُ
مَا عِنْدِي وَلَمْ آلْ نَصْحًا^(١) . أَنْتَهَى .

وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِيمَا قَالَ
فَإِنَّهَا ذَبُلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْفِتْنَةِ ، وَقُلِبَ^(٢) مَا كَانَ فِيهَا
مِنْ مَنَحَةٍ مَحَنَةً ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا وَلِيَ الْحِجَابَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
أَبْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمُلَقَّبُ بِسَنْجُولٍ^(٣) وَتَصَرَّفَ

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للانسان

ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

(١) ما ألوت الشيء ألوا وألوا « كملوا » أى ما تركته وما قصرت فيه ، وما ألوت
جهداً أى لم أدعه ، ولا آلوك نصحاً أى لم أقتر ولم أقصر (٢) فى الأصل
« وقلمها » وهو تحريف ، والمنحة العطية والهبة والنعمة ، والمنحة ما يتمتعن
به الانسان من بلية « نستجير بكرم الله منها » ومحنة « كمنعه اذا ضرب به
أو اختبره » . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) سنجول ، أو سنجول ، أو
سانكول أو سانكو الصغير اسم عرف به فى التاريخ ، وذلك لأن أمه
كانت ابنة رجل مسيحى من أهل تلك البلاد يسمى « شانجة » أو « سانكو »
فلكرأه القوم لعبد الرحمن « الملقب بالمأمون » أطلقوا عليه اسم صهره
تهكموا وضاعف من بغضهم له سوء أخلاقه وضعف تدييره وقلة خبرته السياسية
وعجزه عن ادارة الملك بكفاية ودراية . « أحمد يوسف نجاشى » .

فِي الدَّوْلَةِ مِثْلَ مَا تَصَرَّفَ أَخُوهُ الْمُظْفَرُ وَأَبُوهُمَا الْمَنْصُورُ ،
فَأَسَاءَ التَّدْيِيرَ ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْقَتِيلِ وَالنَّقِيرِ ^(١) ، فَدَسَّ
إِلَى الْمُؤَيَّدِ هِشَامَ بْنِ الْحَكَمِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ حَتَّى وَلَّاهُ
عَهْدَهُ - كَمَا يَبْنَأُ نَصْرَ الْعَهْدِ فِيمَا سَبَقَ - فَأُطْبِقَ الْخَاصَّةُ
وَالْعَامَّةُ عَلَى بُغْضِهِ وَإِضْمَارِ الشُّؤْلِ لَهُ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ
وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ
ابْنُ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَتَلَقَّبَ
بِالْمُهْدِيِّ ، وَخَلَعَ الْمُؤَيَّدَ وَحَبَسَهُ ، وَأَسْلَمَتِ ^(٢) الْجُيُوشُ
شَنْجُولَ ، فَأَخِذَ وَأَسْرَ وَقَتَلَ .

خلافة المهدي
وزوال دولة
بني عامر

« قَالَ ابْنُ الرَّقِيقِ : » وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنْ
نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ

(١) القتيل : السحابة التي تكون في شق النواة ، وبه فسر قوله تعالى
« وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا » وقال ابن السكيت : النقير النكته في ظهر النواة
كان ذلك الموضع تفر منها ، ومنه قوله تعالى : « وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا » ،
والفتيل ما كان في شق النواة ، والقطمير القشرة الرقيقة على النواة ، وهذه
الاشياء يضرب بها المثل للشيء التافه الحقير القليل . وفي بعض المراجع
« بين القبيل والدير » ويأتي شرحهما (٢) أي خذله ولم تمن بنصرته

(٦ - نفح الطيب - خامس)

إِلَى نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ فَتَحَتِ قُرْطُبَةُ ، وَهَدِمَتِ
الزُّهْرَاءُ ، وَخُلِعَ خَلِيفَةُ وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ ، وَوُلِّيَ خَلِيفَةً وَهُوَ
الْمَهْدِيُّ ، وَزَالَتِ دَوْلَةُ بَنِي عَامِرٍ الْعَظِيمَةِ ، وَقُتِلَ وَزِيرُهُمْ
مُحَمَّدُ بْنُ عَسْقَلَاةَ ^(١) ، وَأُقِيمَتِ جُيُوشٌ مِنَ الْعَامَّةِ ،
وَتُكِبَ خَلْقٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، وَوُلِيَ الْوِزَارَةَ آخَرُونَ ، وَكَانَ
ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى يَدِ عَشْرَةِ رِجَالٍ فَحَامِينَ وَجَزَارِينَ وَزَبَالِينَ
وَهُمْ جُنْدُ الْمَهْدِيِّ هَذَا . اُنْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْكَلَامِ عَلَى الْمَهْدِيِّ هَذَا ، وَهُوَ الَّذِي
قِيلَ فِيهِ لَمَّا قَامَ عَلَى الدَّوْلَةِ :

قَدْ قَامَ مَهْدِيْنَا وَلَكِنْ عِمْلَةُ الْفِسْقِ وَالْمُجُونِ
وَشَارَكَ النَّاسَ فِي حَرِيمِ لَوْلَاهُ مَا زَالَ بِالْمَصُونِ

(١) في الأصل « علاجة » وهو تحريف وسقط . وابن عسقلانة كان ابن
عم المنصور بن أبي عامر وزيره ، ويكنى أبا حفص ، وأباً بالحكم ، وهو أديب
شاعر ، أرسله المنصور إلى المغرب لمحاربة الحسن بن كنون الأندلسي آخر
ملوك الأندلس بالمغرب ومن معه من قبائل البربر ، فاستولى على مدينة
فاس سنة ٣٧٥ وعلى عدوة الأندلس ، وخطب بها لبني أمية ، وعاد إلى
الأندلس فكان عوناً لابن أبي عامر وأبيه من بعده حتى قتل في هذه
الفتنة . « أحمد يوسف نجاتي » .

مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَا أَجْمَا فَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ ذَا قُرُونِ
وَمِنْ شِعْرِ الْمَهْدِيِّ هَذَا وَقَدْ حَيَّاهُ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ
غَلَامٌ بِقَضِيبِ آسٍ :

أَهْدَيْتَ شِبَهَ قَوَامِكَ الْمَيَّاسِ

غُصْنَا رَطِيبًا نَاعِمًا مِنْ آسٍ^(١)

وَكَأَنَّمَا يَخْجِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ

وَكَأَنَّمَا تَخْجِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ خَبَرَ الْمَهْدِيِّ
هَذَا وَقَتْلَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ قِيَامُهُ مَشْهُومًا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ،
فَإِنَّهُ فَاتَحَ أَبْوَابَ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمَاحِي مَعَالِمَهَا ، حَتَّى
تَفَرَّقَتِ الدَّوْلَةُ ، وَانْتَشَرَ السُّلُوكُ ، وَكَثُرَ^(٢) الرُّؤْسَاءُ ، وَتَطَاوَلَ
الْعُدُوُّ إِلَيْهَا ، وَأَخَذَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى مُحِي أَسْمُ الْإِسْلَامِ
مِنْهَا - أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى - وَقَدْ أَلَمَ الْوَلِيُّ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي

(١) ماس يميس ميسا وميسان ا اذا تبختر واختال وتهادى فهم مائس وميوس
ومياس - والاس هذا النبات المعروف ، وخضرته دائما أبدا ، وفدينمو حتى
يكون شجرا عظاما (٢) في الاصل « كسر » وهو تصحيف .

تَارِيخِهِ بِذِكْرِ الزَّهْرَاءِ فِي جُمْلَةِ مَبَانِي النَّاصِرِ فَقَالَ مَا نَصُّهُ :

وصف ابن
خلدون لمدينة
الزهراء

وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ مُلْكُ النَّاصِرِ صَرَفَ نَظْرَهُ إِلَى تَشْيِيدِ
الْقُصُورِ وَالْمَبَانِي، وَكَانَ جَدُّهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
الْأَوْسَطُ وَجَدُّهُ الْحَكَمُ قَدْ اجْتَفَلُوا فِي ذَلِكَ، وَبَنَوْا قُصُورَهُمْ
عَلَى أَكْمَلِ الْإِتْقَانِ وَالضَّخَامَةِ، وَكَانَ فِيهَا الْمَجْلِسُ
الزَّاهِرُ وَالْبَهِيُّ ^(١) وَالْكَامِلُ، وَالْمَنِيفُ، فَبَنَى هُوَ إِلَى جَانِبِ
الزَّاهِرِ قَصْرَهُ الْعَظِيمَ وَسَمَّاهُ دَارَ الرُّؤُوسَةِ، وَجَلَبَ الْمَاءَ
إِلَى قُصُورِهِمْ مِنَ الْجَبَلِ، وَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ
وَالْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ، فَوَقَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَعْدَادَ
وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُتَزَهَّاتِ؛ فَاتَّخَذَ مُنِيَّةَ
النَّائُورَةِ خَارِجَ الْقُصُورِ، وَسَاقَ لَهَا الْمَاءَ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ عَلَى
أَبْعَدِ مَسَافَةٍ، ثُمَّ اخْتَطَّ مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ، وَاتَّخَذَهَا دَارًا لِنُزُلِهِ
وَكُرْسِيًّا لِمُلْكِهِ، وَأَنْشَأَ فِيهَا مِنَ الْمَبَانِي وَالْقُصُورِ
وَالْبَسَاتِينِ مَا عَفَى عَلَى مَبَانِيهِمُ الْأُولَى، وَاتَّخَذَ فِيهَا مَحَلَّاتٍ

(١) في الأصل « والبهور » ولعله اسم أخذ من بهر إذا علاه وغلبه ،
وبهرت فلاتة النساء إذا فاقتهن حسنا ، وبهر الشيء بهورا إذا أضاء .

لِلوَحْشِ فَسِيحَةَ الْفِنَاءِ ، مُتَبَاعِدَةَ السِّيَاحِ ^(١) وَمَسَارِحَ الطُّيُورِ
مُظَلَّلَةً بِالشَّبَاكِ ، وَأَتَّخَذَ فِيهَا دُورًا لِصِنَاعَةِ آلَاتٍ مِنْ
آلَاتِ السَّلَاحِ لِلْحَرْبِ وَالْحُلِيِّ لِلزَّيْنَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِهْنِ ،
وَأَمَرَ بِعَمَلِ الظِّلَّةِ عَلَى صَحْنِ الْجَامِعِ بِقُرْطُبَةٍ وَقَايَةً لِلنَّاسِ
مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . اُنْتَهَى .

وَأَمَّا الزَّاهِرَةُ فَهِيَ مِنْ مَبَانِي الْمَنْصُورِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
« قَالَ ابْنُ خَلْدُون » فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ
مَا صُورَتْهُ : وَابْتَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً لِنُزُلِهِ سَمَّاها الزَّاهِرَةَ
وَنَقَلَ إِلَيْهَا جُزْءًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْلِحَةِ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ غَيْرُهُ » - وَأَظْنُهُ صَاحِبَ الْمَطْمَحِ - : وَفِي سَنَةِ
ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِنَاءَ
الزَّاهِرَةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكَامَلَ وَأُسْتَفْعَلَ أَمْرُهُ ، وَاتَّقَدَ
جَمْرُهُ ^(٢) ، وَظَهَرَ اسْتِبْدَادُهُ ، وَكَثُرَ حُسَادُهُ ، وَأَصْدَادُهُ
وَأَنْدَادُهُ ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الدُّخُولِ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ ،

(١) السِّيَاحُ : الحَانِطُ وَالسُّورُ بِحَيْطٍ بِالْمَبَانِي أَوْ نَحْوِهَا ، وَجَمْعُهُ أَسْوَاجَةٌ
وَسُجُجٌ (٢) مجاز عن رفعة شأنه وعلو أمره وظهوره مثل : شبت ناره .
« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » .

وَحَشَى أَنْ يَقَعَ فِي أَشْطَانٍ^(١) ، فَتَوَثَّقَ لِنَفْسِهِ^(٢) ، وَكُشِفَ
لَهُ مَا سُرِعَتْهُ فِي أَمْسِهِ ، مِنْ الْأَعْزَازِ عَلَيْهِ ، وَرَفَعَ
الِاسْتِنَادَ^(٣) إِلَيْهِ ، وَسَمَا إِلَى مَا سَمَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنْ
اخْتِرَاعِ قَصْرِ يَنْزِلُ فِيهِ ، وَيَحُلُّهُ بِأَهْلِهِ وَذَوِيهِ ، وَيَضُمُّ إِلَيْهِ
رِيَاسَتَهُ ، وَيَتِمُّ بِهِ تَدْيِيرَهُ وَسِيَاسَتَهُ ، وَيَجْمَعُ فِيهِ فِتْيَانَهُ ،
وَعِلْمَانَهُ ، فَارْتَادَ^(٤) مَوْضِعَ مَدِينَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالزَّاهِرَةِ ،
الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ ، وَأَقَامَهَا بِطَرْفِ الْبَلَدِ عَلَى نَهْرٍ
قُرْبَةِ الْأَعْظَمِ ، وَتَسَقَّ^(٥) فِيهَا كُلُّ اقْتِدَارٍ مُعْجَزٍ وَنَظْمٍ ،
وَشَرَعَ فِي بِنَائِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ ، وَحَشَدَ الصَّنَاعَ
وَالْفَعْلَةَ ، وَجَلَبَ إِلَيْهَا آلَاتِ الْجَلِيلَةِ ، وَسَرَبَلَهَا بِهَاءٍ يَرُدُّ
الْأَعْيُنَ كَلِيلَةً^(٦) ، وَتَوَسَّعَ فِي اخْتِطَاطِهَا ، وَتَوَلَّعَ بِانْتِشَارِهَا
فِي الْبَسِيطَةِ وَأَنْبِسَاطِهَا ، وَبَالَغَ فِي رَفْعِ أَسْوَارِهَا ، وَثَابَرَ عَلَى
تَسْوِيَةِ أَنْجَادِهَا وَأَغْوَارِهَا^(٧) ، فَاتَّسَمَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ فِي

(١) جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد القتل ، وشطنه اذا شده به
يريد أنه خشي أن تنصب له حبال المكايد (٢) أى أخذها بالثقة وحسن
الحزم والحيلة (٣) أى ازالة الاعتماد عليه والثقة به (٤) أى طلب واختار
(٥) أى نظم ورتب (٦) أى بصره كلولا اذا نبا وتعب ولم يحقق المنظور
اليه فهو كليل (٧) النجد فى الاصل : المكان المرتفع ضد الغور

الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ ، وَصَارَ بَنَاؤُهَا مِنْ الْأَنْبَاءِ الْغَرِيبَةِ ، وَبَنَى
مُعْظَمَهَا فِي عَامَيْنِ .

* *

نزول المنصور
بالزمامرة
واستبداده
بالحكم

وَفِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ أُتْقِلَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهَا وَزَلَّهَا
بِخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، قَبَوُأَهَا^(١) وَشَحَنَهَا بِجَمِيعِ أَسْلِحَتِهِ
وَأَمْوَالِهِ وَأَمْتِعَتِهِ ، وَأَتَخَذَ فِيهَا الدَّوَابِينَ وَالْأَعْمَالَ ،
وَعَمِلَ فِي دَاخِلِهَا الْأَهْرَاءَ^(٢) وَأَطْلَقَ بِسَاحَتِهَا الْأَرْحَاءَ ، ثُمَّ
أَقْطَعَ مَا حَوْلَهَا لَوْزَرَاتِهِ وَكُتَابِهِ ، وَقُوَادِهِ وَحُجَّابِهِ ، فَابْتَنَوْا
بِهَا كِبَارَ الدُّورِ ، وَجَلِيلَاتِ الْقُصُورِ ، وَأَتَخَذُوا خِلَالَهَا
الْمُسْتَفَلَاتِ الْمَفِيدَةَ ، وَالْمَنَازِلَ الْمَشِيدَةَ ، وَقَامَتْ بِهَا
الْأَسْوَاقُ ، وَكَثُرَتْ فِيهَا الْأَرْفَاقُ^(٣) ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ
بِالنُّزُولِ بِأَكْنَافِهَا ، وَالْحُلُولِ بِأَطْرَافِهَا ، لِلدُّنُوِّ مِنْ
صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، وَتَنَاهَى الْغُلُوُّ^(٤) فِي الْبِنَاءِ حَوْلَهُ ، حَتَّى
اتَّصَلَتْ أَرْبَاضُهَا بِأَرْبَاضِ قُرْطُبَةَ ، وَكَثُرَتْ بِحَوْزَتِهَا

(١) سكنها وأقام فيها (٢) الأهراء جمع هري « بضم الهاء وكسر الراء
وتشديد الياء » وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان وتخزن فيه الحبوب
(٣) أى المرافق وهى المنافع وما يستعان به من لوازم الحياة ومطالب العيش
(٤) أو « العلو بالعين المعجمة » « أحمد يوسف نجاشى »

الْعِمَارَةُ ، وَاسْتَقَرَّتْ فِي مُجْبُوحَتِهَا ^(١) الْإِمَارَةُ ، وَأَفْرَدَ ^(٢) الْخَلِيفَةُ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ الْأَسْمِ الْخِلَافِيِّ ، وَصَيَّرَ ذَلِكَ هُوَ
الرَّسْمُ ^(٣) الْعَلَفِيُّ ، وَرَتَّبَ فِيهَا جُلُوسَ وَزَرَائِهِ ، وَرُؤُوسَ
أُمَرَائِهِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهَا كُلَّ ذِي خُطَّةٍ بِخُطَّتِهِ ، وَلَصَّبَ بِبَابِهَا
كُرْسِيَّ شُرْطَتِهِ ، وَأَجْلَسَ عَلَيْهِ وَالِيًا عَلَى رَسْمِ كُرْسِيِّ
الْخَلِيفَةِ ، وَفِي صِفَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْمُنِيفَةِ ^(٤) ، وَكَتَبَ
إِلَى الْأَقْطَارِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعُدُودَةِ بِأَنْ تُحْمَلَ إِلَى مَدِينَتِهِ
تِلْكَ أَمْوَالُ الْجَبَايَاتِ ، وَيَقْصِدَهَا أَصْحَابُ الْوَلَايَاتِ ،
وَيَنْتَابَهَا ^(٥) طُلَّابُ الْخَوَائِجِ ، وَحَذَّرَ أَنْ يَمُوجَ عَنْهَا إِلَى
دَارِ الْخَلِيفَةِ عَائِجٌ ^(٦) ، فَاقْتَضَيْتْ لَدَيْهَا اللَّبَنَاتُ ^(٧) وَالْأَوْطَارُ ،
وَأَنْحَشَدَ النَّاسُ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ ، وَتَمَّ لِ مُحَمَّدٍ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا أَرَادَ ، وَأَنْتَظَمَ بِلَبَّةٍ ^(٨) أَمَانِيهِ الْمُرَادُ ،

(١) أى سعتها ووسطها ، وتجبج الرجل إذا تمكن في المقام والحلول ،
وتوسط المنزل (٢) الضمير في أفرد راجع الى للنصور محمد بن أبى عامر
(٣) رسم البار أثرها أو بقية الاثر منها - وعفا الرسم اذا محى وزالت
معامله (٤) الرفيعة العالية ذات القدر والشرف (٥) يقصدها ويتردد عليها
(٦) عاج بالمكان اذا مر به وقصده ، وفي بعض النسخ « باب » بدل « دار »
(٧) اللبنة : الحاجة والغرض كالوטר (٨) اللبة : موضع القلادة من الصدر

وَعَطَّلَ قَصْرَ أَخْلِيفَةِ مِنْ جَمِيعِهِ ، وَصَيَّرَهُ بِمَعَزِلٍ مِنْ سَامِعِهِ
وَمُطِيعِهِ ، وَسَدَّ بَابَ قَصْرِهِ عَلَيْهِ ، وَجَدَّ فِي خَبَرٍ إِلَّا
يَصِلَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ فِيهِ ثِقَةً مِنْ صَنَائِعِهِ يَضْبِطُ الْقَصْرَ ،
وَيَسْطُطُ فِيهِ النِّهْيَ وَالْأَمْرَ ، وَيُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ ،
وَيَمْنَعُ مَا يَحْذَرُهُ مِنَ الدَّوَاخِلِ ^(١) ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْخُرَاسَ
وَالْبَوَائِينَ ، وَالشَّمَارَ ^(٢) وَالْمُتَّائِينَ ، يُلَازِمُونَ حِرَاسَةَ مَنْ
فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيُرَاقِبُونَ حَرَكَاتِهِمْ سِرًّا وَجَهَارًا ، وَقَدْ
حَجَرَ عَلَى أَخْلِيفَةِ كُلِّ تَدْيِيرٍ ، وَمَنَعَهُ مِنْ تَمَلُّكِ قَبِيلٍ
أَوْ دَيْيرٍ ^(٣) ، وَأَقَامَ أَخْلِيفَةُ هِشَامٌ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ ^(٤) ، مَحْجُورَ
الْفَنَاءِ ^(٥) ، خَفِيَ الذِّكْرُ ، عَلِيلَ الْفِكْرِ ، مَسْدُودَ الْبَابِ ،

(١) الدواخل جمع داخلية بمعنى دخيلة : وهي الدسيسة والحديعة أو الفساد والشر

(٢) سمر يسمر سمرأوسمورا : لم ينم فهو سامر ، وهم السمار والسامرة .

والسمر أيضا : حديث الليل خاصة (٣) القبيل القطن والدير الكتان ، أو القبيل

ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله ، والدير ما أدبرت به ، والغرض

أنه لا تلك كثيرا ولا قليلا (٤) من قول أبي عطاء السندی :

فإن تمس مهجور الفناء فر بما أقام به بعد الوفود وفود

(٥) في الأصل « معجوز » ورأينا أنه تصحيف وتحريف ، فجعلناه مكانها

كلمة « محجور » أي ممنوع ، فاستقام المعنى وتم له السجع المرصع والجناس وازدوج

الكلام . والفناء : النفع والكفاية . « أحمد يوسف نجاتي »

مَحْجُوبِ الشَّخْصِ عَنِ الْأَخْبَابِ ، لَا يَرَاهُ خَاصٌّ وَلَا عَامٌّ ،
وَلَا يُخَافُ مِنْهُ بَاسٌ وَلَا يُرْجَى إِنْعَامٌ ، وَلَا يُعْهَدُ مِنْهُ إِلَّا
الْإِسْمُ السُّلْطَانِيُّ فِي السُّكَّةِ وَالْدَّعْوَةُ ، وَقَدْ نَسَخَهُ وَلَبَسَ
أُتَيْتُهُ ، وَطَمَسَ بَهْجَتُهُ ، وَأَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَأَزَالَ أَطْمَاعَهُمْ
مِنْهُ ، وَصَيَّرَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَهُ .
وَأَشْتَدَّ مُلْكُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مُنْذُ نَزَلَ قَصْرَ الزَّاهِرَةِ
وَتَوَسَّعَ مَعَ الْأَيَّامِ فِي تَشْيِيدِ أُبْنَيْتِهَا ، حَتَّى كَمَلَتْ أَحْسَنَ
كَمَالٍ ، وَجَاءَتْ فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ ؛ نَقَاوَةٌ ^(١) بِنَاءٌ ، وَسِعَةٌ
فِنَاءٌ ، وَأَعْتَدَالَ هَوَاءٌ رَقٌّ أَدِيمُهُ ^(٢) ، وَصَقَالَةٌ ^(٣) جَوٌّ أَعْتَلُّ ^(٤)
نَسِيمُهُ ، وَلَنْضَرَةٌ بُسْتَانٍ ، وَبَهْجَةٌ لِلنَّفُوسِ فِيهَا أَفْتَانٌ ،
وَفِيهَا يَقُولُ صَاعِدُ اللَّغْوَى :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْ عَيْنِ الْمُؤْتَنِّي نَسْبًا غَيْرَ الَّذِي أَنْتَسَبَا
بِغَزْوَةٍ فِي قُلُوبِ الشُّرَكَ رَائِعَةٍ

بَيْنَ الْمَنَايَا تُنَاغِي ^(٥) الشُّرَّ وَالْقُضْبَا

(١) في الأصل « نقاوت » وهو تصحيف (٢) الأديم من السماء والأرض
ما ظهر منهما (٣) صقل الشيء : جلاه (٤) في الأصل « اعتدل » (٥) ناغاه
حادثه وناجاه ، وكلمه بما يهواه ، وناغى المرأة : غازلها بالمحادثة والللاطفه ، وأراد

أَمَّا تَرَى الْعَيْنَ تَجْرِي فَوْقَ مَرْمَرِهَا

زَهْوًا فَتَجْرِي عَلَى أَحْفَافِهَا الطَّرْبَا ^(١)

أَجْرِيَّتَهَا فَطَمًا الزَّاهِي بِجَرِيَّتَهَا

كَمَا طَمَوْتَ فَسُدْتَ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا ^(٢)

تَخَالُ فِيهِ جُنُودَ الْمَاءِ رَافِلَةً

مُسْتَلْثِمَاتٍ تُرِيكَ الدَّرْعَ وَالْيَلْبَا ^(٣)

تَحْفَهَا مِنْ فُنُونِ الْأَيْكِ زَاهِرَةً

قَدْ أَوْرَقَتْ فِضَّةً أَوْ أَوْرَقَتْ ذَهَبًا ^(٤)

بالسمر الرماح ، والقضب السيوف - وفي بعض المراجع « رانعة » آخر صدر البيت بدل رانعة « وهو مجاز حسن » . « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) كان عجز البيت في الأصل محرفاً هكذا « هوى فيجري على أخفافها .. » والزهو الاعجاب والحسن والاشراق ، والزهو الكبير والتهيه والعظمة والفخر ، والأخفاف جمع « غير قياسي » مفردة حفاف أى جانب أو أثر (٢) طمى الماء اذا علا وارتفع ، وطمى الثبت: طال وعلا (٣) رفل فى ثيابه « كنصر » اذا جرد بلبه وتبختر - واستلام اذالبس اللامة « وهى عدة السلاح كاملة ، أو الدرع الحصينة - واليب الترس أو الدرق (٤) الفنون: الفصون، والايك: الشجر الملتف الكثير واحده أيكه ، وفي بعض المراجع : قد أورقت فضة اذا ثمرت ذهباً . وهو ألطف من الأصل وأرق ، أذيرسم صورة أجهل وأبدع ، ويخيل تعليلاً أحسن وأروع . « أحمد يوسف نجاتي »

بَدِيعَةُ الْمَلِكِ مَا يَنْفَكُ نَظَرُهَا
يَتَلَوُ عَلَى السَّمْعِ مِنْهَا آيَةً عَجَبًا
لَا يُحْسِنُ الدَّهْرُ أَنْ يُنْشِئَ لَهَا مَثَلًا
وَلَوْ تَعَنَّتَ ^(١) فِيهَا نَفْسُهُ طَلَبًا

* *

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الْحُبَابِ فِي بَعْضِ قُصُورِهِ مِنْ وصف قصر
العامرية
الْمُنِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعَامِرِيَّةِ ، وَالرَّوَضُ قَدْ تَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ ،
وَتَوَشَّحَتْ أَنْجَادُهُ ^(٢) وَأَغْوَارُهُ ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا الدَّهْرُ مُتَوَاضِعًا ،
وَوَقَفَ بِهَا السَّعْدُ خَاضِعًا ، فَقَالَ :
لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالظَّلَلِ ^(٣)
هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ
طَبِيبًا وَإِنْ حَلَّ فَضْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلٍ

(١) أى كلفها مشقة شديدة وطلب منها ما فوق الجهد . (٢) أى عمها
النبت وازدانت به حتى كان لها كالوشاح (٣) الظلة وهو بناء
كالصفة يستتر به من الحر والبرد ، وما أظل المرء من شجر وماستره
من فوقه ، وفي بعض النسخ « والقلل » وما هنا أحسن « أحمد يوسف نجاتي »

مَا إِنْ يُبَالَى الَّذِي يَحْتَلُّ سَاحَتَهَا

بِالسَّعْدِ لَا تَحُلُّ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ ^(١)

وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْمُنِيَّةُ ^(٢) رَائِقَةً ، وَالسُّعُودُ بِلَبَّتِهَا مُتَنَاسِقَةً

تَرَاوَحُهَا الْفُتُوحُ وَتُعَادِيهَا ، وَتُجْلِبُ إِلَيْهَا مُنْكَسِرَةً أَعَادِيهَا

لَا تَرْحَفُ عَنْهَا رَايَةٌ إِلَّا إِلَى فَتْحٍ ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهَا تَذْيِيرٌ

إِلَّا إِلَى مُجْحٍ ، إِلَى أَنْ حَانَ يَوْمُهَا الْعَصِيبُ ^(٣) ، وَفُيِّضَ ^(٤)

لَهَا مِنَ الْمَكْرُوهِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ ، فَتَوَلَّتْ فَقِيدَةً ، وَحَلَّتْ

مِنْ بَهْجَتِهَا كُلَّ عَقِيدَةٍ ^(٥) . أُنْتَهَى .

« وَقَدْ حَكَى الْحُمَيْدِيُّ ^(٦) فِي جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ « هَذِهِ

(١) تحل الشمس في الحمل أول فصل الربيع شباب الزمان وحين يرق الجو وتأخذ الأرض زخرفها وتزين ، وتظهر بدائع الطبيعة وعجائب صنع الله في خلقه
(٢) في بعض النسخ « للدينة » (٣) أي الشديد ، من عصب الشيء إذا شده ،
أو من العصب وهو جفاف الريق ويسه في القم (٤) هي وسبب وقدر (٥) أي معقودة ، والجملة مجاز عن زوال البهجة وانتقاض الأمور ، وفي بعض المراجع « وحلت » بدل « حلت » (٦) هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله الأزدی الحمیدی من أهل جزيرة ميورقة وأصله من قرطبة من ربض الرصافة منها ، رحل إلى للشرق سنة ٤٤٨ هـ وجال في بلاده وأخذ عن علمائه واستوطن بغداد ، وكان ذا دين وورع وفضل ونباهة ومعرفة واتقان ، وله كتاب تمتع في تاريخ علماء الأندلس وتوفي سنة ٤٨٨ هـ .
« أحمد يوسف نجاني » .

الْحِكَايَةَ الْوَاقِعَةَ لِابْنِ أَبِي الْحُبَابِ بِزِيَادَةٍ فَقَالَ - بَعْدَ أَنْ
ذَكَرَ هَذِهِ الْمُنِيَّةَ الْعَامِرِيَّةَ، وَهِيَ إِلَى جَانِبِ الزَّهْرَاءِ - إِنَّ
أَبَا الْمُطَرِّفِ بْنِ أَبِي الْحُبَابِ الشَّاعِرَ دَخَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ فِي
هَذِهِ الْمُنِيَّةِ، فَوَقَفَ عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا ثَلَاثُ سَوَسَنَاتٍ^(١) :

ثَنَتَانِ مِنْهَا قَدْ تَفَتَّحَتَا، وَوَاحِدَةٌ لَمْ تَتَفَتَّحْ، فَقَالَ :

لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِنَا الْأَوَّلِ

بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالظِّلِّ

هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ

طَبِيبًا وَإِنْ حَلَّ فَضْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلٍ

مَا إِنْ يَبَالِي الَّذِي يَحْتَلُّ سَاحَتَهَا

بِالسَّعْدِ أَلَّا تَحُلَّ الشَّمْسُ فِي الْحُلِّ

كَأَنَّمَا غَرِسَتْ فِي سَاعَةٍ وَبَدَأَ السَّوْ

سَانُ مِنْ حِينِهِ فِيهَا عَلَى عَجَلٍ

(١) سبق وصف السوسن وما قيل في لفظه ، وما قيل في وصفه :

وسوسن راق مرآه ومخبره وجل في أعين الرايين منظره
كانها كؤوس البلور قد وضعت مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طرقت ذهباً من بينها قائم بالملك تؤذره

أَبَدَتْ ثَلَاثًا مِنَ السَّوْسَانِ مَائِلَةً
 أَغْنَاهُنَّ مِنَ الْإِغْيَاءِ وَالْكَسَلِ
 فَبَعْضُ نُوَارِهَا لِلْبَعْضِ ^(١) مُنْقَتِحٌ
 وَالْبَعْضُ مُنْقَلِقٌ عَنْهُنَّ فِي شُغْلٍ
 كَأَنَّهَا رَاحَةٌ ضَمَّتْ أَنْامِلَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا مِلَّتْ مِنْ جُودِكَ أَخْضِلِ ^(٢)
 وَأَخْضِبْهَا بَسَطَتْ مِنْهَا أَنْامِلَهَا
 تَرْجُو نَدَاكَ كَمَا عَوَّدَتْهَا فَصِلِ
 انْتَهَى

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ أَنَّ ابْنَ الْعَرِيفِ النَّحْوِيَّ ^(٣) دَخَلَ
 عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَعِنْدَهُ صَاعِدُ اللَّغْوِيِّ الْبَغْدَادِيُّ

(١) في بعض النسخ «بالحسن» (٢) الخضل في الأصل الندي الرطب. شبه جوده
 بنبت ريان خضل قد كثرت أوراقه وتقول هم في خضلة من العيش أى نعمة
 ورفاهية وخصب وازدانة عيش ، ونزلنا في خضلة من العشب اذا كان أخضر
 ناعما رطبا (٣) هو أبو القاسم الحسين بن الويد ، كان اماما في العربية
 والآداب مقدما في الشعراء ذا منزلة ومكانة لدى المنصور بن أبي عامر ومن
 يحضر مجالسه ويقر به ، رحل الى المشرق وأقام بمصر أعواما ثم عاد الى الاندلس
 فادب أولاد المنصور بن أبي عامر وتوفي بمدينة طليطلة سنة ٣٩٠ .

فَأَنشَدَهُ وَهُوَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَامِرِيَّةِ مِنْ أَيْاتٍ :
 فَالْعَامِرِيَّةُ تُرْهِى عَلَى جَمِيعِ الْمَبَانِي
 وَأَنْتَ فِيهَا كَسِيفٌ ^(١) قَدْ حَلَّ فِي عُمْدَانِ
 فَقَامَ صَاعِدٌ - وَكَانَ مُنَاقِضًا لَهُ - فَقَالَ : - أَسْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى
 الْحَاجِبَ الْأَجَلَ وَمَكَّنَ سُلْطَانَهُ - هَذَا الشُّعْرُ الَّذِي قَدْ
 أَعَدَّهُ وَرَوَى فِيهِ أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ أَحْسَنَ مِنْهُ أُرْتِجَالًا ،
 فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قُلْ لِيُظْهَرَ صِدْقُ دَعْوَاكَ ، فَجَعَلَ
 يَقُولُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ :

يَأْتِيهَا الْحَاجِبُ أَلْمَمُ تَلِي عَلَى كِيَوَانٍ ^(٢)
 وَمَنْ بِهِ قَدْ تَنَاهَى فَخَارُ كُلِّ يَمَانٍ
 الْعَامِرِيَّةُ أَضْحَتْ كَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
 فَرِيدَةٌ لِفَرِيدٍ مَا يَنْ أَهْلَ الزَّمَانِ

(١) يريد سيف بن ذي يزن ، من مشهورى ملوك اليمن . وعُمدان القصر
 المعروف باليمن ، والبيت يشير الى قول أمية بن أبى الصلت من أيات
 يمدح بها ذا يزن :

فاشرب هنيئنا عليك التاج مرتقفاً فى رأس عُمدان دارا منك محلا
 (٢) تقدم القول فيه . « أحمد يوسف نجاشى » .

ثُمَّ مَرَّ فِي الشَّعْرِ إِلَى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِهَا :

أَنْظُرْ إِلَى النَّهْرِ فِيهَا يَنْسَابُ كَالثُّعْبَانِ
وَالطَّيْرُ يَخْطُبُ سُكْرًا عَلَى ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَالْقُضْبُ^(١) يَلْتَفُّ سُكْرًا بِمَيْسِ^(٢) الْقُضْبَانِ
وَالرَّوْضُ يَفْتَرُ^(٣) زَهْوًا عَنْ مَبْسِمِ الْأَفْحْوَانِ
وَالنَّزْجِسُ الْفَضُّ يَرْنُو بِوَجْنَةِ الثُّعْمَانِ^(٤)
وَرَاحَةُ الرِّيحِ تَمْتَا رُ نَفْحَةِ الرِّيحَانِ^(٥)
فَدُمَ مَدَى الذَّهْرِ فِيهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْصُورُ أَرْجَاهُ ، وَقَالَ لِابْنِ الْعَرِيفِ :

مَالِكَ فَائِدَةٌ فِي مُنَاقَضَةِ مَنْ هَذَا أَرْجَاهُ ، فَكَيْفَ تَكُونُ

(١) القُضْبُ كل شجرة طالت وسيطت أغصانها ، والقُضْبُ أيضا شجر سهل ينبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى الا أنه أرق وأنعم وترعى الابل ورقه وأطرافه - والقُضْبَانُ جمع قُضْبٍ وهو الفُضْنُ (٢) جمع مائس أى متين متبختر (٣) أى يضحك إعجابا (٤) شقائق النعمان سبق وصفها (٥) تمتاز : مجاز من الميرة وهى جلب الطعام ، وهو يمتاز لا ولاده أى يجلبهم أقواتهم - جعل ما يعلق بالريح من طيب رائحة الريحان امتيارا لها .
وفي بعض المراجع « تمتاز » أحمد يوسف نجاشي

(٧ - نفح الطيب - خامس)

رَوَيْتُهُ ؟ فَقَالَ ابْنُ الْعَرِيفِ : إِنَّمَا أَنْطَقَهُ وَقَرَّبَ عَلَيْهِ الْمَأْخَذَ
إِحْسَانُكَ ، فَقَالَ لَهُ صَاعِدُ : فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا أَنَّ قِلَّةَ
إِحْسَانِهِ لَكَ أَسْكَتَكَ وَبَعَدَتْ عَلَيْكَ الْمَأْخَذَ ، فَضَحِكَ
الْمَنْصُورُ وَقَالَ : غَيْرُ هَذِهِ الْمُنَازَعَةِ أَلْيَقُ بِأَدَبِكُمَا
« قُلْتُ » قَدْ ذَكَرَ مُورِخُو الْأَنْدَلُسِ مَنِيَّ كَثِيرَةً بِهَا مِنْهَا
مُنِيَّةُ النَّاعُورَةِ السَّابِقَةُ ، وَمُنِيَّةُ الْعَامِرِيَّةِ هَذِهِ ، وَمُنِيَّةُ
الْشُرُورِ ، وَمُنِيَّةُ الزُّيَيْرِ - مَنْسُوبَةٌ إِلَى الزُّيَيْرِ بْنِ عُمَرَ
الْمُلْكِمِ مَلِكِ قُرْطُبَةَ

« قَالَ أَبُو الْحَسَنِ » ابْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ
قَالَ خَرَجَ مَعِيَ إِلَى هَذِهِ الْمُنِيَّةِ فِي زَمَانٍ فَتَحَ ثَوَارِ اللَّوْزِ
أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَقِيٍّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، فَجَلَسْنَا تَحْتَ سَطْرِ
لَوْزٍ قَدْ نَوَّرَ ، فَقَالَ ابْنُ بَقِيٍّ :

سَطْرُ مِنْ اللَّوْزِ فِي الْبُسْتَانِ قَابِلَنِي

مَا زَادَ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَا نَقَصَا

كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ كُمْ جَارِيَةٍ

إِذَا النَّسِيمُ نَحَى أَعْطَافَهُ رَقَصَا

ثُمَّ قَالَ :

عَجِبْتُ لِمَنْ أَتَى عَلَى خَيْرِ دَنِّهِ

غَدَاةَ رَأَى لَوْزَ الْحَدِيقَةِ نَوْرًا

أُنْتَهَى .

« وَذَكَرَ » بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْأَنْدَلُسِ أَنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ

أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَزْرَعُ كُلَّ سَنَةٍ أَلْفَ مُدٍّ^(١) مِنَ الشَّعِيرِ

فَصَلًّا لِدَوَابِّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ

مِنْ غَزَوَاتِهِ لَا يَحُلُّ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَدْعُوَ صَاحِبَ الْخَيْلِ

فَيَعْلَمَ مَا مَاتَ مِنْهَا وَمَا عَاشَ ، وَصَاحِبَ الْأَنْبِيَةِ لِمَا وَهَى

مِنْ أَسْوَارِهِ وَمَبَانِيهِ وَقُصُورِهِ وَدُورِهِ ، قَالَ : وَكَانَ لَهُ

دُخَالَةٌ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ مِنَ اللَّحْمِ - حَاشَا

الصَّيْدَ وَالطَّيْرَ وَالْحَيْثَانَ - وَكَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ عَامٍ اثْنَيْ عَشَرَ

أَلْفَ تُرْسٍ عَامِرِيَّةٍ لِقَصْرِ الزَّاهِرَةِ وَالزَّهْرَاءِ ، قَالَ وَأَبْنَى

عَلَى طَرِيقِ الْمُبَاهَاةِ وَالْفَخَامَةِ مَدِينَةَ الْعَامِرِيَّةِ ذَاتَ الْقُصُورِ

وَالْمُتَنَزَّهَاتِ الْمُخْتَرَعَةِ ؛ كَمْنِيَةِ الشُّرُورِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَنَاشِئِهِ

(١) اللدى: مكبال ضخمة اختلص في تقديره ولعله نحو ثلث أرب - والقصل

والقصة ما غزل من البر اذا تقي فيرمى به . وفي الاصل « قصيلا »

الْبَدِيَّةِ . اُنْتَهَى . وَمِنْ الْمَطْمَحِ : إِنَّ الْمَنْشُورَ لَمَّا فَرَّغَ
 مِنْ بِنَاءِ الزَّاهِرَةِ غَزَا غَزْوَةً وَأَبْعَدَ فِيهَا الْإِيغَالَ ^(١) ،
 وَغَالَ فِيهَا مِنْ عُظْمَاءِ الرُّومِ مَنْ غَالَ ^(٢) ، وَحَلَّ مِنْ
 أَرْضِهِمْ مَا لَمْ يُطْرَقْ ، وَرَاعَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُرْعَ قَطُّ وَلَمْ
 يَفْرَقْ ^(٣) ، وَصَدَرَ صَدْرًا سَمًا بِهِ ^(٤) عَلَى كُلِّ حَسَنَاءٍ عَقِيلَةٍ ،
 وَجَلَا بِهِ كُلِّ صَفْحَةٍ لِلْحُسْنِ صَقِيلَةٍ ، وَدَخَلَ قُرْطَبَةَ دُخُولًا
 لَمْ يُعْهَدْ ، وَشَهِدَ لَهُ فِيهَا يَوْمٌ مِثْلُهُ لَمْ يُشْهَدْ ، وَكَانَ ابْنُ
 شُهَيْدٍ مُتَخَلِّفًا عَنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ لِنَقْرِيسٍ ^(٥) عَدَاهُ عَائِدُهُ ،
 وَحَدَاهُ مُتَجَبِّعُهُ وَرَائِدُهُ - وَابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَابِ
 النَّاصِرِ ، وَلَهُ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَيْدٍ مُحْكَمَةٌ الْأَوَاصِرِ ،
 وَهُوَ الَّذِي نَهَضَ بِهِ أَوَّلَ أَنْبِعَائِهِ ، وَشَفَى أَمْرَهُ زَمَنَ التِّيَّانَةِ ،

(١) أوغل في البلاد ونحوها وتوغل اذا ذهب فيها وسار فأبعد وبالغ ،
 وأوغلوا في سيرهم داخلين بين ظهرائي الجبال أو في أرض العدو (٢) غاله :
 أهلكه وأخذه من حيث لم يدر (٣) راعه يروعه أفزره وخوفه ، وفرق
 منه « كفرح » اذا جزع وخاف وفزع (٤) صدر أى عاد من غزوته
 وفي الأصل « وصدروا أسماؤه » وهو تحريف مفسد وتصحيف عجيب
 (٥) النقرس ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين ، وقد يكون
 في غيرهما « وأظنه الرومانيزم ، والرجع للأطباء » وعداه اذا عاقه ومنعه

وخاصَّ المصحف عنه بلسانٍ من الحماية الله ، وتوَّخاهُ
 بإحسانٍ قلَّده من الرعاية ما قلَّده ، وأسمى رُبَّتَهُ ، وحلَّى
 بأعظمِ جاهٍ جيده ولبته^(١) ، وكان كثيراً ما يُثخِّفه ،
 ويصلِّه ويلطفه - فلما صدر المنصور من غزوته هذه
 وقفل ، نسي متاحفته أو غفل ، فكتب إليه ابن شهيد :

أنا شيخٌ والشيخُ يهوى الصَّبايا

وبنفسٍ أفيك كلَّ الرِّزايا

ورسولُ الإله أسهم في النِّقْ

لِمَنْ لَمْ يُحِبَّ فِيهِ الْمَطَايَا

وحده أي ساقه ، والمنتجع : طالب النجعة ، والرائد طالب الكلا ، جعل
 من مرض النقرس - الذي عاق ابن شهيد عن الغزو - منتجعاً ورائداً
 « وليس إلا الأجسام موضع اتجاعه وارتباده » يحذو الشاعر ليرى به
 إلى غرض من النجعة ، وهو مجاز فيه بعض تكلف حمله عليه خيال الشعر
 النشور وقصد السجع والازدواج والترصيع فيه ، فوازن عداه بحده ،
 وزاوج بين عائده ورائده ، فكان من ذلك جناس مقصود أيضاً - وأصل
 هذه العبارة في الأصل هكذا « لتفرس عداء عائده ، وحداة منتجة ورائدة »
 فراد نقط بعض الحروف فأفسدها ، وجعل العبارة قلقلة غير مفهومة .
 « أحمد يوسف نجاشي » (١) كانت هذه العبارة في الأصل هكذا « وحلى
 بأعظام جاهه لبته » ولا بأس به أيضاً ، وكلا المعنيين ظاهر :

فَاجْعَلْنِي - فُذِّيتَ - أَشْكُرُ مَعْرُوءَ

فَكَ وَأَبْمَثَ بِهَا عِذَابَ الشَّيَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَقِيلَةٍ مِنْ عَقَائِلِ الرُّومِ يَكْنُفُهَا ثَلَاثُ

جَوَارٍ ، كَأَنَّهُنَّ مُجُومٌ سَوَارٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَمْسِ النَّهَارِ

فِي ثَلَاثٍ مِنْ أَلْمَا أَبْكَارِ

فَاتَّبِعْ وَاجْتَهِدْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ

سَلَخَ اللَّيْلَ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ

صَانَكَ اللَّهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا

فَمِنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شُهَيْدٍ :

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَلِكَ السَّوَارِ

وَأَصْطَبَعْنَا مِنَ التَّجِيعِ الْجَارِ

وَلَعَيْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلٍ

وَلَهَوْنَا بِالْبَذْرِ ثُمَّ الدَّرَارِ

وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ
 ذِي مَضَاهِ عَضِبَ الظُّبَا بِتَارِ
 فَاضْطَنَعَهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
 وَأَتَّخِذُهُ سَيْفًا عَلَى الْكُفَّارِ
 أَتَمَّ

وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ مِنَ الْأَبَابِ
 الثَّلَاثِ ، وَلَكِنَّا أَعَدْنَا هُنَا بِلَفْظِ الْمَطْمَحِ لِمَا فِيهِ مِنَ
 الْعُدُوبَةِ وَالْفَائِدَةِ الزَّائِدَةِ . وَمِمَّنْ كَانَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ
 مِنَ الْأَوْزَاءِ الْمَشْهُورِينَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ
 الْمَلِكِ بْنُ إِدْرِيسَ ^(١) الْخَوْلَانِيُّ ، قَالَ فِي الْمَطْمَحِ : عَلِمْتُ مِنْ
 أَعْلَامِ الزَّمَانِ ، وَعَيْنُ مِنْ أَعْيَانِ الْبَيَانِ ، بَاهِرُ الْفَصَاحَةِ ،
 طَاهِرُ الْجَنَابِ وَالسَّاحَةِ ، تَوَلَّى التَّخْيِيرَ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ
 وَالْإِنْشَاءَ ، وَأَشْعَرَ بِدَوْلَتِهِ الْأَفْرَاحَ وَالْإِنْشَاءَ ، وَلَبَسَ
 الْعِزَّةَ مَدَّةَ صَافِيَةِ الْبُرُودِ ، وَوَرَدَ بِهَا النُّعْمَةَ صَافِيَةَ الْوُرُودِ ،

(١) هو المعروف بابن الجزيري الأزدي ، وتقدمت ترجمته ، وتوفي بالمطابق
 « سجن المنصور بن أبي عامر » في سخطه للظفر عبد الملك بن أبي عامر
 في ذي القعدة سنة ٣٩٤ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَمْتَطَى مِنْ جِيَادِ التَّوْجِيهِ^(١)، أَعْنَقَ مِنْ لَاحِقٍ وَالتَّوْجِيهِ^(٢)،

(١) التوجيه أى التشريف ، تقول وجه الأمير فلانا وأوجهه أى صيره وجيها ، قال امرؤ القيس :

ونادمت قيصر فى ملكه فوجهنى وركبت البريدا

هذا ولا يخفى مافى « لاقى » ، والوجيه « من الثورية والتوجيه - أحمد يوسف نجاشى » (٢) فى الاصل وفى كل المراجع « وأعنى » أو « وأعنى » وزى فى الرواية الثانية تصحيفا وزيادة ، وفى الاولى زيادة فحسب الا أنها مفسدة ، لانا نرى أن « أعنى » انما هو مفعول « امتطى » وأعنى أى أسرع من العنق وهو ضرب من السير فيه سرعة واستمرار ومنه قول أبى النجم :

ياناق سبرى عنقافسيحا الى سليمان ففستريحا

« وفعله كفرح » وأعنى - وعنفت السحابة اذا خرجت من معظم الغيم هذا ولاحق والوجيه اسم فرسين جوادين معروفين ، ولاحق الاكبر كان لفتى بن أعصر ، ولاحق أيضا اسم فرس لعينة بن الحرث بن شهاب ولاحق الاصغر لبني أسد ، وهو من بناته ، قال النابغة :

فيهم بنات المسجدى ولاحق ورقى مراكلها من الاضمار

وقال الكميت :

نجائب من آل الوجيه ولاحق تذكرنا أحفادنا حين نصل
وقال طفيل الغنوى :

بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج تنمى نسبة التنسب

« المسجدى » فى بيت النابغة نسبة الى عسجد وهو اسم فحل من فحول الابل ، أو هى ابل كانت تزين للنعمان بن النضر ، والاورق من الابل مافى لونه يياض الى سواد ، والورقة سواد فى غيرة ، ومراكل الدابة ماتصبيه رجل الراكب منها ، واضمارها : اعدادها للسباق فى الضمار « وغراب » اسم

وَتَمَادَى طَلْقُهُ^(١) ، وَلَا أَحَدَ يَلْحَقُهُ ، إِلَى أَيَّامِ الْمُظَفَّرِ
فَمَشَى عَلَى سَنَنِهِ^(٢) ، وَتَمَادَى السَّعْدُ يَتَرَنَّمُ عَلَى فَنَنِهِ ، إِلَى
أَنْ قَتَلَ الْمُظَفَّرُ صِهْرَهُ عَيْسَى بْنَ الْقُطَاعِ ، صَاحِبَ دَوْلَتِهِ
وَأَمِيرَهَا الْمُطَاعَ ، وَكَانَ أَبُو مَرْوَانَ قَدِيمَ الْأَصْطِنَاعِ لَهُ
وَالْإِنْقِطَاعِ ، فَاتَّهَمَ مَعَهُ ، وَكَادَ أَنْ يَذُوقَ حَمَامَهُ
وَمَصْرَعَهُ^(٣) ، إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ شَفَعَ ، وَبَيَّانُهُ نَفَعَ^(٤)
وَدَفَعَ ، فَحُطَّ عَنْ تِلْكَ الرُّتَبِ ، وَحُمِلَ إِلَى طَرُوشَةَ عَلَى
الْقَتَبِ^(٥) ، فَبَقِيَ هُنَاكَ مُعْتَقَلًا فِي بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِهَا نَائِي
الْمُشْهَى ، كَأَنَّمَا يُنَاجِي الشَّهَاءَ^(٦) قَدْ بَعُدَ سَاكِئُهُ عَنِ

فرس كانت لابراء بن قيس ، واسم أخرى كانت لفتى ابن أعصر ، وكذا
« أعوج » سمي أعوج لأنهم حملوه في خرج وهو صغير وهربوا به
لنفاسه عندهم وهم في غارة شنت عليهم فاعوج في ذلك الحرج ، ولهم
في سيرة أعوج وأخباره أمور قد تستبعد . « أحمد يوسف نجاشي » .
(١) الطلق: الشوط والغاية التي يجري إليها الفرس - ولا يخفى مراعاة النظير
في الجمل الثلاث (٢) سنن الطريق نهجه وجهته ومحجته ، يقال أقام فلان على
سنين واحد ، وامض على سننك أي على وجهتك التي أنت عليها (٣) في
بعض المراجع : وكاد أن يذوق الحمام ويجرعه (٤) في نسخة « منع » بدل
« نفع » وهي أليق بما بعدها (٥) القتب للجمل كالا كاف لغيره ، أو هو
عام للابل وغيرها وهو الظاهر هنا (٦) السها كوكب بعيد خفي الضوء يكون
مع الكوكب الأوسط من بنات نض . « أحمد يوسف نجاشي »

الْأَنيسِ ، وَقَعَدَ مِنَ النَّجْمِ بِمَنْزِلَةِ الْجَلِيسِ ، تَمُرُّ الطُّيُورُ
دُونَهُ وَلَا تَجُوزُهُ^(١) ، وَيَرَى مِنْهُ الثَّرَى وَلَا يَكَاذُ يَحُوزُهُ ،
فَبَقِيَ فِيهِ دَهْرًا لَا يَرْتَقِي إِلَيْهِ رَاقٍ ، وَلَا يُرْجَى لِبَشَّةٍ مِنْ
رَاقٍ^(٢) ، إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ إِلَى ثَرَاهُ^(٣) ، وَأُسْتَرَّاحَ مِمَّا
عَرَاهُ . فَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ يَصِفُ الْمُعْقِلَ ، الَّذِي
فِيهِ أُعْتُقِلَ :

يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ أَعْوَرَ نَاعِقٍ

وَتَهْبُّ فِيهِ كُلُّ رِيحٍ صَرَصَرٍ^(٤)

(١) كناية عن شدة علوه الشاهق ، وجاز المكان : نداء وفاته (٢) البت
الحال والحزن الشديد والغم الذي يفضى به المرء الى صاحبه - و « راق »
هنا « فاعل » من الرقية أى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة ، وقوله
تعالى : « وقيل من راق » أى لاراق يرقيه فيحميه ويصرف السوء عنه
ولا بأس أن يكون « راق » مشددا اسم فاعل من رق يرق رقة « بل
لعله أنسب » . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) كناية عن موته ودفنه (٤) من
معانى الأعور الضعيف الجبان البليد الذى لا يدل على خير ولا يهتدى اليه
ولا خير فيه ، والدليل السيء الدلالة - والأعور الغراب « وهو يناسب
كلمة ناعق » سعى بذلك على التشاؤم به لأن الأعور عندهم مشوم
أولأنه اذا أراد أن يصيح أغمض عينيه أو احدهما - ونفق الغراب اذا
صاح ، والأفصح أن يقال فى الغراب « نفق » بالفتح المعجمة « من باى
ضرب ومنع » نقيقا ونفاقا اذا صاح ، أو يقال « نفق » فى الخير و« نعب »

وَيَكَادُ مَنْ يَرُقَى إِلَيْهِ مَرَّةً

مِنْ عُمْرِهِ يَشْكُو انْقِطَاعِ الْأَبْهَرِ^(١)

وَدَخَلَ لَيْلَةً عَلَى الْمَنْصُورِ وَالْمَنْصُورُ قَدْ اتَّكَأَ
وَأَرْتَقَ^(٢) ، وَتَحَلَّى بِعَجَلِسِهِ ذَلِكَ الْأَفْقُ ، وَالْذَّنْيَا بِعَجَلِسِهِ
ذَلِكَ مَسْوُوقَةٌ^(٣) وَأَحَادِيثُ الْأَمَانِيِّ بِهِ مَسْوُوقَةٌ ، فَأَمَرَهُ
بِالتَّزْوِيلِ عِنْدَهُ فَتَزَلَّ فِي جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ . وَالْقَمَرُ يَظْهَرُ
وَيَحْتَجِبُ فِي السَّحَابِ ، وَالْأَفْقُ يَبْدُو بِهِ أَعْرَ ثُمَّ يَعُودُ
مُبْهَمًا^(٤) ، وَاللَّيْلُ يُتَرَاءَى مِنْهُ أَشَقَرُ ثُمَّ يَعُودُ أَدْهَمًا^(٥) ،

في الشر ، ويقال أيضا نق في الشر - ورج صرصر أى شديدة الصوت
أو قارسة البرد (١) الأبهَر : عرق يستبطن الصلب والقلب ، فإذا انقطع
لم تكن معه حياة ، أو هو الأكحل ، وهما أبهران يخرجان من القلب
ثم يشعب منهما سائر الشرايين (٢) أى اعتمد على مرفق يده متكئا أو على
مخدة مثلا (٣) هذه الجملة في الأصل هكذا : فكم أمانيا بعجلسته ذلك مسوقة .
وهي ان خلت من التحريف لانسلم من التكرار مع بعدها مع خالوها من اللبالة
ووصف الملك بالامر والنهاي والتصرف في أمور الدنيا ، وبصح أن تكون
« مسوقة » (٤) من قولهم : ليل بهم أي أسود ضد الأغر « الأبيض » ومن
أمناهم : هذا أمر لا أغر ولا بهم : اذا كان مشكلا لم تتضح جهته واستقامته
ومعرفته ، وطريق مبهم خفي لا يستبين (٥) الشقرة بياض تعلوه حمرة
صافية - والدهمة : السواد . « أحمد يوسف نجاشي » .

وَأَبُو مَرْوَانَ قَدْ انْتَشَى ، وَجَالَ فِي مِيدَانِ الْأَنْسِ وَمَشَى ،
وَبُرْذُ خَاطِرِهِ قَدْ دَبَّجَهُ^(١) السُّرُورُ وَوَشَى ، فَأَقْلَقَهُ ذَلِكَ
الْمَغِيبُ وَالْإِتْيَاحُ^(٢) ، وَأَنْطَقَهُ ذَلِكَ السُّرُورُ وَالْإِرْتِيَاحُ .
فَقَالَ :

أَرَى بَذَرَ السَّمَاءِ يُلُوحُ حِينًا
فَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى
وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ أُسْتَحْيَا فَعَابَا
مَقَالَ لَوْ نَمَى عَنِّي^(٣) إِلَيْهِ
لَرَجَعَنِي بِذَا حَقًّا جَوَابَا
وَلَهُ فِي مُدَّةِ اُعْتِقَالِهِ ، وَتَرَدُّدِهِ فِي قَيْلِهِ وَقَالَ^(٤) :

(١) أى نقشه وزينه ، ووثنى الثوب نقشه وحسنه (٢) من لاح النجم
وألح اذا بدا وأضاء وتلاّأ قال التلمس :

وقد ألح سهيل بعد ما هجعوا كأنه ضرم بالكف مقبوس
(٣) فى الأصل « عندى » وهو تحريف غير مناسب ، وفى البيتين الأولين
حسن تعليل بديع ، والبيت الثالث أحفظه هكذا :

مقال لو نمت عنى اليه لراجعنى بمصدق جوابا
ونمت الحديث الى فلان اذا ارتفع اليه وبلغه . « أحمد يوسف نجاشى » .
(٤) فى بعض المراجع « وتردده فى قيده وعقاله »

شَحَطَ الْمَزَارُ فَلَا مَزَارَ وَتَافَرَتْ
 عَيْنِي الْهُجُوعَ فَلَا خِيَالَ يَمْتَرِي^(١)
 أَرْزَى بِصَبْرِي وَهُوَ مَشْدُودُ الْعُرَا
 وَالْآنُ عُودِي وَهُوَ صُلْبُ الْمَكْسِرِ^(٢)
 وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي
 بِالْعَيْشِ طَى صَحِيفَةٍ لَمْ تُشَرِ
 هَا إِنَّمَا أَلْقَى الْحَبِيبَ تَوْهَمًا
 بِضَمِيرٍ تَذْكَارِي وَعَيْنٍ تَذْكَرِي
 عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتِي النُّوَى
 وَدَنَا وَدَاعٌ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرْ؟

(١) شحط المزار « كمنع » اذا بعد ، تقول لأنساك على بعد الدار وشحط المزار ، وقال النابغة :

وكل قرينة ومقر ألف مفارقه الى الشحط الفرين
 (٢) أزرى به أى قصر به أو عابه. ورجل صلب المكسر أى قوى شديد،
 والمكسر موضع الكسر أو المنخر ، ويقال فلان طيب المكسر أو ردىء
 المكسر ، وأصله من كسر العود لتخبره أصلب هو أم رخو ؟ يقول :
 ان بعده عن أحبابه لاعتقاله وسجنه أو هى قوة صبره بعد أن كان جليدا
 وأخضع نفسه وقد كان عمتنعا ألبا ، وكسر من سوره بعد أن كان لاثليه
 الشدائد ، والسجن قبر الاحياء ، وشهادة الأعداء « أحمد يوسف نجاشى »

« رَجَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ » وَكَانَ الْمَنْصُورُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا
مُهِمًّا شَاوَرَ أَرْبَابَ الدَّوْلَةِ وَالْأَكَابِرَ مِنْ خُدَّامِ الدَّوْلَةِ
الْأُمَوِيَّةِ ، فَيُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالْوَجْهِ الَّذِي عَرَفُوهُ وَجَرَتْ
الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ عَلَيْهِ ، فَيَخَالِفُهُمْ إِلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ
فَيَقْضُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْهَلَاكِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ
وَالْمَهْجِ (١) الَّذِي اخْتَرَعَهُ ، فَتُسْفِرُ الْعَاقِبَةُ عَنِ السَّلَامَةِ
الَّتِي اتَّيَّتْ أَقْصَاهَا سَعْدُهُ ، فَيَكْثُرُونَ التَّعَجُّبَ مِنْ مَوَارِدِ
أُمُورِهِ وَمَصَادِرِهَا . وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً : إِنَّ فُلَانًا مَشْتُوْمٌ فَلَا
تَسْتَخْدِمُهُ ، فَقَالَ : أَفَ لِسَعْدٍ لَا يُعْطَى عَلَى شُؤْمِهِ ! فَاسْتَخْدَمَهُ
وَلَمْ يَنْلَهُ مِنْ شُؤْمِهِ الَّذِي جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ شَيْءٌ . وَحُكِيَ
عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ فِي قَصْرِهِ الَّذِي بِالزَّاهِرَةِ ، فَتَأَمَّلَ مُحَاسِنَهُ
وَنَظَرَ إِلَى مِيَاهِهِ الْمُطَرَّدَةِ ، وَأَنْصَتَ لِأَطْيَارِهِ الْمَغْرَدَةِ ، وَمَلَأَ

(١) طريق مهيج : واسع بين منبسط « وهو مفعول من التهيج وهو
الانبساط والانساع » ومن كلام سيدنا علي : « اتقوا البدع والزموا المهج »
وقال الشاعر :

ان الصنعة لانكون صنعة حتى يصاب بها طريق مهيج

عَيْنُهُ مِنَ الَّذِي حَوَاهُ مِنْ حُسْنٍ وَجَمَالٍ ، وَانْتَفَتَ فِي الزَّاهِرَةِ
 مِنَ الَّيْمِينَ إِلَى الشُّمَالِ ، فَانْحَدَرَتْ دُمُوعُهُ وَتَجَمَّعَتْ (١) وَقَالَ :
 وَيْلٌ لَكَ يَا زَاهِرَةٌ ! فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ اخْلَأَنُ الَّذِي يَكُونُ
 خَرَابُكَ عَلَى يَدَيْهِ عَنْ قَرِيبٍ ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ خَاصَّتِهِ : مَا هَذَا
 الْكَلَامُ الَّذِي مَاسَمِعْنَاهُ مِنْ مَوْلَانَا قَطُّ ؛ وَمَا هَذَا الْفِكْرُ
 الرَّدِيءُ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِثِيَابِهِ شَغْلُ الْبَالِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ
 لَتَرَوْنَّ مَا قُلْتُ ، وَكَأَنِّي بِمَحَاسِنِ الزَّاهِرَةِ قَدْ مُحِيتُ ،
 وَبِرُسُومِهَا قَدْ غُيِّرَتْ ، وَبِمَعَانِيهَا قَدْ هُدمَتْ وَنُحِيتُ .
 وَبِحُزَائِنِهَا قَدْ نُهَبَتْ ، وَبِسَاحَاتِهَا قَدْ أُضْرِمَتْ بِنَارِ الْفِتْنَةِ
 وَالْهَبْتِ .

وفاة النصور
 وقيام سنجول
 بالأمر

« قَالَ الْخَالِكِي » فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ تُوفِّيَ الْمَنْصُورُ
 وَتَوَلَّى الْمُظَفَّرُ ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ أَخُوهُ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُلَقَّبُ بِسَنَجُولَ ، فَقَامَ عَلَيْهِ الْمَهْدِيُّ وَالْعَامَّةُ

(١) تجهم له اذا عبس واستقبله بوجه باسر كربه . « أحمد يوسف نجاشي »

وَكَانَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ الطَّامَّةُ^(١)، وَأَنْقَرَصَتْ دَوْلَةُ
 آلِ عَامِرٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَمْرٌ:
 كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا
 أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^(٢)

(٢) الطامة: الداهية تطم أى تعلو وتغلب ماسواها (٢) الحجون جبل بعملة
 مكة على أقل من فرسخين من مكة، وكان عنده مدافن أهلها قال الأئشى:
 فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب فى ماء زمزم
 والبيتان من أبيات قالها عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمى «جاهلى
 قديم» يتأسف على البيت ويتشوق مكة: لما أجلتهم عنها خزاعة، وقبلهما:
 وكنا ولاية البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
 وصاهرنا من أكرم الناس والدا فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
 ونابت هو ابن سيدنا اسمعيل، وهو أكرم الناس والدا الذى صاهر قبيلة
 جرهم كما هو معروف. وبسببها:

فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك بالناس تجرى للقادر
 فصرنا أحاديثا وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر
 وبد لنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى والعدو المكاشر
 فسحت دموع العين تجرى لبلدة بها حرم أمن وفيها الشاعر
 وعثر جده اذا ساء حظه وانقلب سعدة نحسا، وصروف الليالى: حوادثها المتغيرة
 وكانت جرهم قد غلبت على ولاية البيت الحرام بعد اسماعيل وابنه، ثم بغت
 بمكة واستحلوا أموال الكعبة واتهكوا حرمتها فسلط الله عليهم الآفات
 وأجلت خزاعة من بقى منهم، فذلك معنى الأبيات بإيجاز «أحمد يوسف نجاشى»

لَيْ نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا قَابَادَنَا

صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وَحُرْبَتَ الزَّاهِرَةِ وَمَضَتْ كَأَمْسِ الدَّائِرِ ، وَخَلَتْ
مِنْهَا الدُّسُوتُ^(١) أَلْمُوكِيَّةُ وَالْمَنَابِرُ^(٢) ، وَأُسْتَوَى النَّهْبُ
عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالذَّخَائِرِ وَالسَّلَاحِ ، وَتَلَاثَى أَمْرُهَا
فَلَمْ يَرْجَ لِفَسَادِهَا صَلَاحٌ ، وَصَارَتْ قَاعًا^(٣) صَفْصَفًا ، وَبُدَّتْ

(١) الدسوت : جمع دس ، وهو لفظ معرب عن « دشت » أو عن « دسني »
ويطلق في العربية على أربعة معان ؛ وهي اللباس والرياسة والحيلة ودست
القمار « واستعمله للتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة »
وقد جمع معانيها الحريري في اللقمة الثالثة والعشرين في قوله : ناشدتك
الله ألسنت الذي أعاره الدست ، فقلت لا والذي أجلسك في هذا الدست ،
ما أنا بصاحب ذلك الدست ، بل أنت الذي تم عليه الدست . فالدست
الأول اللباس ، والثاني صدر المجلس ، والثالث اللعبة والحيلة ، وهم يقولون
لمن غلب : تم عليه الدست ، وانقلب عليه الدست ، ومن الأخير دست
الشطرنج ، ويقال فلان حسن الدست ، أي شطرنجي حاذق . ويسلى نفسي
قول الشاعر :

يقولون ساد الأرتلون بأرضنا وصار لهم مال وخيل سوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وإنما تفرزن في أخرى الدسوت البيادق
ويطلق الدست على التمكن في الناصب ، وأنسب المعاني هنا صدر
المجلس وديوان الرياسة . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) في الأصل « الدساكر » والنابر أولى لفظا ومعنى (٣) القاع : أرض
سهلة مطمئنة واسعة مستوية لاحتزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط قد
(٨ - نفع الطيب - خامس)

أَيَّامَ التَّرَحُّ بِأَيَّامِ الْفَرَحِ وَالصَّفَا^(١)

« وَيُرْوَى » أَنَّ بَعْضَ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ مَرَّ بِهَا
وَنَظَرَ إِلَى مَصَانِعِهَا^(٢) السَّامِيَةِ الْفَائِقَةِ ، وَمَبَانِيهَا الْعَالِيَةِ
الرَّائِقَةِ ، فَقَالَ : يَا دَارُ فَيْكِ مِنْ كُلِّ دَارٍ ، فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْكَ
فِي كُلِّ دَارٍ .

« قَالَ الْخَلَاكِي » فَلَمْ تَكُنْ بَعْدَ دَعْوَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الصَّالِحِ إِلَّا أَيَّامُ بَسِيرَةٍ حَتَّى نُهِبَتْ ذَخَائِرُهَا ، وَغُمَّ بِالْخُرَابِ
سَائِرُهَا ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ قِبَتِهَا
حِصَّةٌ كَثِيرَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الَّذِي هَمَّتْهُ مَعَ رَبِّهِ جَلِيلَةٌ .

« وَلَقَدْ حُكِيَ » أَنَّ بَعْضَ مَانِهَبِ مِنْهَا بِيَعٍ يَبْغَدَادَ

انفجرت عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر،
وما حولها أرفع منها - أو هو ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه
نبات. والمصنف: المستوى من الأرض لا نبات فيه، ومنه قوله تعالى: « فيذرهما
قاعا صفا » (١) في الأصل « وبدلت بأيا: الترح عن أيام » الخ وهو خلافه
الاستعمال العربي الذي إذا تبع - واتباعه واجب - أدى الى ضد المقصود
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) المصانع: للبانى والقصور جمع مصنع أو مصنعة

وَعَبْرَهَا مِنْ أَلْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ
وَلَا يَنْقُضِي مُلْكُهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

« وَتَذَكَّرْتُ » هُنَا مَا رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ بَعْضُ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي أَنْقَرَضَ فِيهَا مُلْكُ الْمُوَحِّدِينَ أَنَّ
شَخْصًا يُنْشِدُهُ :

مُلْكُ بَنِي مُؤْمِنٍ تَوَلَّى
وَكَانَ فَوْقَ السَّمَاءِ مَمْلُوكُهُ^(١)

فَاعْتَبِرُوا وَأَنْظُرُوا وَقُولُوا
سُبْحَانَ مَنْ لَا يَبِيدُ مُلْكُهُ
« لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ »

وَكَانَ الْمَهْدِيُّ الْقَائِمُ عَلَى الْعَامِرِيِّينَ مَاجِنًا فَاتِكًا ، قَالَ
وَقَدْ حَيَّاهُ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ غُلَامٌ يَقْضِبُ آسٍ :

أَهْدَيْتَ شِبَهَ قَوَامِكَ الْمَيَّاسِ
غُصْنَا رَطِيبًا نَاعِمًا مِنْ آسٍ

(١) بريد بن عبد المؤمن بن علي - وسمك البناء : ارتفاعه وعلاه ، والسمك
أيضا : السقف ، أو هو من أعلى البيت إلى أسفله . « أحمد يوسف نجاتي »

وَكَأَنَّمَا يَحْكِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ

وَكَأَنَّمَا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ حِينَ تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ
الْأُمَوِيِّينَ غَيْرَ مُكْتَرَبٍ بِمِثْلِ الْمَهْدِيِّ الْمَذْكُورِ ، فَسَلَّطَهُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مَا أَسَّسَهُ الْمَنْصُورُ حَتَّى هَدَمَهُ ، وَأَخَّرَ
كُلَّ مَا قَدَّمَهُ ، وَلَمْ يَنْفَعْ فِي ذَلِكَ أُحْتِيَاظٌ وَلَا حَزْمٌ ، وَلَا
رَادٌّ لِلْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ الْجَزْمِ .

وَاللَّهُ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ ، فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضًا

وَقَدْ قَدَّمْنَا شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ
نُذَكِّرَ^(١) هُنَا بَعْضَهَا وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ نَوْعٌ تَكَرَّرَ فِي بُدْءِ
مِنْهَا لِإِزْتِجَاطِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ

« قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ « حَجَرَ
الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ

أَحَدٌ مُنْذُ وَلِيَ الْحِجَابَةَ ، وَرُبَّمَا أَرْكَبَهُ بَعْضُ^(٢) سِنِينَ

(١) فِي الْأَصْلِ « تَسْكُم » وَالْأَوَّلَى مَا تَبَيَّنَ (٢) فِي بَعْضِ الْمُرَاجِعِ « بَعْدَ »

وَجَعَلَ عَلَيْهِ بُرْنَسًا وَعَلَى جَوَارِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَا يُعْرِفُ مِنْهُنَّ ، وَيَأْمُرُ مَنْ يُنَحِّي النَّاسَ مِنْ طَرِيقِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْمُؤَيَّدُ إِلَى مَوْضِعٍ تَنْزُهُهُ ثُمَّ يَمُودَ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَرْكَبُهُ بِأَهْلَةِ الْخِلَافَةِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِعَرَضٍ لَهُ كَمَا أَلْمَعْنَا بِهِ فِيمَا سَبَقَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ إِذَا سَافَرَ وَكَلَّ بِالْمُؤَيَّدِ مَنْ يَفْعَلُ مَعَهُ ذَلِكَ ، فَكَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِهِ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ مُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَخَذَ مَعَ ذَلِكَ فِي قَتْلِ مَنْ يَخْشَى مِنْهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ خَوْفًا أَنْ يَثُورُوا بِهِ . وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ شَفَقَةً عَلَى الْمُؤَيَّدِ ، حَتَّى أَفْنَى مَنْ يَصْلُحُ مِنْهُمْ لِلْوِلَايَةِ ، ثُمَّ مَرَّقَ بِأَقِيمِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، وَأَدْخَلَهُمْ زَوَايَا الْخُمُولِ غَارِينَ مِنَ اطَّرَافِ وَالتَّلَادِ ، وَرُبَّمَا سَكَنَ بَعْضُهُمُ الْبَادِيَةَ ، وَتَرَكَ مَجْلِسَ الْأَهْلَةِ وَنَادِيَهُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ مَنْ يَنْقِمُ عَلَى الْمَنْصُورِ ذَلِكَ الْفِعْلَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَبْنَى أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَى

مِنْكُمْ وَأَيْنَ نُجُومُهَا وَالْكَوْكَبُ ؟ !

غَابَتْ أَسُودٌ مِنْكُمْ عَنْ غَايِبَا
 فَلِذَاكَ حَازَ الْمَلِكُ هَذَا الثَّغْلَبُ
 مَعَ أَنِّ لِلْمَنْصُورِ مَفَاخِرَ ، بَذَّ^(١) بِهَا الْأَوَائِلَ
 وَالْأَوَاخِرَ ، مِنَ الْمُنَابَرَةِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَتَكَرَّرَ
 الذَّهَابُ بِنَفْسِهِ فِي الرِّوَاكِ وَالْعُدُوِّ ، وَلَهُ مَعَ الْمُصْحَفِيِّ
 وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ مَرَّتْ ، وَيَأْتِي بَعْضُهَا . وَلَا بَأْسَ أَنْ نُلْخِصَ
 تَرْجَمَةَ الْمُصْحَفِيِّ فَقُولُ^(٢) .



« قَالَ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ » الْحَاجِبُ جَعْفَرُ الْمُصْحَفِيِّ ؛ تَجَرَّدَ
 لِلْعُلَمَاءِ ، وَتَمَرَّدَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، حَتَّى بَلَغَ الْمُنَى ، وَتَسَوَّغَ ذَلِكَ
 الْجَنَى ، فَسَمَادُونَ سَابِقَةً ، وَأَرْتَقَى^(٣) إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تَكُنْ لِيَتِهِ^(٤)

جعفر المصحفي

(١) أى غلب وفاق وعلا ، وفي الأصل « لذ » وهو تصحيف .
 « أحمد يوسف نجاشي » (٢) قد سبقت له ترجمة في الجزء الثالث ببعض تصرف
 في عبارة الطمّح هذه (٣) في الأصل « وارتقى » وما رأينا أحسن (٤) في
 بعض المراجع « لبنيته » وفي أخرى « لنفسه » وهي أبعد الروايات عندي
 فلم تكن نفس المصحفي دينية ولا وضعية بهذه الدرجة ، وقد سبقت كلمتنا
 فيه وفي بعض أهل بيته ، ولعلنا نخصه هو ومن نعرفهم من أسرته بمقال
 خاص ، في أثناء كلامنا على الأدب بالاندلس في كتابنا الجامع « آداب
 اللغة العربية » ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاشي » .

بِمُطَابَقَةٍ ، وَالتَّاحَ فِي أَفْيَاءِ^(١) الْخِلَافَةِ ، وَأُرْتَاَحَ^(٢) إِلَيْهَا
بِعِطْفِهِ كَنْشَوَانِ السَّلَافَةِ ، وَأُسْتَوَزَرَهُ الْمُسْتَصِيرُ ، وَعَنْهُ
كَانَ يَسْمَعُ وَبِهِ كَانَ يُبْصِرُ . فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ مَا أَدْرَكَ ،
وَنَصَبَ لِأَمَانِيهِ الْحَبَائِلَ وَالشَّرَكَ ، وَأَقْتَنَى وَأَذْخَرَ ،
وَأَزْرَى بِمَنْ سِوَاهُ وَسَخَّرَ^(٣) ، وَأُسْتَعْطَفَهُ الْمَنْصُورُ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَنَجْمُهُ بَعْدُ غَاثٌ لَمْ يَلُحْ ، وَسِرُّهُ
مَكْتُومٌ لَمْ يَبْحُ ، فَمَا عَطَفَ ، وَلَا جَنَى مِنْ رَوْضَةِ
دُنْيَاهُ وَلَا قَطَفَ ، فَأَقَامَ فِي تَذْيِيرِ الْأَنْدَلُسِ مَا أَقَامَ
وَالْأَنْدَلُسُ مُتَغَيِّرَةٌ ، وَالْأَذْهَانُ فِي تَكْيِيفِ سَعْدِهِ مُتَحَيِّرَةٌ ،
فَنَاهِيكَ مِنْ ذِكْرِ خَلَدٍ ، وَمِنْ فَخْرِ تَقَلَّدَ ، وَمِنْ صَعْبِ
رَاضٍ^(٤) ، وَجَنَاحِ فِتْنَةِ هَاضٍ^(٥) ، وَلَمْ يَزَلْ يَنْجَادِ تِلْكَ
الْخِلَافَةَ مُعْتَقِلًا^(٦) ، وَفِي مَطَالِئِهَا مُنْتَقِلًا ، إِلَى أَنْ تُوفَّى

(١) كذا بالأصل هنا واللمطح ، وهي فيما تقدم « أفق » وهي أظهر
وأحسن (٢) ارتاح إلى كذا إذا اهتزله طربا وسرورا ، والارتياح الاختيال
(٣) سخر منه « كفرح » هزى به ، وسخره « كمنه » قهره وكلفه
ملا يريد (٤) راض الدابة يروضها : ذلها ووطأها (٥) هاض العظم يهضه
إذا كسره بعد الجبور ، وهو أشد ما يكون من الكسر (٦) النجاد : ما وقع

الْحَكَمُ ، فَانْتَقَضَ عَقْدُهُ الْمُحْكَمُ ، وَأَنْبَرَتْ إِلَيْهِ
التَّوَائِبُ ، وَتَسَدَّدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ سِهَامُ صَوَائِبُ ،
وَأَتَّصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ ذَلِكَ الْأَمْرُ ، وَأَخْتَصَّ بِهِ كَمَا مَالَ
يَزِيدَ أَخُوهُ الْعَمْرُ ^(١) ، وَأَنَافَ فِي تِلْكَ الْخِلَافَةِ : كَمَا
شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرَوُ ^(٢) ، وَأَتَدَبَّ لِلْمُصْحَفِ
بِصَدْرِ كَأَن قَدْ أُوغِرَ ^(٣) ، وَسَاءَ وَصَفَرُهُ ، فَأَقْتَصَّ مِنْ تِلْكَ
الْإِسَاءَةِ ، وَأَغَصَّ حَلْقَهُ كَمَا شَاءَ ^(٤) ، فَأَخْلَاهُ وَنَكَبَهُ ،

على العاتق من حائل السيف ، أو هو الحائل ، واعتقله اذا تقلده (١) انما
أعرف العمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أخا الخليفة الوليد بن يزيد
وكان عوناً لأخيه الوليد في حياته ، ومطالباً بدمه بعد مماته ، ففي سنة ١٢٦
كتب مروان بن محمد الى العمر بن يزيد أخى الوليد يأمره بالمطالبة بدم أخيه
الوليد (٢) هذا مثل وهو شطر بيت وأصله « شب وعمر وعن الطوق » يضرب مثلاً
في تزين الكبير بزنة الصغير - والمثل قاله جذيمة في عمرو بن عدى وكان أبوه
عدى بنادم جذيمة ، فولد له عمرو بن عدى وأخت جذيمة ، فلما كبر عمرو
ونادم جذيمة بعد أبيه مالكا وعقيل القينيين أرسل عمرا الى أمه فزينته
وألْبسته طوقاً ، فتمال جذيمة « شب وعمر وعن الطوق » فلما كان من أمر
جذيمة ما كان قام عمرو ومقامه ، فلم يزل هو وولده وهم آل النذر بالحيرة
من قبل الفرس حتى ملك قباذ فأزالهم (٣) أى ملاء وغرا أى حقدوا وضغينة
(٤) فى الأصل « بأى إساءة » وهو تحريف لامعنى له ، والصواب من

وَأَرْجَلُهُ عَمَّا كَانَ الدَّهْرُ أَرْكَبُهُ ، وَالْهَبَ جَوَانِحَهُ حَزَنًا ،
وَنَهَبَ لَهُ مُذَخَّرًا وَمُخْتَرَنًا ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِ مَا كَانَ حَاطًا^(١) ،
وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهِهِ مَا أَحَاطَ ، وَغَبَرَ^(٢) سِنِينَ فِي مَهْوَى
تِلْكَ النَّسْكَبَةِ ، وَجَوَى^(٣) تِلْكَ الْكُرْبَةِ ، يَنْقُلُهُ الْمَنْصُورُ
مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَيَعْتَقِلُهُ بَيْنَ صَنِيقِ الْمُطْبِقِ وَلَهَوَاتِهِ^(٤) ،

المطمح - وفي بعض المراجع « بأى مساءة » ولا بأس بها لولا تكرار
كأمتى « اساءة ، ومساءة » فى فقرتى السجع ، وهما من مادة واحدة فى
معنى واحدوان كان الأول من أساء والثانى من ساء (١) حاط الشيء يحوطه
إذا حفظه وصانه ، وكلاؤه ورعاه ، وذب عنه وتوفر على مصالحه وتعهده
(٢) غبر « كقعده » أى بقى ومكث (٣) الجوى : الحزن والحرقة وشدة
الوجد من هم ، والجوى : تطاول المرض ، وداء يأخذ فى الصدر والباطن
لا يستمرأ معه طعام ، وفعله « كرضى » - وفى الأصل « جرائى » ولعلها
محرقة عن « جراء » من قولهم فعلته من جرائك أى من أجلك ، ولكن
الغنى عليه غير ظاهر والسياق يأباه ، أو لعله محرف عن « حرارة » -
وما اخترناه هو ما فى المطمح ، وبه تتوازن « جوى » مع « مهوى » -
« أحمد يوسف نجاشى » .

(٤) المطبق : سجن تحت الأرض ، من قولهم أطبق الشيء إذا غطاه ، ومنه
الجنون المطبق الذى يغطى العقل ، والطبق : غطاء كل شئ - واللهوات جمع
لهواة ، وهى فى الأصل الهنة المطبقة فى أقصى سقف الحلق ، قال الفرزدق
يمدح بنى تميم :

ذباب طار فى لهوات ليت كذاك اليت يزدرد الذبابا

جعل الكاتب للسجن لهوات تشبها له باليت أو الحيوان للفترس الغائل

إِلَى أَنْ تَكُورَتْ شَمْسُهُ^(١) وَفَاطَتْ^(٢) بَيْنَ اثْنَاءِ الْمِحْنِ
نَفْسَهُ. وَمِنْ بَدِيعِ مَا حُفِظَ لَهُ فِي نَكْبَتِهِ ، قَوْلُهُ يَسْتَرِيحُ
مِنْ كُرْبَتِهِ :

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّتْ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَوَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ^(٣)
وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْمَرْ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ

(١) تكورت أى سقطت ، أو اضمحلت وذهبت ، أو جمع ضوءها ولف
فمحيت ، وبكل ذلك فسر قوله تعالى : « إذا الشمس كورت » (٢) فاطت
نفسه : أى خرجت روحه . وفى بعض النسخ « فاضت » (٣) ويروى
« امطباره » اعترافه : أى صبره وذله وانقياده ، قال قيس بن ذريح :

فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى ويأجبها قع بالذى أنت واقع
وهذا البيت أحفظه من قصيدة كثير عزة التى مطلعها :

خليلى هذا ربيع عزة فاعتلا فلو صيكما ثم ابكيا حيث حلت
وهو مشهور فيها ، يعجب كثير من صبره على الذل الذى يتجرعه من هوى
عزة ، وخنوع نفسه لذلك مع أنفته ، فليس البيت من قطعة أبى عثمان
للصحنى . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدُّلِّ ذَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثَمًّا وَلَتِ
وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ بَارِعٌ ، وَخَاطِرٌ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيبِ
يُسَارِعُ ، فَمِنْ مَحَاسِنِ نِظَامِهِ وَإِنْشَادِهِ ، الَّتِي بَعَثَهَا إِنْسَانُ
دَهْرِهِ بِإِسْعَادِهِ ، قَوْلُهُ :

لِعَيْنَيْكَ فِي قَلْبِي عَلَى عُيُونُ
وَيَبْنَ صُلُوعِي لِلشَّجُونِ فُنُونُ
لَئِنْ كَانَ جِسْمِي مُخْلَقًا^(١) فِي يَدِ الْهَوَى
فَحُبُّكَ غَضٌّ فِي الْفُؤَادِ مَصُونُ

« وَلَهُ » وَقَدْ أَصْبَحَ عَاكِفًا عَلَى حُمَاهُ ، هَاتِفًا
بِإِجَابَةِ دُنْيَاهُ ، مُرْتَشِفًا نَعْرَ الْأَنْسِ مُتَنَسِّمًا رِيَّاهُ ، وَالْمُلُكُ
يُغَازِلُهُ بِطَرْفِ كَحِيلٍ^(٢) ، وَالسَّعْدُ قَدْ عُقِدَ عَلَيْهِ مِنْهُ

(١) أخلق الثوب : أبلاه ، وفي الأصل « فحبك عندي » (٢) في الأصل
« كليل » وهو نصحيف مفسد « أحمد يوسف نجاتي »

إِكْلِيلٌ ، يَصِفُ لَوْنَ مُدَامِهِ ، وَمَا تَعَرَّفَ لَهُ مِنْهَا دُونَ
نِدَامِهِ ^(١) :

صَفْرَاءُ تُطْرِقُ فِي الزُّجَاجِ فَإِنْ سَرَتْ

فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادِغٍ ^(٢)

(١) الندام : جمع نديم (٢) أطرق اذا سكنت وسكن ، يشبه الحمر « بصل »
أى حية تقتل من ساعتها ، أو الصل هي الدفقة « الصفراء » لاتنفع فيها
الرقية ، وجعلها مطرقة ساكنة عن الأذى مادامت محبوسة في زجاجها
فاذا تمكنت من الجسم سرت فيه ودبت حمياها وسورتها في كل أجزائه.
وأرى البيت مع ظهور الغرض منه وبيان مراده قد يتوهم منه أنه يذم
الحمر وينفر منها ولذا يروى « تشرق » و « تبرق » بدل « تطرق » -
غير أن بيته الثانى جيد جدا فى معناه ، وخياله رائع فى المبالغة فى وصف
الراح بشدة الصفاء ، ومثله قول البحتري :

تحفى الزجاج لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير اناء
وقول عبد المحسن الصوري :

رفت فكادت لآرى فى كاسها الا التماسا

لولا الحجاب لخالها شرابها فى الكاس كاسا

وقول الناشي* :

وصفت فأحرق نورها بزجاجها فكأما جعلت اناء انائها

وتكاد ان مزجت لركة مائها تمتاز عند مزاجها من مائها

وألف من هذا كله قول ابن المعتز :

وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبك

وقول أبى نواس :

صفت وصفت زجاجتها عليها كمنى دق فى ذهن لطيف

وحسبنا هذا خشية من فضولى لا يفرق بين الأدب ، والغرام بابنة العنب .

« أحمد يوسف نجاتي » .

خَفِيتَ عَلَى شُرَابِهَا فَكَأَنَّمَا
يَجِدُونَ رِيًّا مِنْ إِيَّاهُ فَارِغِ
وَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي قَالَ فِي السَّفَرِ جَلِ مُشَبَّهًا ، وَغَدَا
بِهِ لِنَائِمِ الْبَدِيعِ مُنَبَّهًا ، قَوْلُهُ يَصِفُ سَفَرِجَلَةً ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ أَرْجَلَهُ :

وَمُصْفَرَّةٌ تَحْتَالُ فِي ثَوْبٍ نَرَجِسِ
وَتَعْبُقُ عَنْ مِسْكٍ ذِكْرُ التَّنَفُّسِ
لَهَا رِيحٌ مَحْبُوبٍ وَقَسْوَةٌ قَلْبِهِ
وَلَوْ أَنَّ مُحِبَّ حُلَّةِ السُّقْمِ مَكْتَسِي
فَصُفَّرَتْهَا مِنْ صُفْرِتِي مُسْتَعَارَةً
وَأَنْفَاسُهَا فِي الطَّيِّبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِي
وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّعْبِ ^(١) أَغْبَرُ
عَلَى جِسْمِ ^(٢) مُصْفَرٍّ مِنَ التَّبَرِّ أَمْلَسِ

(١) جمع أرغب أي ذو زغب، وهو في الأصل الشعيرات الصفر الدقيقة على ريش الفرخ ، أو صغار الشعر والريش ولينه ، وكذا ما يعاود قشر الفا كهة في أول بروزها من أكمامها، ويروى «أخضر» بدل «أغبر» ويروى عجز البيت:

* يرف على جسم من التبر أملس *

(٢) متعلق بحذوف تقديره نسج أو نحو ذلك

فَلَمَّا أُسْتَمَّتْ فِي الْقَضِيبِ شَبَابَهَا
 وَحَاكَتْ لَهَا الْأَوْرَاقُ أَثْوَابَ سُندُسٍ
 مَدَدَتْ يَدِي بِاللُّطْفِ ابْنِي اجْتِنَاءَهَا
 لِأَجْعَلَهَا رِيحًا تَنِي وَسَطَ مَجْلِسِي
 فَزَتْ^(١) يَدِي غَضْبًا لَهَا ثَوْبَ جِسْمِهَا
 وَأَعْرِتُهَا بِاللُّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ
 وَلَمَّا تَعَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ بُرُودِهَا
 وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِلَالَةِ نَرْجِسٍ
 ذَكَرْتُ لَهَا مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
 فَأَذْبَلَهَا فِي الْكَفِّ حَرُّ الشَّفْسِ
 وَلَهُ - وَقَدْ أَعَادَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى الْمُطْبِقِ ، وَالشُّجُونُ
 تُسْرِعُ إِلَيْهِ وَتَسْبِقُ - مُعْزِيًا لِنَفْسِهِ ، وَمُجْتَزِيًا بِإِسْنَادِ أَمْسِهِ :
 أَجَازِي الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ
 مُجَازَاةً نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا

(١) أى سلبت ، وبزه من ثيابه اذا جرده منها وعلبه عليها - يريد أنه فشرها -
 ولقد أجاد وأحسن في وصف هذه السفرجلة وذكره تاريخ حياتها من
 أوله الى آخره . « أحمد يوسف نجاشي » .

إِذَا نَفْسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا ^(١)
 تَوَارَتْ بِهِ دُونَ جُلَاسِهَا
 وَإِنْ عَكَفَتْ نَكْبَةً لِلزَّمانِ
 عَطَفْتُ بِنَفْسِي ^(٢) عَلَى رَاسِهَا
 وَمِمَّا حُفِظَ لَهُ فِي اسْتِعْطَافِهِ ، وَأُسْتَنْزِلَهِ لِلْمَنْصُورِ
 وَأُسْتِلْطَافِهِ ، قَوْلُهُ :
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَّا رَحْمَةً
 تَجُودُ بِمَقْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا
 لَيْتَ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أُعْتِمِدْهُ
 فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ
 وَمَوْتَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى ؟
 وَمُقْسِدَ أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ
 فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا

(١) شفه الهم : اذا هزله وأضره حتى دق ، ومنه قول المرجى :
 أنا امرؤ لج بى حب فأخرجنى حتى بليت وحتى شفنى السقم
 وشفه الحزن والحب اذا لدع قلبه وأذهل عقله وأظهر ما عنده من الجزع
 (٢) ويروى عجز البيت « عكفت بصدري » « أحمد يوسف نجاشى »

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَرَلْ

يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

« عَوِذُ وَالْمِطَافُ إِلَى أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ » رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعَالَى وَجَازَاهُ عَنْ جِهَادِهِ أَفْضَلَ الْجُزَاءِ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ

وَطَوْلِهِ ، فَتَقُولُ : وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ

الْمُنِيفَةِ عَلَى الْحَمْسِينَ مَفْخَرٌ مِنَ الْمَفَاخِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،

فَمِنْهَا أَنْ بَعْضَ الْأَجْنَادِ نَسِيَ رَأْيَهُ مَرَّ كَوْزَةً عَلَى جَبَلٍ

بِقُرْبِ إِحْدَى مَدَائِنِ الرُّومِ ، فَأَقَامَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ لَا يَعْرِفُ

الرُّومُ مَا وَرَاءَهَا بَعْدَ رَحِيلِ الْعَسَاكِرِ ، وَهَذَا بِلاَ خَفَاءٍ

مِمَّا يَفْتَخِرُ بِهِ أَهْلُ التَّوْحِيدِ عَلَى أَهْلِ التَّثْلِيثِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا

أَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفَ شِرْذِمَةِ ^(١) الْمَنْصُورِ وَحِزْبِهِ ، وَعَلِمَ

كُلُّ مَنْ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِجَرْبِهِ ، لَجَأُوا إِلَى الْفِرَارِ

وَالْتَحَصَّنَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْقِلَاعِ ، وَلَمْ يَخْضُلْ مِنْهُمْ غَيْرُ

الْإِشْرَافِ مِنْ بَعْدِ وَالْإِطْلَاعِ



« وَمِنْ مَفَاخِرِ الْمَنْصُورِ » فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ أَنَّهُ مَرَّ مَفَاخِرِ الْمَنْصُورِ

بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فِي طَرِيقِ عَرْضِ بَرِيدٍ بَوْسَطِ بِلَادِ
الْإِفْرَنْجِ ، فَلَمَّا جَاوَزَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ وَهُوَ آخِذٌ فِي التَّحْرِيقِ
وَالْتَّخْرِيبِ وَالْفَارَاتِ وَالسَّبْيِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَمْ يَحْسُرْ أَحَدٌ
مِنَ الْإِفْرَنْجِ عَلَى لِقَائِهِ ، حَتَّى أَقْفَرَتِ الْبِلَادُ مَسَافَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ
عَادَ فَوَجَدَ الْإِفْرَنْجَ قَدْ اسْتَجَاشُوا مِنْ وَرَائِهِ ^(١) ، وَضَبَطُوا ذَلِكَ
الْمَدْخَلَ الضَّيِّقَ الَّذِي بَيْنَ جَبَلَيْنِ - وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً -
فَلَمَّا رَأَى مَا فَعَلُوهُ رَجَعَ ، وَاخْتَارَ مَتَرًا مِنْ بِلَادِهِمْ أَنَاخَ ^(٢)
بِهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَسَاكِرِ ، وَتَقَدَّمَ بَيْنَاءَ الدُّورِ وَالْمَنَازِلِ
وَيَجْمَعُ آلَاتِ الْحَرْثِ وَنَحْوِهَا ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ ^(٣) فَسَبَتْ
وَعَنَمَتْ ، فَاسْتَرَقَّ الصَّغَارَ ، وَضَرَبَ أَعْنَاقَ الْكِبَارِ ، وَأَتَى
جُثَّتَهُمْ حَتَّى سَدَّ بِهَا الْمَدْخَلَ الَّذِي مِنْ جِهَتِهِ ، وَصَارَتْ
سَرَايَاهُ تَخْرُجُ فَلَا تَجِدُ إِلَّا بَلَدًا خَرَابًا ، فَلَمَّا طَالَ الْبَلَاءُ عَلَى

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « مِنْ وَرَائِهِمْ » (٢) أَيْ أَقَامَ وَنَبَتْ (٣) جَمْعُ سَرِيَّةٍ
وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ ، سَمِيَتْ سَرِيَّةً لِأَنَّهَا تَسْرِي خَفِيَّةً لَيْلًا لئَلَّا
يَنْتَرِبَهُمُ الْعَدُوُّ فَيَحْذَرُوا .

الْعَدُوَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الصُّلْحِ ، وَأَنْ يُخْرِجَ بَغِيرَ أَسْرَى
وَلَا غَنَائِمَ ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُمْ تَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ
حَتَّى سَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ بَغَنَائِمِهِ وَأَسْرَاهُ ، فَأَجَابَهُمْ : إِنْ أَصْحَابِي
أَبَوْا أَنْ يَخْرُجُوا ، وَقَالُوا إِنَّا لَا نَكَادُ نَصِلُ إِلَى بِلَادِنَا إِلَّا
وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الْغَزْوَةِ الْآخَرَى ، فَتَقَعْدُ هَهُنَا إِلَى وَقْتِ الْغَزَاةِ
فَإِذَا غَزَوْنَا عُدْنَا ، فَمَا زَالَ الْإِفْرَنْجُ يَسْأَلُونَهُ إِلَى أَنْ قَرَّرَ
عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى دَوَابِّهِمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسَّبْيِ ،
وَأَنْ يُمِدُّوهُ بِالْمِيرَةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَنْ يُنْخَوِجِيْفَ
الْقَتْلَى عَنْ طَرِيقِهِ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَنْصَرَفَ .
وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لِعِزُّ مَا وَرَاءَهُ مَطْمَئِحٌ ، وَنَصْرٌ لَا يَكَادُ
الزَّمَانُ يُجَوِّدُ بِمِثْلِهِ وَيَسْمَحُ ، خُصُوصًا إِذَا تَهُمَّ جِيْفَ قَتْلَاهُمْ
مِنْ الطَّرِيقِ ، وَغَصَصَهُمْ ^(١) فِي شُرْبِ ذَلِكَ بِالرَّيْقِ .

مآثر المصور وَمِنْ مَا تَرَاهُ الَّتِي هِيَ فِي جَبِينِ عَصْرِهِ غُرَّةٌ ، وَلَعَيْنٌ

(١) غصص بالماء، أو بالطعام « كفرح » اذا شرب به أو وقف في حلقة فلم
يكذب يسبغه ، فهو غاص وغصان - وأغصه بريقه اذا أضجره أو غاظه ، وغص
بريقه كناية عن الموت أو شدة القهر والاذلال « أحمد يوسف نجاني »

دَهْرِهِ قُرَّةً ، أَنَّهُ لَمَّا خَتَنَ أَوْلَادَهُ خَتَنَ مَعَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ أَهْلِ
دَوْلَتِهِ خَمْسِمِائَةَ صَبِيٍّ ، وَمِنْ أَوْلَادِ الضُّعَفَاءِ عَدَدًا لَا يُحْصَرُ ،
فَبَلَغَتْ النِّفْقَةُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْإِعْذَارِ ^(١) خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ
دِينَارٍ ، وَهَذِهِ مَكْرُمَةٌ مُخَلَّدَةٌ ، وَمِنَّةٌ مُقَلَّدَةٌ ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - يُجَازِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْجُزَاءِ ، وَيَجْعَلُ لِلْمُسْلِمِينَ
فِي فَقْدِ مِثْلِهِ أَحْسَنَ الْعَزَاءِ . وَمِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي لَمْ تَتَّفِقْ
لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الظَّنِّ ، أَنَّ أَكْثَرَ جُنْدِهِ مِنْ
سَبِيهِ - عَلَى مَا حَقَّقَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ - وَذَلِكَ غَايَةُ الْمَنْحِ مِنْ
اللَّهِ وَالْمَنِّ . وَمِنْ أَخْبَارِهِ ، الدَّالَّةُ عَلَى إِقْبَالِ أَمْرِهِ وَخَيْبَةِ عَدُوِّهِ
وَإِذْبَارِهِ ، أَنَّهُ مَا عَادَ قَطُّ مِنْ غَزْوَةٍ إِلَّا اسْتَعَدَّ لِأُخْرَى ،
وَلَمْ يَهْزَمْ لَهُ قَطْرَ رَايَةٍ - مَعَ كَثْرَةِ غَزَوَاتِهِ شَاتِيَةً وَصَافِقَةً ،
وَكَفَاهُ ذَلِكَ فَخْرًا . وَمِنْهَا أَنَّهُ لَقِيَتهُ - وَقَدْ عَادَ مِنْ بَعْضِ
غَزَوَاتِهِ - أَمْرَأَةٌ نَقَمَتْ ^(٢) عَلَيْهِ بُلُوغَ مَنَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، وَقَالَتْ

(١) أصل الإعذار : الحتان ، ثم استعمل في الطعام الذي يصنع في الحتان ،
وأعذر للقوم إذا صنع لهم طعام الحتان وأعده . وأعذر الغلام : ختنه ،
(٢) في الأصل « نقمت » وفي بعض المراجع « نقمت » - ونقم منه
الامر ونقم عليه « كضرب وعلم » إذا كرهه وأنكره وعابه . وقد تكون

لَهُ : يَا مَنْصُورُ اسْتَمِعْ نِدَائِي ، فَأَنْتَ فِي طِيبِ عَيْشِكَ وَأَنَا
فِي بُكَائِي ، فَسَأَلَهَا عَنْ مُصِيبَتِهَا الَّتِي عَمَّتْهَا وَغَمَّتْهَا ، فَذَكَرَتْ
لَهُ أَنَّ لَهَا ابْنًا أَسِيرًا فِي بِلَادِ سَمْتَهَا ، وَأَنَّهَا لَا يَهْنَأُ عَيْشُهَا
لِفَقْدِهِ ، وَلَا يَحْبُو^(١) ضِرَامُ قَلْقِهَا مِنْ وَقْدِهِ ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ
حَالِهَا لِذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ :

* وَيَحُحُّ الشَّجِيَّ مِنَ الْخَلْيِ^(٢) *

« نبت » - تقول : نمت عليه أعماله وهفواته « كسعى » إذا أظهرها وشهر بها ،
أو إذا قبحها وعابه عليها ووبخه (١) خبت النار تحبوا إذا سكنت وطفئت
وخمد لهيبها . ومن الحجاز : خمد لهبه ، إذا سكن ناره وسكت غضبه ،
وضرام النار : اشتعلها (٢) ويح له ، ويحاله : يقال لمن وقع في بلية لاظهار
الشفقة عليه وطلب الرحمة والدعاء له بالخلاص منها - ورجل شج « كفرح »
أي حزين - والشجي « بالتخفيف » المشغول القلب ، والخلي « بالتشديد »
الفارغ من الهم رخي البال . وقيل بجواز التشديد في « خلي » بمعنى
المشجوع من شجاء يشجوه إذا حزنه وأوقعه في هم . وقد شدد ياؤه في
الشعر في قول الشاعر :

نام الخليون عن ليل الشجيينا شأن السلاة سوى شأن المحيينا
وفي بعض النسخ جعل ما أنشدته المرأة بيتا ، ونصه : وأنشد لسان حالها :
يا ذاك للملك العلي ويح الشجي من الخلي

وقد ورد التثنية في مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح بها الحسن بن وهب :
ألا ويل الشجي من الخلي وبالي الربع من إحدى بلى
والتثنية بضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . ومعناه أن الخلي لا يعرف بالشجي
فهو لا يساعده على حاله ولا يرثي لمابه ، بل قد يزيد نارجواه اشتعالا بأومه
وتعنيفه . « أحمد يوسف نجاتي » .

فَرَحَّبَ الْمَنْصُورُ بِهَا ، وَأَظْهَرَ الرُّقَّةَ بِسَبِّهَا ، وَخَرَجَ
مِنَ الْقَابِلَةِ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا أَبْنَاهَا ، وَجَاسَ أَقْطَارَهَا
وَتَخَلَّلَهَا ، حَتَّى دَوَّخَهَا إِذْ أَنَاخَ عَلَيْهَا بِكُلِّكَلِهِ وَذَلَّلَهَا ،
وَأَغْرَاهَا مِنْ مُحَامَتِهَا وَيَبْنُودِ الْإِسْلَامِ الْمَنْصُورَةَ ظَلَمَهَا ،
وَخَلَّصَ جَمِيعَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَسْرَى ، وَجَلَبَتْ عَوَامِلُهُ إِلَى
قُلُوبِ الْكُفَرَةِ كَسْرًا ، وَأَنْقَلَبَتْ عُيُونُ الْأَعْدَاءِ حَسْرَى ،
وَتَلَا لِسَانُ حَالِ الْمَرْأَةِ : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا » ، فَهَكَذَا تَكُونُ الْهِمَّةُ السُّلْطَانِيَّةُ ، وَالنَّخْوَةُ
الْإِيمَانِيَّةُ ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرَوِّحُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ فِي الْجَنَانِ ،
وَيُرَقِّي دَرَجَاتِهَا وَيُعَامِلُهَا بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ .

* *

كتاب عبد الله
ابن يوسف إلى
المنصور بن أبي
عامر

وَقَدْ تَذَكَّرْتُ هُنَا - وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ^(١) ، وَبَذَكَرِ
الْمُنَاسَبَاتِ يَبْلُغُ الطَّلَابُ مَا يَرْجُونَ - كِتَابًا كَتَبَهُ الْأَدِيبُ
الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) ابْنُ الْإِمَامِ الْخَافِظِ مُحَدِّثِ الْأَنْدَلُسِ أَبِي عُمَرَ

(١) يقال الحديث ذو شجون ، أى فنون وأغراض ، أى أنه ذو شعب
وامتسك يدخل بعضه فى بعض ، ويستدعى شئ منه شيئاً ، ويتفرق بالمتكلم
شعبه ووجهه ، يضرب مثلاً للحديث يستذكر به غيره ، جمع شجون
« بالتحريك » وهو الغصن المشبك من غصون الشجرة . والشعبة من
كل شئ^(٢) هو الأديب عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر

أَبْنِ عَبْدِ الْبَرِّ التَّمَرِيِّ إِلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ^(١) « وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْمَنْصُورِ الْكَبِيرِ الَّذِي كُنَّا تَحَدَّثُ فِي أَخْبَارِهِ ، يَمُتُ ^(٢) إِلَيْهِ بِسَلَفِهِ وَمُعَامَلَتِهِمْ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبَائِهِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَإِكْبَارِهِ » وَهُوَ : عَمَرُ اللَّهِ بَيْقَاءَ سَيِّدِي ذِكْرَى السَّابِقِينَ ^(٣) بِهَجَّةِ أَوْطَانِهِ ، وَمَلَكَةُ عِنَانِ زَمَانِهِ ، وَمَدَّ عَلَيْهِ ظِلَالُ أَمَانِهِ : إِنِّي - أَبْقَى اللَّهُ الْمَلِكَ الْكَرِيمَ ،

التمري ، أصله من قرطبة وسكن مع أبيه مدينة بلنسية وغيرها . كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الذائعة والتقدم في العلم والذكاء ، وكانت له رسائل مدونة ، توفي قبل أبيه بمدينة دانية سنة ٤٥٨ هـ وتوفي الامام الحافظ والده سنة ٤٦٣ هـ بمدينة شاطبة ، وتوفي جده عبد الله بن محمد سنة ٣٨٠ هـ وفي الاصل « التمرى » وهو تحريف فان الامام ينسب الى التمر بن قاسط لالى نير . « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) هو المنصور أبو الحسن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور ابن أبي عامر ، وكان في فتنة الأندلس وتغلب ملوك الطوائف عليها قد استقل بمدينة بلنسية ثم بمدينة دانية وما كان اليها . وقام بالأمر بعده ابنه محمد ودام فيها الى أن غدر به صهره المأمون بن اسمعيل بن ذي النون وأخذ منه رياسة بلنسية في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ فنزح عنها الى المرية وأقام بها الى أن خلع ، وكان المنصور الصغير هذا أديبا شاعرا رقيقا ، وسنعرض له فيما بعد ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاشي » .

(٢) أي يتوصل ويتقرب ، قال الشاعر :

نمت بأرحام اليك وشيجة ولا قرب بالأرحام مالم تقرب

(٣) في بعض المراجع « ذي السابقتين » بدل « ذكرى السابقتين »

وَالسَّيِّدَ الرَّعِيمَ - لَمَّا أَضَاءَتْ لِي أَهْلَةٌ مَفَاخِرِكُمْ فِي سَمَاءِ
الْفَخَارِ ، وَأَشْرَقَتْ شُمُوسُ مَكَارِمِكُمْ عَلَى مَفَارِقِ الْأَحْرَارِ ،
وَأَبْصَرْتُ شَمَائِلَكَ الزُّهْرَ تُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْهَمِّ مَحَامِدَهَا
وَمَحَاسِنَكَ الْفُرَّ تُوقِظُكَ مِنَ الْآمَالِ رَوَاقِدَهَا ، أُيَقِنْتُ
أَنَّهُ بِحَقِّ أَتْقَادَتِكَ لَكَ الْقُلُوبُ بِأَعْنَتِهَا ، وَتَهَادَتْ إِلَيْكَ
الْأَنْفُوسُ بِأَزِمَّتِهَا ، قَالَتِ الْإِلَهِ إِلَّا بِحِمَاكَ ، وَلَا أُحِطُ
رَحَلًا إِلَّا بِفِنَاكَ^(١) ، عَلِمَّا بِأَنَّكَ ثَرَّةُ^(٢) الْفَخْرِ ، وَغُرَّةُ الدَّهْرِ
فَتَيَمَّمْتُ سَارِيًّا فِي سَاطِعِ نُورِكَ ، مُتَيَمِّمًا يَمِينِ^(٣) طَائِرِكَ ،
مُحَقِّقًا الرُّبْعَ ، مُوقِنًا بِالْفَلَجِ^(٤) وَالنَّجْحِ ، حَتَّى حَلَلْتُ فِي
دَوْحَةِ الْمَجْدِ ، وَأَنْخَتُ بِدَوْلَةِ السَّعْدِ ، وَأُسْتَشْعَرْتُ لِبَسَةَ
الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، وَجَعَلْتُ أَنْظِمُ مِنْ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ ،

(١) فناء الدار : ما اتسع من أمامها ، أو ما امتد من جوانبها ، وفي بعض
المراجع « بمخالك » (٢) الثرة : كوكبان بينهما قدر شهر ، وفيهما لطح بياض
كأنه قطعة سحب ، وهي أنف الأسد ، ينزلها القمر ، وتسميها العرب ثرة
الأسد يريد علو منزلته في الفخر (٣) الطائر ما يمين به المرء أو تشاءم ،
والطائر أيضا : الحظ (٤) الفلج : الظفر والفوز ، وفعله من باب نصر .
« أحمد يوسف نجاتي » .

مَا يُرْبِي عَلَى جَوَاهِرِ النَّظَامِ ، وَأَنْشُرُ مِنْ عِطْرِ الشَّنَاءِ ،
 مَا يُرْزَى بِالرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ^(١) ، وَحَاشَا لِلْفَهْمِ أَنْ يُعْطَلَ أَيْلَى
 مِنْ أَقْمَارِكَ ، أَوْ يُخْلَى أَفْقِي مِنْ أَنْوَارِكَ ، فَأَرَانِي مُنْخَرِطًا
 فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، وَمُنْخَطًا إِلَى غَيْرِ مُلْكِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ
 مَنْ أَسْتَضَاءَ بِالْهَلَالِ ، غَنِيَ عَنِ الذُّبَالِ^(٢) ، وَمَنْ أَسْتَنَارَ
 بِالصَّبَاحِ ، أَلْقَى سَنَى الْمِصْبَاحِ ، وَتَالَهُ مَا هَزَّتْ آمَالِي
 ذَوَائِبَهَا^(٣) إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا حَدَثَ^(٤) أَوْطَارِي رَكَائِبَهَا
 إِلَى مَنْ عَدَاكَ ، لِيَكُونَ فِي أَثَرِ الْوَسْمِيِّ فِي الْمَاحِلِ^(٥) ،
 وَعَلَى جَمَالِ الْحُلِيِّ عَلَى الْمَاطِلِ^(٦) ، لِسَيَادَتِكَ السَّيِّئَةِ ، وَرِيَّاسَتِكَ
 الْأَوَّلِيَّةِ ، الَّتِي يَقْضُرُ عَنْهَا لِسَانُ إِفْصَاحِي ، وَيَعْيَا فِي بَعْضِهَا
 بَيَانِي وَإِضَاحِي ، فَالْقَرَّاطِيسُ عِنْدَ بَثِّ مَنَاقِبِكَ تَفْنَى ،

- (١) أربي عليه : زاد وفاق ، وأزرى به : أظهر فيه عيبا وقصورا ، وروضة
 غناء : قد التف عشبها وكثر حتى تسمع لطيرها غنة ، وتمر الريح فيها غير
 صافية الصوت لكثافة عشبها والتفاف أشجارها (٢) الذبالة الفتيلة التي تسرج
 (٣) هزت ذوائبها أي تحركت ونشطت ، وهو مأخوذ من قول الأعرابي :
 هزرت ذوائب الرجال فلم أجد معولا الا عليك الخ (٤) حدهاء : سافه
 (٥) مطر الربيع الأول يسم الأرض ويزينها بالنبات ، والماحل : المجدب
 (٦) الماطل المرأة تجرد جديدها عن الحلي والزينة « أحمد يوسف نجاتي »

وَالْأَقْلَامُ فِي رَسْمِ مَا ثَرِكَ تَحَنَّى ، وَمَا أَمَلُ الْمُجْدِبِ ، فِي
حَيَاةِ الْمُخْصِبِ ، وَلَا جَذْلُ الْمَذْنِبِ ، بِرِضَا الْمُعْتَبِ ^(١) ،
كَأَمَلِي فِي التَّعَزُّزِ بِحَوْزَتِكَ ، وَالتَّجَمُّلِ بِجُمْلَتِكَ ، وَالتَّرَفُّعِ
بِخِدْمَتِكَ ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ نَشَأَ فِي دَوْلَتِكَ ، وَظَهَرَ فِي أُمَّتِكَ ،
وَأَسْتَضَاءَ بِغُرَّتِكَ ، لَقَدْ فَازَ بِالسَّبْقِ مَنْ لَحَظَتْهُ عَيْنُ
رِعَايَتِكَ ، وَكَنَفَتْهُ حَوْزَةُ حِمَايَتِكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي أُمِنْتَ
بِعَدْلِهِ نَوَائِبُ الْأَيَّامِ ، وَقَوِيَتْ بِسُلْطَانِهِ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ،
تَحْتَالُ بِكَ الْمَعَالِي اخْتِيَالُ الْعُرُوسِ ، وَتَخْضَعُ لِجَلَالِكَ
أَعْزَةُ ^(٢) الْفُؤُوسِ ، سَابِقَةُ أَشْهُرٍ مِنَ الْفَجْرِ ، وَفِطْنَةُ
أَنْوَارٍ مِنَ الْبَدْرِ ، وَهَمَّةُ أَفْقَدُ مِنَ الدَّهْرِ

لَقَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِكُمْ مُتَمَسِّكًا

يَشُدُّ عَلَى تَأْمِيلِ عِزِّكُمْ يَدَا

سَلَكَتْ سَبِيلَ الْفَخْرِ خُلُقًا مُرَكَّبًا

وَعَيْرُكَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا تَجَلُّدًا

(١) الجذل : الفرح والسرور ، وأعتبه اذا منحه العتي أي الرضا وقبل عذره

(٢) جمع عزيز ، ويجوز « أعنة » جمع عنان « أحمد يوسف نجاشي »

فَأَتَمُّ لَوَاءِ الدِّينِ لَا زَالَ قِيَمًا
 بَارَائِكُمْ فِي ظُلْمَةِ الْخَطْبِ يُهْتَدَى
 لِيَهْنِكُمْ مَجْدٌ تَلِيدٌ^(١) بَنَيْتُمْ
 أَغَارَ سَنَاءٍ فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا
 وَمِثْلُهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - يُسْتَمَرُّ إِبْرَاقُهُ فَيُثْمِرُ
 جَنَاهُ ، وَيُسْتَمَطَّرُ إِبْرَاقُهُ فَيُمْطَرُ حَيَاهُ^(٢) ، وَلَا سِيَمًا أَنَّى نَشَأَتْ
 حَفَهَا إِحْسَانُ أَوَائِكَ الطَّاهِرِينَ . وَالْفَهَا إِنْعَامُ أَكْبَرِكَ
 الْأَخْيَارِ الطَّيِّبِينَ ، وَجَدِيرٌ بِقَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ، وَبِرِّكَ
 وَإِجْمَالِكَ ، مَنْ أَصْلُهُ ثَابِتٌ فِي أَهْلِ مَحَبَّتِكُمْ ، وَفَرْعُهُ
 ثَابِتٌ فِي خَاصَّتِكُمْ .
 وَمَا رَغَبْتِي فِي عَسَجِدٍ أَسْتَفِيدُهُ
 وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ^(٣)

(١) التليد القديم الثابت ضد الطريف (٢) الجنى مايجنى من الثمر والحب
 الفيت (٣) هذه الايات من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها كافورا
 الأخشيدي سنة ٣٤٦ أوها :

أود من الأيام مالا توده وأشكو اليها بينا وهي جنده
 وقد أتى بها الكاتب هنا بغير نظامها في قصيدة أبي الطيب ، والمسجد : الذهب
 فهو يقول : انه لا يرغب في مال يناله ، فمطلبه في الاتصال به فوق ذلك وأسمى

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِذَةٌ^(١)
 فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُحْسِنًا كَمُجَرَّبٍ
 يَبِينُ لَكَ تَقَرُّيبُ الْجَوَادِ وَشَدَّةُ^(٢)

فانه يريد مفعرا يشرف به « ومنه يأتي الغنى والمال الجم » فقد كان يطلب
 منه عملا وأن يولييه ولاية . وهذا كقول الوزير المهلي :
 ياذا اليمينى لم أزرك ولم أحبك من خلّة ولا عدم
 زورك فى همة منازعة الى جسيم من غاية المهم
 ومثله له أيضا .

لم تزرني أباعلى سنو الجدد بعوندى بعدالكفاف فضول
 غير أنى باغى الجليل من الأم روعند الجليل يبنى الجليل
 ومثله لأبى تمام :
 ومن خدم الاقوام يبنى نوالهم فانى لم أخدمك الا لاخدما
 وله أيضا :

يار بما رفعة قد كنت آملها لديك لافضة أبغى ولاذهبا
 ومثله قول صاحب بن عباد :
 نسانلكم هل من قرى ليزيلكم بعلء جفون لا بلاء جفان ؟
 وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فى قوله :

وسرت اليك فى طلب العالى وسار الناس فى طلب العاش
 (١) هذا قريب من بيت صاحب المتقدم - والند: المثل والنظير، يقول ان
 نظرك الى نظير كل نوال آخذه منك أو أخذته (٢) التقريب: ضرب من
 عدو الفرس ، وقرب الجواد اذا رفع يديه معا ووضعها معا فى العدو ،

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ

فَإِمَّا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)

وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ

إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَمْدُهُ (٢)

وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَطَوَّلَ مَوْلَايَ بَغْرَسِ الصَّنِيعَةِ فِي

وهو دون الحضر ، والشد : العدو - يقول جر بنى فى اصطناك اياى ليين لك ائى موضع الصنعة وأهلها - وإنما يعرف الجواد بتجربته فيظهر تقريره من عدوه . أو جر بنى ليظهر لك عظيم أمرى وصغيره وتقف على كل أحوالى فلما أن تقر بنى وتعطئنى ، واما أن تبعدى أن لم أكن أهلا لاصطناك فلا فضل بينى وبين غيرى ان لم تجربننى وتجبر جلية أمرى (١) ففاه وفناه بالتحفيف والتشديد أى بعده ، وبلاء اذا جر به واختبره . يقول اذا جر بت السيف بان لك جوهره ، وعرفت صلاحه من فساد ، فلما أن تلقيه لانه كهام غير صارم ، واما اخترته ليكون عدة لك فى الحروب لانه حسام قاض ولافضل للسيف الماضى على غيره مادام خيئاً فى غمده لم تبله التجربة (٢) هذا البيت يوضح ما قبله ، والهندي القاطع من ضرب الهند ، والنجاد حمائل السيف . يقول ان السيف العضب والصارم الماضى يكون كغيره من كل سيف كليل كهام مادام كامناً فى غمده ، لم تميزه عما عداه التجربة والعمل به وإنما يعرف مضاه اذا استل من غمده وجرب ، وأنا كذلك اذا لم تظهر التجربة قدرى كنت كغيرى ، ولم يعرف ما عندى ولم تظهر كفايتى وغنائى وهذا تقاض للولاية باللطف وضرب الامثال وحسن الطلب ، وهو من قول أبى تمام :

لما اتضيتك للخطوب كفيها والسيف لا يكهيك حتى ينتضى

أَزْكَى التَّرْبِ (١) ، وَوَضَعَ الْهِنَاءَ مَوْضِعَ النُّقْبِ (٢) وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ يُبْقِي مَوْلَايَ آخِذَا بِرِمَامِ الْفَخْرِ ، نَاهِضًا بِأَعْبَاءِ
 الْبَرِّ ، مَالِكًا لِأَعْتَةِ الدَّهْرِ ، وَصَنَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِسَيِّدِي
 أَتَمَّ الصَّنْعِ وَأَجْمَلَهُ ، وَأَفْضَلَهُ وَأَكْمَلَهُ . بِمَنَّةِ لَارِبٍ
 سِوَاهُ . اُنْتَهَى .

« رَجَعَ إِلَى أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ الْكَبِيرِ » مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ سجن المصطفى
 - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَكُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ
 الْحَاجِبِ الْمُصْحَفِيِّ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَتْبَاعِهِ .

(١) التطول: الانعام والامتنان ، وترية زاكية أى أرض جيدة يزكو فيها
 النبات (٢) هذا مثل عربى ، الهناء القطران ، وهنأ الابل يهنأها « مثلثة
 النون » طلاها بالهناء - والنقب جمع نقبة وهى أول جرب يبدأ فى البعير
 لأنها تنقب الجلد أى تثقبه وتحرقه ، فان لم تعالج بالقطران « الهناء » تمنت
 فى جسم البعير كاه حتى تشربه « تملأه » - ويقال - هو يضع الهناء
 مواضع النقب ، اذا كان خيرا ماهرا ومجربا مصيبا ومسددا يضع الأمور
 فى مواضعها . قال دريد بن الصمة فى الحناء من أبيات :

متبذلا تبسو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

والنقب أيضا هذه الفرحة التى تخرج فى جنب البعير أو الجرب ، وهو فى
 بيت دريد بضم النون وسكون القاف مفردا بمعنى ثقب أو جمعا ، وفى الأصل
 « النوب » بدل « النقب » وهو تصحيف . « أحمد يوسف نجاشى » .

« قَالَ » صَاحِبُ كِتَابِ « رَوْضَةِ الْأَزْهَارِ وَبَهْجَةِ
النُّفُوسِ وَزُحْرَةِ الْأَبْصَارِ » وَلَمَّا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
بِسِجْنِ الْمُصْحَفِيِّ فِي الْمَطْبِقِ بِالزَّهْرَاءِ وَدَعَا أَهْلَهُ وَوَدَّعُوهُ
وَدَاعَ الْفُرْقَةَ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : لَسْتُ تَرَوْنِي بَعْدَهَا حَيًّا ، فَقَدْ
أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ ، وَمَا كُنْتُ أَرْتَقِيهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ
سَنَةً ؛ وَذَلِكَ أَنِّي شَارَكْتُ فِي سِجْنِ رَجُلٍ فِي عَهْدِ النَّاصِرِ
وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا رَأَيْتُهَا ، بِأَنْ قِيلَ لِي : أَطْلِقْ فَلَانًا
فَقَدْ أُجِيبْتُ فِيكَ دَعْوَتُهُ ، فَأَطْلَقْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ
عَنْ دَعْوَتِهِ عَلَيَّ ، فَقَالَ : دَعَوْتُ عَلَى مَنْ شَارَكَ فِي أَمْرِي
أَنْ يُعَيِّتَهُ اللَّهُ فِي أَصْبَقِ الشُّجُونِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهَا قَدْ أُجِيبَتْ
فَإِنِّي كُنْتُ يَمُنُّ شَارَكَ فِي أَمْرِكَ ، وَتَدِمْتُ حِينَ لَا يَنْفَعُ
النَّدَمُ ، فَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِهَذِهِ
الْآيَاتِ :

هَبْنِي أَسَأْتُ فَأَيَّنَ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ ؟

يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَّا
 تَرِنِي نَشِيخَ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ؟ !
 بِاللَّتِ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفَحَ مُقْتَدِرٍ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَمُوا رَحِمُوا
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ بِأَيَّاتِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ (١) :
 يَا جَاهِلًا بَعْدَ مَا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ
 تَبْنِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكُرُمُ
 نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَعُدْ مِنِّي بِطَائِلَةٍ
 وَقَلَمًا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
 نَفْسِي إِذَا جَمَعَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ
 وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 فَبَقِيَ فِي الْمَطْبِقِ حَتَّى مَاتَ - نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ دَعْوَةِ
 الْمَظْلُومِ - . اُنْتَهَى .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ زِيَادَةً حَسْبَمَا

(١) تقدم شرح هاتين القطعتين ، وترجمة الوزير عبد الملك الجزيري .

ذَكَرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَحَلِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَاتَ لِلْمَنْصُورِ
وَهَذَا الْمُورِّخُ مُصَرِّحٌ بِأَنَّهَا لِيَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ ، وَقَدْ
يُقَالُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْمَنْصُورَ أَجَابَ بِالْآيَاتِ ، وَهَلْ
هُوَ قَائِلُهُمَا أَمْ لَا؟ الْأَمْرُ أَعْمُ^(٢) ، فَبَيَّنَ هُنَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
« وَقَالَ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ » إِنَّ الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ
حَصَلَ لَهُ فِي هَذِهِ النَّكْبَةِ مِنَ الْهَلَعِ^(٣) وَالْجَزَعِ مَا لَمْ
يُظَنَّ أَنَّهُ يَصْدُرُ مِنْ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقْعُدَ فِي دِهْلِيْزِهِ مُعَلِّمًا لِأَوْلَادِهِ
فَقَالَ الْمَنْصُورُ :- بَدَاهَنِي وَحَذَقَنِي - إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ أَنْ
يَحُطَّ مِنْ قَدْرِي عِنْدَ النَّاسِ ، لِأَنَّهُمْ طَالَمَا رَأَوْنِي بِدِهْلِيْزِهِ
خَادِمًا وَمُسَلِّمًا^(٤) ، فَكَيْفَ يَرَوْنَهُ الْآنَ فِي دِهْلِيْزِي مُعَلِّمًا؟
وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَذْهَبُ بِهِ بَعْدَ نَكْبَتِهِ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ،

(١) فِي بَعْضِ الذِّخْرِ « أَعْمَى » أَيْ مَبْهُمٌ غَيْرُ مَبِينٍ (٢) الْهَلَعُ : الْجَزَعُ وَقَوْلُهُ
الصَّبْرُ ، أَوْ هُوَ أَخْفَشُ الْجَزَعِ وَأَسْوَأُهُ ، وَالْهَلُوعُ هُوَ مَنْ يَجْزَعُ وَيَفْزَعُ مِنْ
النَّوَازِلِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى تَحْمِلِ الْمَصَائِبِ (٣) فِي الْأَصْلِ « وَمُعَلِّمًا » وَهُوَ تَكَرَّرَ
مَعَ مَا بَعْدَهُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَافِي »

حَتَّى إِنَّهُ حَكَى بَعْضَهُمْ أَنَّهُ رَأَى الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ فِي
 أَيْلَةٍ نَهَى الْمَنْصُورُ فِيهَا النَّاسَ عَنْ إِقَادِ الثِّيَرَانِ تَعْمِيَةً عَلَى
 الْعَدُوِّ الْكَافِرِ وَهُوَ يَنْفُخُ فَحْمًا فِي كَانُونٍ صَغِيرٍ وَيُخْفِيهِ
 تَحْتَ ثِيَابِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَسُبْحَانَ مُدِيلِ ^(١) الدُّوَلِ ! لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ ، فَإِنَّ هَذَا الْمُصْحَفِيَّ بَلَغَ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْعَظَمِ وَالْتِحَكُّمِ
 فِي الدُّوَلَةِ الْمُدَّةَ الْمَدِيدَةَ أَمْرًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ وَارِثُ
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

« وَلَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ » أَنَّ مِنْ أَعَاجِبِ
 انْقِلَابِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا قِصَّةَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَعَ
 الْحَاجِبِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ . وَلَمْ يَزَلْ أَعْدَاءُ الْمَنْصُورِ
 ابْنَ أَبِي عَامِرٍ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ الدَّوَائِرَ ^(٢) ، فَغَلَبَ سَعْدُهُ الَّذِي

(١) أدال الله الدولة: نقلها، وجعلها في غير من كانت له ، وفي بعض النسخ
 « مزيل » (٢) الدائرة: السوء والشر والهزيمة ، وفي القرآن الكريم :
 « ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء » ، وقوله تعالى : « يقولون
 نخشى أن نصيبنا دائرة » ، ويقال : الدوائر تدور ، والدوائر تدول
 - وتربص الشيء : انتظره وترقبه « أحمد يوسف نجاتي »

هُوَ الْمَثَلُ السَّائِرُ ، وَرُبَّمَا هَمَسَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِهَجْوِهِ وَهَجْوِ
الدَّوْلَةِ جَمِيعًا إِذْ قَالَ :

اقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ

وَكُلُّ مَا تَحْذَرُهُ قَدْ أَتَاكَ^(١)

خَلِيفَةٌ يَلْعَبُ فِي مَكْتَبِ

وَأُمُّهُ حُبْلَى ، وَقَاضٍ يُنَاكَ

يَعْنِي بِالْخَلِيفَةِ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ لِكَوْنِهِ كَانَ صَغِيرًا ، وَأُمُّهُ
صَبِيحُ الْبَشْكَنْسِيَّةِ^(٢) كَانَ الْأَعْدَاءُ يَتَّهِمُونَ بِهَا الْمَنْصُورَ ،
وَذَلِكَ بُهْتَانٌ وَزُورٌ ، وَأَفْطَحُ مِنْهُمْ رَمِيَهُمُ الْقَاضِي بِالْفُجُورِ ،
وَاللَّهُ عَالِمُ بَسْرَائِرِ الْأُمُورِ ، وَلَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ السِّنَةِ الشُّعْرَاءِ
الَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً^(٣) ، وَيُطْلِقُونَ السِّنَتَهُمْ فِي
الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْمَةِ :

(١) من قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » وفي الاصل « اقترب
الوقت » (٢) سبق القول في « البشكنس » وفي السيدة صبح - وفي
الاصل « البشكنسية » مصحفا محره « أحمد يوسف نحاس » :
(٣) الاال: العهد والحلف والقرابة ، ومنه قوله تعالى : « لا يرقبون في مؤمن
لا ولا ذمة » ، والال: كل ماله ذمة وحق وحرمة كالقرابة والرحم والجوار
والعهد ، وهو من ألت اذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه ولم تضعه

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِدًا

لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ^(١)

جَدِيرٌ بِالْأَلَا يُدْرِكُ مَا يُؤْمَلُ وَيَتَطَلَّبُ ، لِأَنَّهُ يَعْتَرِضُ
عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَحْكَامِهِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ يَجَاهِ نَبِينَنَا عَلَيْهِ أَزْكَى صَلَوَاتِ اللَّهِ وَأَفْضَلُ
سَلَامِهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَخْدُمُ
أَوَّلًا جَعْفَرَ بْنَ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ مُدَبِّرَ مَمْلَكَةِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ
وَيُرِيهِ النُّصِيحَةَ ، وَأَنَّهُ مَازَالَ يَسْتَجْلِبُ الْقُلُوبَ بِجُودِهِ
وَحُسْنِ خُلُقِهِ ، وَالْمُصْحَفِيُّ يُنْفَرُهَا بِخُلُقِهِ وَسُوءِ خُلُقِهِ ، إِلَى

(١) هذا بيت للثعني من قصيدة في مدح كافر أولها:

أَغْلَبَ فِيكَ الشُّوقُ وَالشُّوقُ أَغْلَبَ

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا الْمَجَرِّ وَالْوَمَلِ أَعْجَبَ

ثم قال : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا الخ ، يقول ان أشد الظلم وأقبحه
أن يحسد المرء كريما أنعم عليه ، ومنعما يتقلب في احسانه ، فهو يعيش رافلا
في حلال نعمه ، ومع هذا يبيت حاسدا له ، ولن تخرج النفس الحيثة من
الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها . هذا وفي بعض للراجح لم يأت
بالبيت ، بل أخذ بعضه فقال : ومن كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
جدير الخ - وما هنا يكون « جدير » خبرا مبتدأ محذوف ، أي فهو جدير
الخ أو والحاسد جدير ونحو ذلك . « أحمد يوسف نجاتي » .

أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَاسْتَوَلَى عَلَى الْحِجَابَةِ وَسَجَنَ
الْمُصْحَفِي ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُصْحَفِي :

غَرَسْتُ قَضِيْبًا خِلْتُهُ عُودَ كَرَمَةٍ

وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْخَوَادِثِ قِيَمًا

أَكْرَمُهُ دَهْرِي فَيَزْدَادُ خُبْنُهُ

وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ تَكَرَّمَا

وَلَمَّا يَتَسَّ الْمُصْحَفِيُّ مِنْ عَفْوِ الْمَنْصُورِ قَالَ :

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَبْلُغَهَا

فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مِتُّ

لَوْ قَابَلْتَنِي الْأَسَدُ ضَارِيَةً^(١)

وَالْمَوْتُ لَمْ يَقْرُبْ لَمَّا خِفْتُ

فَانْظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ

فِي مِثْلِ حَالِكَ أَمْسٍ قَدْ كُنْتُ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا نَعَى بِهِ نَفْسَهُ قَوْلُهُ - حَسْبَمَا تَقَدَّمَ :

شئ من شعر
المصحفى

(١) أى متعودة الصيد والافتراس ، وكأب ضار بالصيد اذا تطعم بلحمه

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ ! كَيْفَ اغْتِرَافُهُ
وَالنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ ؟
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْمَعُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَأَقَّتْ ، وَإِلَّا نَسَلَتْ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدُّلِّ دَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا نُمٌّ وَلَتْ
وَأَنْشَدَ لَهُ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ - وَنَسَبَهَا غَيْرُهُ لِأَحْمَدَ بْنِ
الْفَرَجِ صَاحِبِ الْخُدَائِقِ ^(١) :
كَلَّمْتَنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ
فَتَأَمَّلْتُ عِقْدَهَا هَلْ تَنَازَرُ ^(٢) ؟

(١) تقدم شرح الأبيات الماضية، كما سبق ترجمة أحمد بن الفرج
(٢) تشبيهه قد أحسن التصرف فيه، ونقل تشبيه الحديث والثغر بالدر من

فَازِدَهَا مَا تَبَسُّمٌ ، فَأَرْتَنِي
نَظْمٌ دُرٌّ مِنْ التَّبَسُّمِ آخَرُ
وَلَهُ كَمَا مَرَّ (١) :

صَفَاءُ تُطْرِقُ فِي الزَّجَاجِ ، فَإِنْ سَرَتْ
فِي الْجَسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍ لَادِغٍ
خَفِيَتْ عَلَى شُرَاهَا فَكَأَنَّمَا
يَجِدُونَ رِيًّا مِنْ إِنْاءٍ فَارِغٍ

الابتدال لشهرته الى الغرابة بهذا الخيال البديع والتصرف الحسن . وهو
من قول البحترى :

ولما التقينا والقا موعد لنا تعجب رائي بالرحسنا ولا فطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
والصحنى قد زاد أن ربط التبسم الذى أظهر تفرها بالحديث الذى كلمته
به اذ جعل تبسمها ناشئا عن اعجابها بسروره من حديثها واعجابها به
حتى التبس عليه دره بدر عقدها ، فجعل الدرين منتظمين فى عقد ملتصقين
فى نسق ، والبحترى قد أحسن الصياغة أيضا وان سلك طريقا آخر
بديعا . والبيت الأول مثل قول حمدونة الأندلسية فى وصف حصاة روض
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ومن اللطيف فى ذلك قول الآخر :

وتحيرت أحسب الثغر عقدا لىلى وأحسب العقد ثغرا
فلنمت الجميع قطعنا لشكى وكذا فعل كل من يتحجرى
وازدهاها ، وزهاها ، أى استخفها وحملها على الزهو أى الاعجاب والتهيه .
« أحمد يوسف نجاشى » (١) سبق شرح البيتين

وَلَهُ :

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي
لَمْ أَجْرِهِ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذُنِي

وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ بَدَائِعِ التَّشْبِيهَاتِ :

سَأَلْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ يَنْقُضِي الدَّجَى

فَخَطَّتْ جَوَابًا بِالْثَرَيَّا كَخَطِّ لَا ؟

وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي بِآخِرِ لَيْلَتِي

فَأُطْرَقَ حَتَّى خِلْتُهُ عَادَ أَوَّلًا^(١)

وَمَا عَن هَوَى سَامَرُئِهَا ، غَيْرَ أَنِّي

أَنَا فِيهَا الْمَجْرَى إِلَى طُرُقِ الْأَمَلَا

انْتَهَى

(١) أطرَق عليه الليل « والأكثر أطرَق على وزن افعل » اذا تراكم ظلامه وركب بعضه بعضا ، أو استعار أطرَق الليل من أطرَق الرجل اذا سكت وأغضى وأقبل ببصره الى صدره ساكنا لا يتحرك . ونطارق الظلام : تنابع . هذا ويصح أيضا « فأطبق » أى عم ظلامه وشمل الكون ، وأطبقت نجومه أى كثرت غير متحركة ، ويقال بات يرعى طبق النجوم أى يرعاها ويرقب حالها في مسيرها . هذا وقد أحسن الصحنى في تشبيه الثريا ، وفي حسن تعليله لسهره في البيت الثالث . « أحمد يوسف نجاشى »



للمصحف المئاني
بقرطبة

« رَجَعُ » وَكَانَ - كَمَا تَقَدَّمَ - بِقُرْطَبَةِ الْمُصْحَفِ الْعُمَانِيِّ
وَهُوَ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ « أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ » ، قَالُوا ثُمَّ آتَى أَمْرُهُ إِلَى
الْمُوحِّدِينَ ، ثُمَّ إِلَى بَنِي مَرِّينَ . قَالَ الْخَطِيبُ أَبُو مَرْزُوقٍ (١)
فِي كِتَابِ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مَا مُلَخَّصُهُ : وَكَانَ السُّلْطَانُ
أَبُو الْحَسَنِ لَا يُسَافِرُ مَوْضِعًا إِلَّا وَمَعَهُ الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ
الْعُمَانِيُّ ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ كَبِيرٌ ،
وَكَيْفَ لَا ؟ قَالَ أَبُو بَشْكُوَالٍ : أَخْرَجَ هَذَا (٢) الْمُصْحَفُ
الْعُمَانِيُّ مِنْهَا - أَيُّ قُرْطَبَةَ - وَغُرَبَاءَ عَنْهَا ، وَكَانَ بِجَمِيعِهَا
الْأَعْظَمَ - لَيْلَةَ أَلْسَبَتِ الْخَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ » بَدَلُ « مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ »

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْزُوقِ الْعَبْدِيِّ ، كَانَ
خَطِيبًا مَشْهُورًا ، وَاسْتَوْرَده السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمِ الرِّبَيعِيِّ لِلتَّوْفِيقِ سَنَةَ ٧٦٢
وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ زِمَامُ دَوْلَتِهِ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَّاتِي » . (٣) فِي الْأَصْلِ
« وَيُقَالُ إِنَّ ابْنَ بَشْكُوَالٍ أَخْرَجَ هَذَا الْمُصْحَفَ » الخ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ
مُفْسَدَةٌ وَظَلَمٌ لِبَنِي بَشْكُوَالٍ لِلْوُرْخِ الَّذِي قُصَّ عَلَيْنَا حَدِيثُ أَخْرَاجِ الْمُصْحَفِ
مِنْ قُرْطَبَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَمَّا نَقْلُهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ . وَتَقَدَّمَ تَرْجُمَةُ خَلْفِ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْكُوَالٍ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٩٤ هـ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٨ هـ .
وَهُوَ ثِقَةٌ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَمَعْرِفَةِ رَجَالِهَا ، وَاسِعَ الرِّوَايَةِ عَظِيمَ الدِّرَايَةِ
وَالْإِسْلَامِ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِمَدِينَةِ قُرْطَبَةَ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَّاتِي » .

وَحَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فِي أَيَّامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ
وَبِأَمْرِهِ ، وَهَذَا أَحَدُ الْمَصَاحِفِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا
عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - إِلَى الْأَمْصَارِ : مَكَّةَ ، وَالْبَصْرَةَ ،
وَالْكُوفَةَ ، وَالشَّامَ . وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ فِيهِ دَمَ عُثْمَانَ بَعِيدٌ ،
وَإِنْ يَكُنْ أَحَدَهَا فَلَعَلَّهُ الشَّامِيُّ ، قَالَ ^(١) ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ التَّجِيبِيُّ السَّبْتِيُّ : أَمَّا الشَّامِيُّ فَهُوَ بَاقٍ
بِمَقْصُورَةٍ جَامِعِ بْنِ أُمَيَّةَ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَعَايِنْتُهُ
هُنَاكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، كَمَا عَايَنْتُ الْمَكِّيَّ
بِقُبَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَهِيَ قُبَّةُ الشَّرَابِ ^(٢)

(١) وفي نسخة « قاله » (٢) وفي نسخة « قبة التراب » وقد
نقل هذا النص صاحب كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى قال :
« قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي : أما الشامي فهو باقٍ
بِمَقْصُورَةٍ جَامِعِ بْنِ أُمَيَّةَ بِدِمَشْقَ ، وَعَايِنْتُهُ هُنَاكَ سَنَةَ ٦٥٧ كَمَا عَايَنْتُ الْمَكِّيَّ
بِقُبَّةِ الشَّرَابِ ، قَالَ فَلَعَلَّهُ الْكُوفِيُّ أَوِ الْبَصْرِيُّ » قال الخطيب ابن مرزوق
في كتاب المسند الصحيح الحسن : اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من
الأندلس فألفيت خطهما سواء .. الى قوله .. على كتب المصحف . اهـ »
وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما سقف الجامع بعد أن فرغ من
بناؤه قد جعل باطن أسقفه مبطنا بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس
بعدك في حليه كل سنة فيخشي أن يخرب سريعا ، فأمر الوليد أن يسقف
بالرصاص ، وأن يجمع الرصاص الذي في البلاد جهد الطاقة ليجعله عوض
الطين ، فوصل اليه ، ونقى موضع لم يجد له رصاصا ، فكتب الى عماله يحرضهم

« قُلْتُ » عَايَتُهُمَا مَعَ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ وَقَرَأْتُ فِيهِمَا . قَالَ النَّخَعِيُّ : أَعْلَهُ الْكُوفِيُّ أَوْ
الْبَصْرِيُّ ، وَأَقُولُ : اخْتَبَرْتُ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ وَالَّذِي نُقِلَ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَلْفَيْتُ خَطَّهُمَا سَوَاءً ، وَمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ أَنَّهُ
خَطَّهُ يَمِينِهِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَلَمْ يَخُطْ عُثْمَانُ وَاحِدًا

على طلبه ، فكتب اليه بعضهم : انا وجدنا عند امرأة يهودية شيئا منه
كثيرا قد ورثته ، وأبت أن تبيعه الا بوزنه فضة ، فأمر الوليد بشرائه
بما قالت ، فلما رأت المرأة الاسرائيلية ذلك قالت : هو هدية منى للجامع
فانى أحب أن يكون لى فيه شىء فى حب الله تعالى ، فقد كنت أظن أن
صاحبكم يظلم الناس فى بنائه ويأخذ أموالهم ، ولكنى رأيت منكم الوفاء
وعلمت أن صاحبكم مخلص فى بنائه صادق فى حب الله تعالى . ويقال انه
كتب على الرصاص الذى أهدته تلك الاسرائيلية المحسنة « لله » مطبوعا . هذا وفى
سنة ٩٢٢ حدث ملك الشام نفسه أن فى القبة الغربية فى محن المسجد مالا
ففتحها فلم يجد غير أوراق مكتوبة بالخط الكوفى من القرآن الكريم
وهى نسخ جزيلة ، فأخذ الناس بعض ذلك وأعادوا الباقي . وكان لا يزال
الى أوائل هذا القرن الهجرى بعض قطع من المصاحف الشريفة بتلك القبة
التي فى محن الجامع بالقلم الكوفى ، ولكنها ما لبثت أن حلت الى الآستانة
كأها ولم يبق منها شىء ، وفى سنة ١٣١١ احترق المسجد ولم يبق فيه شىء
من الآثار ، وفى أواخر عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله اقترحت الحكومة
الألمانية على الحكومة التركية بمشورة بعض المستشرقين الألمان أن تفتح
القبة التى فى الشمال الغربى من محن المسجد ، فوجد فيها بعض الصكوك
والمصاحف الشريفة وبعض المخطوطات القديمة . « أحمد يوسف نجاشى »

مِنْهَا، وَإِنَّا جَمَعْنَا عَلَيْهَا بَعْضًا مِنَ الصَّحَابَةِ - كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَدَنِيِّ، وَنَصُّ مَا عَلَى ظَهْرِهِ : هَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي . وَذَكَرَ الْعَدَدُ الَّذِي جَمَعَهُ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - عَلَى كَتَبِ الْمُصْحَفِ . أَتَتْهُ . وَأَعْتَى بِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُوَحِّدُونَ يَحْمِلُونَهُ فِي أَسْفَارِهِمْ مُتَبَرِّكِينَ بِهِ إِلَى أَنْ حَمَلَهُ الْمُعْتَصِدُ ^(١) وَهُوَ السَّعِيدُ عَلِيُّ بْنُ الْأَمْتُونِ أَبِي الْعَلَاءِ

(١) اليك خلاصة تاريخ الخلفاء من الموحدين وأخبار تنقل المصحف الشريف. لما توفي المهدي سنة ٥٢٤ قام بالأمر بعده عبد المؤمن بن علي الكومي « من كومية : قبيلة بربرية هم بنو عم زناتة » وتسمى سنة ٥٢٨ بأمر المؤمنين ، وتوفي سنة ٥٥٨ فتولى الأمر بعده ابنه أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفي سنة ٥٨٠ فبويغ ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفي سنة ٥٩٥ فبويغ لولده أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب النصور بالله ، وتوفي سنة ٦١٠ فبويغ ابنه أبو يعقوب يوسف المنتصر بالله ، وتوفي سنة ٦٢٠ فبويغ للسيد أبي محمد عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن ، ولكنه خلع وتوفي سنة ٦٢١ وبويغ لأبي محمد عبد الله العادل بن النصور يعقوب ، وتوفي سنة ٦٢٤ فبويغ لأبي العلاء إدريس الأمون بن يعقوب النصور ، وتوفي سنة ٦٢٩ فبويغ ابنه

الرشيد عبدالواحد، وتوفي سنة ٦٤٠ فبويج أخوه لآليه أبو الحسن على السعيد بن المأمون بن المنصور « وهو هذا الملقب بالمتعبد بالله » وكان يغمراسن بن زيان الزناتى قد اقتطع المغرب الأوسط وأقام به الدعوة الحفصية فأراد السعيد أن يخلصه منه، فصار إليه بحبوشه ونهض من مرا كشر آخر سنة ٦٤٥ وقصد أولا يريد مكناسة لحرب بني مرين وكانوا قد تغلبوا على ضواحي المغرب، فلما انتهى من أمرهم عسكر بظاهر فاس، ثم ارتحل عنها في المحرم سنة ٦٤٦ يريد تلمسان، وبينما كان محاصرا لها وقضى الخناق عليها ركب مهجرا في وقت القيولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويستقرى مكانها، فبصر به فارس من بني عبدالواد يعرف بيوسف الشيطان كان بأسفل الجبل « الذى اعتمده السعيد بعسا كره » منيخا في ساحة القلعة بقصد الحراسة، واتفق أن يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب ابن جابر كانا قرييين منه، فعرفوا السعيد فائقضوا عليه من بعض الشعب أمثال العقبان، وطمع يوسف الشيطان فكبه عن فرسه، ثم استلحموا مواليه وبعض أولاده، وذلك في أواخر شهر صفر سنة ٦٤٦ وقضى السعيد نحبه من جراحه، وانهب للعسكر وما فيه، واستولى بنو عبدالواد على ما كان فيه من الأسلاب والغنائم والأثاث الثمين، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خاصة دون قومه، واستولى على الذخيرة التى كانت فيه ومنها هذا المصحف الشريف الذى يقال انه أحد المصاحف التى نسخت في عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه، وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل، ثم صار في ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس، ثم صار الى ذخائر للوحدين من يد لمتونة، فانتقل في هذه الحادثة الى زيان بنى عبدالواد ملوك تلمسان، ثم صار الى بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان، وذلك عند غلب السلطان أبى الحسن المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧ فحمل المصحف الشريف عنده، فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة، الى أن أصيب في وقعة طريف الى آخر ما هنا . وفي سنة ٧٥٠ ركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس قافلا

الى الغرب بعد استيلائه على افريقية - وكان ذلك في امان ثورة البحر
وهياجه - ففرقت مرا كبه وهلكت نفوس كثيرة، وفقدت نفائس يعز وجود
مثلها، ومن ضمنها هذا المصحف الكريم، فاستأثر البحر به، وكان ذلك
آخر عهد المغرب يركته. ولما توفي أبو الحسن السعيد عقد الموحدون البيعة
لأبي حفص عمر بن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ولقب
بالمرتضى، واستوزر أخاه السيد أبا اسحق الذي كان وزيراً لأيهما السعيد
من قبل وأسند اليه أمره، وفي أيام المرتضى هذا استولى أبو بكر بن
عبد الحق أمير بني مرين على أكثر بلاد المغرب، واستفحل أمر بني مرين
وقويت شوكتهم، ثم كانت خطوب لحقت المرتضى حتى قتل سنة ٦٦٥.
فبويع لابن عمه أبي العلاء ادريس «اللقب بالواثق والمكشي بأبي دبوس»
ابن السيد أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، وبعد
حروب وحوادث قتل أبو دبوس في آخر سنة ٦٦٧ واستولى بنو مرين
على مرا كش، وفر الموحدون الذين كانوا بها الى جبل تينمل فبايعوا
اسحق بن أبي ابراهيم أخا المرتضى، فبقي الى سنة ٦٧٤ فاستولى على الأمر
يعقوب بن عبد الحق الريني، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن، وذهبت محاسن
مرا كش يومئذ بذهاب دولتهم، والملك لله يؤتبه من يشاء. وكان السلطان
المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق سيد بني مرين، ودامت أيامه حتى توفي
سنة ٦٨٤ وقام بالأمر بعده السلطان الناصر لدين الله ابنه يوسف، وتوفي
سنة ٧٠٦ فقام بالأمر بعده السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
ابن يعقوب بن عبد الحق، وتوفي سنة ٧٠٨ فتولى بعده السلطان أبو الربيع
سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، وتوفي
سنة ٧١٠ فقام بالأمر بعده السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد
الحق، وتوفي سنة ٧٣١ فقام بالأمر بعده السلطان المنصور بالله أبو الحسن
على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وهو أرقى ملوك بني مرين وأعزهم
سلطاناً وأضخمهم ملكاً وأعظمهم أمة، وأكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس
وكان الفرنج قد استردوا بعض بلاد الاندلس وثغورها فاستعادها السلطان

إِذْ رِيسَ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ حِينَ تَوَجَّهَ لِتِلْمَسَانَ آخِرَ
سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَقُتِلَ قَرِيبًا مِنْ تِلْمَسَانَ
« وَقَدَّمَ ابْنَهُ إِزَاهِيمُ ثُمَّ قُتِلَ » وَوَقَعَ النَّهْبُ فِي الْخَزَائِنِ
وَأُسْتُوِلَتِ الْعَرَبُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى مُعْظَمِ الْعَسْكَرِ ، وَنَهَبَ
الْمُصْحَفُ وَلَمْ يُعْلَمْ مُسْتَقَرُّهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ فِي خِزَانَةِ مُلُوكِ
تِلْمَسَانَ . قُلْتُ لَمْ يَزَلْ هَذَا الْمُصْحَفُ فِي خِزَانَةِ
بَنِي عَبْدِ الْوَادِ مُلُوكِ تِلْمَسَانَ إِلَى أَنْ افْتَتَحَهَا إِمَامُنَا أَبُو الْحَسَنِ
أَوَّخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَظَفَرَ
بِهِ وَحَصَلَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أُصِيبَ فِي وَقْعَةِ طَرِيفٍ ، وَحَصَلَ
فِي بِلَادِ بُرْتُقَالٍ ، وَأَعْمَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْحِيلَةَ فِي اسْتِخْلَاصِهِ

أبو الحسن، وقد تقدم بيان ذلك وأنهم استولوا على جبل الفتح « جبل
طارق » سنة ٧٠٩ فاسترد سنة ٧٣٣ وتقدمت وقعة طريف التي محص
الله فيها المسلمين، وفيها قتل الأمير أبو مالك أمير الثغور الأندلسية ابن
السلطان أبي الحسن سنة ٧٤٠ واحتوى الأعداء على معسكره بما فيه من
أموال وذخائر، وكانت ملوك الفرنج قد احتشدوا وظاهرهم صاحب البرقال
وغرب الأندلس، وأنوا أعمالاً تبرا منها الشهامة وتأنف منها المدينة من
قتل نساء المسلمين وأطفالهم ، وتوفي السلطان أبو الحسن سنة ٧٥٢
وفي دولته ألف الخطيب ابن مرزوق كتابه المسمى « للسند الصحيح
الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن » « أحمد يوسف نجاشي » .

حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَاسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى يَدِ
أَحَدِ تَجَارِ آزْمُورَ^(١) وَأُسْتَمَرَ بِقَاوِهِ فِي خِزَانَتِهِ إِلَى أَنْ
أُسْتُوْلِيَ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةَ . اُنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . وَأَعْتَقَ بِهِ مُلُوكُ
الْمُوحِّدِينَ غَايَةَ الْإِعْتِنَاءِ - كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رُشَيْدٍ فِي رِحْلَتِهِ .
وَلَا بَأْسَ أَنْ أَذْكَرَ كَلَامَهُ بِجُمْلَتِهِ وَالرَّسَالَةَ فِي شَأْنِ
الْمُصْحَفِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَائِدَةِ . وَنَصُّ مَحَلِّ الْحَاجَةِ مِنْهُ :
أَنْشَدَنِي أَخْطِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) ابْنُ بَرْطُلَةَ مِنْ لَفْظِهِ ، وَكَتَبَتْهُ
مِنْ خَطِّهِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ

(١) قال ياقوت : أزْمُورَة « ثلاث ضمات متوالية وتشديد الميم » بلد
بالمغرب في جبال البربر ، اه قلت كذا ضبطها ياقوت ، ولكن المشهور الذي
يؤخذ من قول الشعراء فيها أنها بمد الهَمْزَة ، ومنها الشيخ القدوة أَوْشَعِب
أَيُوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية الورع الزاهد لَمُتْهُ فِي سَنَةِ ٥٦١
وَقِيهِ يَقُولُ صَاحِبُ كِتَابِ الْاِسْتِقْصَاءِ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ :

بدر غدا في سماء المجد مكتملا به علا ذكر آزْمُور في الوطن
وأقول : وآزْمُور هذه هي التي التجأ إليها السلطان للرنضي بن السلطان أبي
الحسن السعيد لما قوى عليه ابن عمه أبو دبوس ، ونزل فيها على صهر له
من بني عطوش كان واليا عليها من قبله وكان متزوجا بابنة الرنضي ،
وَبَنَاحِيَةِ آزْمُور قُتِلَ لِلرَّنْضِيِّ سَنَةَ ٦٦٥ وَكَانَ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ قِبَائِلِ صَنْهَاجَةٍ
« أَحْمَدُ يَوْمُفِ نَجَاتِي » .

(٢) هو أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بن موسى بن سليمان بن علي بن عبد الملك

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَاتِبِ الْخِلَافَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - مِمَّا نَظَّمَهُ وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمَنْصُورُ بِتَحْلِيلِ الْمُصَحَفِ :

وَنَفَلْتُهُ ^(١) مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةً

كَأَنَّهُمْ كَانُوا بِرَسْمِ مَكَاسِيهِ

ابن يحيى بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف الأزدي
من أهل مرسية ولد سنة ٤٨١ وكان شيخا جليلا عالما صالحا ، ورحل الى
المشرق سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وأخذ عن كثير من العلماء ، وعاد الى
مرسية بلده فولى الصلاة بمسجدها الجامع حتى توفى بها سنة ٥٦٣ وابنه
أبو بكر عبد الرحمن كان ذا علم وصلاح ، تولى قضاء مدينة دانية مدة ، وولى
الصلاة بجامع مرسية كآبيه ، وكان حافظا للحديث راوية متقنا ذا حظ عظيم
من الأدب وعلوم اللغة والفقه بليغا نبیلا ، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٥٩٩
بمدينة مرسية . « أحمد يوسف نجاشي » (١) هو أبو عبد الله محمد بن
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي من أهل برشانة
من عمل المرية وسكن مراکش ، ولد سنة ٥٥٠ كان عالما فاضلا ذا عناية
بالآداب رئيسا في صناعة الكتابة خطيبا معقعا بليغا مفوها شاعرا أديبا
واستسكبه السلطان بالمغرب سنة ٥٨٦ فدل على كفاية ، ونال دنيا عريضة
وجاه عظيما ، وتوفى بمراكش سنة ٦١٨ . وابنه أبو القاسم عبد الرحمن
ابن محمد كان فقيها فاضلا ، ولى قضاء مرسية وغرناطة وغيرها ، كان كآبيه
خطيبا معقعا ولسنا بليغا ، ولد سنة ٥٨١ وتوفى سنة ٦٣٦ بمدينة مالقة .
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) نفله أى نفلك الله اياه ووهبه لك وآتركه به
ويمحوز أن يقرأ : وَنَفَلْتُهُ مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةً (بإضافة ملك الى ذخيرة)

فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَكَيْفَ يَفُوتُ النَّصْرُ جَيْشًا جَعَلَتْهُ
أَمَامَ قَنَاهُ فِي الْوَعَى وَقَوَاضِيهِ؟
وَأَلْبَسَتْهُ الْيَاقُوتَ وَالذَّرَّ حِلِيَّةً
وَعَيْرَكَ قَدْ رَوَاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ^(١)

* *

وَعَلَى ذِكْرِ هَذَا الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ فَلَنْدُكُرُ كَيْفِيَّةَ الْأَمْرِ
فِي وُصُولِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَمَا أَبْدَى فِي
ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
حَسَبًا أَطْرَفَنَاهُ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو زَكْرِيَّا يُحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
يُحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ طُفَيْلٍ الْقَيْسِيُّ - حَفِظَهُ اللَّهُ
وَشَكَرَهُ - مِمَّا اسْتَفَادَهُ وَأَفَادَهُ لَنَا مِمَّا لَمْ نَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ، عَنْ
كِتَابِ جَدِّهِ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
طُفَيْلٍ الْمَذْكُورِ، مِمَّا تَضَمَّنَهُ مِنْ وَصْفِ قِصَّةِ الْمُصْحَفِ

(١) يشبر الى يوم الدار وحادثه قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه وهو
يقرأ فى المصحف الشريف . « أحمد يوسف نجاتي »

(١١ - نفع الطيب - خامس)

كيف وصل
المصحف الى
دولة الموحدين

فَقَالَ: وَصَلَ إِلَيْهِمْ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَأْيِيدُهُمْ -
 قَمَرًا الْأَنْدَلُسِ النَّيْرَانِ ، وَأَمِيرَاهَا الْمُتَخَيَّرَانِ ، السَّيِّدَانِ
 الْأَجَلَّانِ ، أَبُو سَعِيدٍ وَأَبُو يَعْقُوبَ ^(١) - أَيَّدَهُمَا اللَّهُ - وَفِي
 صُحْبَتِهِمَا مُصْحَفُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -
 وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ مُخْتَلِفٌ ، وَمَا زَالَ يَنْقُلُهُ
 خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ ، وَقَدْ حُفِظَ شَخْصُهُ عَلَى كَثَرَةِ الْمُتَوَالِيْنَ ،
 وَذَخَرَهُ اللَّهُ لِخَلِيفَتِهِ الْمَخْصُوصِ بِمَنْ سَخَّرَ لِحِدْمَتِهِ مِنْ
 الْمُتَدَاوِلِينَ ، وَلَهُ مِنْ غَرَائِبِ الْأَنْبَاءِ ، وَمُقَدِّمِ الْإِشْعَارِ بِمَا
 آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْإِيمَاءِ ^(٢) مَا مُلِئَتْ بِهِ الطُّرُوسُ ^(٣) ، وَتَحْفَظُهُ
 مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الرُّائِسُ وَالْمَرْءُوسُ ، فَتُلْقَى عِنْدَ
 وَصُولِهِ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَبُودِرَ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ مِنْ
 التَّبَجِيلِ وَالْإِكْرَامِ ، وَعُكِفَ عَلَيْهِ أَطْوَلُ الْمُكَوِّفِ
 وَالتَّرَمُّ أَشَدَّ الْإِلْتِزَامِ ، وَكَانَ فِي وَصُولِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ مِنْ
 عَظِيمِ الْعِنَايَةِ وَبَاهِرِ الْكَرَامَةِ مَا هُوَ مُعْتَبَرٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ

(١) هما ولدا السلطان أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي (٢) في الأصل.

« الأثمار » (٣) الطروس : جمع طرس وهو كل ما يكتب فيه

وَبَلَغُ فِي الْإِعْرَابِ وَالْإِعْجَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
 الْخَلِيفَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١) - أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عَوَائِدَ النَّصْرِ
 وَالتَّمْكِينِ - كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَدْ جَرَى ذِكْرُهُ فِي
 خَاطِرِهِ الْكَرِيمِ ، وَحَرَّكَتُهُ إِلَيْهِ دَوَاعِي خُلُقِهِ الْعَظِيمِ
 وَتَرَاى^(٢) مَعَ نَفْسِهِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَسَجَايَاهُ الْحَسَنَةِ
 الرِّضْيَةِ ، فِي مَعْنَى اجْتِلَابِهِ مِنْ مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مَحَلِّ مَثْوَاهُ
 الْقَدِيمِ ، وَوَطَنِهِ الْمَوْصَلِ بِحُرْمَتِهِ لِلتَّقْدِيمِ ، فَتَوَقَّعَ أَنْ
 يَتَأَذَى أَهْلُ ذَلِكَ الْقَطْرِ بِفِرَاقِهِ ، وَيَسْتَوْحِشُوا لِفِقْدَانِ
 إِصْأَتِهِ فِي أَفْقِهِمْ وَإِشْرَاقِهِ ، فَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِشْفَاقِهِ ، فَأَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ نُحْفَةً سَنِيَّةً ، وَهَدِيَّةً
 هَنِيَّةً ، وَتَحِيَّةً مِنْ عِنْدِهِ مُبَارَكَةً زَكِيَّةً ، دُونَ أَنْ يُكَدِّرَهَا
 مِنْ الْبَشَرِ أَكْتِسَابُ ، أَوْ يَتَقَدَّمَهَا أَسْتِدْعَاءُ أَوْ اجْتِلَابُ ،
 بَلْ أَوْقَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي نُفُوسِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ
 مِنَ الْفَرَحِ بِإِرْسَالِهِ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ ، وَالتَّبَرُّعِ بِهِ إِلَى الْقَائِمِ

(١) هو عبد المؤمن بن علي (٢) في نسخة « وتروى » وخير منهما
 (دروى) أى فكر « أحمد يوسف نجاني »

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ ، مَا أُطْلِعَ بِالمُشَاهَدَةِ وَالتَّوَاتُرِ عَلَى صِحَّتِهِ
وَصِدْقِهِ ، وَعَضَدَتْ خَيَالِ بَرْقِهِ سَوَا كِبُ وَدَقِّهِ ^(١) ، وَكَانَ
ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَخْلِيْفَةِ مَعْدُودًا ، وَإِلَى
أَمْرِهِ الَّذِي هُوَ أَمْرُ اللَّهِ مَرْدُودًا ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ
مُرَّا كِشٍ ^(٢) - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - سَائِرُ الْأَبْنَاءِ الْكَرَامِ ،
وَالسَّادَةِ الْأَعْلَامِ ، بُدُورِ الْآفَاقِ ، وَكُؤَا كِبِ الْإِشْرَاقِ ،
وَأَهْلِ الْإِسْتِثْنَالِ ^(٣) الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ، فَانْتَضَمَ
عِنْدَ ذَلِكَ هَذَا الْقَصِيدُ مُشِيرًا إِلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الدَّرَارِيِّ
الزَّاهِرَةِ ، وَالنِّتَامِ خُطُوطِهَا عَلَى مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ ، وَوُضُولِ

(١) مخايل الشيء علامات وأماراته ، والودق الطر (٢) كذا ضبطها
صاحب كشف الظنون وصاحب كتاب الاستقصاء ، وضبطها ياقوت في
معجمه . را كش بفتح الميم وضم الكاف (٣) استأهل الشيء : استحققه
واستوجبه « وقد أنكر استعماله كثير من اللغويين » وقبله بعضهم
ولكن نفي فصاحته ، وقالوا الاستئغال إنما هو من الإهالة وهي الشحم ،
يقال استأهل أهالته وأحسن آياته ، ولكن صرح الأزهري والزمخشري
وغيرهما من أئمة التحقيق بجودة هذه اللغة ، ونطق بها الأعراب ، ونقلها
عنهم الأدباء والشعراء ، ولا نبي المهيم خالد الكاتب يخاطب إبراهيم بن
المهدي لما يبيع له بالخلافة :

كن أنت للرحمة مستأهلا ان لم أكن منك بمستأهل
أليس من آفة هذا الهوى بكاء مقتول على قاتل

الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ، الْمَشْهُورِ فِي جَمِيعِ الْمَعْمُورِ أَمْرُهُ ،
وَهُوَ هَذَا :

دَرَارِي مِنْ نُورِ الْهَدَى تَتَوَقَّدُ

مَطَالِعُهَا فَوْقَ الْمَجَرَّةِ أَسْعَدُ^(١)

وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ أَحْيَا

أَمَدًا بِهَا طَامِيَ الْغَوَارِبِ مُزِيدُ^(٢)

وَأَسَادُ حَرْبٍ غَابَهَا شَجَرُ الْقَنَا

وَلَا لَبَدٌ إِلَّا الْعَجَاجُ الْمُلَبَّدُ^(٣)

مَسَاعِيرُ فِي الْهَيْجَا، مَسَارِيْعُ لِلْنَدَى

بِأَيْدِيهِمْ يُحْمَى الْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ^(٤)

(١) الكوكب الدرى هو الثاقب اللغى، منسوب الى الدر اصفائه وحسنه
وبهائه وبياضه وشدة إنارته - وسعود النجوم الكواكب التى يقال
لكل منها سعد وهى عشرة (٢) طما الماء علا وارتفع ، والبحر الطامى:
الغزير ، وغارب كل شىء أعلاه ، وغوارب الماء أعلى موجة ، يقال بحر
ذو غوارب ، شبه بغوارب الابل ، وأزبد البحر : نار زبده وهاج موجة
(٣) لبدة الأسد: الشعر المتدلى متراكبا بين كتفيه وعجاج ملبد أى متكاتف
مجتمع بعضه الى بعض (٤) يقال فلان مسعر حرب اذا أرثها وأوقد نارها
أى تحمى به الحرب وتشعل، والهيجاء الحرب - وفى الأصل « مساعير
للندى » بدل « مساريع » وهو تحريف غير مناسب « أحمد يوسف نجاشى »

تُسَبِّ بِهَمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَالْقَرَى
وَيَجْرِي بِهَمْ سِيلَانِ جَيْشٍ وَعَسَجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ الْبَرْقَ، وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ
سُيُوفٌ عَلَى أَفْقِ الْمُدَاةِ مُجَرَّدُ
إِذَا مَنْ سَجَفَ السَّارِيَّاتِ مَضَاوَهَا
فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي الْحَدِيدُ الْمُسَرَّدُ^(١)
وَيَسْتَرْشِدُونَ النَّجْمَ، وَالنَّجْمُ عِنْدَهُمْ
نُصُولٌ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ تَسَدُّ

(١) في هذا البيت تصحيف في بعض كلماته في كثير من نسخ الأصل ففي بعضها «عن» وفي بعضها «من» وكذلك «الساريات» و«السارات» ومن الشيء قطعه، والسجف: الستر. والسارية القوم يسرون ليلا كالسرية، وكأنه يقول إذا هتكت هذه السيوف حجب هذه الجيوش ومزقت جموعها السارية لم ينفعها ما تدرى به من الدروع، ويجوز أن يريد بالساريات السحب فيكون المعنى قريبا من بيت بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دما
أى إذا مزقت ستار الغيوم يريقها، أو هتكت حجب الظلام بإسراقها فكشفت عن السرايا لم يغنها دروعها التي أحكمت نسجها وقدرت سردها. ولعل هذا المعنى الأخير أقرب للمراد، وللقارىء الكريم أن يفهم منه بذلك ما يشاء. «أحمد يوسف نجاشي»

تَزَاحَمُ فِي جَوْ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا
 عَوَامِلُهَا فِي الْأَفْقِ صَرَخَ مُمَرَّدٌ^(١)
 تَخَازَرُ^(٢) أَلْحَاطُ الْكَوَاكِبِ دُونَهَا
 وَفَرَّقَ مِنْهَا الْبِرْزَمَانِ وَفَرَّقَ
 أَلَمْ تَرَهَا فِي الْأَفْقِ خَافِقَةً أَلْحَشَا
 كَمَا تَطْرَفُ الْعَيْنَانِ وَالْقَلْبُ يُزَادُ^(٣)
 وَلَيْسَ أَحْمَرُ الرَّافِعِ مِنْ أَثَرِ السَّنَى
 وَلَكِنَّهُ ذَاكَ النَّجِيعُ الْمُرْدُ^(٤)
 وَمَا انْبَسَطَتْ كَفُّ الثَّرِيَا فَدَافَقَتْ
 وَلَكِنَّهَا فِي الْحَرْبِ شِلْوُ^(٥) مُقَدَّدُ

(١) عامل الرمح وعاملته صدره دون السنان ، وجمعه عوامل ، وقد يسمى السنان عاملا ، ونصل الرمح حديثه - والصرح : القصر أو كل بناء عال. ومرد البناء : سواء وعظمه وجعله أملس ناعما (٢) تخازر اذا نظر بمؤخر عينيه ، أو ضيق جفنه ليحدد النظر ، وفرق « كفرح » خاف ، والمرزمان نجران مع الشعرين أحدهما في الشعرى والآخر في النراع ، وهما من نجوم المطر ، والفرقد النجم الذي يهتدون به ، وهما فرقدان نجران في السماء لا يهربان ، وقد جاء الفرقد في الشعر مثني وموحدا ومجموعا (٣) زأده « كمنع » اذا أفرزه وذعره (٤) النجيع الدم ، والمورد الاحمر (٥) الشلو : العضو ، أو جسد الانسان بعد بلاء وتفرق أجزائه ، وقد

وَحَطَّ سُهَيْلًا ذُعْرُهُ عَنْ سُمِيَّةٍ
فَأَضْحَى عَلَى أَفْقِ الْبَسِيطَةِ يُرْعَدُ^(١)
وَلَمَّا رَأَى نَسْرًا وَقُوعَ أَلِيفِهِ
تَطَايَرَ مِنْ خَوْفٍ فَمَا زَالَ يُجْهِدُ^(٢)
مَوَاقِعُ أَمْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
يَكَادُ لَهَا رَأْسُ الْاَثَرَى يَتَمِيدُ^(٣)
أَهَابَ بِأَقْصَى الْخَافِقِينَ فَنُظِمَتْ
وَهَيْبَ جَمْعِ الْمُخَفِقِينَ فَبَدُّوا^(٤)
وَأَضْحَى عَلَى الدُّنْيَا مَلَابِسَ رَحْمَةٍ
نَضَارَتَهَا فِي كُلِّ حِينٍ تَجَدَّدُ^(٥)

الشيء أو بدده : فرفقه وقطعه (١) لعلها : وحط سهيلا ذعره عن «سموه»
أى رفعته ، وأرعدده فارتعد أى اضطرب ، وأرعد اذا أخذته الرعدة
وأرعدت فرائسه عند الفزع (٢) يشير بقوله « وقوع أليفه » الى النسب
الواقع ، وسبق القول فى النسر ين الطائر والواقع (٣) اثرى الارض
وتמיד تضطرب وتزلزل (٤) أهاب بهم : دعاهم ، والخافقان المشرق والمغرب
أو ألقاهما ، وقد تكون « فنظما » أو جمع ضمير الخافقين باعتبار أجزائهما ،
وهيب أى خوف ، والخفق من أخفق الرجل اذا غزا فلم يفتح ، ومن لم
يدرك حاجته وخاب فى غرضه (٥) ثوب ضاف أى سابع ، وأضفاه أسبقه
وأطاله « أحمد يوسف نجاشى »

وَأَخْضَلَ أَرْجَاءَ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا
 عَلَيَهَا مِنَ النَّبْتِ النَّصِيرِ زَبْرَجْدٌ^(١)
 فَمِنْ طَرَبٍ مَا أَصْبَحَ الْبَرْقُ بِاسِمًا
 وَمِنْ فَرَحٍ مَا أَضْحَتِ الْمُرْنُ تُرْعِدُ
 وَغَنَّى عَلَى أَفْنَانٍ كُلِّ أَرَاكَةِ
 غَذَاهَا حَيَا النُّعْمَى حَمَامٌ مُعَرَّدُ
 وَكَبَّرَ ذُو نُطْقٍ ، وَسَبَّحَ صَامِتُ
 وَكَادَ بِهِ الْمَعْدُومُ يُحْيَا وَيُوجَدُ

(١) أخضلها أى جعلها خضلة ندية ذات خصب وورى ونعمة وخضرة ناضرة - هذا وقد افن الشاعر أولا وحلق في سماء الخيال، واستعمل بديع حسن التعليل ولطيف التخيل في صفات الكواكب وخواصها وأحوالها التي كانت تراها العرب عليها، فالتمس لكل منها علة ترجع الى هبة المدوح ورفعة قدره، بعد أن أثنى عليه وعلى بنيه بما رآهم أهلاله من البأس والكرم، وجعل سيوفهم ورماحهم وأسنهم بمنزلة ظواهر الطبيعة من برق ورعد ونجم، فهي تعمل عملها وتغنى غناها، لا بل انه فضلها عليها وجعل الكواكب تنزع منها على عادة الشعراء في المبالغة والجري وراء الخيال، ثم بين بدائع صنع الله في خلقه وأسرار حكمته فيها، وكيف زان الطبيعة بما جعلها باسمه ضاحكة طربة تسبح بحمده ونثى على آلائه، ثم تخلص من ذلك الى عودته لمقام المدوح وذكر فضائله، وبدأ بمؤسس دولة الموحدين الامام محمد المهدي بن تومرت الذى خلقه عبد المؤمن بن على، فاسمع له بعد ذلك « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَبْرَزَ لِلْأَذْهَانِ مَا كَانَ غَائِبًا
 فَسَيَّانٍ فِيهَا مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ
 سَلَامٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ، أَمَّا قَضَاؤُهُ
 فَحَتْمٌ، وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمَوْكَدٌ
 إِمَامُ الْوَرَى، عَمَّ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ
 عَلَى حِينِ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْجُورِ أَرْبَدُ^(١)
 بَصِيرُ رَأَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ جَلِيلَةٍ
 فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا الْمَقَامُ الْمُحَمَّدُ^(٢)
 وَلَمَّا مَضَى - وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ
 وَبُلُغَ مَأْمُولٍ وَأُنْجَزَ مَوْعِدُ
 تَرَدَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَدَاءَهُ
 وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالنَّاسُ هُجْدُ^(٣)
 بِعِزِّهِ شَيْحَانِ الْفُؤَادِ^(٤) مُصَمِّمٌ
 يَقُومُ بِهِ أَقْصَى الْوُجُودِ وَيَقْعُدُ

(١) الرُبْدَةُ: العبرة (٢) يشير الى قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وفي الأصل « المجد » بدل « المجدد » أى الذى يكثر الناس حمده والثناء عليه (٣) المهجود: النوم والراحة (٤) الشيحان الغيور الحنر

مَشِيتُهُ مَا شَاءَهُ اللَّهُ ، إِنَّهُ
 إِذْ هَمَّ فَالْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ يُسْعِدُ
 كِتَابُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكَةٍ
 تُرَادِفُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفِدُ^(١)
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ
 فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا سِوَى اللَّهِ مَقْصِدُ
 إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسَطَ مَحْفِلٍ
 تَرَى قَمَمَ الْأَعْدَاءِ فِي التُّرْبِ تَسْجُدُ
 وَإِنْ نَطَقَتْ بِالْفَصْلِ فِيهِمْ سَيُوفُهُ
 أَقَرَّ بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
 مُعِيدُ عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا
 وَمُبْدِئُ عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَعْهَدُ
 وَبَاسِطُ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ فِي الْوَرَى
 وَقَدْ ضَمَّ قُرْصَ الشَّمْسِ فِي الْغَرْبِ مُلْحَدُ^(٢)

الجاد في الأمور القوي النفس (١) ترادفها تتبعها : وترفدها، تعينها. وفي
 الأصل « تراد بها » بدل « ترادفها » ولا بأس بها لولا فوات الجنس
 مع ترفد « وهو مقصد للشاعر » ومعنى المرادفة الاتباع والملازمة (٢) الملحد القبر،

وَقَدْ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
يُغَانُ بِأَكْنَانِ الضَّلَالِ وَيُغَمِّدُ^(١)
فَمَا زَالَ يَجْلُو عَنْ مَطَالِعِهَا الصِّدَا
وَيُبْرِزُهَا بِيَضَاءٍ وَأَلْجُوٍّ أَسْوَدُ
جَزَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْأَنَامِ خَلِيفَةً
بِهِ شَرِبُوا مَاءَ الْحَيَاةِ فَخُلِدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ
عَلَى مَدْرَجِ الْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ^(٢)
بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ الشَّهِيدِ وَجَمْعِهِ
تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ بِالْحَقِّ يَعْضُدُ

جعل ما كان عليه الغرب من الضلال ظلاما كالكا حتى كان الشمس فيه قد قبرت أو غربت فيه ثم لم تشرق، فأخرجت هدايته الناس من الظلمات الى النور « والمليح العادل عن الحق للدخل فيه ما ليس منه »
(١) العين: الغيم، وأغان الغيم السماء اذا ألبسها وغطاها، وغانت السماء اذا طبقتها الغيم وحجبها السحاب، والا كنان جمع كن وهو السر، هذا وقد كان عجز البيت بالأصل هكذا « يغار بأكناف » ولعل ما رأيناه أحسن وأظهر وأكثر ملاءمة للكلام « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) على مدرج الأيام أى مسيرها وانقضائها وانطوائها - ومنه الريح الدروج وهى السريعة المرور، والمدرج: السلك والمذهب والمر

تَحَامَتُهُ أَيْدِي الرُّومِ بَعْدَ انْتِسَافِهِ
 وَقَدْ كَادَ لَوْلَا سَعْدُهُ يَتَبَدَّدُ
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمَرَّسَ صَارِخُ
 بِدَعْوَتِهِ الْعُلِيَّا فَصَيْنَ الْمُبَدَّدُ ^(١)
 وَجَاءَ وَلِيُّ الثَّارِ يَرْغَبُ نَصْرَهُ
 فَلَبَّاهُ مِنْهُ عَزْمُهُ الْمُتَجَرِّدُ
 رَأَى أَثَرَ الْمَسْفُوحِ فِي صَفَحَاتِهِ
 فَقَامَ لِأَخْذِ الثَّارِ مِنْهُ مُوَيْدُ
 وَشَبَّهَهُ بِالْبَدْرِ وَقْتُ ^(٢) خُسُوفِهِ
 فَلِلَّهِ تَشْبِيهُ لَهُ لَلشَّرْعِ يَشْهَدُ
 زَمَانَ أَرْتِفَاعِ الْعِلْمِ كَانَ خُسُوفُهُ
 وَقَدْ عَادَ بِالْمَهْدِيِّ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ^(٣)

(١) تمرس به : اذا تمسح واختلط - ويقال أيضا تمرس فلان بدينه اذا لعب به
 وتعبت « وما بقلان متمرس اذا نعت بالجلد والسدة حتى لا يقاومه من مارسه لانه
 قد مارس النوائب والخصومات » (٢) في الأصل « قبل » (٣) يريد أن المصحف
 الشريف كالبرمداد مظاهر بين المسلمين فهم على هدى ونور ، فاذا غاب
 عنهم واختفى كانوا كأنهم في خسوف وظلام ، ولما استرد السلطان المصحف

أَتَتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلُوَكَةُ ^(١)
 مِنْ الْحَرَمِ الْأَقْصَى لِأَمْرِكَ تَمَهَّدُ
 سَيْوْفُ بَنِي عَيْلَانَ قَامَتْ شَهِيرَةٌ ^(٢)
 لِدَعْوَتِكَ الْعَلِيَاءَ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
 وَطَافَتْ بَيْتَ اللَّهِ ، فَاشْتَدَّ شَوْقُهُ
 إِلَيْكَ ، وَلَبَّى مِنْهُ حِجْرٌ وَمَسْجِدُ
 وَحَجَّ إِلَيْكَ الرُّكْنُ وَالْمَرْوُ وَالصَّفَا
 فَأَنْتَ لِدَاكِ الْحَجَّ حَجٌّ وَمَقْصِدُ
 مَشَاعِرُهَا الْأَجْسَامُ ، وَالرُّوحُ أَمْرُكُمْ
 وَمِنْكُمْ لَهَا يَرْضَى الْمَقَامُ الْمُخَلَّدُ ؟
 فَلِلَّهِ حَجٌّ وَأَعْتِمَارٌ وَزُورَةٌ
 أَتَنَّا وَلَمْ يَبْرَحْكَ بِالْغَرْبِ مَشْهَدُ

أعاد البدر الى بزوغه واشراقه ، ضاد العلم للناس بعد أن كان قد ارتفع
 وعمهم جهل حالك سواده (١) الاثوكة : الرسالة ، ومهد الفراش « كمنع »
 بسطه ووطأه وأعدّه ، ومهد لنفسه اذا كسب وعمل ، وتمهيد الأمر نسويته
 واصلاحه (٢) عيلان أبو قيس وهو الياس بن مضر بن نزار ، وسيف شهيرة
 أى مشهورة مستلة من أعمادها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِلَّهِ سَبْعُ نَبَّاتٍ تَقَارَنَتْ
 بِهَا فِئَةُ الْإِسْلَامِ تُحْمَى وَتَسْعَدُ^(١)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِئَاكَ عِصْمَةٌ
 فَمَاذَا الَّذِي يَرْجُو الْقَصَى الْمُبْعَدُ؟
 فَدُمُ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً
 فَقَرَّبَكَ فِي الدَّارَيْنِ مُنْجٍ وَمُسْعِدُ
 وَزَادَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً
 كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مُجَدِّدُ
 وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا
 وَمُحَمَّدُكَ فِي رَيْعَانِهِ^(٢) لَيْسَ يَنْقُدُ

* *

ثُمَّ إِنَّهُمْ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ ، وَوَصَلَ
 سَعُودَهُمْ - لِمَا أَرَادُوا مِنَ الْمُبَالَعَةِ فِي تَعْظِيمِ الْمُصْحَفِ
 الْمَذْكُورِ ، وَأَسْتَخْدَامِ الْبَوَاطِينِ وَالظَّوَاهِرِ فِيمَا يَجِبُ لَهُ
 مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْزِيرِ^(٣) ، شَرَعُوا فِي اخْتِخَابِ كُسُوتِهِ ،

(١) يريد أبناء السلطان عبد المؤمن وفي نسخة « تحيا » مكان « تحمي »

(٢) ريعان الشباب : أوله ومقبله وريعان كل شيء أفضله (٣) التعزير :

التعظيم والتوقير، وفي التنزيل « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه » الآية

« أحمد يوسف نجاتي »

وَأَخَذُوا فِي اخْتِيَارِ حَلِيَّتِهِ ، وَتَأَقَّوْا فِي اسْتِعْمَالِ أَحْفَظَتِهِ ،
وَبَالَعُوا فِي اسْتِجَادَةِ أَصَوْنَتِهِ ^(١) ، فَحَشَرُوا لَهُ الصَّنَاعَ الْمُتَقِنِينَ
وَالْمَهَرَةَ الْمُتَقِنِينَ ، يَمَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِمُ الْعِلْيَّةُ ، وَسَائِرِ
بِلَادِهِمُ الْقَرْيَةِ وَالْقَصَبَةِ ، فَاجْتَمَعَ لَذَلِكَ خُذَّاقُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَمَهَرَةٍ كُلِّ طَائِفَةٍ ؛ مِنْ الْمُهَنْدِسِينَ وَالصَّوَّاعِغِينَ ، وَالنَّظَّامِينَ
وَالْحَلَّالِينَ ^(٢) وَالنَّقَّاشِينَ وَالْمُرْصِعِينَ ، وَالنَّجَّارِينَ وَالزُّوَّاقِينَ ^(٣)
وَالرَّسَّامِينَ وَالْمُجَلِّدِينَ ، وَعُرَفَاءَ الْبَنَائِينَ . وَلَمْ يَبْقَ مَنْ
يُوصَفُ بِبِرَاعَةٍ ، أَوْ يُنْسَبُ إِلَى الْحَذَقِ فِي صِنَاعَةٍ ، إِلَّا
أَخْضَرَ لِلْعَمَلِ فِيهِ ، وَالِاشْتِغَالِ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ ،
فَاشْتَعَلَ أَهْلُ الْحَيْلِ الْهَنْدَسِيَّةِ بِعَمَلِ أَمْثَلَةٍ مُحْتَرَعَةٍ ،
وَأَشْكَالٍ مُبْتَدَعَةٍ ، وَضَمَّنُوهَا مِنْ غَرَائِبِ الْحَرَكَاتِ ،
وَحَقَنِي إِمْدَادِ الْأَسْبَابِ لِلْمُسَبَّبَاتِ ، مَا بَلَغُوا فِيهِ مُنْتَهَى
طَاقَتِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغُوا فِيهِ جُهْدَ قُوَّتِهِمْ ، وَالْهَمَّةُ الْعَلِيَّةُ

(١) الأصونة جمع صنوان وهو ما يصان فيه الشيء ، كالأحفظه جمع حفاظ

(٢) الذين يصنعون الحلية (٣) في الأصل « الزرافين » مصحفة « أحمد

يوسف نجاني » .

أَدَامَ اللَّهُ مُمَوَّهَا - تَرَقَّى فَوْقَ مَعَارِجِهِمْ ^(١) ، وَتَخَلَّصُ
كَالشَّهَابِ الثَّاقِبِ وَرَاءَ مَوَالِجِهِمْ ^(٢) ، وَتُثِيفُ عَلَى مَا ظَنُّوهُ
الْغَايَةَ الْقُضْوَى مِنْ لَطِيفِ مَدَارِجِهِمْ ، فَسَلَكُوا مِنْ عَمَلٍ
هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَرَأَوْا مِنْ مُنْشَرِّهَا كُلِّ شَيْءٍ ^(٣)
وَأَشْرَفُوا عِنْدَ تَحْقِيقِهَا وَإِبْرَازِ دَقِيقِهَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ ، فَكَانَتْ
مِنْهُمْ وَقْفَةٌ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَيَّاسُ عَنْ مَطْلَبِهَا ، وَأَخْوَاطِرُ
تَكْرُرِ رَاجِعَةٍ عَنْ خَفٍّ مَذْهَبِهَا ، حَتَّى أَطْلَعَ اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِي
خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ الْمُرْتَضَى لِإِقَامَةِ حَقِّهِ ، عَلَى وَجْهِ انْقَادَاتٍ فِيهِ
تِلْكَ الْخُرُكَاتُ بَعْدَ اعْتِيَاصِهَا ^(٤) ، وَتَخَلَّصَتْ أَشْكَالُهَا عَنْ
الْإِعْتَزَاضِ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ خَلَاصِهَا ، الْقَوَا ذَلِكَ - أَيَّدَهُمُ
اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَيُسْرِهِ - إِلَى الْمُهَنْدِسِينَ
وَالصَّنَاعِ فَقَبِلُوهُ أَحْسَنَ الْقَبُولِ ، وَتَصَوَّرُوهُ بِأَذْهَانِهِمْ

(١) عرج في السلم ونحوه، والمرج الدرجة والسلم ونحوها « كقعد » عرجا
ومعرجا اذا ارتقى (٢) جمع موج اسم مكان من ولج ولوجا اذا دخل، وهو هنا
مكان معنوي يريد به ما يصلون اليه من نتيجة تفكيرهم، وما يبتدون اليه
من بحثهم وعنايتهم (٣) الشعب « بالكسر » الطريق، والشعب « بالفتح »
التفرق والصدع ، ورأبه أصلحه (٤) اعتاص الشيء : صعب ولم ينقد ،
واعتاص الأمر اشتد والتوى ولم يهتد للصواب فيه .

فَرَأَوْهُ عَلَى مُطَابَقَةِ الْمَأْمُولِ ، فَوَقَّعَهُمْ حُسْنُ تَنْبِيهِهِ مِمَّا
جَهَلُوهُ عَلَى طَوْرِ غَرِيبٍ مِنْ مُوجِبَاتِ التَّعْظِيمِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
الْفَضْلَ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَسَيَاتِي بَعْدَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى تَفْصِيلِ تِلْكَ الْأَحْرَكَاتِ
الْمُسْتَفْرِغَةِ ، وَالْأَشْكَالِ الْمُوَقَّعةِ الْمُعْجَبَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى - مِمَّا صُنِعَ لِلْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَصُونَةِ الْغَرِيبَةِ ،
وَالْأَخْفِظَةِ الْعَجِيبَةِ ، أَنَّهُ كُتِبَ كُلُّهُ بِصَوَانٍ وَاحِدٍ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ذِي صَنَائِعٍ غَرِيبَةٍ مِنْ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ
لَا يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، قَدْ أُجْرِى فِيهِ مِنَ الْوَانِ الزُّجَاجِ
الرُّومِيِّ مَا لَمْ يُعْهَدْ لَهُ فِي الْمَصْرِ الْأَوَّلِ مِثَالٌ ، وَلَا عُمرَ
قَبْلَهُ بِشَبِّهِ خَاطِرُ وَلَا بَالٌ ، وَلَهُ مَفَاصِلُ تَجْتَمِعُ إِلَيْهَا أَجْزَاؤُهُ
وَتَلْتَمِمْ ، وَتَتَنَاسَقُ عِنْدَهَا عَجَائِبُهُ وَتَنْتَظِمُ ، قَدْ أُسْلِسَتْ (١)
لِلتَّحَرُّكِ أَعْطَافُهَا ، وَأُخِصِمَ إِنشَاؤُهَا عَلَى الْبَيْتَةِ وَأَنْطَافُهَا ،
وُنُظِمَ عَلَى صَفْحَتِهِ (٢) وَجَوَانِبِهِ مِنْ فَخْرِ الْيَاقُوتِ وَنَفِيسِ

(١) أسلست أى جعلت سلسة أى سهلة لينة ذات اتقياد ، وفى الأصل
« أميلت » (٢) صفحة كل شئ* جانبه ووجهه وعرضه ، وفى بعض النسخ
« صحيفته » ولا بأس بها ، وصحيفة الوجه : بشرة جلده « أحمد يوسف نجاشي »

النَّدَّ وَعَظِيمِ الزُّمُرْدِ مَا لَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ السَّالِفَةُ وَالْقُرُونُ
 الْخَالِيَةُ تَتَنَافَسُ فِي أَفْرَادِهِ ، وَتَتَوَارَثُهُ عَلَى مُرُورِ الزَّمَنِ
 وَتَرْدَادِهِ ، وَتَطْنُ الْعِزَّ الْأَقْسَى ^(١) وَالْمَلِكُ الْأَنْفَسَ فِي ادِّخَارِهِ
 وَإِعْدَادِهِ ، وَتُسَمَّى الْوَاحِدَ مِنْهَا بَعْدَ الْوَاحِدِ بِالْإِسْمِ الْعَلَمِ
 لِشُدُوذِهِ فِي صِنْفِهِ ^(٢) وَاتِّحَادِهِ ، فَاتَّظَمَ عَلَيْهِ مِنْهَا مَا شَاءَ كُلُّهُ
 زُهْرُ الْكَوَاكِبِ فِي تَلَاثُوهٍ وَاتِّقَادِهِ ، وَأَشْبَهُهُ الرُّوضُ
 الْمُرْخَرَفُ غِبَّ سَمَاءٍ أَقْلَعَتْ عَنْ إِمْدَادِهِ ^(٣) وَأَتَى هَذَا
 الصُّوَانُ الْمَوْصُوفُ رَائِقَ الْمَنْظَرِ ، آخِذَا بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ
 وَالْبَصَرِ ، مُسْتَوِيًّا بِصُورَتِهِ الْغَرِيبَةِ عَلَى جَمِيعِ الصُّوَرِ ،
 يُدْهِشُ الْعُقُولَ بِهَاءٍ ، وَيُحْيِي الْأَلْبَابَ رُوءَاءَ ^(٤) وَيَكَادُ يُعْشَى ^(٥)
 النَّاضِرَ تَالِقًا وَضِيَاءً ، فَحِينَ تَمَّتْ خِصَالُهُ ، وَأَسْتُرَ كِبَتْ
 أَوْصَالُهُ ^(٦) ، وَحَانَ أَرْتِبَاطُهُ بِالْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ وَاتَّصَالُهُ

(١) عز أقس ثابت ، وعزة قساء « والاقس الرجل العزيز النبع » .
 (٢) في الأصل « صنعه » وشُدُوذُهُ : انفراده وخروجه عن نظائره في الحسن
 والنفاسة (٣) غب : بعد ، وأقْلَعَتْ : أمسكت وكفت ، ولا يخفى ما في الفقرتين من
 التشبيه للقلوب وحسنه (٤) الرواء جمال الشكل وحسن المنظر (٥) أعشى
 بصره : أضعفه ، وجعله أعشى ، وعشا عن الشيء يشو إذا ضعف بصره
 عنه ، وعشا عن النار : أعرض ومضى عن ضوءها (٦) جمع وصل « بكسر
 الواو وضمة » أي مفصل .

رَأَوْا - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُمْ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِمْ - مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ مَّلَاحِظَةِ الْجِهَاتِ ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى جَمِيعِ الثَّنِيَّاتِ ،
أَنْ يُتَلَطَّفَ فِي وَجْهِ يَكُونُ بِهِ هَذَا الصُّوَانُ الْمَذْكُورُ
طَوْرًا مُتَّصِلًا ، وَطَوْرًا مُنْفَصِلًا ، وَيَتَأْتَّى بِهِ لِلْمُصْحَفِ
الشَّرِيفِ الْعَظِيمِ أَنْ يَبْرُزَ تَارَةً لِلْخُصُوصِ مُتَبَدِّلًا ، وَتَارَةً
لِلْعُمُومِ مُتَجَمِّلًا ، إِذْ مَعَارِجُ النَّاسِ فِي الْإِسْتَبْصَارِ تَخْتَلِفُ ،
وَكُلُّ لَهُ مَقَامٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي وَعِنْدَهُ يَقِفُ ، فَعَمِلَ فِيهِ عَلَى
مُشَاكَلَةٍ (١) هَذَا الْمَقْصِدِ ، وَتُلَطَّفَ فِي تَشْيِيمِ هَذَا الْفَرَضِ
الْمُعْتَمَدِ ، وَكَسَى الْمُصْحَفُ الْعَزِيزُ بِصَوَانٍ لَطِيفٍ مِنْ
السُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ ، ذِي حِلْيَةٍ عَظِيمَةٍ خَفِيفَةٍ تُلَازِمُهُ فِي
الْمَغِيبِ وَالْمَحْضَرِ ، وَرُتَّبَ تَرْتِيبًا يَتَأْتَّى مَعَهُ أَنْ يُكْسَى
بِالصُّوَانِ الْأَكْبَرِ ، فَيَلْتَمِسُ بِهِ الْإِثْمَامَ يُقَطِّى عَلَى الْعَيْنِ مِنْ
هَذَا الْأَثَرِ ، وَكَمَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى أَجْمَلِ الصِّفَاتِ وَأَحْسَنِهَا
وَأَبْدَعَ الْمَذَاهِبِ وَآتَقْنَهَا ، وَصُنِعَ لَهُ مَحْمَلٌ غَرِيبُ الصَّنْعَةِ

(١) في بعض النسخ «شاكلة» ولعلها أطفأ أخذًا من قوله تعالى : « قل كل
يعمل على شاكلته » والشاكلة : الشكل والطريقة والجهة « أحمد يوسف نجاتي »

بَدِيعُ الشَّكْلِ وَالصُّبْغَةِ^(١) ، ذُو مَفَاصِلَ يَنْبُو عَنْ دِقَّتِهَا
 الْإِذْرَاكُ ، وَيَشْتَدُّ^(٢) بِهَا الْأَرْتِبَاطُ بَيْنَ الْمَفْصِلَيْنِ وَيَصِحُّ
 الْإِشْتِرَاكُ ، مُغَشَّى كُلُّهُ بِضُرُوبٍ مِنَ التَّرْصِيعِ ، وَفُؤُونٍ مِنَ
 النَّقْشِ الْبَدِيعِ ، فِي قِطْعٍ مِنَ الْآبِنُوسِ وَالْخَشَبِ الرَّفِيعِ ،
 لَمْ تَعْمَلْ قَطُّ فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمَانِ ، وَلَا انْتَهَتْ قَطُّ إِلَى
 أَيْسَرِهِ نَوَافِذُ^(٣) الْأَذْهَانِ ، مُدَارٌّ بِصَنْعَةٍ قَدْ أُجْرِيتْ فِي
 صَفَائِحِ الذَّهَبِ ، وَامْتَدَّتْ أَمْتِدَادَ ذَوَائِبِ الشَّهْبِ ، وَصُنِعَ
 لِذَلِكَ الْمَحْمِلِ كُرْسِيُّ يَحْمِلُهُ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ ، وَيُشَارِكُهُ فِي
 أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ، مُرَصَّعٌ مِثْلُ تَرْصِيعِهِ الْغَرِيبِ ، وَمُشَاكِلٌ
 لَهُ فِي جَوْدَةِ التَّقْسِيمِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ ، وَصُنِعَ لِذَلِكَ
 كُلُّهُ تَابُوتٌ يَحْتَوِي عَلَيْهِ احْتِوَاءُ الْمَشْكَاةِ عَلَى أَنْوَارِهَا ،
 وَالصُّدُورِ عَلَى مَحْفُوظِ أَفْكَارِهَا ، مُكَعَّبُ الشَّكْلِ سَامٍ فِي
 الطُّولِ ، حَسَنُ الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ ، بَالِغٌ مَا شَاءَ مِنَ التَّسْمِيمِ

(١) أو «الصبغة» يعنى الصنع أو الهيئة (٢) فى الاصل « ويشهد » ولا
 بأس بها الا أن « يشتد » أولى هنا (٣) أى الاذهان النافذة فى الاشياء
 المتوقدة ذكاء تنفذ الى حجب الغيب فتدركها . وفى الاصل « نوافذ »

فِي أَوْصَالِهِ وَالتَّكْمِيلِ ، جَارٍ مَجْرَى الْمَحْمِلِ ^(١) فِي التَّزْيِينِ
وَالْتَّجْمِيلِ ، وَلَهُ فِي أَحَدِ غَوَارِبِهِ بَابٌ رُكِبَتْ عَلَيْهِ
دَفْتَانِ ^(٢) قَدْ أُخِصَّ أَرْتَاجُهُمَا ^(٣) ، وَيُسَرَّ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
انْفِرَاجُهُمَا ، وَلَا يَفْتَاخُ هَذَا الْبَابُ وَخُرُوجِ هَذَا الْكُرْسِيِّ
مِنْ تِلْقَائِهِ وَتَرَكِبِ الْمَحْمِلِ عَلَيْهِ مَا دُبِّرَتْ الْحَرَكَاتُ
الْهَنْدَسِيَّةُ ، وَتُلْقِيَتِ التَّنِيهَاتُ الْقُدْسِيَّةُ ، وَاتَّظَمَتِ
الْعَجَائِبُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالْحَسِّيَّةُ ، وَالتَّامَّتِ الذَّخَائِرُ النَّفِيسَةُ
وَالنَّفْسِيَّةُ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَاسْفَلَ هَاتَيْنِ الدَّفْتَيْنِ فَيَصْلَا ^(٤) فِيهِ
مَوْضِعٌ قَدْ أُعِدَّ لَهُ مِفْتَاحٌ لَطِيفٌ يَدْخُلُ فِيهِ ، فَإِذَا أُدْخِلَ
ذَلِكَ الْمِفْتَاحُ فِيهِ وَأَدِيرَتْ بِهِ الْيَدُ انْفَتَحَ الْبَابُ بِإِنْعَاطِ

(١) مع صحة المعنى بكلمة «المحمل» يخيل الى أن الأولى أن تكون «المثل»
مراعاة لقوله : التتميم ، والتكميل ، والجللة ، والتفصيل ، لأنه يلحق الى
ما هو معروف من أنواع الاطناب وأسماؤها الاصطلاحية ، ومنها التذييل الجاري
مجرى المثل ، ومنها التتميم والتكميل والتفصيل بعد الاجمال ، والمعنى مع
هذا بلغ كما لا يخفى «أحمد يوسف نجاتي» (٢) دفتان أى صفحتان وجانبان ،
ومنه ما بين دفتي الصحف كلام الله تعالى (٣) أى اغلاقهما ، وفي الأصل
«ارتجاجهما» (٤) كذا بالأصل ، ولعله «فصيلا» والفصيل القطعة ، وقد يصح
أن يكون مأخوذا من الفصيل وهو حائط قصير دون الحصن أو دون
سور البلد ، والفصيل : الفاصل . «أحمد يوسف نجاتي»

الدَّفَتَيْنِ إِلَى دَاخِلِ الدَّفَتَيْنِ مِنْ تَلْقَائِهِمَا، وَخَرَجَ الْكُرْسِيُّ
مِنْ ذَاتِهِ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَقْصَى غَايَتِهِ ، وَفِي خِلَالِ خُرُوجِ
الْكُرْسِيِّ يَتَحَرَّكُ عَلَيْهِ الْمَحْمِلُ حَرَكَةً مُنْتَظَمَةً مُقْتَرَنَةً
بِحَرَكَتِهِ ، يَأْتِي بِهَا مِنْ مُؤَخَّرِ الْكُرْسِيِّ زَحْفًا إِلَى مُقَدِّمِهِ
فَإِذَا كَمَلَ الْكُرْسِيُّ بِالْخُرُوجِ وَكَمَلَ الْمَحْمِلُ بِالتَّقَدُّمِ
عَلَيْهِ انْفَلَقَ الْبَابُ بِرُجُوعِ الدَّفَتَيْنِ إِلَى مَوْضِعِهِمَا مِنْ
تَلْقَائِهِمَا دُونَ أَنْ يَمَسَّهُمَا أَحَدٌ ^(١) ، وَتَرْتِيبُ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ
الْأَرْبَعِ عَلَى حَرَكَةِ الْفِتَاحِ فَقَطْ دُونَ تَكْلُفِ شَيْءٍ
آخَرَ ، فَإِذَا أُدِيرَ الْفِتَاحُ إِلَى خِلَافِ الْجِهَةِ الَّتِي أُدِيرَ إِلَيْهَا
أَوَّلًا انْفَتَحَ « أَوَّلًا » ^(٢) الْبَابُ ، وَأَخَذَ الْكُرْسِيُّ فِي الدُّخُولِ
وَالْمَحْمِلُ فِي التَّأَخُّرِ عَنْ مُقَدِّمِ الْكُرْسِيِّ إِلَى مُؤَخَّرِهِ ،
فَإِذَا عَادَ كُلُّهُ إِلَى مَكَانِهِ انْسَدَّ الْبَابُ بِالدَّفَتَيْنِ أَيْضًا
مِنْ تَلْقَائِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَتَرْتَّبُ عَلَى حَرَكَةِ الْفِتَاحِ
كَالَّذِي كَانَ فِي حَالِ خُرُوجِهِ ، وَصَحَّتْ هَذِهِ الْحَرَكَاتُ
اللَّطِيفَةُ عَلَى أَسْبَابٍ وَمُسَبِّبَاتٍ غَائِبَةٍ عَنِ الْحِسِّ فِي بَاطِنِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « وَتَرْتِيبُ » (٢) كَلِمَةُ « أَوَّلًا » لَيْسَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ

النُّسخِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي »

الْكُرْسِيِّ ، وَهِيَ يَمَّا يَدِقُ وَصَفُهَا وَيَضَعُ ذِكْرُهَا ،
أَظْهَرَتْهَا بَرَكَاتُ هَذَا الْأَمْرِ السَّعِيدِ ، وَتَنْبِيْهَاتُ سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُمْ ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُمْ - .

بناء المسجد الجامع

وَفِي خِلَالِ الْإِسْتِغَالِ ، بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي هِيَ غُرُرُ
الدَّهْرِ ، وَفَرَائِدُ ^(١) الْعُمُرِ ، أَمُرُوا - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُمْ -
بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِحَضْرَةِ مُرَّاكِشٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ
تَعَالَى - فَبُدِيَ بِنَاؤُهُ وَتَأْسِيسُ قِبْلَتِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ
مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَكَمَلَ مُتَّصِفَ شَعْبَانَ الْمُكْرَمِ مِنَ الْعَامِ الْمَذْكُورِ عَلَى
أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَغْرَبِ الصَّنَائِعِ وَأَفْسَحِ الْمَسَاحَةِ وَأَبْعَدِ
الْبِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ ، وَفِيهِ مِنْ شَمْسِيَّاتِ الزُّجَاجِ وَدَرَجَاتِ
الْمُنْبَرِ وَسِيَاجِ الْمَقْصُورَةِ مَا لَوْ عَمِلَ فِي السَّنِينَ الْعَدِيدَةِ
لَا سْتُغْرِبَ تِمَامُهُ ، فَكَيْفَ فِي هَذَا الْأَمَدِ الْيَسِيرِ الَّذِي

(١) الفريدة : الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها . والشذرة تفصل بين
اللؤلؤ والذهب في نحو المقد ، والفريد البراذن نظم وفصل بغيره وهو هنا
مستعار لأنفس شيء عمل في العمر وأتمن ما صنع فيه ، وفي بعض النسخ
« فوائد » . « أحمد يوسف نجاني »

لَمْ يَتَخَيَّلْ أَحَدٌ مِنَ الصَّنَاعِ أَنْ يَتِمَّ فِيهِ فَضْلًا عَنْ بَنَائِهِ
وَصُلِّيَتْ فِيهِ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ مُتَّصِفَ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ ،
وَنَهَضُوا - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ - عَقِبَ ذَلِكَ لَزِيَارَةِ
الْبُقْعَةِ الْمُسَكَّرَةِ ، وَالرَّوَضَةِ الْمُعْظَمَةِ ، بِمَدِينَةِ تَيْنَمَلٍ (١)
- أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهَا - فَأَقَامُوا بِهَا بَقِيَّةَ شَعْبَانَ الْمُسَكَّرِ ،
وَأَكْثَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ ، وَحَمَلُوا فِي صُحْبَتِهِمُ الْمُصْحَفَ
الْعَزِيزَ وَمَعَهُ مُصْحَفُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) تينمل: جبال بالمغرب كان بها قرى ومزارع يسكنها البربر، بين أولها
ومراكش كان سرير ملك بني عبد المؤمن بن علي، وبها كان أول خروج
المهدي محمد بن تومرت الذي أقام الدولة. ولما توفي صارت لعبد المؤمن ثم
لولده كما تقدم. وتجد ترجمة المهدي في وفيات الأعيان لابن خلكان،
ويقال انه كان قداطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت أثر
عليه عند أبي حامد الغزالي، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى
بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
إلى الله ويكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه
ت ي ن م ل ل ، وتوفي سنة ٥٢٤ ودفن بذلك الجبل، وكان قبره هناك
مشهورا مقصودا بالزيارة، وكان له شعر، منه قوله :

فكم أنت تنهى ولا تنتهى وتسمع وعظا ولا تسمع

فيا حجر السن حتى متى تسن الحديد ولا تقطع

والبيت الثاني مثل جيد لمن يعط غيره ولا يعط نفسه «أحمد يوسف نجاني»

تَمَالَي عَنْهُ - فِي التَّابُوتِ الْمَوْصُوفِ ، إِذْ كَانَ قَدْ صُنِعَ
لَهُ غُرْفَةٌ فِي أَعْلَاهُ ، وَأُخْكِمَتْ فِيهِ إِحْكَامًا كَمَلَّ بِهِ
مَعْنَاهُ ، وَاجْتَمَعَ فِي مِشْكَاةِ فَعَادِ النُّورِ إِلَى مُبْتَدَأِهِ ، وَخُتِمَ
الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ فِي مَسْجِدِ الْإِمَامِ الْمَعْلُومِ خَتَمَاتٍ كَادَتْ
لَا تُحْصَى لِكَثْرَتِهَا . وَهُنَا أُنْتَهَى مَا وَجَدْنَاهُ مِنْ هَذَا
الْمَكْتُوبِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ رُشِيدٍ بَعْدَ إِيرَادِ مَا تَقَدَّمَ مَا
صُورَتْهُ : نَجَزَتِ الرِّسَالَةَ فِي الْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُنْتَهَى مَحَلُّ الْحَاجَةِ مِنْهُ .

وداع أهل فرطبة وما أحسن قول الشيخ الإمام أبي محمد عبد الحق
ابن غالب بن عطية^(١) يستودع أهل فرطبة :

(١) تقدمت ترجمته في أثناء كرامتنا في بني عطية بالجزء الثاني ، وهو فقيه
حافظ محدث أديب شاعر بليغ عالم جليل ، ومن شعر أبيه له وقد غاب عنه
بجاءها :

يانازح الدار لم يحفل بمن نزحت دموعه طارقات الهم والفكر
غيبت شخصك عن عيني فما ألفت من بعد مرآك غير الدمع والسهل
قد كان أولى جهاد في مواصلي لاسما عند ضعف الجسم والكبر
اعتل سمعي وجال الضر في بصرى بالله كن أنت لي سمعي وكن بصرى
ومن شعر أبي محمد عبد الحق :

داه الزمان وأهله داه يئز له العلاج

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قُرْطُبَةٍ
حَيْثُ عَهَدْتُ الْحَيَاءَ وَالْكَرَمَا
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَبِيقَ وَلَا
زَالَ مَدَى الدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمًا

حدثني أبي
الحسن الأشعري
القرطبي

وَقَالَ أَبُو الرَّيِّعِ بْنُ سَالِمٍ ^(١) حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَيْعٍ ^(٢) الْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: أُنْشِدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ

أُطْلَعْتُ فِي ظِلْمَانِهِ رَأْيَا كَمَا سَطَعَ الزَّجَاجُ
لِعَاشِرِ أَعْيَانِ نَفَا فِي مَنْ قَنَاتِهِمْ أَعْوَجَاجُ
كَالَّذِي مَا لَمْ تَخْتَبِرْ فَإِذَا اخْتَبَرْتَ فَهَمَّ زَجَاجُ

وَكُنَّا وَعَدْنَا بِاسْتِقْصَاءِ الْقَوْلِ فِي بَنِي عَطِيَّةٍ، وَسَنَنْجِزُ وَعَدَنَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ . وَتُوفِيَ عَبْدُ الْحَقِّ سَنَةَ ٥٤٩ هـ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَحَاتِي » .

(١) أَبُو الرَّيِّعِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ سَالِمِ بْنِ حَسَّانِ الْحَبْرِيِّ السَّكَلَاكِيِّ
الْبُلْنَسِيِّ، كَانَ إِمَامًا مَحْدَثًا مَوْرِثًا دِيَارِ كَاتِبًا بَلِيغًا شَاعِرًا خَطِيبًا مَفُوهًا مَبْرُورًا
فِي فَنُونِ كَثِيرَةٍ، ذَا جَاهٍ وَحَسَنِ شَارَةٍ، وَجِهَا عِنْدَ الْمُلُوكِ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ فِي
مَجَالِسِهِمْ وَيُنَبِّئُهُمْ عَمَّا يَرِيدُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ، فَهُوَ لِسَانُهُمُ الْوَاقِعُ
وخطيبهم للوُثَرِ، وَلَهُ تَأْلِيفٌ مُمْتَعٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَالْأَخْبَارِ وَتَرَاجُمِ الرِّجَالِ
وَيَعْدُ هُوَ آخِرُ الْحِفَافِ وَالْبُلَغَاءِ الْمُرْسَلِينَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَلَدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ وَاسْتَشْهَدَ
بِالقُرْبِ مِنْ بُلْغِيَّةٍ مَقْبَلًا غَيْرَ مَدِيرِ سَنَةِ ٦٣٤ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَحَاتِي »
(٢) أَبُو الْحَسَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَيْعِ الْأَشْعَرِيِّ

أَبْنُ عَطِيَّةَ لِنَفْسِهِ - فَذَكَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَمَّا أَزْمَعَ
الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَطِيَّةَ الْإِرْتِحَالَ عَنْ قُرْطُبَةَ قَصَدَ
الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَأَنْشَدَ الْبَيْتَيْنِ - أُنْتَهَى . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ
أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

بَارِبِعٍ فَاقَتْ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةُ

وَهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ ثِنْتَانِ ، وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ

وَالْعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ إِنْشَادُنَا لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ غَيْرِ نِسْبَتِهِمَا
لِأَحَدٍ . وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي أَخْبَارِ الزَّاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ مَا قَدَّمْنَاهُ
مَا حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ ^(١)
قَالَ : نَادَمْتُ يَوْمًا الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ فِي مُنِيَةِ الشَّرُورِ

القرطبي كان شيخا جليلا محدثا فقيها ، له تأليف مفيد في مشيخته ومن
أخذ عنه ، ولما أزمع القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية الارتحال عن قرطبة
قصد المسجد الجامع متبركا ومودعا ، وكان أبو الحسن هذا ممن مشى معه
فأنشده البيتين المذكورين بالجامع ارتجالا ، ولد ابن ربيع سنة ٥١٩ هـ
وتوفي سنة ٥٨٥ هـ . « أحمد يوسف نجاشي » . (١) تقدمت ترجمته

بِالزَّاهِرَةِ ذَاتِ الْحُسْنِ النَّصِيرِ ، وَهِيَ جَامِعَةٌ بَيْنَ رَوْضَةٍ
وَعَدِيرٍ ، فَلَمَّا تَضَمَّخَ النَّهَارُ بِزِعْفَرَانِ الْعَشِيِّ ، وَرَفَرَفَ
غُرَابُ اللَّيْلِ الدَّجُوجِي^(١) ، وَأَسْبَلَ اللَّيْلُ جُنْحَهُ ، وَتَقَلَّدَ
السَّمَاءُ^(٢) رُمَحَهُ ، وَهَمَّ النَّسْرُ بِالطَّيْرَانِ ، وَعَامَ فِي الْأَفْقِ
زُورْقُ الزُّبْرَقَانِ^(٣) ، أَوْقَدْنَا مَصَابِيحَ الرِّيحِ ، وَأَشْتَمَلْنَا
مُلَا، الْإِرْتِيَّاحِ ، وَلِلدَّجَنِ^(٤) فَوْقَنَا رُوقًا مَضْرُوبًا ،
فَعَنَتْنَا عِنْدَ ذَلِكَ جَارِيَةٌ تُسَمَّى أَنْسَ الْقُلُوبِ . وَقَالَتْ :

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ

وَبَدَأَ الْبَدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارٍ^(٥)

(١) شديد السواد (٢) يريد السماء الرامح ، وسبق وصفه (٣) القمر
قال الشاعر :

تَضَىءُ لَهُ النَّابِرَحِينَ يَرِقَى عَلَيْهَا مِثْلُ ضَوْءِ الزُّبْرَقَانِ

(٤) الدجن : ظل النجم في اليوم الطير ، أو المطر الكثير (٥) تذكرت هنا
قول الشاعر وأحسن :

قُلْتُ لَمَّا انْتَبَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ سَ وَلاَحَ الْهَلَالُ لِلنَّظَارِ

أَفْرَضَ الشَّرْقُ صَنْوَهُ الْغَرْبِ دِينَا رَا فَأَعْطَى الرَّهَانَ نِصْفَ سِوَارِ

وهو خيال بديع ، لا يفوقه إلا صوت أنس القلوب بهذا الشعر الرائع .
« أحمد يوسف نجاتي » .

فَكَأَنَّ النَّهَارَ صَفْحَةٌ خَدَّ
وَكَأَنَّ الظَّلَامَ خَطٌّ عِذَارٍ
وَكَأَنَّ الْكُوُوسَ جَامِدُ مَاءٍ
وَكَأَنَّ الْمُدَامَ ذَائِبُ نَارٍ
نَظَرِي قَدْ جَنَى عَلَى ذُنُوبًا
كَيْفَ مِمَّا جَتَّهُ عَنِّي أَعْتَذَارِي؟
يَا لِقَوْمِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالٍ
جَائِرٍ فِي عَجَبِي وَهُوَ جَارِي
لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَأَقْضَى مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي
قَالَ: فَلَمَّا أَكْمَلْتَ الْقِنَاءَ، أَحْسَسْتُ بِالْمَعْنَى، فَقُلْتُ:
كَيْفَ كَيْفَ الْوُصُولُ لِلْأَقْمَارِ
بَيْنَ سُمْرِ الْقِنَاءِ وَبَيْضِ الشِّفَارِ^(١)
لَوْ عَلِمْنَا بِأَنَّ حُبَّكَ حَقٌّ
لَطَلَبْنَا الْحَيَاةَ فِيكَ^(٢) بِثَارٍ

وَإِذَا مَا الْكِرَامُ هَمُّوا بِشَيْءٍ
خَاطَرُوا بِالنَّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ

* * *

قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ بَادَرَ الْمَنْصُورُ لِحُصَامِهِ ، وَغَلِظَ فِي كَلَامِهِ الْمَنُصُورِ وَالْجَارِيَةِ
وَقَالَ لَهَا : قُولِي وَأَصْدُقِي إِلَى مَنْ تُشِيرِينَ ، بِهَذَا الشَّوْقِ
وَالْحَيْنِ ! فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : إِنْ كَانَ الْكَذِبُ أَنْجَى ،
فَالصِّدْقُ آخَرَى وَأَوْلَى ، وَاللَّهِ مَا كَانَتْ إِلَّا نَظْرَةً ، وَلَدَتْ
فِي الْقَلْبِ فِكْرَةً ، فَكَلَّمَ الْحُبُّ عَلَى لِسَانِي ، وَبَرَّحَ
الشَّوْقُ بِكِتْمَانِي ، وَالْعَفْوُ مَضْمُونٌ لَدَيْكَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ ،
وَالصَّفْحُ مَعْلُومٌ مِنْكَ عِنْدَ الْمَعْدَرَةِ ، ثُمَّ بَكَتْ فَكَانَ
دَمْعَهَا دُرٌّ تَنَازَرَ مِنْ عِقْدٍ ، أَوْ طَلٌّ تَسَاقَطَ مِنْ وَرْدٍ ،
وَأَنْشَدَتْ :

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَكَيْفَ مِنْهُ أَعْتَذَرِي
وَاللَّهُ قَدَرٌ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي
وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدَارِ
قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ صَرَفَ الْمَنْصُورُ وَجْهَ الْعَضْبِ إِلَى ،

وَسَلَّ سَيْفَ السُّخْطِ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : - أَيَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا
كَانَتْ هَفْوَةٌ جَرَّهَا الْفِكْرُ ، وَصَبُوءَةٌ ^(١) أَيْدَهَا النَّظَرُ ،
وَلَيْسَ لِلْعَرَّةِ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، لَا مَا اخْتَارَهُ وَأَمَّلَهُ ، فَأَطْرَقَ
الْمَنْصُورُ قَلِيلًا ، ثُمَّ عَفَا وَصَفَحَ ، وَتَجَاوَزَ عَنَّا وَسَمَحَ ، وَخَلَّى
سَبِيلِي ، فَسَكَنَ وَجِيبٌ ^(٢) قَلْبِي وَغَلْبِي ، وَوَهَبَ الْجَارِيَةَ لِي
فَتِنًا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ ، وَسَحَبْنَا فِيهَا لِلصَّبَا ذَيْلَهُ ، فَلَمَّا شَمَرَ
الَّيْلُ غَدَائِرَهُ ، وَسَلَّ الصَّبَاحُ بَوَاتِرَهُ ، وَتَجَاوَبَتِ الْأَطْيَارُ
بِضُرُوبِ الْأَلْحَانِ ، فِي أَعَالِي الْأَغْصَانِ ، انْصَرَفْتُ بِالْجَارِيَةِ
إِلَى مَنْزِلِي ، وَتَكَامَلَ سُرُورِي .

الرَّشِيدُ وَالْجَارِيَةُ قَالَ بَعْضُهُمْ : ذَكَرْتَنِي حِكَايَةً أَبِي الْمُبَيْرَةِ هَذِهِ
حِكَايَةً قَرَأْتُهَا فِي النَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِّ الْبَغْدَادِيِّ
حَدَّثَتْ فِي الظَّرْفِ حَدْوَهَا ، وَزَهَتْ فِي الْإِغْرَابِ
زَهْوَهَا ، وَهِيَ مَا أَسْنَدَهُ عَنِ مَنْصُورِ الْبَرْمَكِيِّ أَنَّهُ
كَانَتْ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً غُلَامِيَّةً ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ

(١) ميل إلى اللهو وهوى النفس ورقة الغزل (٢) وجيب القلب: خفقاؤه واضطرابه من نحو فزع ورعب .

يَمِيلُ إِلَيْهَا - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَمْرُدُ ، فَوَقَفَتْ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدِ
الرَّشِيدِ مِنْ إِبْرِيْقٍ مَمَّهَا - وَالْمَأْمُونُ خَلْفَ الرَّشِيدِ ، فَأَشَارَ
إِلَيْهَا يُقْبِلُهَا ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ بَعِيْنَهَا ، وَأَبْطَأَتْ فِي الصَّبِّ عَلَى
قَدْرِ نَظَرِهَا لِلْمَأْمُونِ وَإِشَارَتِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ مَا هَذَا ؟
ضَمِي الْإِبْرِيْقَ مِنْ يَدِكَ ، فَفَعَلْتُ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ
تَصُدِّقْنِي لِأَقْتُلَنَّكَ ، فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي أَشَارَ إِلَيَّ كَأَنَّهُ
يُقْبِلُنِي ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَنَظَرَ
إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ لِمَا دَاخَلَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْحَجَلِ ، فَرَحِمَهُ
وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أُحِبُّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَالَ : هِيَ لَكَ فَاخْلُ بِهَا فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ، فَقَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، وَأَنْشَدَ :

ظَنِّي كُنْتُ^(١) بِطَرْفِي مِنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبْلَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَأَعْتَلَّ مِنْ شَفَقَتِهِ
وَرَدَّ أَخْبَثَ رَدٍّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبِيهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهِ

(١) و يروى « كُتِبَتْ » « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاقِي » .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : اللَّحْظُ يُعْرَبُ
عَنِ الْفِظِ .

« وَقَالَ آخَرُ » رَبُّ كِنَايَةٍ تُعْنِي عَنْ إِصْحاحٍ ، وَرُبُّ
لَحْظٍ يَدُلُّ^(١) عَلَى ضَمِيرٍ ، وَلَظْمُهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ الْمَوَدَّةِ يَتَنَّا

دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَمْضَى مِنَ السَّخْرِ

فَأَعْرِفْ مِنْهَا الْوَصْلَ فِي لَيْنٍ لَحْظَهَا

وَأَعْرِفْ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ

« وَفِي هَذَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » الْعَيْنُ بَابُ الْقَلْبِ ، فَلَا
فِي الْقَلْبِ يَظْهَرُ فِي الْعَيْنِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٢) :

(١) فِي الْأَصْلِ « لَفْظٌ » وَأَرَاهُ تَصْحِيفًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلْعَامِ (٢) أَظَنَّهُ عِمَارَةُ
ابْنُ عَقِيلٍ بَنِي بِلَالٍ بَنِي جَرِيرٍ ، وَأَحْفَظُ مَعَ الْيَتَيْنِ تَمَّةٌ لَهَا :
إِنَّ الْبَغِيضَ لَهُ عَيْنٌ يَصْدُ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُ لَمَّا فِي الْقَلْبِ كَتَمَانًا
وَعَيْنُ ذِي الْوُدِّ لَا تَنْفَكُ مَقْبَلَةً تَرَى لَهَا مَحْجَرًا بَشًا وَانْسَانًا
وَيَجِبُنِي قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَلِذَاكَ قَبْلَ مِنَ الظُّنُونِ جَبَلَةٌ عِلْمٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عِيُونُ
وَقَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ شَبَلٍ :

وَالْعَيْنُ تَقْرَأُ مِنَ لِحَاطِ جَلِيسِهَا مَا خَطَمَتْ مِنْهُ فِي ضَمِيرِ الْخَاطِرِ

أَلَمَينُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا
مِنَ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا
فَالَمَينُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ
حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبَيَّنَا
انْتَهَى

« وَأَبُو الْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ * قَالَ فِي حَقِّهِ فِي الْمَطْمَحِ »
أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم

ولكم قطوب عن وداد خالص وتبسم عن غل صدر واغر
واذا تعارفت القلوب تألفت ويعد منها نافر عن نافر
فتسوق من ياباه قلبك انه سيبين باطنه بأمر ظاهر
والقول في هذا المعنى كثير ، وسبق لك شيء منه في الأجزاء السابقة .
« أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في كتاب الصلة لابن بشكوال « ج ١ ص ٣٧٤ » من
المكتبة الاندلسية بما يأتي :

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم من أهل
قرطبة ، يكنى أبا المغيرة ، له سماع من أبي القاسم الوهرائي وغيره ، وكان حسن
الخط ، ذكره الحميدى وقال : هو من المقدمين في الأدب والشعر والبلاغة
وهو ابن عم أبي محمد بن حزم والد أبي الخطاب ، وشعره كثير مجموع
وأنشدني له غير واحد من أصحابنا قريضا مذكورا في نفح الطيب عند
ترجمته نكتني بالإشارة اليه .

قال ابن حبان : توفي بمسكن ابن ذى النون صاحب طليطلة في مستهل
صفر من سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة ، ودفن بطليطلة رحمه الله تعالى .

مَا نَصَّهُ : الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ
حَزْمٍ ، وَبَنُو حَزْمٍ فِتْيَةٌ عِلْمٌ وَأَدَبٌ ، وَثَنِيَّةٌ^(١) مَجْدٌ وَحَسَبٌ
وَأَبُو الْمُغِيرَةِ هَذَا فِي الْكِتَابَةِ أَوْحَدٌ ، لَا يُنْعَتُ وَلَا يُحَدُّ ،
وَهُوَ فَارِسُ الْمِضْمَارِ ، حَامِي ذَلِكَ الدُّمَارِ^(٢) ، وَبَطْلُ الرَّعِيلِ^(٣)
وَأَسَدُ ذَلِكَ الْفِيلِ^(٤) ، نَسَقَ الْمُعْجَزَاتِ ، وَسَبَقَ فِي
الْمُعْضَلَاتِ الْمُوْجِزَاتِ ، إِذَا كَتَبَ وَشَى الْمَهَارِقَ^(٥) وَدَبَّحَ ،
وَرَكِبَ مِنْ بَحْرِ الْبَلَاغَةِ الثَّبَجَ^(٦) ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُو عَامِرٍ
أَبْنُ شُهَيْدٍ خَلِيلِي صَفَاءً ، وَحَلِيفِي وَفَاءً ، لَا يَنْفَصِلَانِ فِي

(١) كان الأصل هكذا « وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه » والاولى
ما أثبتناه بدليل السياق ، فانه يثنى على بنى حزم عامة ويخص من بينهم
أبا المغيرة . والثنية المكان المرتفع ، والثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه
وساوكه الى صعود وحدود - شبههم بالثنية في الشهرة والرفعة ويلهم درجة
لا يصل اليها غيرهم الا ببناء ، وقال الشاعر :

إذا مارأوني طالعا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني
ويجوز أن تكون « بنية » أى بناء أو بيت (٢) الدمار ما يترم الانسان
حفظه وحياطته وحمائته ، وان ضيعه لزمه اللوم (٣) الرعيل : القطعة من الخيل
أو الجيش وجماعة الفرسان (٤) الأجمة ومأوى الأسد (٥) الهارق جمع
مهرق وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وهو فارسي معرب (٦) ثبج
البحر : وسطه ومعظمه وأعلاه ، والثبج علو وسط البحر اذا تلاقت أمواجه ،

رَوَاجٌ^(١) وَلَا مَقِيلٍ ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ كَمَا لِكَ وَعَقِيلٍ^(٢) ، وَكَانَا
بِقَرْطَبَةِ رَافِعِ الْأَوِيَةِ الصَّبَّوَةِ ، وَعَامِرِ الْأَنْدِيَةِ السَّلَوَةِ ،
إِلَى أَنْ اتَّخَذَ أَبُو عَامِرٍ فِي حِبَالَةِ الرَّدَى وَعَلِقَ ، وَغَدَا رَهْنُهُ
فِيهَا وَعَلِقَ^(٣) ، فَأَنْفَرَدَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بِذَلِكَ الْمَيْدَانِ ، وَأَسْتَرَدَّ

وأعلى الأمواج ، وفي حديث الزهري : كنت إذا فاتحت عروة بن الزبير
فتنت به ثيجه بحر (١) في الأصل « رواد » (٢) مالك وعقيل نديما جذية
الأبرش ، يضرب بهما المثل في الملازمة وطول الاصطحاب ، وكان عمرو بن
عدى ابن أخت جذية فقد زمانا ، ثم ظفر به مالك وعقيل فعرفاه وأكرماه
وقدماه به على جذية فجعلهما نديمه ، ولم ينادمه أحد قبلهما ، وكان يزعم أنه
ليس في الدنيا من يصلح لمادته ذهابا بنفسه وفرط اعتداد بها . وفيهما
يقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيَّةَ حَقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ أَمِلَةً مَعَا
وَقَالَ آخَرُ :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَا هَيَا وَذَلِكَ رَزَهُ لَوَعَلْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتَ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمِّمِ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي قَدْ تَفَرَّقْتُ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءَ مَالِكِ وَعَقِيلِ
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ صَاحِبُ الطَّمَحِ عِبَارَتَهُ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَافِي » .

(٣) في نسخة « وغدا رهنه فيما قد غلق » غلق الرهن : استحققه المرتهن
وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط ، قال زهير يذكر امرأته :
وفارقتك برهن لافكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا
وقال عمارة بن صفوان الضبي :

أَجَارَتُنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقُ

مِنْ سَنِيهِ مَا فَاتَهُ مُنْذُ زَمَانٍ ، فَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ مَعَ أَبِي عَامِرٍ
حَسَنَةً ، وَلَا سَارَتْ ^(١) لَهُ فَقَرَةٌ «وَأِنْ كَانَتْ» مُسْتَحْسَنَةً ،
لِتَعَذَّرَ ذَلِكَ وَامْتِنَاعِهِ ، بِشُفُوفٍ ^(٢) أَبِي عَامِرٍ وَامْتِدَادِ بَاعِهِ ،
وَأَمَّا شِعْرُ أَبِي الْمَغِيرَةِ فَمُرْتَبِطٌ بِنَثْرِهِ ، وَخُتْلِطَ زَهْرُهُ بِدُرِّهِ
وَقَدْ أُثْبِتَ لَهُ مِنْهُ فُتُونًا ، تُجْنِي بِهَا الْأَفْهَامُ جُنُونًا ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

ظَلَعْتُ وَفِي أَحْدَاجِهَا مِنْ شَكْلِهَا

عَيْنٌ فَضَحْنَ بِحُسْنِهِنَّ الْعَيْنَا ^(٣)

مَا أَنْصَقَتْ فِي جَنْبٍ تَوْضِيحٌ إِذْ قَرَّتْ

ضَيْفَ الْوِدَادِ بَلَا بَلًا وَشُجُونًا ^(٤)

(١) في الأصل « سرت » (٢) الشفوف : الفضل والزيادة (٣) الأحداج
جمع حدج وهو مركب للنساء نحو الهودج تركبه نساء الأعراب ، والعين
جمع عيناء مؤنث أعين من العين وهو عظم سواد العين في سعة ، والعين
بقر الوحش وهو صفة غالبية لها وبها شبهت النساء (٤) توضح اسم مكان
وهو كنيب أبيض من كثنان حمر بالدناء ، أوقرية من قرى اليمامة ، وفيه
يقول يحيى بن طالب الحنفي :

أَيَا أُنْثَالَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضِيحٍ حَنِينِي إِلَى أَفْيَاثِكُنْ طَوِيلِ
وَيَا أُنْثَالَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ بَكُنْ ، وَجَسَدِي خَيْرُ كُنْ قَلِيلِ

أَضْحَى الْفَرَامُ قَطِينَ رَبْعٍ قُوَادِهِ
إِذْ لَمْ يَجِدْ بِالرَّقْمَتَيْنِ قَطِينًا^(١)
« وَلَهُ » :

لَمَّا رَأَيْتُ الْهِلَالَ مُنْطَوِيًا
فِي عُرَّةِ الْفَجْرِ قَارَنَ الزُّهْرَةَ
شَبَّهَتْهُ وَالْعِيَانُ يَشْهَدُ لِي
بِصَوْلَجَانِ أَنْثَى لِضَرْبِ كُرَّةٍ
انتهى

وقرى الضيف: أضافه وقدم اليه الطعام وما يحتاج اليه - والبلابل جمع بلبال وهو شدة الهم والوساوس في الصدر، تقول: متى أخطرتك بالبال وقعت في بلبال - والشجون جمع شجن وهو الهم والحزن - هذا وأحفظ للائييات رابعا وهو:

صن البدور بظل جئل فاحم وغرسن في كئيبانهن غصونا
الجئل: الشعر الكثير الأسود الكثيف (١) الرقتان موضع قرب البصرة وهما منزل مالك بن الربيع للزاني، وفيهما يقول:

فله درى يوم أترك طائعا بنى بأعلى الرقتين وماليا

وقد أكثر الشعراء من ذكرها والتغزل بسا كئيباتهما، قال زهير:

ودار لها بالرقتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

وقد جرى ابن حزم الأعراب في شعرهم، وحذا حذوهم في غزلهم، فجعل غادته وصاحبها يركبن الأهداج، ويسكن توضح والرقتين، لآلفة هذه



« وَأَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ الْمَذْكُورُ قَالَ فِي حَقِّهِ مَا صُوِّرَتْهُ »
 الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شَهِيدٍ الْأَشْجَعِيِّ
 عَالِمٌ بِأَقْسَامِ الْبَلَاغَةِ وَمَعَانِيهَا، حَائِزٌ قَصَبَ السَّبْقِ فِيهَا ،
 لَا يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَلَا يَنْسُقُ ^(١) مَا نَسَقَ

أبو عامر أحمد
الأشجعي

الأمّاكن والتبرك بذكرها ، ونحن الآن انما تصيينا كل هيفاء :
 محلّتها غربي مصر وقصرها على النيل لا أكناف سلع ولا الهضب
 وحلت بأكناف الزملاك روضة يروح ويغدو بين أرجائها الحب
 وعسى أن يكن في وفا. الاغرابيات بنات الفطرة والطبيعة وفي تصونهن
 « أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في سلم الوصول « ج ١ ص ٩٩ » بما يأتي :

أحمد بن عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد
 ابن عيسى المعروف بابن شهيد الأشجعي الأندلسي الفرطبي .
 المتوفى بهافي جمادى الاولى سنة ست وعشرين وأربعمائة عن أربع وأربعين
 سنة ، له رسائل و نظم ، وكان بارعا متفنا ، وبينه وبين ابن حزم مكاتبات
 وصنف كشف الدك وإيضاح الشك ، والتوايع والزوايع ، وكتاب الحكايات
 والنوادر ، ذكره ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .

(١) نسق الكلام : أتى به على نظام واحد من الحسن ، وأنسق التكلام
 اذا تكلم سجعاً ، واذا كان الكلام مسجعاً قيل له نسق حسن .
 والتفسيق التنظيم ، وهذا كلام متناسق : حسن النظم جيد السياق
 « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْ دُرِّ الْيَبَانِ وَجَمَانِهِ ^(١) ، تَوَغَّلَ ^(٢) فِي شِعَابِ الْبَلَاغَةِ
وَطُرُقِهَا ، وَأَخَذَ عَلَى مُتَعَاتِطِهَا مَا بَيْنَ مَغْرِبِهَا وَمَشْرِقِهَا ،
لَا يُقَاوِمُهُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ^(٣) ؛ وَلَا تَرَاهُ يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ بَحْرِ ،
مَعَ أَنْطَبَاعٍ ^(٤) ، مَشَى فِي طَرِيقِهِ بِأَمَدٍ بَاعٍ ^(٥) ، وَلَهُ الْخُسْبُ
الْمَشْهُورُ ، وَالْمَكَانُ الَّذِي لَمْ يَعُدَّهُ ^(٦) ظُهُورٌ ، وَهُوَ مِنْ
وَلَدِ الْوَضَّاحِ ، الْمُتَقَلَّدِ تِلْكَ الْمَفَاخِرِ وَالْأَوْضَاحِ ^(٧) ،
وَصَاحِبِ الضَّحَّاكِ يَوْمَ الْمَرْجِ ، وَرَأَى ذَلِكَ الْهَرَجِ ،

(١) الجمان : الأولو (٢) توغل في البلاد والمكان والعلم اذا ذهب وبالغ وسار
فأبعد . والشعاب جمع شعب وهو في الأصل الطريق في الجبل ، أو ما انفرج
بين الجبلين (٣) يريد به الجاحظ امام البلاغة المشهور (٤) يريد السهولة ويحى
الكلام عفو الطبع غير متكلف (٥) أمد أفعال تفضيل من مد ، أى أطول
(٦) أى لم تتجاوزه شهرة (٧) الوضع في الأصل بياض الصبح ، وقد يراد
به مطلق الضوء والبياض ، ويطلق على الشية والغرة والتججيل في القوائم
وهو هنا مستعار للأعمال المشهورة والحاصل الكريمة الواضحة للعرفة .
والوضاح جدد أبى عامر بن شهيد هو الوضاح بن رزاح الذى كان مع
الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط . والوضاح هذا هو جد بنى وضاح
الذين كانوا من أعيان أهل مرسية ، وهو من أشجع من قيس عيلان
ابن مضر ، وأسر الوضاح بن رزاح في يوم المرج ، ومن عليه مروان بن
الحكم ، وواقعة مرج راهط مشهورة بين قيس وتغلب وكانت سنة ٦٥
وتقدم موجز القول فيها ، وانتهت بقتل الضحاك بن قيس واستقامة الامر

وَأَبُو عَامِرٍ حَفِيدُهُ هَذَا مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ ، وَنَبِعٌ ^(١) لَا يُرَاشُ
إِلَّا مَعَ ذَلِكَ الْغَرَبِ ^(٢) ، وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مَا هُوَ بِالسُّخْرِ
لَاحِقٌ ، وَلِتُورِ الْمَحَاسِنِ مَا حِقُّ « فَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ :
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا نَابَتْهُ غَمَصَةٌ
أَبْدَى إِلَى النَّاسِ رِيًّا وَهُوَ ظَمَانٌ
يَخْنِي الضَّلُوعَ عَلَى مِثْلِ اللَّظَى حُرْقًا
وَالْوَجْهَ غَمْرٌ بِمَاءِ الْبِشْرِ رِيَّانٌ ^(٣)

لمروان - ومرج راهط موضع في القنطرة من دمشق، وفي واقعة مرج راهط
يقول زفر بن الحرث الكلابي من قصيدته الطويلة الشهيرة :
لعمري لقد أبقت وقبة راهط لمروان صدعا بيننا متناثيا
وقال ابراهيم بن هرمة يمدح عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان:
أبوك غداة للرج أورثك العلى وخاض الوغى اذ سال بالموت راهط
هذا وراهط الذي ينسب اليه الرج رجل من قضاة «أحمد يوسف نجاشي»
(١) النبع : شجرة من أشجار الجبال رزين العود صلب، كانوا يتخذون
منه القسي الجيدة ، قال أبو حنيفة: وكل القسي اذا ضمت الى قوس النبع
كرمتها قوس النبع لانها أجمع القسي للشدة واللين، ولا يكون الصود كريما
حتى يكون كذلك ، وتتخذ السهام من أغصانه (٢) في الأصل «الزغب»
وفي اللطمح «الغرب» وهو المناسب ، وراش السهم ألزق عليه الريش - والغرب
شجر صلب تسوى منه الاقداح ، وهو من أكرم الاعواد كالنبع قال الشاعر:
لما بدت عجمت الصبر أخبره فلم أجد عوده نبعا ولا غربا
يريد صاحب اللطمح أن ابن شهيد فرع كريم كآصله، وأن هذا الشبل من
ذاك الأسد (٣) الحمصة : الجوع - والقمر للماء ، واليتان في معنى

وَهُوَ مَاخُذٌ مِنْ قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَعَشَرَ صَبَرُوا

عِزًّا عَلَى الْأَزَلَاتِ وَالْأَزَمِ (١)

بَسَطُوا الْوُجُوهَ وَبَيَّنَّ أَضْلُعَهُمْ

حَرُّ الْجَوَى وَمَا لِمُ الْكَلَمِ (٢)

قوله تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » يقول ان الكريم اذا افتقر كتم عن الناس سوء حاله ، وأظهر لهم التجميل وحسن الحال حتى لا يتوهم أحد أنه يريد سؤاله اذا أظهر له سوء ما هو عليه ، فهو يضرر في نفسه شدته ويكتمها ، ولكنه يظهر للناس ذا غبطة طلق الوجه ضاحك الثغر :

يسمى الثغر غير أن فؤادى يعلم الله كل ما هو فيه

والقول في هذا المعنى كثير متداول . وعجز البيت في بعض المراجع : أبدى الى الناس شبحا وهوطيان ، والطيان الجائع والطوى الجوع « أحمد يوسف نجاتي » (١) عجز البيت في الديوان « لقوارع اللزبات والأزم » واللزبة : الشدة والقحط ، واللزب الضيق والجذب ، والأزل أيضا الضيق والشدة والقحط وأزم عليهم العام أزما وأزوما اذا اشتد قحطه وقل خيره ، وسنة آزمة وأزومة : مجذبة شديدة القحط والمحل (٢) في الديوان « حرق الجوى . . » والجوى الحرفة وشدة الوجد والحزن ، وما لم جمع مألم أى ألم ووجع ، والكلم الجرح ، مستعار هنا لنوائب الدهر وشدائد الأيام ، وبعد هذين البيتين ثالث وهو :

جمعت بهم خيل الأسي فشنوا أعناقها بأغصة الحزم

وَلَهُ أَيْضًا :

كَلِفْتُ بِالْهَبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي
لَمَا وَجَدْتُ لَطْعَمَ الْمَوْتِ مِنَ الْمِ
كَلا النَّدَى وَالْهَوَى قَدَمًا وَلِفْتُ بِهِ
وَيْلِي مِنَ الْهَبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكِرَمِ^(١)

* *

« وَأَخْبَرَنِي » الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ^(٢) - وَهُوَ
ابن سراج الوزير أبو الحسين

بِعَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ ، وَكَانَ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي
مَدَى غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَمِنَ الْفَصَاحَةِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّبْيَانِ ،
وَكُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَ شَرَابِهِ ، وَلَا نَغِيبُ عَنْ بَابِهِ ، وَكَانَ
لَهُ بَيَابِ الصَّوْمَةِ مِنَ الْجَامِعِ مَوْضِعٌ لَا يُفَارِقُهُ أَكْثَرُ

(١) تقدم شرحهما ، وفي نسخة « ألت بالحب » بدل « كلفت » (٢) في
الأصل : أبو الحسن بن سراج الدين ، هذا ورأيت في بعض المراجع
أصل العبارة هكذا : وأخبرني الوزير أبو الحسين بن سراج أن منزل
الوزير أبي عامر بن شهيد كان منتدى الأعيان ، ومسرى البيان ،
وكان كل شاعر أو كاتب ، منه ما بين صلة أوراتب ، وكانوا
يحضرون مجلس شرابه ، ولا ينفصلون ساعة عن بابه. الخ وفي الطمخ :
أبو الحسين بن سراج ، وهو المعروف ، يريد الوزير الأستاذ أبا الحسين
سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج القرطبي
الأديب اللغوي الشاعر الرقيق ، كان مع علوجه حسن الخلق كامل الرومة

نَهَارِهِ ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنْ نَثْرِ دُرِّهِ وَأَزْهَارِهِ ، فَقَعَدَ فِيهِ لَيْلَةً
السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي لَمَّةٍ^(١) مِنْ إِخْوَانِهِ ،
وَأَيِّمَةً سُلُوكَانِهِ ، وَقَدْ حَفُّوا بِهِ ، لِيَقْتَطِفُوا نَجَبَ^(٢) أَدَبِهِ
وَهُوَ يَخْلِطُ لَهُمُ الْجَدَّ بِهَزْلٍ ، وَلَا يُفْرِطُ فِي انْبِسَاطٍ مُشْتَهَرٍ
وَلَا انْقِبَاضٍ جَزَلٍ ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ
مَعَهَا مِنْ جَوَارِيهَا ، مَنْ يَسْتُرُهَا وَيُؤَارِيهَا ، وَهِيَ تَرْتَادُ مَوْضِعًا
لِمُنَاجَاةِ رَبِّهَا ، وَتَبْتَغِي مَنْزِلًا لِاسْتِعْفَارِ ذَنْبِهَا ، وَهِيَ مُتَقَبِّبَةٌ ،
خَائِفَةٌ مِمَّنْ يَرْمُقُهَا مُتَرَقِّبَةٌ ، وَأَمَامَهَا طِفْلٌ لَهَا كَأَنَّهُ غُصْنُ
آسٍ ، أَوْ ظَبْيٌ يَمْرَحُ^(٣) فِي كِنَاسٍ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهَا عَلَى
أَبِي عَامِرٍ وَلَتْ سَرِيعَةً ، وَتَوَلَّتْ مَرُوعَةً^(٤) ، خِيفَةً أَنْ

وبيت سراج بيت وزارة ونباهة وعلم وأدب وفضل ، وقد سبقت لنا كلمة
في هذه الأميرة فارجع إليها ، وتوفي الوزير أبو الحسين في جمادى الآخرة
سنة ٥٠٨ وكان مولده سنة ٤٣٩ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) لمة الرجل : أصحابه وإخوانه ومن يأنس إليهم (٢) في الأصل « ليقطعوا
تحت » وقد أثبتنا ما في اللطمح فهو أظهر ، والنخبة من الشيء : مختاره
وجمع نخب (٣) مرح : تبخر ونشط واختال ، والمرح أيضا : الفرح
والتوسع فيه حتى يجاوز قدره . والكناس مأوى الظبي وحيث يستتر في
الشجر (٤) أى خائفة « أحمد يوسف نجاتي »

يُشَبَّبُ^(١) بِهَا ، أَوْ يُشْهَرَهَا بِاسْمِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَهَا ، قَالَ قَوْلًا
فَضَحًا بِهِ وَشَهَرَهَا :

وَنَاطِرَةٌ تَحْتَ طَىِّ الْقِنَاعِ
دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ بِالْخَيْرِ دَاعِي
سَعَتْ خَفِيَّةً تَبْتَنِي مَنَزَلًا
لَوْصَلِ التَّبْتُ لِلْإِنْقِطَاعِ^(٢)
فَجَاءَتْ تَهَادَى كَيْثِلِ الرَّءُومِ
تُرَاعَى غَزَا لَابِرَوْضِ الْبِقَاعِ^(٣)

(١) شَبَّبَ بالمرأة تغزل: بها وذكرها في شعره (٢) التبتل: الانقطاع الى الله قال تعالى: « وتبتل اليه تبتيلا » ومنه التبول وهي المرأة للنقطة عن الرجال لارغبة لها فيهم ، وبه سميت السيدة مريم العنراء - والتبول أيضا النقطة عن الدنيا الى الله تعالى (٣) تهادى أصله تتهادى ، وتهادت المرأة: تمايلت في مشيتها اعجابا ودلالا . والرءوم الأم ترأى ولدها أى تعطف عليه وتلزمه وتحميه - وهذا البيت ليس في اللطمح لتكرار كلمة البقاع قافية فيمع ما بعده ، فلعلها مصحفة عن « البقاع » وهو المرتفع من الأرض كالرؤة . أو يكون « للبقاع » الاول معنى آخر حتى يستقيم النظم ويغلو من الايطاء المريب، فيجوز أن يكون جمع « بقعة » بفتح الباء وهي المكان يستنقع فيه الماء - أما البقاع في البيت الثاني فجمع بقعة « وقد تفتح الباء » وهي القطعة من الأرض على غير هيئة القطعة التي الى جنبها ، وقد يطلق على مطلق القطعة . و يروى « تناغى » بدل « تراعى » وناغى المرأة

وَجَلَّتْ بِمَوْضِعِنَا جَوْلَةً
 فَحَلَّ الرَّيْعُ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ
 أَتَقْنَا تَبَخَّرُ فِي مَشِيهَا
 فَحَلَّتْ بِوَادٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ^(١)
 وَرَبِعَتْ حِذَارًا عَلَى طِفْلِهَا
 فَتَادَيْتُ: يَا هَذِهِ لَا تُرَاعِي
 غَزَاكَ تَفَرَّقُ مِنْهُ اللَّيْثُ
 وَتَفَرَّعُ مِنْهُ كَمَاةُ الْمِصَاعِ^(٢)

إذا داناها أو غازلها ولاطفها. والناغاة أيضا تكليمك الصبي بما يهواه. قال:
 ولم يك في بؤس إذا بات ليلة يناغى غزالا فأقار الطرف أكلحا
 وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته. « أحمد يوسف نجاشي »
 (١) أراد بالسباع هؤلاء اللمة من الأدباء ، الذين يفتنهم مثل هذه الغادة
 الهيفاء ، فتكاد عيونهم تكون نطافا لخصرها ، وتكاد أحداقهم تنهبها
 بنظراتها (٢) الفرق: الخوف والفرع، والكماة جمع كمي وهو الشجاع
 يتكلم في سلاحه أي يتغطى. وصاع فلانا خوفه وأفرعه، فانصاع: خاف
 ونكص. وصاع الكمي أقرانه إذا حازهم من نواحيهم، وحمل عليهم ففرق
 جمعهم - وصاع القوم: حمل بعضهم على بعض - ومصع فلانا: ضربه بالسيف
 وماصعوا مصاعا إذا قاتلوا وجالدوا بالسيف. وعاصعوا: تضاربوا - وروى
 « وتنصاع » بدل « وتفرع ». « أحمد يوسف نجاشي »

فَوَلَّتْ وَلِلْمِسْكِ فِي ذَيْلِهَا

عَلَى الْأَرْضِ خَطٌّ كَظْهَرِ الشُّجَاعِ ^(١)

انْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنْهُ .

« رَجِعْ » وَمِمَّا يَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ أَخْبَارِ الزَّهْرَاءِ مَا
حَكَاهُ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي
الْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ سِرَاجٍ ^(٢) أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ
بِالزَّهْرَاءِ فِي يَوْمٍ قَدْ غَفَلَ عَنْهُ الدَّهْرُ فَلَمْ يَرْمُقْهُ ^(٣)
بِطَرْفٍ ، وَلَمْ يَطْرُقْهُ بِصَرْفٍ ^(٤) ، أَرَحَتْ ^(٥) بِهِ الْمَسْرَاتُ
عَهْدَهَا ، وَأَبْرَزَتْ لَهُ الْأَمَانِيَّ خَدَّهَا وَهَدَّهَا ^(٦) ، وَأَرَشَفَتْ
فِيهِ لَمَاهَا ^(٧) ، وَأَبَاحَتْ لِلزَّائِرِينَ حِمَاهَا ، وَمَا زَالُوا يَتَنَقَّلُونَ
مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ ، وَيَتَنَذِلُونَ الْعُصُونَ بِحَنَى وَهَضَرٍ ^(٨) ،

(١) الشُّجَاع : الحية أَوْضُرِبَ مِنْهَا دَقِيقُ (٢) فِي فَلَانَدِ الْعَقِيَانِ :
وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ سِرَاجٍ (٣) رَمَقَهُ :
نَظَرَهُ وَلَحَظَهُ (٤) صَرَفَ الدَّهْرُ حَدَثَانَهُ وَنَوَائِبَهُ لِأَنَّهُ يَصْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَنْ
وُجُوهِهَا (٥) قَدْ يَكُونُ « أَوْفَتْ » (٦) يَعْنِي بَرَزَتْ لَهُ الْإِمَانِيَّ وَالْأَمَالَ فِي
أَحْسَنِ مَنَازِلِهَا وَأَجْمَلَ هَيْئَاتِهَا فَتَالَ مِنْهَا أَطْيَبُ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ (٧) الْبَيِّ
سَمَرَةٌ فِي الشَّفَةِ كَانُوا يَسْتَحْسِنُونَهَا ، فَهُوَ أَلْمَى وَهِيَ لِمَاءٌ ، وَلَتَةُ لِمَاءٍ أَيْضًا
إِذَا كَانَتْ رَقِيقَةً (٨) ابْتَدَلَ الشَّيْءُ : أَهَانَهُ بِالِاسْتِمَالِ ، ضِدَّ صَانٍ ، وَهَضَرَ
الْفَضْنَ أَدْنَاهُ إِلَيْهِ وَأَمَالَهُ : وَالْإِنْهَارَ وَالِاهْتِمَارَ : سَقُوطُ الْعَصَنِ عَلَى الْفَضَنِ

وَيَتَوَقَّلُونَ^(١) فِي تِلْكَ الْغُرُفَاتِ ، وَيَتَعَاطَوْنَ الْكُوُوسَ
يَيْنَ تِلْكَ الشُّرُفَاتِ^(٢) ، حَتَّى اسْتَقَرُّوا بِالرَّوْضِ مِنْ بَعْدِ
مَا قَضَوْا مِنْ تِلْكَ الْأَثَارِ أَوْطَارًا ، وَأَوْقَرُوا^(٣) بِالْإِغْتِبَارِ
قِطَارًا ، فَحَلَّوْا مِنْهُ فِي دَرَانِكِ^(٤) رَيْبَعٍ مُقَوِّفَةٍ بِالْأَزْهَارِ ،
مُطَرَّزَةٍ بِالْجُدَاوِلِ وَالْأَنْهَارِ ، وَالْمُغْصُونُ تَخْتَالُ فِي أَدْوَاجِهَا^(٥) ،
وَتَنْتَشِي فِي أَكْفٍ أَرْوَاجِهَا^(٦) ، وَآثَارُ الدِّيَارِ قَدْ أَشْرَفَتْ
عَلَيْهِمْ كَشْكَالَى يَنْخُنَ عَلَى خَرَابِهَا ، وَأَنْقِرَاضِ أَثَرِهَا
وَأَطْرَافِهَا ، وَالْوَهَى^(٧) بِمَشِيدِهَا لَاعِبٌ ، وَعَلَى كُلِّ جِدَارٍ
غُرَابٌ نَاعِبٌ ، وَقَدْ مَحَتِ الْحَوَادِثُ ضِيَاءَهَا ، وَقَلَّصَتْ^(٨)
خِلَالَهَا وَأَفْيَاءَهَا ، وَطَالَمَا أَشْرَقَتْ بِالْخِلَافِ^(٩) وَابْتَهَجَتْ ،

(١) توقل في الجبل ونحوه اذا صعد فيه وعلا ، والتوقل أيضا : الاسراع
في الصعود ، وفلان يتوقل مصاعدا الشرف اذا أسرع في الارتقاء إليها .
(٢) الشرفات التي تعلو المنازل من الأمام وتطل على الطريق أو على ساحة
الدار « البلكونات » (٣) أوقره : أنفله وحمله (٤) جمع درنوك وهو
ضرب من البسط ذو خمل ، وكانوا يشبهون به فروة البعير والأسد ، وكذا
« الدرنيك » والدرنك ، وبرد مقوف : رقيق موشى ذو خطوط ونقش .
وفي الأصل « محفوفة » بدل « مقوفة » (٥) الدوحة الشجرة العظيمة
ذات الفروع الممتدة ، وجمعها دوح وأدواح (٦) جمع ربح (٧) الضف
والحراب (٨) جمعه وقبضته « كناية عن تهميها » (٩) جمع خليفة

وَفَلَحَتْ مِنْ شَذَاهُمْ وَتَارَّجَتْ ، أَيَّامَ نَزُلُوا خِلَالَهَا ،
وَتَقَيُّوْا ظِلَالَهَا ، وَعَمَّرُوا حَدَائِقَهَا وَجَنَاتِهَا ، وَنَبَّهُوا آلَ مَالٍ
مِنْ سِنَاتِهَا^(١) ، وَرَاعُوا أَلْيُوثَ فِي آجَامِهَا^(٢) ، وَأَخْجَلُوا
أَلْيُوثَ عِنْدَ أَنْسِجَامِهَا^(٣) ، فَأَضَحَتْ وَلَهَا بِالتَّدَاعِي تَلْفَعُ
وَأُعْتَجَارُ^(٤) ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهَا إِلَّا نُؤْيُ^(٥) وَأَحْجَارُ ،
قَدْ وَهَتْ قِبَابُهَا ، وَهَرِمَ شَبَابُهَا ، وَقَدْ يَلِينُ الْحَدِيدُ ،
وَيَبْسِلُ عَلَى طِيَّةِ الْجَدِيدِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَعَاطَوْنَهَا صِغَارًا
وَكِبَارًا ، وَيُدِيرُونَهَا أَنْسًا وَأُعْتَبَارًا ، إِذَا بِرَسُولِ الْمُعْتَمِدِ
قَدْ وَاقَاهُمْ بِرُقْمَةٍ فِيهَا :



حَسَدَ الْقَصْرِ فِيكُمْ الزَّهْرَاءُ

رقعة المعتد

وَلَعَمْرِي وَعَمَّرُكُمْ مَا أَسَاءُ

(١) السنة النوم (٢) جمع أجمة وهي الغابة مأوى الأسد (٣) انسجم الغيث:
نوالى هطله وانسكبه (٤) التداعي: السقوط والانهار ، وتلفعت المرأة اذا لبست
كساءها « الأسود » واللقاع: الرداء ، وكل ما يتلفع به من رداء أو لحاف أو
قناع يحلل به الجسد كله ، والاعتجار: لى الثوب على الرأس ، ولبسة المرأة
شبه الالتحف - والفرض أن التداعي قد شملها والانهار قد عمها وسرى
في كل أجزائها (٥) النؤى: الحفير تحت الحباء أو الخيمة يمنع السيل .

قَدْ طَلَعْتُمْ بِهَا شُمُوسًا صَبَاحًا
فَاطْلَعُوا عِنْدَنَا بُدُورًا مَسَاءً
فَسَارُوا إِلَى قَصْرِ الْبُسْتَانِ بِيَابِ الْمَطَارِينِ ^(١) فَالْفَوْا
مَجْلِسًا قَدْ حَارَ فِيهِ الْوَصْفُ ، وَاحْتَشَدَ فِيهِ اللَّهُوُّ وَالْقَصَفُ ^(٢) ،
وَتَوَقَّدَتْ نُجُومٌ مُدَامِهِ ، وَتَأَوَّدَتْ قُدُودٌ ^(٣) خُدَامِهِ ،
وَأَرْبَى عَلَى الْخُورَنَقِ وَالسَّدِيرِ ، وَأَبْدَى صَفْحَةَ الْبَدْرِ مِنْ
أَزْرَارِ الْمُدِيرِ ^(٤) ، فَاقْلَمُوا لَيْلَتَهُمْ مَا عَرَاهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا

(١) من أبواب قرطبة ، وعنده كان يسكن أبو محمد قاسم بن موسى بن
يونس بن موسى الضنى - و بقر به كان مسجد النخيلة ، وفيه نزل أبو محمد
مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ الفير واني أول قدومه الى قرطبة فأقرأ به
ثم نقله اللفظ عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة ، وتوفي سنة ٤٣٧ هـ
« أحمد يوسف نجاشي » .

(٢) احتشد: اجتمع ، والقصف هنا معناه اللهو واللعب والحلية والاعلان
بهما ، وفي الأساس هو الرقص مع الحلية ، مأخوذ من قصف العيذان
الصغيرة أى كسرهما ، ورعد قاصف في صوته تكسر ، ومنه قيل لصوت
المعازف قصف ، ثم تجوز به المولدون في كل لهو ، ولعفيف الدين التلمساني
يصف البان :

تبسم زهر البان عن طيب نشره وأقبل في حسن يحل عن الوصف
هللوا اليه بين قصف ولذة فان غصون البان تصلح للقصف
(٣) تأودت : تنثت وتمايلت كغصون البان (٤) أى مدير الكاس والساقى
كلنا الشمس من لباته طلعت حسنا أول البدر من أزواره طلعا

عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ اللَّذَاتِ سَوْمٌ ^(١) ، وَكَانَتْ قُرْطُبَةُ
مُتَمَتَّى أَمْلِهِ ، وَكَانَ رَوْمٌ أَمْرَهَا أَشْهَى عَمَلِهِ ، وَمَا زَالَ
يَخْطُبُهَا بِمُدَاخَلَةِ أَهْلِهَا ، وَمُواصَلَةِ وَالِيهَا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي
مُنَازَلَتِهَا قَائِدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا إِلَّا حَيْلٌ وَمَكَايِدُ ، لِاسْتِمْسَاكِهِمْ
بِدَعْوَةِ خُلَفَائِهَا ، وَأَنْقَتِهِمْ مِنْ طُمُوسِ رُسُومِ الْخِلَافَةِ
وَعَقَائِهَا ^(٢) ، وَحِينَ اتَّفَقَ لَهُ تَمَلُّكُهَا ، وَأُطْلِعَهُ فَلَكُهَا ،
وَحَصَلَ فِي قُطْبِ دَارَتِهَا ^(٣) ، وَوَصَلَ إِلَى تَدْيِيرِ رِيَاسَتِهَا
وَإِدَارَتِهَا ، قَالَ :

مَنْ لِلْمُلُوكِ بِشَاوِ الْأَصِيدِ الْبَطْلُ
هِنَاهُ جَاءَتْكُمْ مَهْدِيَّةُ الدُّوَلِ ^(٤)

وفي معنى ما هنا قول الشاعر :

وأسكر القوم دور كاس وكان سكرى من المدير
وصفحة البدر وجهه وعرضه وجانبه (١) أصل السوم في البايعة عرض
السلعة على البيع ، وسام بها سوما إذا غالى ، والسوم أيضا سرعة المر ،
وسامت للماشية سوما : رعت حيث شامت ، وسام فلانا الأمر سوما كلفه أياه ،
وعداه عن الشيء : صرفه ومنعه . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) طمس الرسم وعفا إذا درس وانمحى وزال أثره (٣) الدارة : ما أحاط
بالشيء كالدارة ، وهالة القمر التي حوله (٤) الشاؤ : السبق والغاية والامد :
والأصيد الملك ذو القوة والبذخ ، وفي الأصل « مهديّة الأول » وفي بعض

خَطَبْتُ قُرْطُبَةَ الْحُسْنَاءِ إِذْ مَنَعَتْ

مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ ^(١)

وَكَمَّ غَدَتُ عَاطِلًا حَتَّى عَرَضْتُ لَهَا

فَأَصْبَحَتْ فِي سَرِيِّ الْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ ^(٢)

عَرِسُ الْمُلُوكِ أَنَا فِي قَصْرِهَا عُرْسٌ

كُلُّ الْمُلُوكِ بِهِ فِي مَأْتَمٍ الْوَجَلِ ^(٣)

المراجع «مهرية الدول» (١) البيض السيوف، والأسل الرماح (٢) العاطل المرأة يتخاو جيدها من الحلى، والثى السرى النفيس الثمين (٣) العرس «بضم العين وسكون الراء وضما» ولجمة الاملاك والزفاف والاحتفال بهما أو طعامه خاصة - والعرس أيضا جمع عروس . واسم من الاعراس وهو الدخول بالعروس - هذا والبيت في كل الاصول والمراجع كما ترى ، وقد تكون «عرس» أول البيت مصحفة عن «عرش» بمعنى أن عرش الملوك الذين كانوا بقرطبة من قبل أصبح للعتمد عرسا سارا له جارا على غيره من الملوك الوجل، فهو في عرس وهم في مأتم لحوفهم على عروشهم أن يثلمها ويستوى عليها ، وان بقيت «عرس» كاهي فأكسر عينها مریدا بها قرطبة نفسها جعلت عرسا للملوك لأنها كانت أبهى مدائن الأندلس، ثم أخبر بأن له في قصرها عرائس أو اعراسا وزفاقا «وهذا أظهر على ماأرى» أو ضمها والمعنى قريب من المكسورة ، وهذا كله جناية الولوع بالبديع والجناس، وان كان الخطب سهلا . و «به» في عجز البيت : يروى : لها ، ويروى «بها» . «أحمد يوسف نجاشي» .

فَرَأَوْا عَنْ قَرِيبٍ - لَا أَبَالَكُمْ -

هُجُومَ لَيْثٍ بِدِرْعِ النَّاسِ مُشْتَمِلٍ

وَلَمَّا أُنْظِمَتْ فِي سِلْكِهِ ، وَأَتَسَمَتْ بِمُلْكِهِ ،

أَعْطَى ابْنَهُ الظَّافِرَ زِمَامَهَا ، وَوَلَّاهُ تَقْضَاهَا وَإِزَامَهَا ،

فَأَفَاضَ فِيهَا نَدَاهُ ، وَزَادَ عَلَى أَمْدِهِ وَمَدَاهُ ، وَجَمَّلَهَا بِكَثْرَةِ

حِبَائِهِ ^(١) ، وَأَسْتَقَلَّ بِأَعْبَائِهَا عَلَى فِتَائِهِ ^(٢) ، وَلَمْ يَزَلْ فِيهَا أَمِيرًا

وَنَاهِيًا ، غَافِلًا عَنِ الْمَكْرِ سَاهِيًا ، حُسْنُ ظَنِّ بِأَهْلِهَا أَعْتَقَدُهُ ،

وَاعْتَرَا رَأْيَهُمْ مَارَوَاهُ وَلَا أَنْتَقَدُهُ ، وَهَيْهَاتَ كَمْ مِنْ مُلْكٍ كَفَنُوهُ

فِي دِمَائِهِ ، وَدَفَنُوهُ بِدِمَائِهِ ^(٣) ، وَكَمْ مِنْ عَرْشٍ ثَلَاثُ ^(٤) ،

وَكََمْ مِنْ عَزِيزٍ مُلْكٍ أَذْلُوهُ ، إِلَى أَنْ ثَارَ فِيهَا ابْنُ عُكَّاشَةَ ^(٥)

(١) الحباء : العطاء (٢) استقل بالثى * اذا نهض به وقوى على حملها والاضطلاع
بأموره ، والثناء حدادة السن والشباب (٣) الذماء بقية النفس ، وبقية
الروح في الذبوح (٤) هدموه وقوضوه ، والجملة كناية عن ازالة الملك
كما قال الشاعر :

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشمهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب
وفي الأصل « فلو » مصحفة (٥) خلاصة هذه الحادثة « وقد تقدمت »
ان المعتمد بن عباد كان قد اتسع ملكه وشمع سلطاه ، وملك كثيرا من
بلاد الاندلس ومنها قرطبة ، وولى عليها ابنه الظافر باقه ، فبلغ خبر ملكه
لها الى الامير المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فغسده عليها ، فضمن

لَيْلًا ، وَجَرَّ إِلَيْهَا حَرْبًا وَوَيْلًا ، فَبَرَزَ الظَّافِرُ مُنْفَرِدًا
عَنْ كُتَاتِهِ ، عَارِيًّا مِنْ مُحَاتِهِ ، وَسَيْفُهُ فِي يَمِينِهِ « وَهَادِيهِ
فِي الظُّلَمَاءِ نُورُ جَبِينِهِ » فَإِنَّهُ كَانَ عَلَامًا قَدْ بَلَّلَهُ الشَّبَابُ
بِأَنْدَانِهِ ، وَأَلْحَفَهُ الْحُسْنُ بِرِدَائِهِ ، فَدَافَعَهُمْ أَكْثَرَ لَيْلِهِ ،
وَقَدْ مَنَعَ مِنْهُ تَلَاخُوقَ رَجُلِهِ وَخَيْلِهِ ، حَتَّى أَمَكَّنْتَهُمْ مِنْهُ

له جرير بن عكاشة « أو موسى » ابن عكاشة « وأصله من البربر » أن
يجعل ملكها له - وكان ابن عكاشة قبل ذلك متغلبا على قرطبة فعليه عاها
الأمير الظافر أبو القاسم محمد بن عباد سنة ٤٧١هـ - وسار الى قرطبة وأقام
بها يسعى في ذلك وهو يتنزه الفرصة ، فاتفق في بعض الليالي أن هطل مطر
عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق ، فثار جرير بن عكاشة فيمن معه
ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه ، فدخل صاحب الباب الى الظافر
وأعلمه ، فخرج بمن معه من العبيد والحرس - وكان صغير السن - وحمل عليهم
ودفعهم عن الباب ، ثم انه عثر في بعض كرائنه فسقط فوثب عليه بعض من يقاتله
وقتله ، ولم يبلغ الخبر الى الأجناد وأهل البلد الا والقصر قد ملك ، وتلاحق بابن
عكاشة أصحابه وأشياعه ، وترك الظافر طريقا على الأرض وهو عريان ، فر
عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال ، فترع عنه رداءه وألقاه
عليه ، ولم يزل للعتد يسعى في أخذها حتى أعاد ملكها وترك ولده المأمون
فيها ، فأقام بها حتى استولى عليها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
سنة ٤٨٤هـ وأخذت اشبيلية من أبيه للعتد ، وبقي محبوسا في أغمت الى
أن توفي بها سنة ٤٨٨هـ . وكان رحمه الله تعالى هو وأولاده جميعا الرشيد
والمأمون والراضي وأبوه وجده علماء أدياء فضلاء شعراء « أحمد يوسف نجاتي »

عَثْرَةٌ لَمْ يُقَلْ لَهَا لَعًا^(١) ، وَلَا أُسْتَقَالَ مِنْهَا وَلَا سَعَى ،
 فَتَرِكَ مُلْتَحِفًا بِالظُّلَمَاءِ ، تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مُعَفَّرًا فِي
 وَسْطِ الْجَمَاءِ^(٢) تَحْرُسُهُ الْكَوَاكِبُ ، بَعْدَ الْمَوَاكِبِ^(٣) ،
 وَيَسْتُرُهُ الْحُنْدُسُ^(٤) ، بَعْدَ السُّنْدُسِ ، فَمَرَّ بِمَصْرَعِهِ سَحْرًا
 أَحَدُ أَيْمَةِ الْجَامِعِ الْمُغْلَسِينَ^(٥) فَرَأَاهُ وَقَدْ ذَهَبَ مَا كَانَ
 عَلَيْهِ وَمَضَى ، وَهُوَ أَغْرَى مِنَ الْحُسَامِ الْمُتَضَى^(٦) ، فَخَلَعَ
 رِدَائَهُ عَنِ مَنْكِبَيْهِ وَنَضَاهُ^(٧) ، وَسَتَرَهُ بِهِ سِتْرًا أَقْنَعَ
 الْمَجْدُ^(٨) وَأَرْضَاهُ ، وَأَصْبَحَ لَا يَعْلَمُ رَبُّ تِلْكَ الصَّنِيعَةِ ،
 وَلَا يُعْرِفُ فَتَشَكَّرَ لَهُ يَدُهُ الرَّفِيعَةَ ، فَكَانَ الْمُعْتَمِدُ
 إِذَا تَذَكَّرَ صَرَعَتَهُ ، وَسَعَرَ^(٩) الْحُزْنَ لَوْعَتَهُ ، رَفَعَ بِالْعَوِيلِ

(١) يقال للعائر : لعلك ، دعاء له بأن ينتعش من سقطته ، فإذ ادعى عليه
 قيل : لالعله أى لا أقاله الله ولا أنهضه ، وفى بعض النسخ « استقل » أى
 هض ، واستقال طلب الاقالة (٢) جمع حمأة وهى الطين الاسود « وفى
 الاصل » أ كجاء « (٣) جمع موكب وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة
 أو جماعة الفرسان للزينة والتتزه (٤) الليل الظلم الشديد الظلمة أو الظلمة نفسها
 (٥) غلس اذا صار بالغلس وهو ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح
 (٦) اتضى السيف اذا استله من غمده (٧) نضا ثوبه عنه اذا نزع (٨) فى
 الاصل « المجدب » وهى زيادة مفسدة (٩) سحر النار أوقدها وهيجهها
 واللوعة حرقه فى القلب وألم يشعر به الانسان من نحوهم أو حزن أو مرض

نِدَاءُهُ ، وَأَنْشَدَ :

* وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ^(١) *

والعويل رفع الصوت بالبكاء والصياح ، « وقد يكون العويل حرارة وجد الحزين من غير نداء ولا بكاء ، وقد يكون صوتا من غير بكاء » (١) هذا صدر بيت من أبيات لأبي خراش الهذلي ، وهو :

ولم أذر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
وأبو خراش هو خويلد بن مرة شاعر فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان بنو كنانة قد أسروا عروة ابن مرة أخا أبي خراش ، فسمي أبو خراش حتى أطلق ، ثم خرج عروة وخراش بن أبي خراش مرة في جماعة مغيرين على بني ثعلبة طمعا أن يظفروا من أموالهم شيء ، فظفر بهما الثماليون ، واختلفت بطون ثعلبة فأما بنو رزام فنهوا عن قتلها ، وأبي بنو بلال الا قتلها ، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ثم قال له انج بنفسك ، وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا قد أسلموا إليه فقالوا له : أين خراش ؟ فقال : أفلت مني ، فذهب فسمي القوم في أثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرئى أخاه عروة ، ويدكر خلاص ابنه :

حمدت الهى بعد عروة اذ نجى خراش ، وبعض الشر أهون من بعض
فو الله لأنسى قتيلا رزئته بجانب قوسى ما حيت على الأرض
بلى ، انها تمقوا الكلام ، وانما نوكل بالاذنى وان جل ما مضى
ولم أذر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلأ أضاع الشباب في الريلة والخفض
ولكنه قد نازعته مجاوع على أنه ذو مرة صادق النهض
« قوسى » بلد بالسراة قتل عروة أخو أبي خراش ، والمثلوج الفؤاد : البليد والمهبل ، من يدعى عليه بالمهبل أى بالفقد والمهلك لقلة غنائه ، والريلة السمن والخفض والدعة والنعمة ، ويروى « مهيجا » بدل مهبل ، والمره

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدْحِ رَأْسَهُ وَرَفَعَ عَلَى سِنِّ رُمْحٍ وَهُوَ يُشْرِقُ
كَنَارٍ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَرْشُقُ نَفْسَ كُلِّ نَاطِرٍ بِالْأَلَمِ ، فَلَمَّا رَمَقَتْهُ
الْأَبْصَارُ ، وَتَحَقَّقَتْهُ الْحِمَاةُ وَالْأَنْصَارُ ، رَمَوْا أَسْلِحَتَهُمْ ،
وَسَوَّوْا لِلْفِرَارِ أَجْنِحَتَهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ فِرَارَهُ وَجَلَّاهُ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَتْ بِهِ إِلَى حَيْنِهِ ^(١) رَجَلَاهُ ، وَشَغِلَ الْمُعْتَمِدُ
عَنْ رِثَائِهِ بِطَلَبِ ثَارِهِ ، وَنَصَبِ الْحَبَائِلِ لَوْقُوعِ ابْنِ عُكَّاشَةٍ
وَعِثَارِهِ ، وَعَدَلَ عَنْ تَأْيِينِهِ ، إِلَى الْبَحْثِ عَنْ مَفْرَقِهِ وَجَبِينِهِ ،
فَلَمْ تُحْفَظْ لَهُ فِيهِ قَافِيَةٌ ، وَلَا كَلِمَةٌ لِلْوَعْتِ شَافِيَةٌ ، إِلَّا
إِشَارَتُهُ إِلَيْهِ ، فِي تَأْيِينِ أَخَوَيْهِ ، أَلْمَأُومُونَ وَالرَّاضِي
الْمَقْتُولَيْنِ فِي أَوَّلِ النَّائِرَةِ ^(٢) ، وَالْفِتْنَةِ النَّائِرَةِ ^(٣) . أَنْتَهَى .

القوة - يصف أخاه بأنه ممن هذبته الشدائد فظهرت غناؤه وقوة نفسه
وصدق عزيمته ، وليس من الشبان الذين أبطروهم الغنى وأفسدتهم النعمة
والفراخ حتى بلدوا احساسهم ، وفقدوا قوة نفوسهم ، فاستحقوا سحق الناس
ومقتهم وتعينهم هلاكهم . « أحمد يوسف نجاشي » . (١) الحين : الهلاك ،
والعبارة من المثل : أنتك بحائن رجلاه ، مثل : سعى الى حتفه بظلفه .
(٢) النائرة الفتنة الحادثة ، ونار الحرب وناثرتها : شرها وهيجهها (٣) من
ذلك الرناء قوله من قصيدة :

يقولون صبرا ! لاسبيل الى الصبر سأ بكى وأبكى ما أطاول من عمرى
نرى زهرها فى مأثم كل ليلة يخمشن لها وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أنكان ذا وذا فياصبر ما للقلب فى الصبر من عنبر



« وَقَدْ رَأَيْتُ » أَنْ أُرِيدَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِمَّا قَصَدْتُ جَلْبَةً
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نُبْذَةً مِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ فِي ذِكْرِ مُتَنَزَّهَاتِ

مجالس الانس
 بمنزلات قرطبة

مدى الدهر فليبك الغمام مصابه
 بعين سحاب واكف قصر دمهها
 وبرق ذكي النار حتى كأنما
 هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
 أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
 هوى بكما القدر عني ولم أمت
 توليتما والسن بعد صغيرة
 فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
 يعيد على سمعي الحديد نشيده
 مني الاخوات المالكات عليكما
 فتبكي بدمع لبس للفطر مثله
 أبا خالد أورتني البيت خالدا
 وقبلكما ما أودع القلب حيرة
 وأما سقنا هذه الآيات مع طولها لما اشتملت عليه من عواطف الأوبة
 الحزينة المتاعاة بحر الوجد ، فكانت جد مؤثرة ، تثير الشجون ، وتستدر
 شائب العيون ، وتستزف ماء الثؤون - قلت : وأحد الوالدين اللذين
 يرثيها هو المؤمن ، وكان ينوب عن والده في قرطبة ، فخصر بها أيام الفتنة
 حتى قتل ، والثاني يزيد الراضي وكان أيضا نائبا عنه في مدينة « رندة » وهي
 من الحصون المنيعه ، فنازلوه وأخذوها وقتلوا الراضي ، ولست ترى ما يفتت
 الأكباد ، ويسر الجرحى الوؤاد ، مثل فقد البنين والأولاد ، جعل الله من
 فقدانهم لنا فرطا وذخرا حسنا . « أحمد يوسف نجاتي » .

قُرْطَبَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَصَفِ مَجَالِسِ
الْأَنْسِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مِمَّا تَنْشَرِحُ لَهُ الْأَنْفُسُ ، وَوَقَعَ
ذِكْرُ غَيْرِ قُرْطَبَةَ وَالزَّهْرَاءِ لَهَا تَبَعًا ، وَلَا يَخْلُو ذَلِكَ
مِنْ عِبَرَةٍ بِحَالٍ مَنْ جَعَلَ فِي اللَّهِ مَصِيفًا وَمُرْتَبَعًا ، ثُمَّ طَوَاهُ
الدَّهْرُ طَى السَّجِلِ ، وَمَا آثَارُهُ الَّتِي كَانَتْ تَسْمُو وَتَجِلُّ ،
وَمَا قَصْدَنَا - عِلْمُ اللَّهِ - غَيْرِ الْإِعْتِبَارِ ، بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ ، لَا اخْتُ
عَلَى الْحُرَامِ ، وَتَسْهِيلِ الْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْمَرَامِ ، وَالْأَعْمَالِ
بِالنِّيَّاتِ ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَفِيلُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ
يُلَوِّغُ الْأُمْنِيَّاتِ ، وَتَعْوِضُنَا عَنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْفَانِيَّاتِ
بِالنِّعَمِ الْبَاقِيَّاتِ السَّنِيَّاتِ .

« قَالَ الْفَتْحُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ
الوزير ابن سراج
أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ مَأْصُورُهُ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ
أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ سِرَاجٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ ^(١) فِي وَقْتِ

(١) رأيت في بعض المراجع هذه العبارة هكذا : أنه أيام تواريه ، وجريه

فِرَارِهِ أَضْحَى ، غَدَاةَ الْأَضْحَى ، وَقَدْ تَارَ بِهِ الْوَجْدُ بَيْنَ
كَانَ يَأْلَفُهُ وَالْغَرَامُ ، وَتَرَأَتْ لِعَيْنَيْهِ تِلْكَ الطَّبَّاءِ الْأَوَانِسُ
وَالْآرَامُ^(١) ، وَقَدْ كَانَ الْفِطْرُ وَافَاهُ ، وَالشَّقَاءُ قَدْ أُسْتَوَلَى
عَلَى رَسْمِ عَافِيَتِهِ حَتَّى عَفَاهُ^(٢) ، فَلَمَّا عَادَهُ مِنْهُمَا مَا عَادَ ،
وَأَعْيَاهُ ذَلِكَ التَّكْدُ^(٣) الْمَعَادُ ، أُسْتَرَّاحَ إِلَى ذِكْرِ عَهْدِهِ
الْحَسَنِ ، وَأَرَّاحَ جُفُونَهُ الْمُسَهَّدَةَ بِتَوَهْمِ ذَلِكَ الْوَسَنِ^(٤)
وَذَكَرَ مَعَاهِدَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي الْعِيدِ ، وَيَتَفَرَّجُ بِهَا
مَعَ أَوْلَئِكَ الْعِيدِ ، فَقَالَ :

خَلِيلِي لَا فِطْرُ يَسُرُّ وَلَا أَضْحَى

فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى

أمام الطلب وتباريه ، أَضْحَى الح (١) الآرام جمع رثم : وهو الظبي الخالص
البياض (٢) محاء وأزال أثره (٣) في القلائد « الكد » (٤) السهد :
الأرق ، وسهده الهم والوجع إذا أرقه وأسهر ليله - والوسن : شدة النوم
أو أوله ، أو النعاس من غير نوم ، وقيل السنة نعاس يبدأ في الرأس ، فإذا
صار إلى القلب فهو نوم ، وقال عدى بن الرقاع العاملي :

وَكَلَّتْهَا بَيْنَ الْفَسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ

وَسَنَانِ أَقْصَدَهُ النِّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سَنَةً وَلَيْسَ بِنَائِمِ

لَنْ شَاقِي «شَرِقُ الْمُقَابِ» فَلَمْ أَزَلْ
 أَخْصُ بِمَحْوُوسِ الْهَوَى ذَلِكَ «السُّفْحَا»^(١)
 وَمَا أَنْفَكَ «جَوْفِي الرُّصَافَةَ» مُشْعِرِي
 دَوَاعِي بَثِّ تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرْحَا^(٢)
 وَيَهْتَا جُ «قَصْرُ الْفَارِسِيِّ» صَبَابَةً
 لِقَلْبِي لَا تَأَلَوْ زَنَادَ الْأَسَى قَدْحَا^(٣)
 وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ «مَجْلِسِ نَاصِحِ»
 فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوُلُوعِ بِهِ نُصْحَا
 كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى «عَيْنِ شَهِيدَةٍ»
 نَزَالَ عِتَابٍ كَانَتْ آخِرُهُ الْفَتْحَا
 وَقَانَعُ جَانِبَهَا التَّجَنُّى، فَإِنْ مَشَى
 سَفِيرُ خُضُوعٍ يَنْتَنَا أَكْذَا الصُّلْحَا^(٤)

(١) المقاب : موضع بقرب قرطبة، وسفح الجبل عرضه حيث يسفح فيه الماء ، وبمحوض الهوى : خالعه وصرفه (٢) تقدم شرح « جوف الرصافة » والبحر أصله العذاب والشدة، وصف به هنا على معنى الشاق الشديد للؤلؤ. والبت الوجد والحزن والغم بفضى به للمرء الى صاحبه (٣) قدح الزند : استخرج ناره ، ولا تألو : لا تمنع - وفي بعض الراجع « مجلس ناصح » بدل مجلس في البيت الذى بعده (٤) جعل ما يدور بينهما عند « عين

وَأَيَّامَ وَصَلِي « بِالْعَقِيقِ » أَقْضَيْتُهُ
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِيعَادُهُ أَلَيْدَ فَالْفَضْحَا
 وَأَصَالَ لَهْوٍ فِي « مُسْنَاءَ مَالِكٍ »
 مُعَاطَاةَ نَدْمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبَحًا^(١)
 لَدَى رَاكِدٍ تُصْبِيكَ مِنْ صَفَحَاتِهِ
 قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتَهَا مُرَدَّتْ صَرَحًا^(٢)
 مَعَاهِدُ لَذَاتٍ ، وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ
 أَجَلْتُ الْمُعَلَّى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا^(٣)

شهادة من العتاب نزالا جناء التجنى والدلال، ثم يسفر عن الفتح، وينتهى
 خضوع الحب الى الصلح (١) السنة : السد بينى في وسط الوادى لاحتجاز
 الماء والتصرف فيه بما تقتضيه المصلحة ، له أبواب تفتح لاطلاق الماء عند
 الحاجة - يذكر أوقات الأصائل وهى أطيب أوقات النهار التى كان يقضيها
 لاهبى لاعبا عند هذا السد، فان شاء تساقى مع الندمان الراح ، وان شاء نزل
 فى النهر للعوام والسباحة. والبيت يعطيك صورة كالتى راها على الشواطىء
 وقرب الجسور فى أيام الصيف أو الربيع (٢) مرد البناء سواء وملسه، والصرح
 الساحة وبلاط يتخذ من قوارير القصر - شبه سطح الماء الراكد فى
 خضرته واستوائه وصفائه بالقوارير التى جعلته صرحا مردا (٣) القدح السهم
 من السهام التى كانوا يستقسمون بها الجزور فى الليرس، وكان الملى أوفرها
 حظا له سبعة أجزاء من الجزور « يقول ان هذه المعاهد نال فيها آماله، وظفر
 بأغراضه، فكان سهمه فيها رابحا أعظم ربح، فما رام مآربا الا أسفر سعيه

الْأَهْلَ إِلَى «الزَّهْرَاءِ» أَوْبَةً نَازِحَ
 تَقَضَّى تَنَائِيهَا مَدَامَعَهُ تَرْحَا؟! (١)
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا
 فَخَلْنَا الْعِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صُبْحًا (٢)
 يُثَلُّ قُرْطِينَهَا لِيِ الْوَهْمِ جَهْرَةً
 فَقُبَّتْهَا، فَالْكُوكِبُ الرَّحْبُ، فَالْسَّطْحَا (٣)
 مَحَلُّ أَرْتِيَا حِ يَذْكُرُ الْخُلْدَ طِيبُهُ
 إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى (٤)

عن حوز النجج، وفوز القدح (١) الأوبة العودة، والنازح البعيد المفارقت
 وتقضى: تقاضى وطالب، وأخذ وتناول واستوفى، يقول إن تنأى الزهراء
 عنه استوفى حقه من مدامعه حتى نزعها، فكأنه غريم تقاضى دينه وهو
 انتزاع ماء الجفون، واستنفاد الدموع من العيون. وفي الأصل «نقضت مبانيتها
 مدامعها» وفيه أوبة «ناصح» بدل «نازح» وهو تصحيف بعيد
 وتحريف فاسد، ولم كان فيه من مثل هذا العبث والعيث «أحمد يوسف نجاشي»
 (٢) في الأصل «شرفت» بدل «أشرفت» والجون الأسود هنا (٣) يريد
 أن توهم هذه الأماكن وتخليها بصورها في نفسه فكأنه يراها عيانا
 وفي الأصل «يثل قرطها إلى الوهم جمرة»؟! و «الجون» في عجز
 البيت بدل «الرحب» ولا بأس به إذا أريد منه «الأبيض» (٤) يصدى
 يعطش، ويضحى يبرز للشمس ويتعرض لحرها. وعزام منع وشق - والبيت
 مأخوذ من وصف الجنة في قوله تعالى «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
 وإنك لأنظما فيها ولا تضحي» وفي بعض النسخ «عن» بدل «عز»

هَنَّاكَ الْجَمَامُ ^(١) الرُّزْقُ تَنْدَى حِفَافُهَا
 ظِلَالٌ عَهْدَتْ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَى سَمَحًا
 تَعَوَّضْتُ مِنْ شَدْوِ الْقِيَانِ خِلَالِهَا
 صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى ضَبْحًا ^(٢)
 وَمِنْ حَمَلِي الْكَاسَ الْمُفْدَى مُدِيرُهَا
 تَقَحَّمْ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّنْحَا ^(٣)
 أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ « شَاطِيءٍ بَيْطَةٍ »
 لَأَقْصِرُ مِنْ لَيْلِي بِآتَةٍ وَالْبَطْحَا ^(٤)
 وَهَذِهِ مَعَاهِدُ بَنِي أُمَيَّةَ قَطَعُوا بِهَا لَيْالِي وَأَيَّامًا ، وَظَلَّتْ
 فِيهَا الْحَوَادِثُ عَنْهُمْ نِيَامًا ، فَهَامُوا بِشَرْقِ الْعُقَابِ ، وَشَامُوا

(١) الجمام جمع حمة وهو مكان اجتماع الماء وغزارته، وحفافها جوانبها وما يحيط بها : يقول ان هذه المياه الصافية تمتد على شواطئها الظل فيكون نديارطبا ينعش النفس ويهب به النسيم عليلًا بليلا . وفي بعض النسخ « هناك الحمام الورق تندی حفافها » وفي الاصل « هناك الحمام الرزق تبدى خفافها »
 (٢) الضبح : صوت الخيل ، وقد يطلق على صوت غيرها كما استعاره هنا لما يتردد في الفلوات من الاصداء للزعجة للرهوة ، وفي الاصل « صبحا »
 وقد كان في صدر البيت « شرق » بدل « شدو » وهو تصحيف وتحريف
 (٣) يقول ان الدهر أبدله من حملة الكأس التي يدبرها ساق يفتدى بالنفس حملة أهوالا يقتحم شدايدها محاربا (٤) بيطة وآنة والبطحاء مواضع كانت
 (١٥ - فصح الطيب - خامس)

بِهِ بَرَقًا يَدُو مِنْ نِقَابٍ ، وَلَنِعْمُوا بِجَوْفِي الرُّصَافَةِ ، وَطَعِمُوا
عَيْشًا تَوَلَّى الدَّهْرُ جَلَاءَهُ وَزِفَافَهُ ، وَأَبْعَدُوا نُصْحَ النَّاصِحِ ،
وَحَمِدُوا أُنْسَ « مَجْبِسِ نَاصِحٍ » ، وَغَمُّوا بِالزَّهْرَاءِ ، وَصَمُّوا
عَنْ نَبِيٍّ صَاحِبِ الزُّورَاءِ ^(١) ، حَتَّى رَحَلَهُمْ ^(٢) أَلْمَوْتُ عَنْهَا
وَقَوَّضَهُمْ ، وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا مَا عَوَّضَهُمْ ، فَصَارُوا أَحَادِيثَ
وَأَنْبَاءَ ، وَلَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا إِلَّا خُنُوطًا ^(٣) وَكِبَاءَ ، وَغَدَتْ تِلْكَ
الْمَعَاهِدُ تُصَافِحُهَا كُفُّ الْغَيْرِ ، وَتَنَاقُحُهَا ^(٤) نَعْبَاتُ الطَّيْرِ ^(٥) .

بقرطبة وفي الأصل « نيطه ، ... بيانه » (١) الزوراء اسم لعدة مواضع
ما يناسب منها هنا مدينة النصور ببغداد وكانت في الجانب الغربي ، سميت
الزوراء لأنه جعل أبوابها الداخلة مزورة أى منحرفة عن أبوابها الخارجة
ولست على سمتها ، واسم دار عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة ، واسم
دار كان العثمان بن النضر قد بناها بالحيرة ، وقيل ان النصور هدمها . وكانت
رصافة هشام بن عبد الملك تسمى الزوراء ، وكانت من قبله للنعمان « وهى
غير التى بالحيرة » وهى أدنى بلاد الشام الى الشيع والقيصوم (٢) فى بعض
الذخ « راح به » (٣) الخنوط كل طيب يخلط للميت يطيب به أكفانه
وجسده ، والكباء عود البخور أو ضرب منه :

قد ضمت ما ينسكم وكم بلد يعد عود الكباء من حطبه

(٤) التناوح التقابل ، وقد يكون من النواح - وفى بعض النسخ « وتراوحها »
ونعب الغراب وغيره « كمنع وضرب » نعبيا ونعبا ونعبا اذا صاح وصوت
(٥) الطيرة ما يتطير به أى يتشام به من الفأل الردى ، أخذ اسمها من
« الطير » لأن العرب كانت تطير بالطيور من نحو نقيق الغراب أو أخذها

وَرَأَحَتْ بَعْدَ الزَّيْتَةِ سُدَى^(١) ، وَأَمْسَتْ مَسْرَحًا
لِلْبُومِ وَمَلْعَبًا لِلصَّدَى ، يُسْمَعُ لِلْجِنِّ بِهَا عَزِيفُ^(٢) ،
وَيُضْرَعُ فِيهَا الْبَطْلُ الْبَاسِلُ وَالنَّزِيفُ^(٣) ، وَكَذَا الدُّنْيَا
أَعْمَالُهَا خَرَابٌ ، وَأَمَالُهَا آلٌ وَسَرَابٌ^(٤) ، أَهْلَكَتْ
أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ^(٥) ، وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ بِمَارِبٍ^(٦) مِنْ
حَيَازَاتٍ وَخُدُودٍ . أَتَتْهُ .

« وَقَالَ الْفَتْحُ بَعْدَ كَلَامِ مَا صُورَتْهُ » : وَلَمَّا عَصَتْهُ أُنْيَابُ
الْإِعْتِقَالِ ، وَرَضَتْهُ^(٧) تِلْكَ الثُّوبُ الثَّقَالُ ، وَعَوَّضَ بِخَشَانَةِ
الْعَيْشِ مِنَ اللَّيْنِ ، وَكَابَدَ قَسْوَةَ خَطْبٍ لَا يَلِينُ ، تَذَكَّرَ

ذات اليسار إذا أناروها . ويصح أن تكون « الطير » فيكون آخر الجملة
من الفقرة التي قبلها « الغدير » فتح فسكون في كلا اللذين « أحمد يوسف نجاتي »
(١) سدى أى مهملة عاطلة ، وفي بعض النسخ « للسيد » أى الذئب
بدل « البوم » (٢) العزيف والنزف : صوت الجن وهو جرس يسمع في
الفاوز ، الليل ، ولعله صوت الرياح في الحو قفوه أهل البادية صوت الجن
(٣) من معاني النزيف من عطش حتى يبت عروقه وجف لسانه
(٤) الآل : السراب أو هو خاص بما في أول النهار مذغوة الى ارتفاع
الضحي الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم ، والسراب الذى يجري على
وجه الأرض لاصحابها كأنه الماء الجارى وهو نصف النهار (٥) من قوله
تعالى « قتل أصحاب الأخدود » وهو الحفرة المستطيلة الغامضة في الأرض
(٦) مارب من بلاد اليمن ، وقد تكون « حدود » مصحفة عن « سدود » وسد
مارب معروف مشهور ، وكذا حديث سيل المرم (٧) رضى اذا دق وكسره

عَهْدَ عَيْشِهِ الرَّقِيقِ، وَمَرَّاحَهُ بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْعَقِيقِ، وَحَنَّ
إِلَى سَعْدِ زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهُ، وَأَسْتَهْدَى نَسِيمَ عَيْشٍ طَابَ
لَهُ هُبُوبُهُ، وَتَأَسَّى بِمَنْ بَاتَتْ لَهُ النُّوَابِ بِمِرْصَادٍ، وَرَمَتْهُ
بِسَهَامِ ذَاتِ إِفْصَادٍ^(١)، فَقَالَ :

أَلْهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ

وَأَلْنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ

سَرَّانَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ أَلْهَوَاشِي

لَوْ يَدُومُ الشُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ^(٢)

وَطَرَّ مَا أَتَقَضَى إِلَى أَنْ تَقَضَى

زَمَنَ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِّمِ^(٣)

أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ^(٤)

(١) أفصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأفصد فلانا : طعنه أو رماه
بسهم فليخطئ مقائله . وفي بعض المراجع زيادة سجمة أخرى قبل الشعر
وهي : وضم من عهد الأحص الى ذات الاصاد ، والأحص مكان كان
بنجد حماء كليب وائل ، والأحص أيضا اسم لكورة كبيرة كانت مشهورة ذات
قرى ومزارع قبل حلب ، وقد خربت وبادت . وذات الاصاد موضع في بلاد
فرارة ، و به كان مجرى داحس والغبراء «أحمد يوسف نجاني» (٢) عيش رقيق
الحواشي أي ناعم ذودعة وخفض (٣) لو طر : اللأرب ، والغرض ، والذمام العهد
(٤) يقول ان أيامه القاسية الظالمة كثيرة طال عهده بها فليس يومه واحدا

مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ

سَ هُمَا يَكْشِفَانِ دُونِ النُّجُومِ ^(١)

وَهُوَ الذَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو

بِالْمُضَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْعَظِيمِ ^(٢)

« وَقَالَ الْفَتْحُ أَيْضًا فِي شَأْنِ ابْنِ زَيْدٍ دُونَ مَا صَوَّرْتَهُ » .

وَلَمَّا تَعَذَّرَ فَكَأَنَّكَ . وَعُفِّرَ فَرَقْدُهُ ^(٣) وَسِمَا كَهْ ، وَعَاوَدْتَهُ

الْأَوْهَامَ وَالْفِكَرَ ، وَخَانَهُ مِنْ أَبِي الْحَزَمِ ^(٤) الصَّارِمُ الذِّكْرُ ،

قَالَ يَصِفُ مَا بَيْنَ مَسَرَّاتِهِ وَكُرُوبِهِ ، وَيَذْكُرُ بَعْدَ طُلُوعِ

سَعْدِهِ مِنْ غُرُوبِهِ ، وَيَبْكِي لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّعْذِيرِ ،

وَيَعْذِرُ أَبَا الْحَزَمِ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ مِنْ عَذِيرٍ ^(٥) ، وَيَتَعَزَّى

منها : ومن كلام سيدنا علي : ما يومي من مراد بواحد ، يعني أنه لاقى منها أياما كثيرة
(١) نحوه :

وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ومثله :

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترى سوى العالي من الشجر

(٢) لا بى العلاء المعرى :

والخطب يحتاج الجليل وكم شكا نبأ على ماشكاه قنبر

قنبر خادم سيدنا علي « أحمد يوسف نجاشي »

(٣) سبق القول في هذين الكوكبين (٤) هو ابن جهور (٥) العذير

العاذر والنصير - والتعذير هنا بمعنى الادلال والاثانة - وعذر الدار

تعذيرا : طمس آثارها

بِإِنْجَاءِ^(١) الدَّهْرِ عَلَى الْأَحْرَارِ، وَإِلْحَاحِهِ عَلَى التَّمَامِ بِالسَّرَّارِ^(٢)،
وَيُخَاطَبُ وَلَادَةً بِوَفَاءِ عَهْدِهِ، وَيُقِيمُ لَهَا الْبَرَاهِينَ عَلَى أَرْفِهِ
وَسَهْدِهِ:

مَا جَالَ بَعْدَكَ لَحْظِي فِي سَنَى الْقَمَرِ
إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ^(٣)
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفٍ
إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقَصْرِ^(٤)
فِي نَشْوَةٍ مِنْ شَبَابِ الْوَصْلِ مُوَهَّمَةٍ
أَنْ لَامَسَافَةَ بَيْنِ الْوَهْنِ وَالسَّحَرِ^(٥)

(١) أُنحَى عليهم الدهر: أتى عليهم وأهلكهم، وأُنحَى عليه ضرباً: أقبل
(٢) السرار من الشهر: آخر ليلة منه
(٣) جعل سنى القمر أثراً من آثار ولادة يذكره بها (٤) يريد بذيما
الليل البقية الباقية منه، فقد جعله طويل النفس قوى الروح، يقول
أما استطال الليل لأنه مضى في هم وأسف على لياليه الماضية القصيرة
« أى السارة »

فقصارهن مع الهموم طويلة وطولهن مع السرور قصار
(٥) الوهن نحو من نصف الليل أو حين يدبر، أو هو ساعة تمضى منه.
وقد يحيل الى أن « شباب » هنا بما كانت مصحفة عن « سلاف »
يعنى أنه لنشوته بسكر الوصال يستقصّر الليل حتى كأن لم تكن هناك
مسافة بين سحره وموهنه:

يَا لَيْتَ ذَاكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلٌ

قَدْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ ^(١)

يَا لَرَزَايَا ! لَقَدْ شَاقَتْ مِنْهَلَهَا

غَمْرًا ، فَمَا اشْرَبَ الْمَكْرُوهَ بِالْغَمْرِ ^(٢)

لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ

أَتَى مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ ^(٣)

باليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر
أو الاصل من « سنات الدهر » أى غفلته عنه وعدم تنبهه له ، وفى الاصل
« فى ليلة من شباب الوصل مرهقة » ومعناها - ان كان لها معنى -
متعسف غث متكلف (١) يتمنى أن يطول سواد الليل بما يستعيره له
من سواد عينه وسويداء قلبه ، وهما آثمن نفيس عند المرء ، وهو مأخوذ
من قول أبى العلاء للمرى :

بود أن غلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

(٢) النهل المورد حيث يشرب الانسان والحيوان وينهل - والغمر : الماء
الكثير ومعظم البحر - وشاقه : دانه وأدنى شفته منه ، والغمر قدح
صغير . قال أعشى باهلة فى رثاء أخيه المنتشر بن وهب الباهلى :

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء وروى شربه الغمر

يقول ابن زيدون انه صار يكرع من منهل الرزايا كثير الماء بفيه ويعب
منه حتى يفيض عنه ، وليس يتجرع منها بقاء صغير ، فذلك شأن من
أعوزهم منها الكثير (٣) الخطر : الشأن والقدر والشرف والمنزلة ، وعناه :
أُتعبه أو حبسه « أحمد يوسف نجاشى »

هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمٍ ^(١) أَلَا رُضٍ عَاصِفَةٌ
 أَمْ الْكُفُوفُ لَغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟؟
 إِنَّ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي فَلَا عَجَبُ
 قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدَّ الصَّارِمِ الَّذِي كَرَّ ^(٢)
 وَإِنْ يُثْبِطُ أَبَا الْحَزْمِ الرُّضَا قَدَرُ
 عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبَ عَلَى الْقَدَرِ
 مَنْ لَمْ أَرْزَ مِنْ تَأْنِيهِ عَلَى ثِقَةٍ
 وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجْنِيهِ عَلَى حَذَرٍ ^(٣)
 وَلَهُ يَتَزَلُّ ، وَيُعَاتِبُ مَنْ يَسْتَعِظُهُ وَيَتَزَلُّ :
 يَا مُسْتَخَفًّا بِعَاشِقِيهِ وَمُسْتَعِشًّا لِنَاصِحِيهِ
 وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا حَتَّى أَطْعَمْنَا السُّلُوفَ فِيهِ

(١) النجم مالا ساق له من النبات « وفيه مع الشمس والقمر
 - إيهام تناسب » (٢) الجفن : غمد السيف (٣) التأني التمهّل ،
 والتجني ادعاء ذنب لم يجنه - يقول اني على ثقة من تفكير الوزير
 الجليل في أمري وتأنيه في شأني حتى تتجلى له براءتي، ولست أخاف أن
 يتجنى على فنيته عدل وانصاف . وفي الاصل « من تدانيه » ولا بأس
 لولا أن يفوت على الناظم الترصيع والازدواج بين « تأنيه ، وتجنيه »
 وهو يقصد مثل هذا الجنس وتلك الموازنة . « أحمد يوسف نجاشي »

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي
تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزَمَ التَّسْلَى وَيَغْلِبَ الشُّوقَ مَا يَلِيهِ
اتَّهَى
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ زَيْدُونَ الْمَذْكُورِ فِي قَصِيدَتِهِ
النُّوَيْتَةِ الشَّهِيرَةِ :

غَصَّ الْعِدَا مِنْ تَسَاقَيْنَا الْهَوَى فَدَعَوْا
بِأَنْ نَغْصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِيناً^(١)

* *

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُوشَحَةٌ لِابْنِ الْوَكِيلِ
موشحة ابن
الوكيل
دَخَلَ فِيهَا عَلَى أَعْجَازِ نُوَيْتَةِ ابْنِ زَيْدُونَ، وَهِيَ :
غَدَا مُنَادِينَا مُحْكَمَا فِينَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَنَاسِينَا^(٢)

(١) في الديوان وغيره : غيظ العدا - وغص بالماء اذا شرب به أو وقف في حلقه فلم يكده يسغه ، أو غص بالطعام وشرق بالشراب ، وغصصت يا آكل أو يشارب تغص « كفرح » غصصا ، ويقال غص فلان بمكان فلان اذا غاظه ما وصل اليه ونال منه حسدا حتى آله (٢) الرواية المشهورة تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تناسينا

بَحْرُ الْهَوَى يُفْرِقُ مَنْ فِيهِ جُهْدَةٌ عَامٌ
وَنَارُهُ تُحْرِقُ مَنْ هَمٌّ أَوْ قَدْ هَامٌ
وَرُبَّمَا يُقْلِقُ فَتَى عَلَيْهِ نَامٌ
قَدْ غَيَّرَ الْأَجْسَامَ وَصَيَّرَ الْأَيَّامَ
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يِضًّا لِيَا أَيْنَا^(١)

* * *

يَا صَاحِبَ النَّجْوَى قِفْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي
إِيَّاكَ أَنْ تَهْوَى إِنَّ الْهَوَى يُضْنِي
لَا تَقْرَبِ الْبَلْوَى أَسْمِعْ وَقُلْ عَنِّي
بِحَارُهُ مُرَّةٌ خُضْنَا عَلَى غِرَّةِ
حِينًا فَقَامَ بِهَا لِلنَّعْيِ نَاعِينًا^(٢)

أى تعزينا وأن كان لنا أسوة في غيرنا :

ولولا الآسى ما عشت في الناس ساعة

ولكن اذا ماشئت جلوبنى مثلى

وقال ابن الفارض :

ياجنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسى بدار الخلد متأسى

وقال :

وان الآلى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

(١) أصل صدر البيت في القصيدة : حالت نبعدمكم أيا منا ففنت (٢) أصل البيت في القصيدة :

مَنْ هَامَ بِالْفَيْدِ لَاقَى بِهِمْ هَمًّا
بَدَلْتُ مَجْهُودِي لِأَخْوَرِ أَلَمِي
يَوْمُ بِالْجُودِ وَرَدَّ مَا هَمًّا
وَعِنْدَ مَا قَدْ جَادَ بِالْوَصْلِ أَوْ قَدْ كَاذَ
أَصْحَى التَّنَائِي بَدِيءٌ لَامِنٌ تَدَانِينَا

بِحَقِّ مَا يَنْبِي وَيَنْكُمُ إِلَّا
أَقْرَزْتُمُ عَيْنِي فَتَجَمُّعُوا الشَّمْلَا
فَالْعَيْنُ^(١) بِالْبَيْنِ بِفَقْدِكُمْ أَبْلَى
جَدِيدَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ
وَمَوْرَدُ اللَّهِ وَصَا فِي مَن تَصَافِينَا^(٢)

يَاجِرَةٌ بَانَتْ عَنْ مُغْرَمٍ صَبَّ

ألا وقد حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا اللين ناعينا
والحين الهلاك - والناعي من يخبر بموت من مات (١) في بعض المراجع
« فالعيش » .

(٢) صدر البيت في القصيدة :

* اذ جانب العيش طلق من تألفنا *

لِعَهْدِهِ خَانَتْ مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبِ
مَا هَكَذَا كَانَتْ عَوَائِدُ الْعُرْبِ
لَا تَحْسَبُوا الْبُعْدَا يُغَيِّرُ الْعَهْدَا
إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِينَا^(١)

يَا نَارِ لَا بِالْبَانِ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَالنَّحْلِ وَالْفُرْقَانِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
وَسُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالنَّحْلِ وَالْحَجْرِ
هَلْ حَلَفَ فِي الْأَذْيَانِ أَنْ يُقْتَلَ الظَّمَانُ
مَنْ كَانَ حِرْفَ الْهَوَى
وَالْوُدَّ يَسْقِينَا^(٢)

يَا سَائِلَ الْقَطْرِ عَرَّجْ عَلَى الْوَادِي

(١) صدره :

* لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يَغَيِّرُنَا *

(٢) صدره :

* يَا سَارِيَ الْبَرْقِ غَادَ الْقَصْرِ وَاسْقِ بِهِ *

مِنْ سَا كِنِي بَدْرِ وَقِفْ بِهِمْ نَادِي
عَسَى صَبَاً تَسْرِي لِمُغْرَمٍ صَادِي
إِنْ شِئْتَ تُحْيِينَا بَلِّغْ تَحْيِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيٌّ

ا كَانُ يُحْيِينَا (١)

وَأَفَتْ لَنَا أَيَّامَ كَانَهَا أَغْوَامُ
وَكَانَ لِي أَغْوَامُ كَانَهَا أَيَّامُ
تَمُرُّ كَالْأَحْلَامِ بِالْوَصْلِ لِي لَوْ دَامَ
وَالْكَاسُ مُتْرَعَةً حُشْتُ مُشَعَّشَةً

فِينَا أَلْشَمُولُ وَغَنَانًا مُغْنِينَا (٢)

(١) صدره :

* ويانسيم الصبا بلغ تحيينا *

وقد تكون « تحيينا » هنا محرفة عن « تحايينا » جمع تحية كتهاني جمع تهنة ، وتعازي جمع تعزية (٢) صدره :

* نأسي عليك اذا حثت مشعشة *

والشعشة : المزوجة « أحمد يوسف نجاتي »

* *

قصيدة أبي بكر
ابن القبطرنة

« رَجِعْ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِقُرْطُبَةٍ » قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ
ابْنُ الْقَبْطَرْنَةِ ^(١) يُخَاطِبُ الْوَزِيرَ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ سِرَاجٍ
وَيَذْكُرُ لَمَّةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِقُرْطُبَةٍ :
يَا سَيِّدِي وَأَبِي هُدًى وَجَلَالَةً
وَرَسُولَ وَدًى إِنْ طَلَبْتُ رَسُولًا
عَرَجَ بِقُرْطُبَةٍ ، وَلَذَّ إِنْ جِئْتَهَا
بِأَبِي الْحُسَيْنِ ، وَنَادِهِ تَعْوِيلًا
فَإِذَا سَعِدْتَ بِنَظَرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ
فَاهْدِ السَّلَامَ لِكَفِّهِ تَقْيِيلًا

(١) تقدمت منا كلمة في بني القبطرنة . منهم هذا : أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز من أهل اشبيلية ، كان من جلة الأدباء وأعيان الكتاب ورؤسائهم شاعرا بليغا ، وكتب للمتوكل بن الألفس ، ولابن تاشفين من بعده ، وكان يقال : أبو بكر بن القبطرنة وأبو محمد بن عبيدون هما أدبا غرب الأندلس ، وتوفي أبو بكر بعد سنة ٥٢٠ وتقدمت أبياته وشرحها ، والبيت الأول فيه في الأصل « هوى » بدل « هدى » . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَإِذْ كَرَّ لَهُ شُكْرِي وَشَوْقِي مُجْمَلًا
وَلَوْ أُسْتَطَعْتُ سَرَدَتُهُ تَفْصِيلًا
بِتَحِيَّةٍ تُهْدِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
جَرَّتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ دُيُولًا
وَأَشِمَّ مِنْهَا الْمُصْحَفِيُّ عَلَى النَّوَى
نَفَسًا يُنْسِي السَّوْسَنَ الْمَبْلُولًا^(١)
وَإِلَى أَبِي مَرْوَانَ مِنْهُ تَفْحَةٌ
تُهْدِي لَهُ نُورَ الرُّبَا مَطْلُولًا^(٢)

(١) هذا المصحفي الذي اكتفى له الوزير أبو بكر بن القبطرنة برائحة السلام والتحية يشمها « وان كانت أرجة متضوعة نفعم العاطس » هو أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان ابن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي المصحفي كان فقيها عالما أديبا لغويا من أهل بيت وزارة ورياسة ونباهة ووجاهة مع دماثة أخلاق وحسن حديث وعناية بالعلم وصيانة وجلالة وسعة معرفة ومثابرة على الجهد والمطالعة، ولد سنة ٣٩٣ وتوفي سنة ٤٨١ وحضر جنازته للأمامون الفتح بن محمد بن عباد - وأبوه هشام بن محمد أبو الوليد كان عالما باللغات والآداب ذا ذكاء وفهم ومعرفة بالفقه والحديث، ولد سنة ٣٦٠ وتوفي سنة ٤٤٠ - وجده أبو بكر محمد بن هشام بن محمد كان ذا علم بالغة وعناية بالآداب العربية ومعرفة بما في الشعر العربي القديم وأغراضه، وكان أبوه هشام بن محمد بن عثمان واليا على طرطوشة « أحمد يوسف نجاتي » (٢) مطلولا أي قد نزل عليه الطل والندي فرطب وابتل عاطرا، وأظنه يعني بأبي

وَإِذَا لَقِيتَ الْأَخْطِيَّ فَسَقِّهِ
 مِنْ صَفْوٍ وَدَّى قَرَقَفًا وَشَمُولًا^(١)
 وَأَبُو عَلِيٍّ سَقَّ^(٢) مِنْهَا رُبْعَهُ
 مِنْسَكًا بِمَاءِ غَمَامَةٍ مَحْلُولًا
 وَاذْكُرْ لَهُمْ زَمَنًا يَهْبُ نَسِيمُهُ
 أَصْلًا كَنَفَتْ الرَّاكِبَاتِ عَلِيلًا^(٣)
 مَوْلَى وَمَوْلَى نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ
 وَأَخًا إِخَاءٍ مُخْلِصًا وَخَلِيلًا

مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأديب العالم
 اللاغوى توفى سنة ٤٨٩ هـ وهو والد أبي الحسن المكتوب اليه - لا بل أظنه
 يعنى أبا مروان بن أبي الحصال الكاتب الشهير « وهو ابن أبي عبد الله
 محمد بن أبي الحصال الكاتب القدير والأديب المعروف » وأبو مروان هو
 عبد الملك بن محمد بن أبي الحصال القافى من أهل قرطبة ، توفى نحو
 سنة ٥٢٨ هـ شهيدا ونسكه أبوه وله فيه رثاء حاريم عن حزن أليم ووجد
 شديد ، وأبو مروان عبد الملك بن « أبي الحصال » مسعود بن فرج بن
 خلصة القافى الكاتب أخو أبي عبد الله كان أدبيا حافلا كاتبًا بليغًا ، وولاه
 مالوك لمونة وولاتها وأمرأوها الكتابة بمراكش وفاس وغيرها ، وكانت له
 رسائل بديعة توفى سنة ٥٣٩ هـ . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) القرقف:
 الجمر وكذا الشمول (٢) فى بعض النسخ « بل » بدل « سق » (٣) الأصل
 جمع أصيل ، والنبت النفع القليل اللطيف كما تنفع النباتات فى المقد

بِالْخَيْرِ مَا عَبَسْتَ هُنَاكَ غَمَامَةً
إِلَّا تُضَاحِكُ إِذْخِرًا وَجَلِيلًا ^(١)
يَوْمًا وَلَيْلًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ
سَحَرًا وَهَذَا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ^(٢)
لَا أَدْرَكَتِ تِلْكَ الْأَهْلَةَ دَهْرَهَا
تَقْصَا وَلَا تِلْكَ النُّجُومُ أَفُولا
قَالَ أَبُو نَصْرٍ : أَخْبَرُ الَّذِي ذُكِرَ هُنَا هُوَ حَبِيرُ ^(٣)
الزَّجَالِيِّ خَارِجَ بَابِ الْيَهُودِ بِقُرْطُبَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ
أَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ :

(١) الاذخر حشيش أخضر طيب الريح كانت العرب تسقف به بيوتها
فوق الخشب ، وقد بطخونه فيخطونه بالطيب . والجليل « ويسمى
الثمار » نبت ضعيف كانوا يحشون به خصاص بيوتهم ، قال بلال رضى
الله عنه « أو تمثل » :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بمكة حولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه حجة وهل يبدون لى شامة وطفيل
ومحنة جبل قرب مكة بحب طفيل ، ويحاورهما أيضا جبل شامة .
« أحمد يوسف نجاشي » . (٢) يشير الى معنى قوله :

أيام صفوكاهن أصائن بك والليالى كلها أسحار

(٣) الخبر والحائر البستان « وأصله المكان يجتمع فيه الماء » فكأنه يحار
فيه ويقف ويتردد ويرجع أقصاه الى أدناه ولا يدرى كيف يجرى - وتقدم
البيتان وشرحهما والقول فى باب اليهود ، والزجالي الذى ينسب اليه الخبر

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ الْيَهُودِ
 دِ شَمْسًا أَبَى الْحُسْنُ أَنْ تُكْسَفًا
 تَرَاهُ الْيَهُودُ عَلَى بَابِهَا أَمِيرًا فَتَحَسِبُهُ يُوسُفًا
 وَهَذَا الْخَيْرُ مِنْ أْبَدَعِ الْمَوَاضِعِ وَأَجْمَلِهَا ، وَأَتَمَّهَا حُسْنًا
 وَأَكْمَلِهَا ، صَحْنُهُ مَرْمَرٌ صَافِي الْبَيَاضِ ، يَخْتَرِقُهُ جَدُولُ
 كَالْحَيَّةِ النَّضْنَضِ ^(١) ، بِهٍ جَايَةٌ ، كُلُّ لُجَّةٍ فِيهَا ^(٢) كَايَةٌ ،
 قَدْ قُرْبِصَتْ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورِدِ سَمَاوُهُ ، وَتَأَزَّرَتْ بِهِمَا
 جَوَانِبُهُ وَأَرْجَاوُهُ ، وَالرُّوْضُ قَدْ أَعْتَدَلَتْ أَسْطَارُهُ ،
 وَأُبْسَمَتْ مِنْ كَمَاثِمِهَا أَزْهَارُهُ ، وَمَنَعَ الشَّمْسُ أَنْ تَرْمُقَ

اما أن يكون هو الكاتب الأديب والشاعر البلخ محمد بن سعيد الزجالي
 كان في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم « ٢٠٦ - ٢٣٨ » وكان
 يلقب بالأصمعي لذكائه وكبره حفظه ، وأصله من البربر ، وأعقب ابنا
 اسمه حامد كان كاتبة أدبا وحضور بديهة وحسن جواب ، وكان معاصرا
 للحاجب عيسى بن شهيد الحمد الأكبر لدى الوزارتين أبي عامر أحمد
 ابن عبد الملك بن شهيد ، وأما أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن
 عبد الله الزجالي من أهل فرطية استوزره المنتصر بالله ، وكان خيرا فاضلا
 أدبيا طاهرا عالما كثير الرجم للعرف متوفرا على التقوى والصلاح ، توفي
 سنة ٣٧٥ ودفن بالمعرة المنسوبة الى الزحاجلة ، أو هو أبو مروان المحدث
 عنه بعد . « أحمد يوسف نجاشي » . (١) حة نضناض : لا تنقر في مكان
 لشدها ونشاطها ، أو التي أخرجت لسانها تنفضه أى تحرکه حركة دائمة
 (٢) الجابية حوض صخري يحيط فيه الماء أى يجتمع ، وكناية أى مرتفعة
 عالية أو منعثرة تذهب الى حافة الغدير ثم ترند « أحمد يوسف نجاشي »

رَأَاهُ ، وَلَعَطَّرَ النَّسِيمُ بِهُبُوبِهِ عَلَيْهِ وَمَسَرَّاهُ ، شَهِدَتْ بِهِ
لِيَالِي وَأَيَّامًا كَأَنَّمَا تَصَوَّرْتَ مِنْ لَمَحَاتِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ قُدَّتْ
مِنْ صَفَحَاتِ أَيَّامِ الشَّبَابِ ، وَكَانَتْ لِأَبِي عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ
بِهِ فُرْجٌ وَرَاحَاتٌ ، وَغَدَوَاتٌ وَرَوَّحَاتٌ ، أَعْطَاهُ فِيهَا الدَّهْرُ
مَا شَاءَ ، وَوَالَى عَلَيْهِ الصَّخْوَ وَالْإِنْتِشَاءَ ^(١) ، وَكَانَ هُوَ
وَصَاحِبُ الرُّوضِ الْمَدْفُونُ بِإِزَائِهِ الْيَقِي صَبُورَةٍ ، وَحَلِيقُ
نَشْوَةٍ ، عَكَفَا فِيهِ عَلَى جِرْيَا لِهَمَّا ^(٢) ، وَتَصَرَّفَا بَيْنَ زَهْوِيَّهَا
وَأَخْتِيَا لِهَمَّا ، حَتَّى رَدَّاهُمَا الرَّدَى ، وَعَدَّاهُمَا الْحِمَامُ عَنْ ذَلِكَ
الْمَدَى ، فَتَجَاوَرَا فِي الْمَمَاتِ ، تَجَاوَزُهُمَا فِي الْحَيَاةِ ، وَتَقَلَّصَتْ
عَنْهُمَا وَارِفَاتُ تِلْكَ الْفَيْئَاتِ ^(٣) ، وَإِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ أَشَارَ
أَبْنُ شُهَيْدٍ وَبِهِ عَرَضَ ، وَيَشُوقُهُ صَحْحَ وَمَا مَرَضَ ^(٤) حَيْثُ
يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ يُخَاطَبُ أَبَا مَرْوَانَ صَاحِبَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُدْفَنَ
بِإِزَائِهِ وَيُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

يَا صَاحِبِي قُمْ فَقَدْ أَطْلَنَّا ائْتِخُنْ طُولَ الْمَدَى هُجُودًا؟

(١) الانتشاء ضد الصحو ، ونشئ من الشراب « كعلم » نشوا ونشوة
واننشى وننشى إذا سكر ، أو الانتشاء أول السكر ومقدماته (٢) الحريال : الحمر أو
الحمران منها (٣) الفئ : الظل ، والوارف المتمد السانغ (٤) من المجاز التمر يض
في الأمور : التوهين فيها وألا يحكمها ، ومرض الرجل في كلامه إذا ضعفه
ولم يتقنه ، ومرض في الأمر إذا لم يبلغ فيه « أحمد يوسف نجاتي »

فَقَالَ لِي لَنْ تَقُومَ مِنْهَا مَا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّيْدُ
تَذَكُّرُكُمْ لَيْلَةً نَعْمَنَا فِي ظِلِّهَا وَالزَّمَانُ عَيْدُ؟
وَكَمْ سُرُورًا هَمَى عَلَيْنَا سَحَابُهُ ثَرَّةً تَجُودُ^(١)؟
فَخَيْرُهُ مُسْرِعًا تَقْضَى وَشَوْمُهُ حَاضِرُ عَيْدُ^(٢)
حَصْلَهُ كَاتِبٌ حَفِيزٌ وَضَمُّهُ صَادِقُ شَهِيدُ^(٣)
يَا وَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبْنَا^(٤) رَحْمَةً مَنْ بَطَشُهُ شَدِيدُ!
يَا رَبِّ عَفْوًا فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَرَ فِي شُكْرِكَ الْعَيْدُ
انْتَهَى

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: وَرَكِبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْقَبْطُرَةِ
إِلَى سُوقِ الدَّوَابِّ بِقَرْطَبَةٍ، وَمَعَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ
فَنَظَرَ إِلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ حَزْمٍ غُلَامًا كَمَا عَقَّ^(٥) تَمَائِمَهُ،
وَهُوَ يَرُوقُ كَأَنَّهُ زَهْرٌ فَارَقَ كَمَا تَمَّهُ، فَسَأَلَ أَبَا الْحُسَيْنِ
أَبْنَ سِرَاجٍ أَنْ يَقُولَ فِيهِ، فَأُذِيعَ عَلَيْهِ، وَثَنَى عِنَانَ الْقَوْلِ
إِلَيْهِ، فَقَالَ:

(١) نزة: غزيرة الماء (٢) عتيد حاضر مهيا، وفي بعض النسخ « كل كان
لم يكن تقضى الخ » (٣) حصله: جمعه وأبنته وميزه (٤) أى جاوزهم وقاتهم
وعدلت عنهم (٥) عقى أى قطع، وعقى التام كناية عن مفارقة الطقولة الى
الحدادة والشباب

بلاد بها عقى الشباب تمانى وأول أرض مس جلدى تراها

رَأَى صَاحِبِي عَمْرًا فَكَلَّفَ وَصْفَهُ
وَحَمَلَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِي الطُّوقِ
فَقُلْتُ لَهُ : عَمِّرُوا كَعَمِّرُوا ، فَقَالَ لِي :
صَدَقْتَ وَلَكِنْ ذَا أَشْبَ^(١) عَلَى الطُّوقِ
انتهى

شبهة بنى
الفبطرنة
بالأندلس

وَكَانَ بَنُو الْقَبْطُرْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ،
وَقَدْ تَصَرَّفُوا فِي الْبَرَاعَةِ وَالْقَلَمِ ، وَلَهُمُ الْوِزَارَةُ الْمَذْكُورَةُ ،
وَالْقَضَائِلُ الْمَشْكُورَةُ ، وَلِذَا قَالَ أَبُو نَصْرٍ^(٢) فِي حَقِّهِمْ
مَا صُورَتْهُ : هُمْ لِلْمَجْدِ كَالْأَنَافِ^(٣) ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَوْفُورُ
الْعَوَادِمِ وَالْخَوَافِ^(٤) ، إِنْ ظَهَرُوا ، زَهَرُوا^(٥) ، وَإِنْ تَجَمَّعُوا ،

والتألم جمع تلمعة وهي خرزة رقطاء كانوا ينظمونها في سيرهم مددوها في عنق
الطفل «أحمد يوسف بجاتي» (١) يشير إلى مثل اشهور : شب عمرو عن الطوق ،
وهو عمرو بن عدي بن نصر بن أخت جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وقد
تقدم شرح المثل . والطوق في البيت الأول بمعنى الطاعة والحمد ، وروى
عجز البيت الثاني : «صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق» (٢) أبو نصر
الفتح بن محمد بن عبد الله بن خافان صاحب كتابي فلائذ المقيان ومطمح
الأنفس ، توفي سنة ٥٣٥ (٣) جمع أئمة وهي الحجر توضع عليه القدر ،
يعني أنهم أساس المجد وعماده لا ينهض إلا بهم (٤) العوادم والخوافي من
ريش الطائر تقدم شرحهما ، يريد أنهم ذوو قدرة كاملة على المجد والادب
وقوة تامة لا يحتاج معها إلى معين (٥) أشرفوا وأضاءوا .

تَضَوُّعُوا^(١) ، وَإِنْ نَطَقُوا ، صَدَقُوا ، مَاؤُهُمْ صَفْوٌ ، وَكُلُّ
مِنْهُمْ لِبَاصِحِهِ كُفْوٌ . أُنَارَتْ بِهِمْ نُجُومُ الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا ،
وَدَانَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهَا وَنُفُوسُهَا ، وَلَهُمُ النُّظَامُ الصَّافِي
الزَّجَاجَةُ^(٢) ، الْمُضْمَحِلُّ الْعَجَاجَةُ^(٣) . اُنْتَهَى

* *

ثُمَّ قَالَ : وَبَاتَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٤) مَعَ أَخُوَيْهِ فِي أَيَّامِ
صِبَاهُ . وَأُسْطِطَابَتِهِ جُنُوبَ الشَّبَابِ وَصِبَاهُ ، بِالنَّمِيَةِ الْمُسَمَّاةِ
بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ كَانَ الْأُمُتُ كُلُّهَا يَكْلَفُ بُيُوتَافَاتِهِ ،
وَيَنْتَهَجُ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَيَقْطِفُ رِيَّاحِيْنَهُ وَزَهْرَهُ ، وَيَقِفُ
عَلَيْهِ إِغْفَاءَهُ وَسَهْرَهُ ، وَيَسْتَفِرُّهُ الطَّرْبُ مَتَى ذَكَرَهُ ،
وَيَنْتَهَزُ فُرْصَ الْأَنْسِ فِيهِ رَوْحَاتِهِ وَبُكَرَهُ ، وَيُدِيرُ هُمَيَّاهُ
عَلَى صَفَةِ نَهْرِهِ . وَيَخْلَعُ سِرَّهُ فِيهِ لِبَاطَعَةَ جَهْرِهِ ، وَمَعَهُ أَخَوَاهُ

ولع التوكل
بمنية البديع

(١) تَضَوُّعُ الطَّيِّبِ : انْشَرَّتْ رَائِحَتُهُ الذَّكِيَّةُ (٢) كُنْيَاةٌ عَنْ صَعَادَةِ
الْإِبَاجَةِ وَانْشَرَّاقِ مَعْنَى الْكَلَامِ ، شَبَّهَ بِالْحَجَرِ فِي آثَارِهِ فِي الْفُوسِ وَلَعِبِهِ
بِالْأَلْبَابِ ، لَوْلَا وَلَوْعُهُ لَمْ يَزِدْ مَا لَا يَزِيدُ فِي السَّجْعِ لَقُلْتُ إِنَّ «الزَّجَاجَةَ» هُنَا
مُصْحَفَةٌ عَنْ «الْدِّيَابَةِ» (٣) الْعَجَاجَةُ : الْغُبَارُ وَفِي نَسْخَةِ «وَالنَّثْرِ الْمُضْمَحِلِّ الْخ»
يُرِيدُ لَيْسَ بِهِ مَا يَحْتَاجُ مَعَانِيَهُ وَيَسْتَرْحِصُهُ وَصَفَاءَهُ أَوْ يَكْدُرُ حَسَنَهُ وَبِهَاءَهُ
(٤) هُوَ طَلْحَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ الْأَذْكِيَاءِ وَالْبُلْغَاءِ
الْبَاقِيْنَ فِي عَصْرِهِ ، تَوَفَّى فِي حَيَاةِ أَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعِيدِ

فَطَارَدُوا اللَّذَاتِ حَتَّى أَنْصَوْهَا^(١) ، وَلَبَسُوا بُرُودَ السَّرُورِ وَمَا
نَصَوْهَا^(٢) ، حَتَّى صَرَعَتْهُمْ الْعُقَارُ ، وَطَلَحَتْهُمْ^(٣) تِلْكَ الْأَوْقَارُ
فَلَمَّا هَمَّ رِدَاءُ الْفَجْرِ أَنْ يَنْدَى^(٤) ، وَجَبِنُ الصُّبْحِ أَنْ يَتَبَدَّى
قَامَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ :

يَا شَقِيقِي وَافِي الصَّبَاحِ بَوَجْهِ
سَتَرَ اللَّيْلِ نُورُهُ وَبَهَاؤُهُ
فَاصْطَبِحْ وَأَغْتَمِ مَسَرَّةَ يَوْمٍ
لَسْتُ تَذَرِي بِمَا يَحْيِي مَسَاوِدَهُ
ثُمَّ اسْتَيْقِظَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ :
يَا أَخِي قُمْ تَرِ النَّسِيمَ عَلِيلاً
بَاكِراً الرُّوضِ وَالْمُدَامَ شَمُولاً
لَا تَنْمِ وَأَغْتَمِ مَسَرَّةَ يَوْمٍ
إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ نَوْمًا طَوِيلًا
فِي رِيَاضٍ تَعَاتِقُ الزَّهْرُ فِيهَا
مِثْلَ مَا عَانَقَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَا

(١) أنصى الدابة : أجهدها في السير (٢) لصا ثوبه عنه اذا نزع (٣) أعتبهم
واعتبهم : والاقوار ، جمع وقرة وهو الحل (٤) يتدل بالندى ويرطب بالطل

ثُمَّ اسْتَيْقَظَ أَخُوهُمَا أَبُو الْحَسَنِ ، وَقَدْ هَبَّ مِنْ غَفَلَةٍ
الْوَسَنِ ، فَقَالَ :

يَا صَاحِبِي ذَرَا لَوْ مَيِّ وَمَعْتَبِي

فَمَنْ نَصْطَبِحْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا

وَبَادِرَا غَفَلَةَ الْآيَامِ وَاعْتِنَا

فَالْيَوْمَ تَحْمَرُ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرٌ^(١)

وَسَاقَ صَاحِبِ الْبِدَائِعِ^(٢) هَذِهِ الْقِصَّةُ فَقَالَ : وَذَكَرَ

الْفَتْحُ مَا هَذَا مَعْنَاهُ : إِنَّهُ خَرَجَ الْوُزَرَاءُ بَنُو الْقَبْطُرَةِ إِلَى

الْمُنِيَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ قَدْ أَخْضَرَتْ مَسَارِحُ

نَبَاتِهِ ، وَأَخْضَلَتْ^(٣) مَسَارِي هَبَاتِهِ ، وَدَمَعَتْ بِالطَّلِّ عُيُونُ

أَزْهَارِهِ ، وَذَابَ عَلَى زَبَرْجَدِهِ بُلُورُ أَنْهَارِهِ ، وَتَجَمَّعَتْ فِيهِ

الْمَحَاسِنُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، وَأَضْحَتْ مُقْلُ الْحَوَادِثِ عَنْهُ مُطْرِقَةٌ ،

فَخُبُولُ النَّسِيمِ تَرَكُضُ فِي مِيَادِينِهِ فَلَا تَكْبُؤُ ، وَلِنُصُولِ

(١) يشير للتلل المشهور : اليوم خمر وغدا أمر (٢) كتاب بدائع البدائنه

لابن ظافر الأزدي (٣) ابتلت وبتت مع خضرة ونضرة .

السَّوَاقِ تَصُولُ لِحَسْمِ أَدْوَاءِ الشَّجَرِ فَلَا تَنْبُو^(١) ، وَالزُّرُوعُ
قَدْ نَقَبَتْ وَجْهَ التَّرَى ، وَحَجَبَتْ الْأَرْضَ عَنِ الْمَيُونِ فَمَا
تُبْصَرُ وَلَا تُرَى . وَكَانَ التُّوكلُ كُلُّ بَنِي الْأَفْطَسِ^(٢) يَعُدُّهُ غَايَةَ
الْأَرْبِ ، وَيَعُدُّهُ مَشْهَدًا لِلطَّرَبِ ، وَمَدْفَعًا لِلْكَرْبِ ، فَبَاتُوا
فِيهِ لَيَلَتَهُمْ يُدِيرُونَ لَمَعَ لَهَبٍ يَتَمَنُونَ فِيهِ الْخُلُودَ ،

(١) يريد الماء الذي تصبه السواقي لتي الأشجار ، فشبّه بالنصول أي
السيوف في الاستطالة والصفاء وتوج الماء ، وأن كل منهما يحسم الداء الذي
يستعمل له « فالسيوف تشفي رؤوس من يشكو الصداع ونحوه ونحسم أدواء
النزاع والشقاق » وهذا الماء يزيل ما يعرض للأشجار من ذبول ونحوه وفي نسخة
« السواقي » أي الرياح ، ومن هذه الفقرات ترى أن هذا الروض قد استوفى شروط
الجمال من الماء والحضرة ، والعيم والنضرة ، والنسيم العليل ، والزهر الندي البليل
(٢) هو التوكل على الله أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن الأفطس صاحب
بطليوس « وتقدم التعريف ببني الأفطس » وكان التوكل ذا عناية بالأدب
والشعر يحف به من أدباء الأندلس جماعة اشتهروا بالرفقة وجودة البديهة ، وقد
تعرض لشيء من سيرته الأدبية عند المناسبة ، وقتله يوسف بن تاشفين
سنة ٤٨٩ باغراء العتمد بن عباد به كما قيل ، وكان للتوكل قدم راسخة في
صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة ، وكان لا يغب الغزو
ولا يشغله عنه شيء من أنسه ، وامتناع نفسه ، واتصلت مملكته إلى أن قتله
الراباطون وقتلوا ولديه الفضل والعباس صبرا ، وكانت أيام بني المظفر بن الأفطس
بغرب الأندلس أعيادا ومواسم ، وكانوا ملجأ لأهل الآداب ، خلدت فيهم
ولهم قصائد سائرة شادت ما ترهم ، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم .
« أحمد يوسف نجاتي » .

وَيَتَحَسَّوْنَ^(١) ذَوْبَ ذَهَبٍ لَا يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ، حَتَّى تَرَ كُتْمَهُمْ أِبنَةَ الْخَالِيَةِ^(٢) ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ^(٣) ، فَلَمَّا هَزَمَ رُومِيُّ الصَّبَاحِ زَنْجِيَّ الظَّلَامِ ،
« وَنَادَى الدَّيْكَ حَتَّى عَلَى الْمُدَامِ » أَنْتَبَهَ كَبِيرُهُمْ
أَبُو مُحَمَّدٍ مُسْتَعْجِلًا . وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا ، يَا شَقِيقِي الْخ .
فَأَنْتَبَهَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ لِصَوْتِهِ ، وَتَخَوَّفَ لِدَهَابِ ذَلِكَ
الْوَقْتِ وَفَوْتِهِ ، وَأَنْبَهَ أَخَاهُمَا أَبَا أَحْسَنٍ وَهُوَ يَرْتَجِلُ :
يَا أَخِي قُمْ تَرَى النَّسِيمَ إِلَى آخِرِهِ . فَأَنْتَبَهَ أَخُوهُ لِكَلَامِهِ ،

(١) عسى الشراب ونحوه وانما اذا شر به شيد فنيئا - وفي معنى الفقرة
قول الشاعر :

وخمارة من بنات اليهود ترى الدن في بيتها مائلا

وزنا لها ذهابا جامدا فكالت لنا ذهابا سائلا

وفيها اشارة الى قوله تعالى : « يصهر به ما في بطونهم والجلود » (٢) الخاية
اناء كبير « الحب » « كالمسمى بالزير » وابنة الخاية كناية عن الحمر
(٣) من القرآن الكريم يعنى أن الحمر صرعتهم : وفي معنى ذلك قول
ابن زهر الأندلسي من أبيات :

والحمر تعرف كيف تأخذ ثارها انى أملت اناءها فأمالني

رَافِضًا^(١) لَذَّةِ مَنَامِهِ ، لِلذَّةِ قِيَامِهِ ، وَأُرْتَجَلَ : يَا صَاحِبِي
ذَرَا الْخ . اُنْتَهَى .

* *

استقبال أبي
الحسن ذي
الوزارتين
ابن البسج

« قَالَ الْفَتْحُ » وَلَمَّا أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ أَبَا بَكْرٍ
ابْنَ الْقَبْطُرْنَةَ السَّابِقَ الذَّكْرَ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
ابْنِ سِرَاجٍ بَلَقَاءَ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْيَسَعِ^(٢)
الْقَائِدِ وَالْمَشِي إِلَيْهِ . وَالنُّزُولِ عَلَيْهِ ، تَنَوَّيْهَا بِمَقْدَمِهِ ،
وَتَنَبَّيْهَا عَلَى حُظُوتِهِ لَدَيْهِ وَتَقَدُّمِهِ ، فَصَارَا إِلَى بَابِهِ .
فَوَجَدَاهُ مُقْفِرًا مِنْ حُجَابِهِ . فَاسْتَفْرَبَا خُلُوهُ مِنْ خَوْلٍ^(٣)
وَوَظَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَتَأَوَّلَ ، ثُمَّ أَجْمَعَا عَلَى قَرَعِ الْبَابِ
وَرَفَعَ ذَلِكَ الْإِرْتِيَابَ . فَخَرَجَ وَهُوَ دَهْشَنٌ . وَأَشَارَ إِلَيْهِمَا

(١) في الأصل « دافعا » (٢) ذكره الفتح في الغلائد ووصفه بالأدب
والانهماك في اللهو مهملا أمور الملك، ولهذا ناز به أهل مرسية - حتى خلع ،
وكان رئيسا شاعرا وقد اديبا ، وكان قد قدم الى المعتد بن عباد ليرض
عليه الاستيلاء على مدينة لورقة بعد موت صاحبها ابن ليون ، فأكرم
المعتد وفادته وأحسن مثواه (٣) الخول : الخاشية ونحوهم من العبيد والأماء ،
مأخوذ من التخويل بمعنى التليك - وقد يقال انهم وجدوا عنده بهد أن
دخلوا عليه « خولا » ممن يتوارى بالحجاب ، للاستقبال الوافدين وحراسة
الباب ! « أحمد يوسف نجاتي »

بِالتَّحِيَّةِ وَيَدُهُ تَرْتَعِشُ ، وَأَنْزَلَهُمَا خَجَلًا ، وَمَشَى بَيْنَ
أَيْدِيهِمَا عَجَلًا ، وَأَشَارَ إِلَى شَخْصٍ فَتَوَارَى بِالْحِجَابِ ،
وَبَارَى الرِّيحَ سُرْعَةً فِي الْإِحْتِجَابِ . فَقَعَدُوا وَمُقَلَّةُ
الْخُشْفِ^(١) ، تَرْمُقُ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ ، فَأَنْصَرَفَا عَنْهُ ،
وَعَزَمَا أَنْ يَكْتُبَا إِلَيْهِ بِمَا فِيهِمَا مِنْهُ ، فَكُتِبَا إِلَيْهِ :

* * *

سَمِعْنَا خَشْفَةَ الْخُشْفِ وَشِمْنَا طَرْفَةَ الطَّرْفِ^(٢)
وَصَدَقْنَا وَلَمْ تَقْطَعْ وَكَذَبْنَا وَلَمْ نَنْفِ
وَأَغْضَيْنَا لِأَجَلَا لَكَ عَنْ أَكْرُومَةِ الطَّرْفِ^(٣)
وَلَمْ تُنْصِفْ وَقَدْ جِئْنَاكَ مَا نَنْهَضُ مِنْ ضَعْفِ
وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ تَحْمِلَ لِي أَوْ تُرَدِّفَ فِي الرَّدْفِ^(٤)
فَرَأَجَمَهُمَا فِي الْحَيْنِ بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :
أَيَا أَسْنَى عَلَى حَالٍ سُلِّتُ بِهَا مِنَ الطَّرْفِ

كتاب المستقبين
إلى ذي الوزارتين
ورده

(١) الخشف : ولد الظبية - والخشف الصوت والحركة ، والحسن
الحنى - والسجف البصر (٢) خشف « كضرب ونصر » اذا سمع له صوت
وحسن وحركة ، وخشف في السير أسرع - والطرفة من طرف بعينه
اذا لحظ وحرك جفניה ، وشام : نظر (٣) الأكرومة المكرمة فعل الكرم
ويطلق على كريم القوم وكرمتهم مثل كريمة (٤) أردفه وورده اذا تبعه

وَيَا لَهْفِي عَلَى جَهْلِي بِصَيْفٍ كَانَ مِنْ صَيْفٍ^(١)
انتهى .

*
*
*

وَلِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي مَعَانِي الْأَنْسِ الْحِسَانِ ، مَا لَا يَفِي
بِهِ لِسَانٌ . وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ
ابْنِ حَسْدَايَ^(٢) بَعْدَ كَلَامٍ مَا صَوَّرْتُهُ : فِينَهَا هَذِهِ الْقِطْعَةُ
الَّتِي أَطْلَعَهَا نَيَّرَةً ، وَتَرَكَ الْأَلْبَابَ بِهَا مُتَحَيِّرَةً ، فِي يَوْمٍ
كَانَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ^(٣) مَعَ عَلَيْهِ ، قَدْ اتَّخَذُوا الْمَجْدَ

رِصَارَ رِدْفَالِهِ ، وَأَرْدَفَهُ إِذَا أَرْكَبَهُ خَلْفَهُ ، وَرَدَفَ كُلُّ شَيْءٍ مُؤَخَّرَهُ ، وَالْكَفْلُ
وَالْعَجَزُ ، وَأَرْدَفَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ وَأَرْدَفَهُ عَلَيْهِ اتَّبَعَهُ عَلَيْهِ (١) أَيْ مِنْ صَنْفٍ
مَعُودٍ عِنْدَهُ ، صَنْفٌ أَيْ صَنْفٌ يُوَافِقُهُ وَيَسْتَرْجِعُ إِلَيْهِ . وَفِي الْمَطْمَحِ « وَكَانَ
الْحَقُّ الْحُجَّ » (٢) نَقَدْتُ تَرْجَمَتَهُ ، وَيَأْتِي شَيْءٌ مِنْ سِيرَتِهِ ، وَهُوَ حَسْدَايُ بْنُ
يُوسُفَ بْنِ حَسْدَايَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْفَتْحُ فِي قِلَائِدِ الْعُقَيَّانِ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، وَكَانَ
مِنْ مَدِينَةِ سَرَقِطَةَ ، وَمِنْ بَيْتِ شَرَفِ إِسْرَائِيلَ بِالْأَنْدَلُسِ وَأُسْرَةُ يَهُودِيَّةٍ
نَبِيلَةٍ ، عَنَى بِالْعُلُومِ عَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَتَنَاوَلَ الْعَارِفَ مِنْ طَرَفِهَا ، فَأَحْكَمَ عِلْمَ لِسَانِ
الْعَرَبِ ، وَنَالَ حَظًّا جَزِيلًا مِنْ صُنَاعَةِ الشَّعْرِ وَالْكِتَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَبَرَعَ فِي
عُلُومِ الرِّيَاضَةِ وَالْفَلَائِكِ وَالطَّبِّ وَأَتَقَنَ عِلْمَ النُّطْقِ ، وَكَانَ لَهُ نَظَرٌ فِي الطَّبِّ .
وَجَمَلَةُ الْقَوْلِ أَنَّهُ كَانَ نَابِضَةً فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا وَفِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفُنُونِ
الْجَمِيلَةِ ، وَكَانَ فِي سِنِّ الشَّبَابِ فِي سَنَةِ ٤٥٨ هـ وَوُزِرَ لِلْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ وَابْنِهِ
الْمُؤْتَمِنِ وَابْنِهِ الْمُسْتَعِينِ وَتَوَفَّى حَوْلَى سَنَةِ ٥٠٠ هـ « أَحْمَدُ يُونُسُ نَحَاتِي »
(٣) هُوَ الْمُقْتَدِرُ بْنُ هُودٍ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هُودٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

وصف الأندلسيين
لمغاني الأندلس

حِلْيَةً ، وَالْأَمَلُ قَدْ سَفَرَ لَهُمْ عَنْ مُحْيَاهُ ، وَعَبَقَ لَهُمْ رِيَّاهُ ،
فَصَافَحَهُ الْكُلُّ مِنْهُمْ وَحْيَاهُ ، وَشَمْسُ الرِّاحِ ، دَائِرَةٌ عَلَى
فَلَكَ الرِّاحِ ^(١) ، وَالْمَلِكُ يَنْشُرُ فَضْلَهُ . وَيَنْثُرُ وَابِلَهُ
وَطَلَّهُ ^(٢) ، يُسْدِي الْعَمَلَا . وَيَهَبُ الْغَنَاءَ وَالْغِنَى ، فَصَدَحَتْ
الْفَوَانِي ، وَأَفْصَحَتْ الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي ^(٣) ، بِمَا اسْتَنْزَلَ مِنْ
مَرْقَبٍ ^(٤) أَلْوَقَارٍ ، وَسَرَى فِي النُّفُوسِ مَسْرَى الْعُقَارِ :

تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلْأَخْدَاقِ لَدَاتُ

عَلَيْهِ مِنْ عَنَبِ الْأَصْدَاغِ لَامَاتُ ^(٥)

موسى مولى أبى حذيفة الجذامى من ملوك الطوائف ، كان صاحب سرقسطة
بعد أبيه المتوفى سنة ٤٣٨ وتوفى أحمد المقدرسنة ٤٧٩ فتولى الأمر بعده
ابنه « الموثمن يوسف » المتوفى سنة ٤٧٨ فتولى بعده أحمد المستعين وتوفى
سنة ٥٠٣ . وقل شهيدا فى زحف الفرنج إليها . « أحمد يوسف نجاشى » .
(١) جمع راحة وهى اليد أو الكف ، وفى الأصل « الأفراح » (٢) أصل
الوابل المطر الغزير ، والطل أقل منه (٣) يريد آلات الطرب ، والثانى
من أوتار العود الذى بعد الأول ، واحده منى ، وقال الشاعر :

يقولون تـوالـكـاس فى يد أعيد وصوت الثنائى والثالث على

فقلت لهم : لو كنت أرمعت نوبة وأبصرت هذا كله لبدالى

(٤) الرقب : للكان العالى المرتفع ، وفى القلائد « موقف »

(٥) أصل الصدغ ما بين لخط العين الى أصل الأذن ، ثم أطلق على الشعر الذى

نِيرَانُ هَجْرِكَ لِلْعُشَّاقِ نَارٌ لَطَى
 لَكِنْ وَصَلَكَ - إِنْ وَاصَلْتَ - جَنَّاتُ
 كَأَنَّمَا الرِّاحُ وَالرَّاحَاتُ تَحْمِلُهَا
 بُدُورَتِي وَأَيْدِي الشَّرْبِ هَالَاتُ^(١)
 حُشَاشَةٌ مَا تَرَ كُنَّا أَلْمَاءَ يَقْتُلُهَا
 إِلَّا لِحَيَا بِهَا مِنَّا حُشَاشَاتُ^(٢)

يتبدل على هذا الموضع ، وقد جرت عادة الشعراء أن يشبهوه بالمقرب وبالواو
 والدال واللام من الأحرف المحبوبة لما فيها من الأعوجاج والثنى ، كما قيل
 في ذلك :

وقلوا يصير الشعر في الماء حية إذا الشمس حادثه فاخته صدقا
 فلما التوى صدغه في شمس وجهه وقد لسا فلي تيقنته حقا
 وقال آخر :

عسى عطية بالوصل يا واو صدغه فأن رأيت الواو في الوصل تهطف
 وقال غيره

أرى في صدغك العوج دالا ولكن نقطت من مسك خلاك
 فصارت داله بالنقط ذالا وإنى هالك من أحل ذلك
 (١) الشرب الجملة يشربون ، وهو اسم جمع لشارب ككعب وراكب
 « القوم يجتمعون للشراب » - والمالة دائرة القمر (٢) هذا ينظر الى قول
 حسان :

ان التي ناولتني فرددتها قتل قتل فهاها لم تمهل

قَدْ كَانَ فِي كَاسِهَا مِنْ قَبْلِهَا ثَقُلُ
 فَحَفَّ إِذْ مُلِئَتْ مِنْهَا الزُّجَاجَاتُ^(١)
 عَهْدُ الْبَنَى تَقَاصَتْهُ الْأَمَانَاتُ
 بَانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ^(٢)
 يُدْنِي التَّوَهُّمُ لِلْمُشْتَاكِ مُنْتَرِحًا
 مِنَ الْأُمُورِ، وَفِي الْأَوْهَامِ رَاحَاتُ^(٣)

(١) مثل هذا قول الشاعر :

ثقلت زجاجات أنثنا فرغا حتى اذا ملئت بصرف الراح
 خفت فكادت أن تطير بمخوت وكذا الجسوم تحف، لا ترواح
 (٢) لبني علم امرأته روى «عهداني قد...» واللبانة الحاجة والغرض وانوطة -
 وبانت بعدت والتقاضى الطلب والمطالبة بالدين، وقد يطلق على قبضه واستيفائه،
 ومن هنا أخذ جمال الدين بن نانة مطلع قصيدته :

قضى وما قضيت منكم لبانات متيم عبث فيه الصبايات
 (٣) الانتزاح : البعد ، وفي معنى البيت :
 يدني مزارك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك
 وقول الآخر :

يا بعيدا يدنيه لى الفكر حتى يتراءى توهمها كالعيان
 وفي هذا المعنى يقول أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم فأحسن ماشاء :
 لأن راح عن عيني أحمد غائبا لما هو عن عيني الضمير بغائب

تُقْضَىٰ عِدَاتُ إِذَا دَبَّ الْكَرَىٰ، وَإِذَا
 هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَىٰ تَحِيَّاتُ^(١)
 زُورٌ يُعْلَلُ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
 دَهْرًا، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ^(٢)

له صورة في القلب لم تقصها النوى ولم تنخطفها أ كف النوايب
 إذا ساء في منه نزوح دياره وضافت على في نواه مذاهي
 عطفت على شخص له غير نازح محلته بين الحنا والتراث
 والفاري الكريم يوازن بين نظم ابن حسداي وهذا الشعر .
 « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) الكرى النوم : يعلل نفسه بنيل أمانيه ووفاء محبوبته بوعدا في
 عالم المنام . ويكتفى منها بالنسيم بقدر من جهتها أو يذهب إليها ، وفي معناه
 قول الطائي :

ضن عني بالنزر إذا أنا يقظا ن وأعطى كثيره في المنام
 وقوله :

مأتمني يقظي فقد توثينته في النوم غير مصرد محسوب
 (٢) مأرق قول الشريف الرضي وأجزله :

وزور زارني والليل داج فعلني بباطل ذاك حيناً
 يرى أنه يأتي وسادي مضاجعة وزور مايرينا
 نعمت بباطل ويود قلبي ودادا لو يكون له يقينا

وقوله أيضا :

وزور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر
 أتى في عدو وعين الرقي ب مطروقة بالسكري القاصر
 وأحبب به يسف الها جمع وتحرمه مقلة الساهر

لَعَلَّ عَتَبَ اللَّيَالِي أَنْ يَمُودَ إِلَى عُنْيٍ ^(١) قَتُبَلَعَ أَوْ طَارَ وَلَدَاتُ
حَتَّى نَقُوزَ بِمَا جَادَ أَخْيَالُ بِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ

وَلَمَّا أَعْرَسَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ بِنْتَ الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٢) أَحْتَقَلَ أَبُوهُ الْمُؤْتَمَنُ فِي ذَلِكَ
أَحْتِفَالًا شَهْرَهُ، وَأَبْدَعَ فِيهِ إِبْدَاعًا رَاقٍ مِنْ حَضَرَةٍ وَبَهْرَةٍ،
فَإِنَّهُ أَحْضَرَ فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْأَدَوَاتِ
الْمُخْتَرَعَةِ، مَا بَهَرَ الْأَلْبَابَ، وَقَطَعَ بِذِكَاثِهِ دُونَ مَعْرِفَتِهَا
الْأَسْبَابَ، وَأَسْتَدْعَى إِلَيْهِ جَمِيعَ أَعْيَانِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ دَانَ
وَقَاصٍ، وَمُطِيعٍ وَعَاصٍ، فَاتَوَّهُ مُسْرِعِينَ، وَلَبَّوْهُ مُتَبَرِّعِينَ
وَكَانَ مُدِيرَ تِلْكَ الْآرَاءِ ^(٣) وَمُدَبِّرَهَا، وَمُنْشِئَ مُخَاطَبَاتِهَا
وَمُحِبِّرَهَا، الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ فِي

زواج المستعين
بنت وزره

وسمى بت. وي. عبي المحب تم على قلبه الطاهر

ولما التفتها برغم الرقا دمويه قلبي على ناظري

هذا هو الشعر لا التقليد التكلم والظلم للنصف . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) الهى الرضا . هو الرجوع عن الاساءة الى ما يرضى العاتب ، وأعتبه اذا
منحه العتي وعاد الى مسرته ورجع الى الرضا بعد السخط (٢) هومن أعيان
بنى عبد العزيز ، وسيأتى حديث - منهم صفحة ٢٩٨ (٣) فى بعض النسخ
« الاراغ » بدل الآراء ، وأراغ أى أراد وطلب ودعا . « أحمد يوسف نجاتي »

ذَلِكَ الْوَقْتِ كُتِبَ ظَهَرَ إِعْجَازُهَا، وَبَهَرَ أَقْضَابُهَا وَإِيجَازُهَا،
فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ صَاحِبَ الْمَظَالِمِ ^(١) أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

كتاب الوزير
أبي الفضل إلى
ابن طاهر

مَحْمُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ^(٢) ثَابِتٌ
وَإِنْ تَرَحَّتِ الدَّارُ ، وَعَيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ ^(٣) الضَّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ
شَحَطَ الْمَزَارُ ، فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ
الْحُلْطِ ^(٤) ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تُتَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِنَظَرِ اللَّحْظِ ^(٥)

(١) في الأصل « صاحب المظاهر » ولعل ذلك الوهم سمى إلى هذا السجعة
لمراعاة السجع والجناس مع « ابن طاهر » وليس هذا التحريف من
جرائر تكلف السجع بغير ولائى - وكذا في الأصل أبو « عبد الله »
وفي القلائد « صاحب انظام أبو عبد الرحمن بن طاهر » وهذا هو الذى
أعرفه - وهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن اسحق بن طاهر من
أهل مرسية ، كان من بيوتات الرقة والرياسة والسباعية ، ومن ذوى النباية
بالأدب كاتباً شاعراً ووجيهاً ، توفى سنة ٥٠٨ « أحمد يوسف نحاس »

(٢) الجوامع : الضلوع تحت الرائب مما إلى الصدر كالضلوع مما إلى الظهر
جمع جانحة ، سميت بذلك لجنوحها على القلب ، ويكنى بها بين الجوامع عن
القلب (٣) جمع حنو « كسر الحاء وفتحها » كل ما فيه اسوجاج أو شبهه
من البدن ، وشحط بعد كزح (٤) مثل قوله :

يمثلك الشوق الشديد لناظرى فأطرق إجلالا كأنك حانثر

(٥) في بعض النسخ « بظفر » بدل « بنظر » يريد أن يقول ان العين
تميل أن تظفر برؤيته عياناً ومشاهدة ، كما فازت النفس بتمثله تصورا ،
فهو يبحث يراه قلبه وان غيب شخصه عن عينه

يرينيك عين الذكر حتى كأنما أناجيك عن قرب وان لم تكن قربى

فَلَا عَائِدَةً^(١) أَسْبَغُ بُرْدًا ، وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرْدًا ،
 مِنْ تَفْضُلِكَ بِالْخُفُوفِ^(٢) إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ
 السَّامَةِ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ أَنْتِظَامُهُ ، وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ^(٣) ،
 بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ ، وَأَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - عَلَى
 شَرَفِ سُودْدِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرِعِ سَنَائِكَ حَاتِمٌ^(٤) ،
 وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطْلُعِي

ونحو هذا قول عبد الصمد بن العذل :

بأبي غائب بشوق وفكري فيه ألقاه حين لا ألقاه

مثله للي لقلبي وطرفي فكأنني أراه اذ لا أراه

وقول عبد الملك بن سعيد المرادي :

يا أقرب الناس من وهمي ومن ذكرى

وان تغيب منه الشخص عن بصرى

ان غاب عني ولم أظفر برؤيته فانه قائم التمثال في فكري

والقول في هذا المعنى كثير جدا « أحمد يوسف نجاتي »

(١) العائدة: القائدة والصلة، وأسبغ: أطول وأضفى ، يقول ان تفضله بحضوره
 وشخصه يكون أحسن نعمة وأجل منة وأنتم منحة يهبها الله للكتاب أو
 الداعي (٢) في الأصل « بالحقوق » وخف الى الداعي اذا نهض الى اجابته
 وأسرع الى تلبية دعوته (٣) أجمال : صنع جميلا وأسدى معروفًا (٤) حام
 على الأمر اذا رامه وطلبه. والمشرع: المورد ، وحام الطائر حول الماء اذا دار
 حوله من العطش ، والسناء: الشرف ، ومعنى هذه الفقرة كمعنى سابقتها ،
 وفي الفلاند « حام » بدل حاكم ، وقد تكون محرفة عن « هائم » والأصل
 « بشرف سُوددك هائم » « أحمد يوسف نجاتي »

وَتَتَوَقَّى ، وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْتِيَا حُ بِاسْتِحْكَامِ الثَّقَةِ ، وَأَعْتَرَضَ
الْإِنْشِرَاحُ بِإِزْتِقَابِ الصَّلَةِ ^(١) ، وَأَنْتَ - وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ -
بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ ^(٢) ، وَبَارِعِ كَرَمِكَ ، تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ
عَهْدًا ، وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا ^(٣) ، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ
شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا ، لَا زِلْتَ مُهْنًا ^(٤) بِالشُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ ^(٥)
مُسَوِّغًا ^(٦) اجْتِلَاءَ غُرْرِ الْأَمَانِيِّ الْمُتَهَلِّلَةِ ، بِعِنِّهِ . أَنْتَهَى .



« ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ هَذَا يَسِيرٌ مَا نَصْنُ : وَرَكِبَ الْمُسْتَعِينُ ^(١)
بِاللَّهِ يَوْمًا نَهْرَ سَرَفُ سَطْلَةٍ يُرِيدُ طِرَادَ لَدَّتِهِ ^(٢) ، وَأَرَاتِيَادَ نُزْهَتِهِ .

(١) في الأصل « واعترض الاقتراح باستحباب » وفي القلائد « واءترض
الاتراح بارتقاب » وفي بعض المراجع ما أثبتناه فأثرناه « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) الشيمة: الطبيعة والخلق ، والسماحة: السهولة واللين (٣) أوري الزند
أو قده واستخرج ناره، ويكنى ببراء الزناد عن النجاح والظفر وادراك
المرام وسرعة قضاء الحاجات ، والمكارمة العاملة بالكرم ، وأصل المكارمة
أن تهدي الى الانسان شيئا ليكافئك عليه، وهي مفاعلة من الكرم (٤) في
الأصل « مضيا » وهو تصحيف (٥) اقتبل أمره استأنفه واستقبل
ما يأتي منه ، وفي بعض النسخ « المقية » (٦) سوغ فلان الطعام أو
الشراب ونحوها وأسأغه اذا هنأه وتمتع به خالصا صافيا ، وسوغ له الشيء
أباحه وتركه يتمتع به ، واجتلى الهلال والعروس وغيرها اذا نظر اليهما
مجلولين ، واجتلاها: عرضها عليه مجلوة ، وغرة الشيء مخلصه (٧) جل لذته
كالصيد يطارده فيسر ببلوغه والوصول اليه :

وصف الوزير
ابن نزم المستعين

وَأَفْتَقَادَ أَحَدٍ حُصُونِهِ الْمُتَنَظِّمَةِ بِلَبَّهِ^(١) ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَنْ اخْتَصَّهُ لِاسْتِصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ مُشَاهِدًا لِانْقِرَاجِهِمْ ، سَالِكًا لِمِنْهَاجِهِمْ ، وَالْمُسْتَعِينُ قَدْ أَحْضَرَ مِنْ آلَاتِ إِيْنَابِهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ أَنْوَاعِ ذَلِكَ وَأَجْنَاسِهِ ، مَا رَاقَ مِنْ حَضَرَ ، وَفَاقَ حُسْنَهُ الرُّوضِ الْأَنْصَرَ ، وَالزُّوَارِقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ ، وَالتَّفَّتْ بِحَوَائِبِهِ ، وَنَعَمَاتُ الْأَوْتَارِ تَحْبِسُ

لولا طراد الصيد لم نك لذة فتطادى لى بالوصال قليلا
هذا الشراب أخوال الحياة وماله من لذة حتى يصيب غليلا

(١) افتقد الشيء إذا تعاهده وبُحِث عنه وأراد تعرف حاله ، واللابة موضع القلادة من النحر ، جعل الحصون التي على النهر كحبات عقد انتظم في لبتة - وقد أورد صاحب البدائع هذه الحكاية بأسلوب أحسن من هذا ، قال : ركب المستعين يوما نهر سرقسطة لتفقد بعض معانيه ، المنتظمة بحيد ساحله ، وهو نهردق ماؤه وراق ، وأرني على نيل مصر ودجلة العراق ، قد اكتنفته البساتين من جانبيه ، وأنتظت ظلالها عليه ، فما تكاد عين الشمس تنظر اليه ، هذا على اتساع عرضه ، وبعد سطح الماء من أرضه ، وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للالهة ، وأحاطت به احاطة الطعانة بالغزالة ، وقد أعدوا من مكاييد الصيد ما استخرج ذخائر الماء ، وأخاف حتى حوت السماء ، وأهله الهالات طالعة من الموج في سحب ، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب ، فلا ترى الا صيودا كصيد الصواري ، وقدود الالهاذم ، ومعاصم الابكار النواعم . فقال أبو الفضل ابن حسداى والطرب قد استهواه ، وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه .
الآيات . اهـ « أحمد يوسف نجاتي »

السَّائِرَ عَنْ عَدُوِّهِ ، وَتُخْرِسُ الطَّائِرَ الْمُفْصِحَ بِشَدْوِهِ ،
وَالسَّمَكُ تُبَيِّرُهَا الْمَكَايِدُ ، وَتَعْوِصُ إِلَيْهَا الْمَصَايِدُ ، فَتَبْرُزُ
مِنْهَا لِلْعَيْنِ ، قُضْبَانُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكُ لُجَيْنٍ ، وَالرَّاحُ لَا يُطَمَسُ
لَهَا لَمَعٌ ، وَلَا يُخَسُّ مِنْهَا بَصَرٌ وَلَا سَمْعٌ ، وَالذَّهْرُ قَدْ
غَضَّتْ صُرُوفُهُ ، وَاقْتَصَّ مِنْ مُنْكَرِهِ مَعْرُوفُهُ ، فَقَالَ .

لِلَّهِ يَوْمٌ أَيْنِقُ وَاصِحُ الْغُرَرِ

مُقَضِّضُ مَذْهَبِ الْآصَالِ وَالْبُكَرِ

كَأَنَّمَا الذَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبْنَا

فِيهِ يُعْتَبَى وَأَبْدَى صَفَحَ مُعْتَدِرِ

تَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينُ بِهِ

مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُنْتَبِرِ

مُدَّ الشَّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكِ

بَذَّ^(١) الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْآخِرِ

هُوَ الْإِمَامُ الْهَامُّ الْمُسْتَعِينُ حَوَى

عَلَيَّاءُ مُؤْتَمَنٍ فِي هَذِي مُقْتَدِرِ

تَحْوِي السَّفِينَةَ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا
بَحْرًا تَجْمَعُ حَتَّى صَارَ فِي نَهْرٍ
تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ النَّيْنَانُ^(١) مُصْعِدَةً
صَيْدًا كَمَا ظَفَرَ الْغَوَاصُ بِالذَّرَرِ

(١) في الأصل «نصاد» وفي القلائد والبدايع «تثار» وهي أحسن - والنينان الحيتان جمع نون ، وهو جمع غر معروف ، فان كلمة «نون» لم يجز جمعها على نينان ، وقد كان الأخفش لحن بشار بن برد في قوله في وصف السفينة :
تلاعب نينان البحور وربما

رأيت نفوس القوم من جريها تجري

فغيره بشار بتيار البحور « وان لم ينجح الأخفش من هجو بشار »
فانه لما بلغه طعن الأخفش قال : وبلى على القصار ابن القصارين متى
كانت اللغة والفصاحة في بيوت القصارين ؟! دعوني وإياه - فجزع الأخفش
جزعا شديدا وتشفع اليه أن يكف عنه غرب لسانه فقال : وهبت للذم
عرضه ، وحمل هذا الأخفش على أن يتملق بشارا فكان يحتاج في كنبه
بشعره ليلفه ذلك فيسكت عنه ، وكان قد بلغ بشارا عن سيئويه أيضا
شيء من ذلك فهجاه . ولكن هذا كله لم يمنع بشارا أن يخضع لقوانين
اللغة فعدل عمالهم سمع منها ، وان كنت أرى أنه قد يسهله « حوت وحيتان »
فهو مثله لفظا ووزنا ومعنى ، وقد قال أبو الطيب المتنبي يصف خيلا :

فهن مع السيدان في البر غسل وهن مع النينان في البحر عوم
السيدان جمع سيد وهو الذئب ، والغسل جمع غاسل « كرا كع وركع »
من عسلان الذئب وهو الاسراع - ولم يعدل أبو الطيب عن نينان
« أحمد يوسف نجاتي »

وَلِلنَّدَايِ بِهِ عَبٌّ وَمُرْتَشَفٌ
كَالرَّيْقِ يَعْذِبُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
وَالشَّرْبِ فِي وَدٍّ مَوْلَى خُلُقُهُ زَهْرٌ
يَذْكُو، وَغُرَّتُهُ أَهْبَى مِنَ الْقَمَرِ
انتهى

وصف الوزير
لأبي عبد
البطليوسي

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَةِ أَعْلَامَةِ الْكَبِيرِ الْأَسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّوَيْ «^(١) شَارِحِ أَدَبِ الْكِتَابِ
وَسَقَطِ الزَّنْدِ وَغَيْرِهَا مَا صُوِّرَتْهُ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ حَضَرَ
مَعَ الْأَمَامُونِ بْنِ ذِي الثَّنُونِ^(٢) فِي مَجْلِسِ النَّاعُورَةِ بِالْمَنِيَةِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ، كان اماما في اللغة عالما بالأدب
مقدما في ذلك ، وتأليفه فيهما دالة على رسوخه واتساعه ، ونفوذ وامتداد بابه
منها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، وقد طبع بمصر ، وقد شرح سقط
الزند لأبي العلاء المعري شرحا استوفى فيه مقاصده ، وبين أصراره ودقائقه
وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط
وله غير ذلك كثير - وله مع هذا اثر ونظم جيدان ، وفي قلائد العقيان شيء .
منهما مختار ، ولد ابن السيد سنة ٤٤٤ وتوفي سنة ٥٢١ بمدينة بلنسية .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو الحسن يحيى بن الظاهر اسمعيل بن
عبد الرحمن بن ذى النون الهوارى من ملوك الطوائف صاحب
طليطلة ، ولى الملك بعد أبيه سنة ٤٢٩ واستفحل ملكه ، وعظم بين ملوك

الَّتِي تَطْمَحُ إِلَيْهَا النَّعْيُ ، وَمَرَّ آهًا هُوَ الْمُقْتَرَحُ وَالْمَتْنَى ،
وَالْمَأْمُونُ قَدْ أُحْتِيَ^(١) ، وَأَفَاضَ الْحَبَا ، وَالْمَجْلِسُ يَرْوِقُ
كَأَنَّ الشَّمْسَ فِي أَفْقِهِ ، وَالْبَدْرُ كَالْتَّاجِ فِي مَفْرِقِهِ^(٢) ،
وَالنَّوْزُ عَيْقُ^(٣) ، وَعَلَى مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُعْتَبِقٌ^(٤) ،
وَالذُّوْلَابُ يَتْنُ كَنَافَةٍ إِثْرَ الْخُوَارِ^(٥) ، أَوْ كَشَكْلِي مِنْ
حَرِّ الْأَوَارِ^(٦) ، وَأُجُوقُ قَدْ عَنَبَتْهُ أَنْوَاؤُهُ^(٧) ، وَالرَّوْضُ قَدْ
رَشَّتْهُ أَنْدَاؤُهُ^(٨) ، وَالْأَسَدُ قَدْ فَعَرَتْ^(٩) أَفْوَاهَهَا ، وَنَجَّتْ
أُمُوهَا ، فَقَالَ :

الطوائف سلطانه ، وغلب على بلنسية وقرطبة ، ونو في سنة ٤٦٧ هـ فولى بعده
حفيده النادر يحيى بن اسمعيل بن المأمون يحيى بن ذى اللون ، فملك
ادفونش ملك الفرج منه مدينته سنة ٤٧٨ هـ . « أحمد يوسف تيجاني » .
(١) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وسففيه بهامة ونحوها ،
وغرضه أنه جلس جلسة ارتياح ووقار ، وحبا فلانا أعطاه ومنحه ، والاسم
منه حبة « مثلية » وجمعها حبا « نضم الحاء وكسرها » (٢) في الأصل
« كالشمس في أفقه ، والبدر في مفرقه » وآثرنا ما في القلائد لظهور معناه
(٣) ذو رائحة ذكية منتشرة (٤) الاصطباح : شرب الصباح ، والاعتباق
شرب المساء (٥) ولد الباقية (٦) أصل الأوار حرارة العطش وحر النار ،
مستعار لحرارة الحزن وجمرة نار التسلل (٧) جمع نوه أراد به المطر
(٨) جمع ندى (٩) فتحت - يريد الأسد الصناعية التي تبيع أفواهها
للياه ، وتقدم وصف مثل ذلك - ولعلك تخيلت وصف هذا المجلس الذي

يَا مَنْظَرًا إِنْ نَظَرْتُ بِهِجَتَهُ أَذْكَرَنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
 تُرْبَةُ مِسْكٍ ، وَجَوْثُ عَنَبَرَةٍ وَغَيْمٌ نَدِيٍّ وَطَشٌ ^(١) مَا وَرَدِ
 وَالْمَاءُ كَاللَّازُورِ قَدْ نَظَمَتْ مِنْهُ اللَّالِي فَوَاعِرُ الْأَسَدِ
 كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحَبَابِ بِهِ يَلْعَبُ فِي جَانِبَيْهِ بِالنَّزْدِ ^(٢)
 تَرَاهُ يَزْهُو إِذَا يَحِلُّ بِهِ الْإِ مَأْمُونُ زَهْوِ الْفَتَاةِ بِالْعَقْدِ ^(٣)
 تَخَالُهُ إِنْ بَدَا بِهِ قَمَرًا تَمَّا بَدَا فِي مَطَالِعِ السَّعْدِ
 كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْ حَدَائِقَهُ مَا حَازَ مِنْ شَيْمَةٍ وَمِنْ مَجْدِ
 كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوْضَهَا بِوَابِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ ^(٤)

كان الانهماك بالشراب واللاهو في مثله من أسباب ضياع الفردوس المفقود
 « أحمد يوسف نجاتي » (١) الطش المطر الضميف، وهو فوق الرذاذ، وطشت
 السماء طش « بالضم ، والكسر » ، وفي نسخة « رش » وهو في معنى طش
 (٢) الحباب : نفاحات الماء التي تطفو فوق سطحه ، والطل على الشجر يصبح
 عليه ، قال :

تخال الحباب المرتقي فوق نورها الى سوق أعلاها جمانا مبيدا
 (٣) في نسخة « الكماب » بدل الفتاة ، والكماب هي الناهد التي ارتفع
 ثديها ، وكعب الثدي « كضرب ونصر » اذا تأوهد (٤) جادها : أمطرها
 بغيثه . والوابل المطر الغزير « أحمد يوسف نجاتي »

لَا زَالَ فِي رِفْعَةٍ مُضَاعَفَةٍ
مُتَمِّمَ الرِّفْدِ وَارِيَ الزَّنْدِ^(١)

* *

وصف آخر
للمجلس

« وَقَالَ » فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ بَعِيْنِهِ فِي الْكِتَابِ
الَّذِي أَفْرَدَهُ لِتَرْجَمَةِ ابْنِ السَّيِّدِ مَا صُوِّرَتْهُ : فَمِنْ ذَلِكَ
أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْقَادِرِ بِاللَّهِ بْنِ ذِي الثُّونِ بِمَجْلِسِ النَّاعُورَةِ
بَطْلَيْطَلَةَ فِي الْمُنِيَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ الْبَهَاءِ وَالْإِشْرَاقِ ، الْمُبَاهِيَةِ
لِزُورَاءِ الْعِرَاقِ^(٢) ، الَّتِي يَنْفَحُ^(٣) شَذَاهَا الْعَطِرُ ، وَتَكَادُ
مِنَ الْغَضَارَةِ^(٤) تُمَطِّرُ ، وَالْقَادِرُ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ اتَّحَفَ
الْوَقَارَ وَأَرْتَدَاهُ ، وَحَكَّمَ الْعُقَارَ فِي جُودِهِ وَنَدَاهُ^(٥) ،

(١) الرِّفْدُ العطاء ، « ووارى الزند » يكنى به عن النجاح والظفر في الأمور
وإدراك الآمال ، وسداد الرأي وحسن التوفيق (٢) تقدم التعريف بها
(٣) نفح الطيب « كمنع » إذا أرج ونضوعت رياه الذكية ، والشذى :
قوة دكاه الرائحة الطيبة وحدتها (٤) الغضارة : النعمة والخير والسعة
والحصب والبهجة ، وغضارة العيش : طيبه ونضوته. والفقرة « تكاد من
الغضارة تمطر » من شطرييت ، ومرمثل ذلك في بعض الرسائل (٥) كأنه ينظر
إلى قول عنقرة :

فإذا شربت فانتى مستهلك مالي، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا سحوت فما أقصر عن ندى وكما علت شمائلى ونكرمى

وَالْمَجْلِسُ يُشْرِقُ كَالشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ^(١) ، وَمَنْ حَوَاهُ
يَبْهَجُ كَالنَّفْسِ عِنْدَ مَنَالِ الْأَمَلِ ، وَالزَّهْرُ عَبَقٌ ، وَعَلَى
مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُعْتَبِقٌ ، وَالذُّلَابُ يَبْنِي كَنَاقَةَ
إِنْرٍ حَوَارٍ ، إِلَى آخِرِ مَا سَبَقَ

وصف آخر
المجلس

« وَقَالَ الْفَضْلُ » فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ حَاضِرًا حَدَوْ
الْفَتْحِ مَا صَوَّرْتُهُ : حَضَرَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَلْسِيْدِ
عِنْدَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي الثَّنُونِ فِي بَعْضِ مُتَنَزِّهَاتِهِ فِي وَقْتِ
طَابَ نَعِيمُهُ ، وَسَرَتْ بِالسُّعُودِ نُجُومُهُ ، وَالرَّوْضُ قَدْ أَجَادَ
وَشْيَهُ رَاقِمُهُ^(٢) ، وَالْمَاءُ قَدْ جَرَتْ بَيْنَ الْأَغْشَابِ أَرَاقِمُهُ^(٣) ،
وَتَمَّ بِرُكَّةٍ مَمْلُوءَةٍ ، كَأَنَّهَا مِرْآةٌ مَجْلُوءَةٌ ، قَدْ اتَّخَذَتْ
سِبَاعُ الصُّفْرِ^(٤) بِشَاطِئِهَا غَابًا ، وَمَجَّتْ بِهَا مِنْ سَائِرِ

(١) تحمل الشمس في الحمل في أول فصل الربيع شباب الزمان وأبهى
فصول العام (٢) وثى الثوب : نقشه وزخرفته - ورقم الثوب وشاه وخطه
وأعلمه (٣) الأرقم من الحيات مافي لونه سواد وبياض ، أو هي حية بين
حيتين رقم بحمرة وسواد وكرة وبغته « بياض الى الخضرة » والبغضاء
أيضا مثل الرقطاء ، وهي التي فيها سواد وبياض وبياضها أكثر من سوادها
والبغنة أيضا الغبرة ، ولون رمادي (٤) النحاس الأصفر « أحمد يوسف نجاني »

الْمَاءُ لُعَابًا ، فَكَانَهَا آسَادُ عَيْنٍ ، أَدْلَمَتْ ^(١) أَلْسِنَةً مِنْ
لُجَيْنٍ ، وَهِيَ لَا تَرَالْ تَقْذِفُ الْمَاءَ وَلَا تَقْفُرُ ^(٢) ، وَتَنْظُمُ
لَا لِىَ الْحَبَابِ بَعْدَ مَا تَنْثُرُ ، فَأَمَرَهُ بِوَصْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
الَّذِى تَخِدُ إِلَيْهِ ^(٣) رَكَائِبُ الْقُلُوبِ وَتُوضِعُ ، فَقَالَ بَدِيهَاً :
يَا مَنْظَرًا الْخ . انْتَهَى .

« ثُمَّ قَالَ الْفَتْحُ » فِي هَذَا التَّصْنِيفِ بَعْدَ كَلَامٍ فِي
الْمَذْكُورِ مَا نَصَّهُ : وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَهُ فِي وَصْفِ الرِّاحِ .
وَالْحَصُّ عَلَى الْبَيْدِ لِلْهُمُومِ وَالْأَطْرَاحِ ، بِمُعَاطَةِ كَاسِهَا ،
وَمُؤَالَاةِ إِيْنَاسِهَا ، وَمُعَاقَرَةِ دِنَانِهَا ^(٤) وَاهْتِصَارِ ثَمَارِ الْفُتُوَّةِ ^(٥)

-
- (١) دأب لسانه « كمنع » وأدامه إذا أخرجه ، والعين الذهب واللاجين الفضة
(٢) الفتور : الضعف والسكون عن النشاط ، والتعب (٣) فى الأصل
« تجدد » ولكن « تخد » أنسب بما بعده : ووخذ « كعود » أمرع ،
والوخذ أيضا : سعة الخطو فى الشئ - وأوضع عدا عدوا سريعا .
(٤) الدنان جمع دن ، اناء من آنية الحجر عظيم (٥) اختصر العنص اذا
جذبه وأماله اليه ، والفتوة أصلها فى اللغة الكرم والسخاء والابتنار
ومكارم الاخلاق ، ثم استعمله المولودون بمعنى اللهو والغزل والميل الى
أعمال الشباب ودواعى الهوى

مِنْ أَفْتَانِهَا ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْآيَاتِ وَأَنْكَادِهَا ، وَالْجُرْيِ
فِي مَيْدَانِ الصَّبْوَةِ ^(١) إِلَى أَبْعَدِ آمَادِهَا :

سَلِّ الْهُمُومَ إِذَا نَبَأَ زَمَنٌ ^(٢)

بُعْدَامَةٍ صَفَرَاءَ كَالذَّهَبِ

مُزِجَتٌ ، فَمِنْ دُرٍّ عَلَى ذَهَبٍ

طَافٍ وَمِنْ حَبَبٍ عَلَى لَهَبٍ ^(٣)

وَكَانَ سَاقِيهَا يُشِيرُ شَذَى

مِنْكَ لَدَى الْأَقْوَامِ مُنْتَهَبٍ

وَلِلَّهِ هُوَ! فَقَدْ نَدَبَ إِلَى الْمُنْدُوبِ ^(٤) ، وَذَهَبَ إِلَى مُدَاوَاةِ

الْقُلُوبِ مِنَ الْمُنْدُوبِ ^(٥) ، وَإِبْرَائِهَا مِنَ الْآلَامِ ، وَإِهْدَائِهَا

كُلَّ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ : وَإِبْنَاهِجَهَا بِأَصَالٍ وَبُكْرٍ ، وَعِلَاجِهَا

مِنْ هُمُومٍ وَفِكْرٍ ، فِي زَمَنِ حُلَى عَاطِلُهُ ، وَجَلَّى فِي أَحْسَنِ

(١) الصبوة جهلة الفتوة والاهو كالفتوة (٢) نبأ به الرمن : أساء اليه ولم

توافق صروفه (٣) يصف الفواقع البيض الطافية فوق الكاس (٤) ندبه

الى الامر « كسر » دعاه وحشه ، والامر المندوب المستحب والمطلوب

(٥) جمع ندة « بفتح النون والذال » أثر الحرج على الجلد اذا لم

يرتفع عنه « أحمد يوسف نجاتي »

الصُّورِ بَاطِلُهُ ، وَتَقَقَّتْ^(١) مُحَالَاتُهُ ، وَطَبَقَتْ أَرْضُهُ وَسَمَاءُهُ
أُسْحَالَاتُهُ ، فَلَيْشُهُ كَاسِدٌ^(٢) ، وَذَنْبُهُ مُسْتَأْسِدٌ^(٣) ، وَأَضْغَاثُهُ^(٤)

(١) راجت وأقبل عليها الناس ، والمحال الباطل ، وما عدل به عن وجهه من الكلام ، وطبق ملاً وعم . (٢) بائز ضد نافق ورائج ، وفعله « كنصر » وأقول : اذا كان يقول هذا في عصره فماذا يقول لو رأى مانحن عليه الآن ، وقد راج البهرج الزائف ، وكسد الابريز الجيد المعنى ، وشالت كفة جيف خف وزنها ، وثبتت رزينة الجواهر التي غلت قيمتها ، واستخف أناس بعقول بعض الاغرار ، وموهوا بمحالهم الزور على ذوى الغفلة الاغمار فكانت لهم سوق نافقة ؟! أظنه كان يعمل نفسه بإشاره حفظ كرامتها ، وارضائه ضميره واخلاصه في عمله الذي لا بد أن ينم عنه ، وثقته بأن الحق لا بد أن يظهر ، فان ضاع بين الناس لم يضع عند الله « أحمد يوسف نجاشي » (٣) استأسد أى صار كالأسد في جراته وأخلاقه ، واستأسد عليه اجتراً (٤) فى الاصل « وأضغاثه » تفسر ، ولا بأس بها لولا ما يكون اذا فى تفسر من التحريف أو تكلف المعنى ، ولولا أن السياق قد ينبو عنه ، مع فوت الازدواج بين « أضغاث وبغاث » وهو يتحرى ذلك ، هذا الى أن الفقرات كلها أمثال تضرب متشاكله للمعنى متشابهة الغرض . والأضغاث جمع ضف ، وهو ما كان مختلطاً لاحقيقة له من الخير والامر ، وكل عمل مختلط غير خالص ، وكلام ضف لا خير فيه . والضف الحلم الذى لا تأويل له ولا خير فيه لاختلاطه والتباسه ، والضف قبضة من قضبان مختلفة مختلطة الرطب باليابس جمعها أصل واحد . ونسر الشئ اذا نشره وفرقه ، فالمعنى على ما فى الاصل أن أضغاثه ظاهرة ، وأحقاد أهله على الباقين مكتنوفة ، أو أن أخباره النافية ، وأعماله المختلطة الفاسدة ، وأحاديثه الغثة غير الخالصة قد ظهرت وانتشرت . وأرى كل هذا تسفا متكاملاً ، وعندى أن أصل الفقرة « وأضغاثه تفسر » فقد عرفت أن الأضغاث هى الأحلام اللتبسة المختلطة

تَنْسَرُ ، وَبُعَاثُهُ قَدْ اُسْتَنْسَرَ ^(١) ، فَلَا اُسْتِرَاحَةَ اِلَّا فِي
مُعَاطَةِ حُمَيَّا ، وَمُؤَاخَاةِ وَسِيمِ الْمُحَيَّا . وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَمَّارٍ ^(٢)
ذَهَبَ مَذَهَبُهُ ، وَفَضَّضَهُ بِالْاِبْدَاعِ وَذَهَبَهُ ، حِينَ دَخَلَ
سَرَقُطَةَ وَرَأَى غَاوَةَ اَهْلِهَا ، وَتَكَاثَفَ جَهْلُهَا ، وَشَاهَدَ
مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ مَعْنَى وَلَا فَضْلًا ، وَوَاصِلَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَطْعًا
وَلَا وَصْلًا ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَاحِهِ يَتَعَاطَاهَا ، وَعَكَفَ عَلَيْهَا مَا
تَعَدَّاهَا وَلَا تَخْطَاهَا ، حَتَّى بَلَغَهُ اَنْتَهُمْ تَقَمُّوا مُعَاقَرَتَهُ الْعُقَارَ ،

والرؤيا للتدخلة التي لا يستقيم تأويلها ولا يصح تعبيرها ، فهو يقول انها
في هذا الزمان الفاسد قد فسرت ، فهو يشكو انقلاب الاحوال وانعكاس
الاضواء ، فيكون مثل الفقرة قبله والفقرة بعده « أحمد يوسف نجاتي »
(١) البغاث صغار الطير وضعافه ، أو ضرب منه بطيء الطيران ، وهو من شرار
الطير وما لا يصيد منها « وبعث يكون واحدا فيجمع على بعثان ، ويكون
جمعا لبعثاته » واستنسر صار كالنسر في القوة عند الصيد بعد أن كان من
ضعاف الطير وأرذاله . وهو مثل يضرب للضعيف يصير قويا ، وللذليل يصبح بعد
الهوان عزيزا « وقد يستعمل بمعنى أن من جاورنا عز بنا ، أو أن الضعيف
يستضعفنا ويظهر قوته علينا » والمعنى الأول هو المراد هنا (٢) هو ذو
الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الشاعر الأديب المشهور ، كان وزيرا
للمتمد بن عباد ، وجعله أميرا على بعض البلاد ، ولكنه شق عصا الطاعة
على ولي نعمته ، وبعد حوادث معروفة قتله المتمد سنة ٤٧٧ هـ ، ومما شئ
من سيرته ، ويأتي حديث عنه . « أحمد يوسف نجاتي »

وَجَآلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي تَوْبِيخِهِ مَجَالَ ذِي الْفَقَارِ^(١) ، فَقَالَ :

تَقَمُّمٌ عَلَى الرَّاحِ أَذْمِنُ شُرْبَهَا

وَقُلْتُمْ : فَتَى رَاحٍ وَيَلَيْسَ فَتَى مَجْدٍ

وَمَنْ ذَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَعَى

سِوَايَ؟ وَمَنْ أَعْطَى كَثِيرًا وَلَمْ يَكْدِ^(٢)؟

فَدَيْتُكُمْ لَمْ تَقْهَمُوا السَّرَّ ، إِنَّمَا

قَلَيْتُكُمْ^(٣) جُهْدِي فَأَبْعَدْتُكُمْ جُهْدِي

وَدُعِيَ ابْنُ السَّيِّدِ لَيْلَةً إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ احْتَشَدَ فِيهِ

الْأَنْسُ وَالطَّرَبُ ، وَقَرَعَ فِيهِ السُّرُورُ تَبَعَهُ بِالْقَرَبِ^(٤) ،

(١) ذو الفقار سيف مشهور كان للعاص بن منه « بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعد بن سهم » ثم قتل يوم بدر كافرا ، قتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ سيفه هذا ، وفيه قيل :

لا سيف الا ذو الفقار ر ولا فتى الا علي

والغرض هنا أنهم سلقوا ابن عباد بالسنة حداد كهذا السيف (٢) أكدى أي نجل بالعطاء وقل خبره (٣) قلاه يقلبه : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه (٤) سبق شرح النبع والقرب ، والغرض أنه كان للسرور حرب قامت على ساقها ، وميدان جال فيه كل مجال ، وقال الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
وقال أبو الطيب :

وَلَا حَتَّ نُجُومُ أَكْوَاسِهِ^(١) ، وَفَاحَ نَسِيمُ رَنْدِهِ وَآسِهِ^(٢) ،
وَأَبْدَتَ صُدُورُ أَبَارِيقِهِ أَسْرَارَهَا^(٣) ، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ

فلا تنلك الليالى ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب
يريد أن يدعوه له بالأتاله الليالى ، فانها اذا ضربت كسرت القوى بالضعيف
(١) كذا بالأصل ، ولم يجمع « كاس » على أكواس ، وأظنها محرفة عن
« كئاس » أو كياس بقلب الالف التى أصلها واو ياء ، فقد سمع هذا الجمع
كما سمع أكووس وكؤوس وكسات - وتشبيه الراح وكاساتها وحبابها
بالنجوم كثير فى كلامهم ، ومنه :

نجوم الراح قد طلعت نهارا ونحن من المسرة فى ورود
وماء النيل زوج بالحيا فهل لك أن تكون من الشهود؟
ولابن الفارض :

لها البدر كاس ، وهى شمس يدبرها هلال ، وكى يبدو اذا مزجت نجم
(٢) الرند شجر بالبادية طيب الرائحة ، وقد يسمون العود الذى يتبخر به
رندا - والآس معروف ، وهو بأرض العرب كثير ، وخضرته دائمة أبدا ،
ولهذا قيل :

الآس يبقى وان طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
وقال آخر :

أرى عهدكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عمر
وعهدى لكم كالآس حسنا ومنظرا له بهجة تبقى اذا فنى الدهر
وقال آخر :

خليلى ماس الآس يسبق نشره اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداع ريم معذر وصورته آذان خيل نوافر
(٣) مما قيل فى أباريق اللدام قول ابراهيم الموصلى :

كان أباريق اللدام لديهم طباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كان رقابهم من الين لم تخلق لهم عظام

أَلْمَحَاسِنُ^(١) أَزْرَارَهَا ، وَالرَّاحُ يُدِيرُهَا أَهْيَفُ^(٢) أَوْطَفُ ،
وَالْأَمَانِي تُجَنِّي وَتُقْطَفُ ، فَقَالَ :

يَا رَبِّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكَتُ حِجَابَهُ

بِمُدَامَةٍ وَقَادَةٍ كَالْكَوْكَبِ

يَسْمَى بِهَا أَخْوَى الْجُفُونِ كَأَنَّهَا

مِنْ خَدِّهِ وَرُضَابٍ فِيهِ الْأَشْنَبُ^(٣)

بَدْرَانِ : بَدْرٌ قَدْ أُمِنْتُ عُزُوبَهُ

يَسْمَى بِبَدْرِ جَانِحٍ لِلْمَغْرِبِ^(٤)

ولآخر :

كان ابن ابريقنا والراح في فمه طير تناول باقوتنا بمنقار
(١) في الاصل « المجالس » فالضمير في عليه يرجع الى ابن السيد (٢) الهيف
ضمير البطن ورقة الحاصرة ، والوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشعار
مع استرخاء وطول ، وفتى أوطف وغادة وطفاء اذا كانا طويلي شعر أهداب
العينين مع كثرتهم وسواده (٣) الحوة : السواد ، والأشنب ماء ورقة تجرى
على الثغر مع برد وعذوبة في الفم (٤) البدر الأول محبوبه ، والثاني الراح
تفرب في فم الشارب ، ومثله قول الشاعر من أبيات في نجوم الكؤوس
طالعات مع السقاة علينا فاذا ما غربن يغربن فينا
وقال ابن الصائغ :

سقى لآيماننا ما كان أطيبها وان نسيت فما أنسى ليالينا
حيث الكؤوس على اندمان دائرة مثل الكواكب والأبراج أيدينا

فَإِذَا نَعِمْتَ بِرَشْفِ بَدْرِ غَارِبِ

فَإَنِّمَ بِرِشْفَةِ طَالِعِ لَمْ يَغْرُبِ ^(١)

حَتَّى تَرَى زُهَرَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا

حَوْلَ الْمَجَرَّةِ رَبْرَبٌ فِي مَشْرَبِ ^(٢)

وَاللَّيْلُ مُنْفَجِرٌ يُطِيرُ غُرَابَهُ وَالصُّبْحُ يُطْرِدُهُ بَيَازَ أَشْهَبِ ^(٣)

تبدو فتحرق شيطان الهموم وما زال الكواكب يحرقن الشياطينا
وقال عبد الرحمن القرشي الأموي الطليق « وتقدم التعريف به » .

أصبحت شمسا وفوه مغربا ويد الساق المحي مشرقا
فاذا ماغربت في فوه أطلعت في الحد منه شققا
(١) في معنى هذا :

يدبر من يده خمرا ومن فوه شهدا به لنفوس القوم لذات
فقمتم أشرب من فيه وخمرته شربا تشن به في العقل غارات

(٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش أو من الظباء (٣) منفجر من
الفجر وهو ضوء الصباح أو حمرة الشمس في سواد الليل ، وقد انفجر
الليل عن الصبح وانفجر الصبح - وفي نسخة « منحفز ، ومحتفز » من
حفزه يحفزه اذا دفعه وأزعجه وأعجله وحته ، وحفز الليل النهار أى حثه
وساقه ، واحتفز فهو محتفز أى مستعجل مستوفز يريد النهوض مسرعا
واحتفز في مشيته اذا احتث واجتهد ، وفي هذا المعنى قول ابن المعتز :

كأننا وضوء الصبح يستجمل الدجا نظير غرابا ذا قوادم جون
والشبهة: بياض يصدعه سواد في خلاله - يقول انه لا يزال يشرب وينعم
بخمر في الشراب والرضاب حتى تنحدر النجوم مغربة ، ويطرد بازي
النهار غراب الليل . « أحمد يوسف نجاتي » .

« ثُمَّ قَالَ الْفَتْحُ » بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتْهُ : وَدَخَلَ
- يَعْنِي ابْنَ السَّيِّدِ - مَرْقُطَةً أَيَّامَ الْمُسْتَعِينِ وَهِيَ جَنَّةُ
الدُّنْيَا ، وَفِتْنَةُ الْمَحْيَا ، وَمُنْتَهَى الْوَصْفِ ، وَمَوْقِفُ السُّرُورِ
وَالْقَصْفِ ، مَلِكٌ نَمِيرٌ^(١) الْبَشَاشَةِ ، كَثِيرُ الْهَشَاشَةِ ، وَمُلْكٌ
أَبْهَجٌ^(٢) الْفَنَاءِ ، أَرْجُ الْأَرْجَاءِ ، يَرْوِقُ الْمُجْتَلِي^(٣) ، وَيَقُوقُ
النَّجْمَ الْمُجْتَلِي^(٤) ، وَحَضِيرَةٌ^(٥) مُنْسَابَةُ الْمَاءِ ، مُنْجَابَةٌ^(٦) السَّمَاءِ ،
يَنْسِمُ زَهْرُهَا ، وَيَنْسَابُ نَهْرُهَا ، وَتَنْفَتِّحُ سَمَائِلُهَا^(٧) ، وَتَتَضَوُّعُ
صَبَاهَا وَسَمَائِلُهَا^(٨) ، وَالْخَوَادِثُ لَا تَعْتَرِضُهَا ، وَالْكَوَارِثُ
لَا تَقْتَرِضُهَا^(٩) وَنَازِلُهَا مِنْ عُرْسٍ إِلَى مَوْسِمٍ ، وَآمِلُهَا مُتَّصِلٌ

(١) مستعار من الماء النخير وهو الناجع في الري الهنيء ، والجنب الصافي
(٢) قد تكون « بهج » للوازنة للصفة أرج ، أو بهيج ، وأرج الطيب
« كفرح » فهو أرج اذا توهجت رائحته وتضوعت نفحته ، وبهج
بالشيء « كفرح » سر به ، والبهجة : ضحك أسارى الوجه وظهور الفرح
دائما ، ورجل بهج أى مبتهج بأمر يسره (٣) أى يعجب من يشاهد حسنه
ويسره (٤) قد تكون « -ضرة » أى مدينة - أما الحضيرة فهى المياه
يحضرها الناس (٥) منكشفة ساطعة (٦) جمع خميلة : وهى الشجر الكثير
للثلف الكثيف ، وتضووع الطيب : انتشرت رائحته الذكية (٧) جمع شمال
(٨) لعله مجاز من قرض الشيء واقترضه اذا حزه بأسنانه وعضه وأثر فيه .
والقرض الحز فى الشيء والقطع ، يريد أن مصائب الدهر ونوائبه لم تنل

بِالْأَمَانِيِّ وَمُتَّسِمٌ ، قَتَلَ مِنْهَا فِي مِثْلِ الْخَوَرْتَقِ وَالسِّدْرِ ^(١) ،
وَتَصَرَّفَ فِيهَا بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ ، فَلَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُسْتَعِينِ
أَحْتِلَالُهُ ، وَلَمْ تَخَفْ لَدَيْهِ ^(٢) خِلَالُهُ ، فَذَكَرَهُ مُعَلِّمًا بِهِ
وَمُعَرِّفًا ، وَأَخْضَرَهُ مُنَوَّهًا ^(٣) بِهِ وَمُشْرِفًا ، وَقَدْ كَانَ فَرَّ
مِنْ ابْنِ رَزِينٍ ^(٤) فِرَارَ الشُّرُورِ مِنْ نَفْسِ الْحَزِينِ ، وَخَلَصَ

منها ولم تؤثر فيها تأثيرا يذهب بيهبتها ويضعف من حسننها ونفستها ،
وفي الحديث في صفة السيدة مريم عليها السلام : « لم يفترضها ولد » أى
لم يؤثر فيها ولم يحزها قبل مولد روح الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ،
وقد تكون « يفترضها » بالقاف من قرضه اذا قطعه ، واقترض عرضه
اذا اغتابه ، لأن القاف كأنه يقطع من عرض أخيه ، ومنه الحديث :
« عباد الله رفع الله عنا الحرج الا من اقترض امرأ مسلما » ، وفي رواية
الا من اقترض عرض مسلم ، أراد قطعه بالغيبة والطمع عليه والنيل منه ، فأل
الملائين واحد ، وهذا التكلف ارضاء لموازنة والازدواج في فقرتي السجعتين
وتوخى الجنس والتزام مالا يلزم « في حوادث وكوراث » ، نعترض ،
ونفترض « وما يمثل هذا يحسن البديع ويعذب » أحمد يوسف نجاشي «
(١) تقدم القول في هذين القصيرين (٢) يريد لم يخف ميزانها لديه
بل أكبرها واعتد بها - وقد تكون « لم تخف » من الخفاء لولا تكرار
المعنى وكراهة الايطاء (٣) نوه به اذا أشاد بذكره ورفع قدره وشهره
وقد تكون « ولم تخف » وقد تكون الفقرة الأولى ولم يخف .. اختلاله
(٤) ابن رزين من ملوك الطوائف ، وكان بنور زين قد استبدوا بالسهولة
من ثغور الاندلس ، وأول من ملك منهم مؤيد الدولة هذيل بن خلف
ابن رزين في أوائل المائة الخامسة بدعوة هشام المؤيد ، وأصله بربرى

مِنْ أَعْتَقَالِهِ ، خُلُوصَ السَّيْفِ مِنْ صِقَالِهِ ^(١) ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ :
 هُمُو سَلَبُونِي حُسْنَ صَبْرِي إِذْ بَأَنُوا
 بِأَقْمَارِ أَطْوَاقٍ مَطَالِعُهَا بَانَ ^(٢)
 لَنْ غَادَرُونِي بِاللَّوَى إِنْ مُهَجَّتِي
 مُسَايِرَةٌ أَظْلَعَتْهُمْ حَيْثَمَا كَانُوا
 سَقَى عَهْدَهُمْ بِالْخَيْفِ ^(٣) عَهْدُ عَمَائِمُ
 يُتَازَعُهَا مُزْنٌ مِنَ الدَّمْعِ هَتَانُ
 أَأَحْبَابَتَاهَلْ ذَلِكَ الْعَهْدُ رَاجِعُ ؟
 وَهَلْ لِي عَنْكُمْ آخِرُ الدَّهْرِ سُلُوفَانُ ؟

ومولده بالاندلس ، وتلقب مؤيد الدولة وتوفي سنة ٤٥٠ هـ فولى بعده ابنه عبد الملك بن خلف ، وكان أديبا شاعرا بليغا ، وتلقب حسام الدولة ، وكان ذو الرياستين أبو مروان ملك السهلة هذا واسطة عقد بني رزين ، ودارة تاجهم وغرة جبينهم « وكان يلي الثغر ويملك الى أول أعمال طليطلة » وكان كريما شجاعا جريئا ، وكانت دولته محط رحال الشعراء ورجال البيان ، ولكنه كان سريع الغضب شديد البادرة حاد السورة ، وهو الذي فر ابن السبعمن سجنه تاجيا بنفسه ، ثم ولى بعده ابنه حسام الدولة ، ولم يزل أميرا عليها الى أن ملكها المرابطون عند تغلبهم على الاندلس وقد تقدم ذكر لبني رزين ملوك السهلة في الأجزاء السابقة « أحمد يوسف نجاشي » . (١) صقل السيف جلاه ، والاسم الصقال (٢) أقمار لأطواق يريد بها الوجوه ، ويريد بالبان القدود شبهها بأغصان البان في الاعتدال واللين والثني والانطفاف والنعمة والرواق . (٣) الخيف مبنى وبه سمي مسجد الخيف ، وفيه يقول نصيب أو المجنون

وَلِي مُقَلَّةٌ عَبْرَى^(١) وَبَيْنَ جَوَانِحِي
 فُوَادُ إِلَى لُقْيَاكُمْ الدَّهْرَ حَنَانُ
 تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا لَنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ
 وَحَفَّتْ بِنَا مِنْ مُعْضِلِ الْخُطْبِ الْوَانُ
 أَنَاخَتْ بِنَا فِي أَرْضِ شَنْتَمَرِيَّةٍ^(٢)
 هَوَّاجِسُ ظَنٍّ خَانَ، وَالظَّنُّ خَوَانُ
 وَشِمْنَا بُرُوقًا لِلْمَوَاعِيدِ أَتَعَبْتُ
 نَوَاطِرَنَا دَهْرًا، وَلَمْ يَهْمِ تَهْتَانُ^(٣)
 فَسِرْنَا وَمَا نَلَوِي عَلَى مُتَعَذِّرٍ
 إِذَا وَطَنٌ أَفْصَاكَ أَوْتَاكَ أَوْطَانُ^(٤)

ولم أر ليلي بعد موقف ساعة بحيف مني ترمى جمار الحصب
 والهتان : السائل بكثرة وغزارة (١) تفيض بالعبرات أي الدموع (٢) شنت
 مرية : حصن كان من أعمال شنتبرية، وكانت شنتمرية من أعمال ابن
 رزین (٣) في الأصل « هتان » فتكون مكررة في القافية مع البيت
 الثالث من القصيدة ، فأثرنا أن تكون مصحفة عن « تهتان » من
 هتفت السماء إذا انصب مطرها (٤) يقال مر ما يلوى على أحد أو على شيء
 أي لم يعطف ولم يحم ، وما انتظر ولا تحبس ، وفي معنى البيت :
 وفي الأرض منأى كريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

وَلَا زَادَ إِلَّا مَا أَنْتَشْتَهُ مِنَ الصَّبَا
 أَنْوَفٌ ، وَحَازَتْهُ مِنَ الْمَاءِ أَجْفَانُ^(١)
 رَحَلْنَا سَوَامَ الْحَمْدِ مِنْهَا لِغَيْرِهَا
 فَلَا مَاؤُهَا صَدَى ، وَلَا النَّبْتُ سَعْدَانُ^(٢)

(١) نشار بحاطيبة ، ونشى نشوة وانتشى وتنشى اذا شمها - يقال لم يخرج بزاد الا بالنسيم يشمه بدل الطعام ، وبالماء ادخره دمعا في أجفانه عوضا من الشراب ، وكأنه يشير من طرف خفي بعجز البيت الى قول الشاعر:
 ترفق بدمعك لاتفنه فيبين يديك بكاء طويل

(٢) السوام في الاصل الابل السائمة أى التى ترسل لترعى ، وفي الاصل سوام «الحمر» بدل «الحمد» وفي نسخة «الحمر» وهو تصحيف، فهو يقول ان مدينة شتمريقة لما نبت به رحل عنها ولم يحمدها وآثر بالحمد مدينة حملته وصدق فيها ظنه وتحقق رجاؤه ، وأشار بعجز البيت الى المثل المشهور:
 « ماء ولا كهداء ومرعى ولا كالسعدان »

وصداه ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مأثها . وفيها يقول ضرار السعدى
 يرى دون برد الماء هولا وذادة اذا اشتد صاحوا قبل أن يتحجبا
 وانى وتهيامى بزيب كالذى تطلب من أحواض صدا مشربا
 يريد أنه لا يصل اليه الا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذى يرد هذا الماء فانه يزاحم عليه الورد لفرط عذوبته . وتحب أى روى - والسعدان من أتيج الراعى، ولا تحسن الماشية على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب الماتة الأ بكار زينها سعدان توضح فى أوبارها اللبد

والثلاث يضر بان للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله « أى هذا مرعى جيد وليس فى الجودة مثل السعدان » فيضرب كذلك للشبتين أو الرجلين لها فضل الا أن أحدهما أفضل . « أحمد يوسف نجاشى » .

إِلَى مَلِكٍ حَابَاهُ بِالْمَجْدِ يُوسُفُ

وَشَادَ لَهُ أَلَيْتَ الرَّفِيعِ سُلَيْمَانُ^(١)

إِلَى مُسْتَعِينٍ بِالْإِلَهِ مُؤَيَّدٍ

لَهُ النَّصْرُ حِزْبُ، وَالْمَقَادِيرُ أَعْوَانُ

جَفَّتْنَا بِلَا جُرْمٍ كَأَنَّ مَوَدَّةً

مَنَى نَحُونَا مِنْهَا الْأَعِنَّةَ شَتَانُ^(٢)

(١) في البيت تورية في اسمي « يوسف، سليمان » وأراد جد المستعين أبا أيوب سليمان بن محمد بن هود « بن عبدالله بن موسى مولى أبي حذيفة الجذامي نسباً » وكان سليمان متغلباً على مدينة سرقسطة سنة ٤٣١ وتلقب للمستعين ، واستفحل ملكه وقوى سلطانه ، وتوفي سنة ٤٣٨ - وأراد « بيوسف » يوسف المؤمن ، وهو أبو المستعين المدوح « وهو يوسف المظفر بن أحمد القنذر بن سليمان بن محمد بن هود » وتوفي المؤمن سنة ٤٧٨ فولى بعده ابنه أحمد المستعين هذا « ولم يزل أميراً بسرقسطة حتى توفي شهيداً سنة ٥٠٣ في زحف ملك الفرنج إليها ، وقد سبق أن تكلمنا على بني هود وملكهم وتاريخ كل منهم فيها - والمورى بهما نبيا الله يوسف وسليمان عليهما السلام ، ولا يخفى مناسبة يوسف للمجد ، وسليمان للبناء الرفيع ، فالتورية مرشحة بذكر ما يلائم المعنى القريب للمورى به . « أحمد يوسف نجاشي » (٢) الجرم الذنب ، والشنان البغض والكرهية - يقول كأن مودته كانت سبباً لجلب البغض له ، فجاءه الضر من حيث كان يرجو النفع ، فقد جوزى كراهة عن مودة ، وبغضا عن محبة

وَلَوْ لَمْ تُقَدِّمْنَا سِوَى الشَّعْرِ وَخَدَهُ
لَحَقَّ لَنَا بِرُّ عَلَيْنَا وَإِحْسَانُ^(١)
فَكَيْفَ وَلَمْ نَجْعَلْ بِهَا الشَّعْرَ مَكْسَبًا
فَيُوجِبَ لِلْمُكْدَى جَفَاءً وَحِرْمَانُ^(٢) !
وَلَا نَحْنُ مِمَّنْ يَرْتَضِي الشَّعْرَ خُطَّةً
وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ شَأُونَا فِيهِ أَعْيَانُ^(٣)
وَمَنْ أَوْهَمَتْهُ غَيْرُ ذَلِكَ ظَنُّونُهُ
قَمِّمْ مَجَالَ لِلْمَقَالِ وَمَيْدَانِ

(١) في الأصل « لحن لنا بر عليه .. » وهو تصحيف ، يريد أن المدينة التي
نبت به وجفته بغير ذنب لو لم يكن له عليها إلا أنه زانها بجيد شعره وأقام فيها للأدب
سوقا نافقة لكان حقا عليها أن تعد ذلك منه برا بها وإحسانا إليها ، وفضلا
يستوجب به الحب والشكر ، لا القتل والهجر . « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) أ كدى الرجل اذا بنخل أو قل خبره ، وسأله فأ كدى : أى وجده
بنحيلة كالصخرة لا تبلى صفاته ولا تندى بنانه ، وأ كدى اذا ألح في المسألة
والمكدى من الرجال من لا يثوب له مال ولا ينمي ، وأ كدى خاب ، وأنسب
المعاني للمكدى هنا السائل الملحف في الطلب ، يقول لم نكن ممن يتكسب
بالشعر ويسأل الناس به حتى كان يستوجب الجفاء والحرمان بالخافه
والخاحه وارقة ماء وجهه ، وجعل الشعر تجارة كاسدة ساقطة القدر (٣) الشأو:
الغاية والامد والسبق « أحمد يوسف نجاتي »

خَلِيلِي مَنْ يُعْدِي عَلَى زَمَنِ لَهُ
 إِذَا مَا قَضَى حَيْفٌ عَلَى وَعْدَوَانٍ^(١)؟!
 وَهَلْ رَى مِنْ قَبْلِي غَرِيقٌ مَدَامِعٍ
 يَفِيضُ بِعَيْنَيْهِ أَحْيَا وَهُوَ حَرَّانٌ^(٢)؟!
 وَهَلْ طَرَفَتْ عَيْنٌ لِمَجْدٍ وَلَمْ يَكُنْ
 لَهَا مُقَلَّةٌ مِنْ آلِ هُودٍ وَإِنْسَانٍ^(٣)؟!
 بَوَجْهِ ابْنِ هُودٍ كَلَّمَ أَعْرَضَ الْوَرَى
 صَحِيفَةً إِقْبَالَ لَهَا الْبَشْرُ عُنْوَانُ
 فَتَى الْمَجْدِ ، فِي بُرْدِيهِ بَذَرٌ وَصَيْغَمٌ
 وَبَحْرٌ وَقُدْسٌ ذُو الْهَضَابِ وَشَهْلَانٌ^(٤)
 مِنْ النَّفَرِ الشَّمِّ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ
 غُبُوثٌ ، وَلَكِنْ أَخْوَاطِرَ نِيرَانٍ^(٥)

- (١) الحيف : الجور والظلم ، وأعداه اذا نصره وأعاناه
 (٢) ومن عجب أتى أروى ديارهم وحظى منها حين أسألهما الصدى
 والحمران الشديد العطش (٣) طرفت عينه الى الشيء اذا نظرت اليه
 وانصرفت نحوه (٤) قدس جبل عظيم بأرض نجد ، وشهلان جبل ضخم
 بالعالية ، وصف ممدوحه بالرفعة والشرف وعلاؤ القدر والبهاء والاشراق ،
 وبالشجاعة والسكرم ، وبالوفاء والحلم والرزانة والثبات (٥) الشم : جمع

لِيُوثَّ شَرِّى مَا زَالَ مِنْهُمْ لَدَى الْوَعَى
 هَزَبَ يَمْنَاهُ مِنَ السَّمْرِ ثُعْبَانُ^(١)
 وَهَلْ فَوْقَ مَا قَدْ شَادَ مُقْتَدِرُ لَهُمْ
 وَمُؤْتَمَنٌ بِاللَّهِ لُقْيَاهُ إِعَانُ^(٢)
 أَلَا لَيْسَ فَخْرٌ فِي الْوَرَى غَيْرُ فَخْرِهِمْ
 وَإِلَّا فَإِنَّ الْفَخْرَ زُورٌ وَبُهْتَانُ
 فَيَا مُسْتَعِينًا مُسْتَغَاثًا لِمَنْ نَبَا
 بِهِ وَطَنُهُ يَوْمًا وَعَصَّتُهُ أَرْمَانُ^(٣)

أشهم، أى ذوى الآباء ورفيع الذكر وعلو القدر . ومعنى البيت - وإن كان
 المدح هنا بالكرم وسرعة الخطر ونوقد الذكاء - قريب من قول البحترى :
 وصاعقة من نضله تنكفى بها على أرواس الاقتران خمس سحائب
 يكاد الندى منها يفيض على العدا لدى الحرب فى ثنى فنا وقواضب
 (١) شرى اسم مأسدة قال :

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأسود
 وخفية موضع تكثر أسده، والحرد الغضب ، أراد بالسمر الرماح تنثنى فى
 أيديهم للينها، وجعلها ثعابين لذلك ولائها سم للاعداء ، والهزبر الأسود ،
 وفى الاصل « السم » بدل السمر وهو تصحيف وإن كان غير بعيد
 « أحمد يوسف نجاشى » . (٢) سبق التعريف بالمفتدر والمؤتمن قريبا
 (٣) نبا به الوطن إذا لم يوافقه ولم ينل غرضه فيه ويروى « فيا مستعينا
 مستعانا . . . » « أحمد يوسف نجاشى »

كَسَوْتُكَ مِنْ نَظْمِي قِلَادَةَ مَفْخَرٍ
يُبَاهِي بِهَا جِيدُ الْمَعَالِي وَيَزْدَانُ
وَإِنْ قَصَّرْتُ عَمَّا لَبَسْتَ فَرُبَّمَا
تَجَاوَزَ دُرٌّ فِي النِّظَامِ وَمَرْجَانُ^(١)
مَعَانٍ حَكَتْ غُنْجَ الْحَسَنِ، كَأَنِّي
بِهِنَّ حَبِيبٌ أَوْ بَطْلِيئُوسَ بَغْدَانُ^(٢)
إِذَا غَرَمْتَ كَفَّاكَ غَرَسَ مَكَارِمِ
بَارِضِي أَجْتَنِكَ^(٣) الثَّنَامِيهِ أَغْصَانُ



« وَقَالَ » فِي وَصْفِ مَجْلِسِ لَأَبِي عِيْسَى بْنِ لَبُونٍ^(١)

وصف مجلس
لأبي عيسى
ابن لبون

(١) كأنه يقول :

ولم أمدحك تفخيا لشعري ولكني مدحت بك الأدبما

أو يقول :

وما بلغ الثنون في الناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
(٢) الفنج تدل الحسنة وتكسرهما ، أو ملاحه عينها وحسن شكلها -
وحبيب هو أبو تمام الطائي ، و بطليوس المدينة التي ينسب اليها الشاعر
« ابن السيد البطليوسي » و بغداد اسم لمدينة بغداد (٣) أي منحتك
جناها ، وتناولت الثناء منها (٤) هو ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن
لبون ، كان من قواد المأمون أبي الحسن يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة
والتنبل على بلنسية وقرطبة ، ومن أعظم رؤساء دولته وأخص أصحابه ، كان
رئيسا خليل القدر أديبا جوادا ذا كرم ومروءة ، بسمت له الدنيا زمانا

أَخْضَرَ إِلَيْهِ ابْنُ السَّيِّدِ مُنَوَّهَا بِقَدْرِهِ مَا صُورَتْهُ : وَأَخْضَرَهُ
إِلَى مَجْلِسٍ نَامَ عَنْهُ الدَّهْرُ وَغَفَلَ ، وَقَامَ لِفَرْطِ أَنْسِهِ وَأُخْتَفَلَ
وَقَدْ بَانَ صُرُوفُهُ ، وَدَنَتْ مِنَ الزَّائِرِ قُطُوفُهُ ، وَقَالَ هَلُمُّ
بِنَا إِلَى الْإِجْتِمَاعِ بِمَذْهَبِكَ ، وَالْإِسْتِمْتَاعِ بِمَا شِئْتَهُ ^(١) مِنْ
بَرَاةِ أَدَبِكَ ، فَأَقَامُوا يُعْمَلُونَ كَأَسْهَمٍ ، وَيَصِلُونَ إِنْ بَاسَهُمْ ،
وَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مَا طَرَقَهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ اللَّذَاتِ
سَوْمٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ : وَحَضَرَ ابْنُ السَّيِّدِ عِنْدَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الظَّافِرِ بْنِ ذِي أُلْتُونِ مَجْلِسًا رَفَعَتْ فِيهِ أُلْمَى
لَوَاهَا ، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ أَضْوَاهَا ، وَزَفَتْ إِلَيْهِ الْمَسْرَاتُ
أُبْكَارَهَا ، وَفَارَقَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا ، فَقَالَ يَصِفُهُ :

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا تَرَى

أَنْفَسَ فِي نَفْسِي وَأَبْهَى مَنْظَرًا

ثم عبت له ، فقد كانت له مدينة مريبطر « من أعمال بلنسية من شرق
الأندلس » فغلب عليها ابن رزبن وأقعده بعد نهضته ، ولكن ذلك لم
ينزل به عن درجة الشرف بين كرام الناس ، وكان أخوه أبو محمد صاحب
لورقة ، وتوفى وهو يملكها فرثاه بما ذكره ما آلت إليه حاله بعد أن أزهقته
الزوايا ، ثم انتهت به الدنيا إلى أن أعرض عن زخرفها ، ونقض يده عن
التمسك بحبالها ، حتى توفى حوالى سنة ٥٠٠ رحمه الله . « أحمد يوسف نجاشى »
(١) قد نكون « وشيته » استمارة لما صاغه من جيد الشعر .

إِذَا تَرَدَّى وَشِيَّةَ الْمُصَوَّرَا

مِنْ حَوْكٍ صَنَعَاءٍ وَحَوْكٍ عَبَقَرَا^(١)

وَتَسْجٍ قُرْقُوبٍ وَتَسْجٍ تُسْتَرَا

خَلَّتْ الرِّبِيعَ أُلْطَلَقَ فِيهِ نَوْرَا^(٢)

(١) تردى : مجاز من تردى الثوب والرداء اذا لبسه وتوشع به ، والوشى نقش الثوب بألوان مختلفة ، ووشى الحائك ، وحاك الثوب يحوكة اذا نسجه وألف بين خيوطه وألوانه ، وصنعاء هي المدينة المشهورة باليمن ، وكانوا يضرّبون بها المثل فى جودة الصنعة حتى أن اسمها « صنعاء » نسبة الى جودة الصنعة واتقانها فى ذاتها ، كقولهم امرأة حسناء وعجزاء وشهلاء أى ذات حسن وعجيزة وشهلاء - وعبر موضع زعموا باليمن أو بالجزيرة كانت توشى فيه الثياب والبسط ، وكانت ثيابها فى غاية الحسن والجودة ، فصارت مثلاً لكل منسوب الى شئ رفيع جيد يتعجب من حسنه وجودة صنعته ، وكلها بالغوا فى شئ متناء نسبوه اليها (٢) قرقوب : بلدة كانت متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز ، كانت تنسب اليها الثياب القرقبية « بمخذف الواو فى النسب كما قالوا سابرى فى النسب الى سابور » وهى ثياب بيض من كتان دقيقة الصنع ، وقد يقال فيها فرقب وثرقب - وتستر كانت أعظم مدينة بخوزستان ، وكانت تعمل بها الثياب وأنواع النسيج الفاخرة - بحكى أن صاحب بن عباد لبس يوماً عمامة بطراز عريض من عمل تستر ، فجعل بعض جلسائه يتأملها ويطل النظر اليها ، فقال صاحب : ما عملت بتستر لتستر « وهذا من نوادر صاحب الذى شغفه السجع والجناس حبا ، حتى عزل قاضى مدينة قم ليقول :

أيها القاضى بقم قد عزلناك فقم

(١٩ - نفح الطيب - خامس)

كَأَنَّمَا الْإِبْرِيْقُ حِينَ قَرَفَرَا
 قَدْ أَمَّ لَمْ أَلْكَسِ حِينَ قَفَرَا^(١)
 وَحَشِيَّةٌ ظَلَّتْ تُنَاغِي جُوْذَرَا
 تُرْضِعُهُ أَلْدَّرَ وَيَرْنُو حَذِرَا^(٢)

ولكن كم كانت له مكارم . « أحمد يوسف نحاسي » (١) القرقرة
 حكاية صوت الضحك ، وهي شبه القهقهة ، وقرقر البعير اذا هدل صوته
 ورجع ، وصوت الحمام اذا هدر ، وفرفراه اذا فتحه ، وعجز البيت في
 الأصل كما ترى ، و يروى « وأم ثم .. » وهذا أحسن ، ليكون البيت
 التالي خالصا لحبر كائن . وفي بعض المراجع « قدام فم الكاس الخ » فقدام
 ظرف مكان ، وفم بتشديد الميم على رأى من جوزة مستدلا بقول الراجز
 * ياليتها قد خرجت من فم * يروى بضم فاء فم وفتحها مع تشديد الميم
 والغرض من اليتين ظاهر ، فهو يريد تصوير الهيئة التي ترى عند صب
 الراح من فم الابريق في الكاس (٢) يريد بالوحشية الغزاة غير المستأنسة
 « والبقرة الوحشية » وتناغى : تلاطف وتنادى وتغازل ، وتناغت الائم
 صبيها اذا لطفته وشاغلتها ، والجوذر ولد البقرة الوحشية ، والدر : اللبن -
 والشعراء يشبهون ابريق الدمام بالظبي ، قال الموصلي :

كأن أباريق الدمام لديهم ضياء بأعلى اترقتين قيلم
 وقال عبدة بن الطبيب :

كأن ابريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم
 « مقدم وملثوم أى مسدود بالثام » وفي المعنى قول السرى الرقاء :
 ابريقنا عا كف على قدح كأنه الأم ترضع الولدا
 والصفدى :

كأن ابريقنا والراح في فمه طير تناول ياقوتا بمنقار

كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيقًا أَهْمَرًا
 أَوْفَتْ مِنْ رِيَّاهُ مِسْكَ أَذْفَرًا^(١)
 أَوْ عَابِدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا ذُكِرَا
 قَمَّ مِسْكَ ذِكْرُهُ وَعَثَبَرَا^(٢)
 الظَّافِرُ الْمَلِكُ الَّذِي مَنْ ظَفِرَا
 بِقُرْبِهِ نَالَ الْعَلَاءَ الْأَكْبَرَا
 لَوْ أَنَّ كِسْرَى رَأَاهُ أَوْ قَيْصَرَا
 هَلَّلَ إِكْبَارًا لَهُ وَكَبَرَا^(٣)
 تُبْدِي سَمَاءَ الْمَلِكِ مِنْهُ قَمَرَا
 إِذَا حَجَابُ الْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا

واصفى الدين الحلى :

وللابريق عند الزج للجلجة كمنطق مرتبك الألفاظ مذعور
 كأنها وهي في الأكواب ساكنة طير ترق فراخا بالمنافير
 (١) مج : صب ورمى ، وفَتْ أى دق وكسر بالأصابع ، وفَتَات السك :
 ماتفت منه وتكسر ، والأذفر من الذفر وهو شدة ذكاه الريح ، وفعله
 « كفرح » قالوا : انه لا يقال فى شئ . من الطيب « أذفر » الا فى السك
 وحده (٢) نم : أظهر وأذاع . (٣) راء لفة فى رأى أو مقلوب عنه

يَأْيَاهَا الْمُنْضَى الْمَطَايَا بِالشَّرَى
تَبْنِي غَمَامَ الْمَكْرُمَاتِ الْمُطَرِّا^(١)
أَتْنَى

« وَقَالَ الْفَتْحُ » فِي تَرْجَمَةِ الْأَدِيبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ
الْعَطَّارِ مَا صَوَّرَهُ : هُوَ أَحَدُ أَدْبَاءِ إِسْبِيلِيَّةَ وَنَحَاتِيهَا ، الْعَاثِرِينَ
لِلْأَرْجَاءِ الْمَعَارِفِ وَسَاحَاتِيهَا ، لَوْلَا مُوَاصَلَةُ رَاحَاتِهِ^(٢) ، وَتَعْطِيلُ
بُكْرِهِ وَدَوَّحَاتِهِ ، وَمُؤَالَاتُهُ لِلْفُرْجِ^(٣) ، وَمُغَالَاتُهُ فِي عَرَفِ
لِالنَّسِ أَوْ أَرْجٍ^(٤) لَا يُعْرَجُ إِلَّا عَلَى صَفَّةٍ نَهْرٍ ، وَلَا يَنْتَهِجُ

التعريف بابن
العطّار

(١) أنضى بغيره إذا هزله بالسبر فذهب لحنه ، والنضو : المهرول
من الابل وغيرها ، وهو في الابل أكثر . وفي الأصل « أنضى » بدل
أنضى ، وأراه مصحفا ، فإن الاستعمال جار في كد الابل واجهادها
بالسير على « أنضى » أما الضنا فهو المرض الخامر الشديد كلما ظن
برؤه نكس ، وأضناه المرض إذا أثقله (٢) جمع راحة ضد تعب أو عمل ،
وقد يجوز أن تكون جمع « راح » وهي الحمر توث على معنى الحمر فيكون
« في راحاته » تورية - يعني أنه دائم الراحة وعدم العمل يقضى أوقاته
في تناول الراحة ، ويعطّل في معاقرتها صباحه ومساءه (٣) الفرجة « مثناة
الفاء » الخلاص من الهم ، والفرجة الراحة من الحزن أو المرض ، والفرجة :
الذهاب للتزّه وطلب الراحة ، قال الأرجاني :

* رياض لعين الناظر انتفرج *

(٤) العرف الريح الطيبة ، والأرج : تضوعها وانتشارها

إِلَّا بِقَطْفَةِ زَهْرٍ ، لَمْ يَحْفَلِ^(١) بِغَلَامٍ ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ عَنْ الْمُدَامِ
إِلَّا فِي طَاعَةِ غُلَامٍ ، نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ مَخْلُوعِ الْعِنَانِ^(٢) فِي
مَيْدَانِ الصَّبَابَةِ ، مُعْرَمٍ بِالْحَسَنِ غَرَامَ يَزِيدَ بِحَبَابَةِ^(٣) ،
لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي ذِمَّةِ انْهَمَاكِ ، وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا فِي لُمَّةِ^(٤)
انْهَتَاكِ ، رَافِعًا لِرَايَاتِ الْهَوَى ، فَارِعًا^(٥) لِثَنِيَّاتِ الْجُؤَى ،

(١) أى لا يبالي ولا يكثر، وكذا احتفل يحتفل (٢) ناهيك بكدا أى حسبك منه وكفايتك. والعنان سيرا اللجام الذى تمسك به الدابة ، جعله كالفرس الذى ألقى عنانه وخلع عذاره فهو يعدو فى ميدان اللهو ويخب فيه كما يشاء (٣) حباية هى جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان « تولى الخلافة سنة ١٠١ وتوفى سنة ١٠٥ » وكان يزيد قبل خلافته قد حجج فى خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك فاشتري حباية « وكان اسمها العالية » بأربعة آلاف دينار ، وشغفته حبا ، وكانت مغنية محسنة مجيدة ، فكانت اذا غنت يكاد يطر عن مجلسه ، وتوفيت فى أثناء خلافته فاشتد جزعه عليها ووجده ، ومكث سبعة أيام لا يخرج الى الناس أشار عليه بذلك أخوه مسعدة خوفا أن يظهر منه شئ يسفه عند الناس ، وكانت حباية وسلامة القس كتاتهما من جوارى يزيد ، ومن مطربات القيان فى القناء ، وعاشت سلامة بعد موته حزينة عليه « أحمد يوسف نجاشى » (٤) الانهماك فى الشئ التماهى فيه ، يريد انهماكه فى البطالة والنسي ، والملة الجماعة ، والانهاك والتهتك : عدم مبالاة المرء بأن يهتك ستره عن عيوبه . وتهتك : افتضح فهو مهتوك الستر ومتهتكه ، وفى نسخة « انتهاك » (٥) فرع الشئ : علاه وصعد إليه ، والثنية المرتفع العالى كالجليل ، ويقال فلان طلاع الثنايا اذا كان ساميا لعالى الأمور ، ولكن صاحبنا لما يطلع ثنيات الجوى وهو الهوى ويقتحم عقباته ، ويحشم نفسه ساوك طرقه وتحمل متاعبه

لَا يُقْفِرُ فَوَادُهُ مِنْ كَلَفٍ^(١)، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا رَهْنًا تَلَفٍ، أَكْثَرُ
خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عِلَاقَةً^(٢) وَأَحْضَرُهُمْ لِمَشْهَدِ خَلَاقَةٍ^(٣) مَعَ
جَزَالَةٍ تُحَرِّكُ الشُّكُونَ، وَتُضْحِكُ الطَّيْرَ فِي الْوُكُونِ^(٤)،
وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مِمَّا أُرْتَبَجَلَهُ فِي أَوْقَاتِ أَنْسِهِ وَسَاعَاتِهِ، وَنَفَتْ
بِهِ أَثْنَاءَ زَفَرَاتِهِ وَلَوْعَاتِهِ^(٥).

- (١) أفقر المكان خلا ، وكلف به كلفا اذا أولع به مع شغل قلب ومشقة .
(٢) علق بها وعلقها علاقة اذا هويها وأحبها حبا لازم قلبه ، قال ذوالرمة
لقد علفت مي بقلبي علاقة بطيئا على مر الليالي انحلالها
(٣) لولا تكلف الجناس ولزوم مالا يلزم ما كانت «خلاقة» خليفة بهذا
المكان من العبارة : وهي اما من خلقت المرأة خلاقة اذا حسن خلقها
«أى أحضرهم لمشاهد الحسن والجمال» أو من خلق الثوب «كنصر
وسمع وكرم» خلوقة وخلاقة اذا بلى ، فيكون مجازا عن مواضع الرية
والشاهد التي يخلق فيها العرض والدين والمروءة ، أو الخلاقة بمعنى اللاسة
والنعومة وكأنه يعود الى المعنى الاول . «أحمد يوسف نجاتي» .
(٤) جمع وكن وهو عش الطائر في جبل أو جدار (٥) نفث ينفث نفثا
وهو كالنفخ، ونفثه من فيه اذا رمى به وألقى ، وربما سموا الشعر نفثا لأنه
كالشئ ينفثه الشاعر من فيه مثل الرقية ، فيعبر به عما يجيش في نفسه
من آلامه أو آماله، ويعرض به صورة نفسه، وينفث به اذا ضاق عن صدره
والزفرة في الأصل اخراج النفس بعد مده، وتستعار لما يشعر به المكروب
من حرارة وألم ينتفس منهما الصعداء . واللوعة حرقه في القلب وألم يجده
المرء من حب أو هم أو مرض أو حزن أو نحو ذلك «أحمد يوسف نجاتي» .

* *

فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ فِي يَوْمٍ رَكِبَ فِيهِ النَّهْرَ عَلَى وَصْفِ يَوْمِ
رُكُوبِ النَّهْرِ :
عَادَاتِ أَنْكَشَافِهِ ، وَأَرْتِضَاعِهِ لِغُفُورِ اللَّذَاتِ وَأَرْتِشَافِهِ :
عَبَرْنَا سَمَاءَ النَّهْرِ وَأَلْجَوْ مُشْرِقُ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْحَبَابَ نُجُومٌ^(١)
وَقَدْ أَلْبَسَتْهُ الْأَيْكُ بُرْدَ ظِلَالِهَا
وَالشَّمْسُ فِي تِلْكَ الْبُرُودِ رُقُومٌ^(٢)
وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ :
مَرَرْنَا بِشَامِلِي النَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقِ
بِهَاحِدَقِ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْفِ الْحَدَقِ
وَقَدْ نَسَجَتْ كَفَّ النَّسِيمِ مُفَاضَةً^(٣)
عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ الْحَبَابِ لَهَا حَلَقُ

(١) حباب الماء : نفاخاته التي تطفو عليه ، وشبه سطح النهر بالسماء
وحبابه بالنجوم (٢) الأيك : الشجر الكثير الكثيف المتلف ، والبرد
ضرب من الثياب ، والرقم الوشي ، شبه به ما يحترق خلال الأشجار من
قطع الشعاع ، وهو كقول الشاعر :
سماء غصون تحجب الشمس أن ترى على الأرض الا مثل نثر الدراهم
(٣) المفاضة الدرع الواسعة شبه بها ما يحدثه النسيم اذا مر فوق سطح
الماء من غصون وتجدد ، وهو تشبيه مألوف بينهم ، وقدمر منه شيء في هذا
الكتاب « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَهُ فِيهِ :

هَبَّتِ الرِّيحُ بِالْعَشِيِّ فَحَاكَتْ
زَرْدًا لِلْغَدِيرِ نَاهِيكَ جُنَّةً^(١)
وَأَنْجَلَى الْبَدْرُ بَعْدَ هَذِهِ فَصَاغَتْ
كَفَّهُ لِلْقِتَالِ مِنْهُ أَسِنَّةً^(٢)

وَقَوْلُهُ فِيهِ :

لِلَّهِ بِهِجَةً مَنَزَمٌ ضَرَبَتْ بِهِ
فَوْقَ الْغَدِيرِ رُؤَاغَهَا الْأَنْسَامُ^(٣)

(١) الزرد الدرع للزرودة أى المحكمة النسيج أو السرد وتدخل حلقها
بعضه فى بعض ، والجنة الوقاية ، ومعنى هذا البيت كغنى سابقه ، ولصاحب
الترجمة أيضا :

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حجاب على عطفه وشى حجاب
والاحسام جال فيه فرنده له من مديد الظل أى قراب
(٢) انجلى أى انكشف . ومضى هده من الليل، أى بعد هزيع من الليل
وحين هدا وسكن الناس ، أو الهدء « بفتح الهاء » من أول الليل الى ثلثه
وذهاب طائفة منه وذلك ابتداء سكونه ، وفى الأصل « بعد هذا فحاکت »
وهو تصحيف ، بعد أن جعل للغدير فى البيت الأول درعا جعل ما ينعكس
من شعاع القمر والنجوم على سطحه أسنة كأنها تطنع الغدير فيتقيها
بدرعه ، أو هى أسنة صيغت للغدير الدارع ليقاتل بها بعد أن استكمل
اللامه (٣) الرواق : الحيمة أو بيت كالفسطاط . والأنسام جمع نسيم وهو
نفس الريح اذا كان ضعيفا كالنسيم أى الريح الطيبة اللطيفة

فَمَعَ الْأَصِيلِ النَّهْرُ دِرْعَ سَابِغٍ
وَمَعَ الضُّحَى يَلْتَاخُ مِنْهُ حُسَامٌ^(١)

* * *

وَلَهُ يُصِفُ عَشِيَّةَ أَنْسٍ :
مَا كَالْعَشِيَّةِ فِي رُؤَا جَالِهَا
وَبُلُوغِ نَفْسِي مُنْتَهَى آمَالِهَا
مَا شِئْتُ شَمْسُ الْأَرْضِ مُشْرِقَةَ السَّنَى
وَالشَّمْسُ قَدْ شَدَّتْ مِطْيَ رَحَالِهَا^(٢)
فِي حَيْثُ تَنْسَابُ الْيَاءُ أَرَاقِمًا
وَتُعِيرُكَ الْأَفْيَاءُ بُرْدَ ظِلَالِهَا^(٣)
وَلَهُ أَيْضًا :

(١) الناح : تلاًء ولمع وأضاء ، والحسام السيف الصقيل القاطع (٢) السنى الضوء ، ولعله يريد بشمس الأرض من يجب ، ولا يبعد أن تكون « ماشئت » أصلها « ماشيت » فيكون هذا البيت بياناً للبيت الأول باللف والنشر غير المرتب ، يعنى أن مما شاته محبوه « أو ما شاءه من وجوده معه » هو منتهى آماله التى بلغت نفسة ، وشد الشمس مطيها للرحيل هو رواء العشية وبهاؤها (٣) الأرقام جمع أرقم وهو الحية أو ما فيه سواد وبياض منها ، والأفياء جمع فىء وهو ما كان شمسا فينسخره الظل . أو هو ما بعد الزوال من الظل ، قال حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة فلا الظل من برد الضحى تستطيع ولا التى من برد العشى تذوق

لَهُ حُسْنُ حَدِيقَةٍ بَسَطَتْ لَنَا
مِنْهَا النُّفُوسَ سَوَالِفَ وَمَعَاظِفَ^(١)
تَحْتَالُ فِي حُلَلِ الرَّيِّعِ وَحَلِيهِ
وَمِنْ الرَّيِّعِ قَلَانِدٌ وَمَطَارِفُ^(٢)
أَنْتَهَى

* *

« وَقَالَ الْفَتْحُ » فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَمَّارٍ أَخْبَرَنِي ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
الْأَجَلُّ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣) أَنَّهُ حَضَرَ مَعَهُ عِنْدَ
الْمُؤْتَمَنِ فِي يَوْمٍ جَادَتْ فِيهِ السَّمَاءُ بِهَطْلِهَا ، وَأَتْبَعَتْ وَبَلَّهَا
بِطَلَّهَا^(٤) ، وَأَعْقَبَ رَعْدُهَا بَرْقُهَا ، وَأُنْسَكَبَ دِرَاكًا

ما قيل في ترجمة
ابن عمار

فقد بين أن النقي بالعتشى ما انصرفت عنه الشمس (١) السوالف : جمع
سالفة وهي ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط أى الترقوة ، وتطلق
على خصل الشعر المرسلة على الحد ، والمعاظف جمع معطف ، يريد الأغصان
المتنية ذوات الأوراق (٢) مطارف جمع مطرف ، وهو فى الأصل رداء من
خزمر يعذو أعلام ، مستعار لما خلعه الربيع على الحديقة من أوراق وأفنان ،
كما جعل الأزهار قلائد هى حلى الربيع والمطارف هى حلله «أحمد يوسف نجاشى»
(٣) بنو عبد العزيز كانوا أسرة عريقة فى المجد من أسر مدينة بلنسية
كان منهم الوزير راء والادباء ، وما منهم الا أديب بليغ وكاتب مجيد ، وشاعر
حاذق ، ومنهم الوزير الأجل أبو بكر بن عبد العزيز ، وكان المستعين
ابن هود صاحب سرقسطة والتو فى سنة ٥٠٣ هـ متزوجا ببنته ، وقد أنشئ عليه الفتح
ابن خاقان فى قلائد العقيان ، وساق بعض أخبار الوزير أبى بكر الآتى ذكره
وأورد شيئا من نظمه ونثره «أحمد يوسف نجاشى» (٤) المطل : المطر الغزير

وَدَقَّهَا^(١) ، وَالْأَزْهَارُ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ كِبَامِهَا^(٢) وَتَحَلَّتْ
بِدُرِّ غَمَامِهَا ، وَالْأَشْجَارُ قَدْ جُلِيَ صَدَاهَا ، وَتَوَشَّحَتْ بِبَدَاهَا ،
وَأَكْثَرُ الرِّيحِ كَأَنَّهَا كَوَا كِبُ تَوَقَّدُ ، تُدِيرُهَا أُنَامِلُ
تَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ تُعْقَدُ^(٣) ، إِذَا بَقِيَ مِنْ فِتْيَانِ الْمُؤْتَمَنِ
أُخْرَسَ لَا يُفْصِحُ ، وَمُسْتَعْجِمٍ لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ وَلَا يُوْضِحُ ،
مُتَمَرِّ تَمَرُّ اللَّيْثِ^(٤) ، مُتَشَمِّرٍ تَشَمَّرَ الْبَطْلُ الْبَاسِلُ عِنْدَ
الْعَيْثِ ، وَقَدْ أَفَاضَ عَلَى نَفْسِهِ دِرْعًا ، تَضِيقُ بِهَا الْأَسِنَّةُ

كالوابل ، والطل المطر القليل (١) الدوق الطر ، درا كما أى متناها متواليا
(٢) جمع كم وهو غلاف النور وغطاؤه (٣) من قول النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه غم على أغصانه لم يعقد

(٤) تنمر: اذا تشبه بالنمر في القوة وشراسة الاخلاق ، وتنمر له اذا تنكر وتغير
وتوعد ، لأن النمر لا يلقى أبدا الامتنكرا غضبان ، وتنمر وشمر اذا مر جادا ،
وتنمر للامر اذا تمها واستعد ، والتنمير للامر الجدة فيه والاجتهاد ، وعاث
فيهم اذا أخذهم بشدة من غير رفيق ، والعيث أيضا أن تركب الامر لانبالي
على ما وقعت . قال :

فعث فيمن يليك بغير قصد فاني عاث فيمن يليني

والعباث: الاسد لفتكه واسراعه في الفساد ، وقد يكون مصحفا عن «العيث»
بالعين المعجمة بمعنى الاغاثة أى النجدة والتخليص من الشدة والتقمه والعون
على الفكك من الشدائد ، فقد يقال فيه غاثه يغيثه غيثا وان كان قليلا
«أحمد يوسف نجاتي»

ذَرَعًا^(١) ، وَهُوَ يُرِيدُ اسْتِشَارَةَ الْمُؤْتَمِنِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى
مَوْضِعٍ بَعَثَهُ إِلَيْهِ وَوَجَّهَهُ ، فَكُلُّ مَنْ صَدَّهُ عَنْهُ نَهَرَهُ
وَتَنَجَّهَهُ^(٢) ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ انْفِرَادِهِ ، وَوَقَفَ بِإِزَاءِ
إِسَادِهِ^(٣) ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُ ابْنِ عَمَّارٍ عَلَيْهِ ، أَشَارَ بِيَدِهِ
إِلَيْهِ ، وَقَرَّبَهُ وَأَسْتَدْنَاهُ ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ تَبَنَاهُ ، وَأَرَادَ
أَنْ يَحْلَعَ عَنْهُ ذَلِكَ الْقَدِيرَ^(٤) ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ السَّاقِي

(١) أى لانقوى عليها الأُسنة ولا تؤثر فيها لأحكام نسجها وتقدير سردها
(٢) النجى استقبلك المرء بما يكره وردك إياه عن حاجته ، ونجبه
« كمنعه » إذا رده وانهزه ، واستقبله بما يكفه ويزجره فينقذ عنه
ويرتدع ، وكذا تنجبه ، وقال الشاعر :

حياك ربك أيها الوجه ولغيرك البغضاء والنجى

(٣) أى وسادة ، وقلب الواو المكسورة همزة فى أول الكلمة جائز كثير
مثل ارث ، افادة « فى وفادة » واكاف فى « وكاف » واشاح فى « وشاح »
والدة « جمع ولد » وقد قرئ : ثم استخرجها من إعاء أخيه ، وهو كثير
(٤) يريد الدرع تشبيها لها بالقدير ، كما بعكس فيشبه القدير بالدرع قال :

وسابقة من جياذ الدرو ع تسمع للسيف فيها ضللا
كمتن القدير زهته الدبو ربحر المدجج منها فضولا

ولابن المعتز :

غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت نوهته جوشنا مذهبا

الجوشن : الدرع . وللبحتري :

يمشون فى زغف كأن متونها فى كل معركة متون نهاء

وَالْمُدِيرَ ، فَأَمَرَهُ الْمُؤْتَمِنُ بِخَلْعِهِ ، وَطَاعَةَ أَمْرِهِ وَسَمْعِهِ ،
فَنَضَاهُ^(١) عَنْ جِسْمِهِ ، وَقَامَ يَسْتَقِي عَلَى حُكْمِهِ وَرَسْمِهِ ،
فَلَمَّا دَبَّتْ فِيهِ الْحُمَيَّا^(٢) ، وَشَبَّتْ^(٣) غَرَامَهُ بِهَجَّةٍ ذَلِكَ الْمُحْيَا ،
وَأُسْتَنْزَلَتْهُ سَوْرَةُ الْعُقَارِ ، مِنْ مَرَقَبٍ^(٤) الْوَقَارِ ، قَالَ :
وَهَوِيَّتُهُ يَسْتَقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ

قَمَرٌ يَدُورُ بِكَوْكَبٍ فِي مَجْلِسٍ
مُتَّارِجُ الْحَرَكَاتِ تَنْدَى رِيحُهُ
كَالْفُصْنِ هَزَّتُهُ الصَّبَا بِنَفْسٍ^(٥)

بيض نسيال على الكماة فضولها سيل السراب بقفرة ييداء
فاذا الاُسنة خالطتها خلطها فيها خيال كواكب في ماء .
النها : الضمران . والزغف : الشرع « أحمد يوسف نجاشي » (١) نضا
ثوبه عنه اذا خلعه ونزعه (٢) حميا الكاس والحمر : سورتها وشدها أو
اسكارها وحدتها وأخذها بالرأس ، يقال سارت فيه حميا الكاس اذا بلغت
الحمر من شار بها ودب ديبها الى رأسه فنالت منه سورتها (٣) هاجت وأثارت
من شب النار اذا أشعلها ، والحيا الوجه (٤) العقار : الحمر ، والرقب المكان
العالى المشرف (٥) في بعض الراجع « . . . يندى عطفه » أى يلين لتثنيه
وذلك أنسب بعجز البيت ، وفي البدائع « متناوح الحركات . . . »
يريد اتمام الحركة ذا نشاط ، من تناوحت الرياح اذا تقابلت واشتد هبوبها
وتنوح الفصن اذا تحرك متديلا - والندى شيء يتطيب به كالبخور

يَسْمَى بِكَاسٍ فِي أَنَامِلٍ سَوَسَنِ
وَيُدِيرُ أُخْرَى مِنْ مَحَاجِرِ نَرْجَسٍ ^(١)
يَاحَامِلَ السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ
وَمُصْرَفَ الْفَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَجْبَسِ ^(٢)
إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَغَى مِنْ فَارِسٍ
خَشِنِ الْقِنَاعِ عَلَى عِذَارٍ أَمْلَسِ ^(٣)
جَهْمٌ ، وَإِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ فَإِنَّمَا
كُشِفَ الظَّلَامُ عَنِ النَّهَارِ الْمُشْمِسِ ^(٤)

ومنه عود مندى اذا فتن بالندى أو ماء الورد (١) يشبه أنامله بالسوسن
وعيون به بالترجس (٢) نجاد السيف علاقته وحماله ، والمجسس هنا اللجام
لأنه يجسس الفرس أى يمنعها ويمسكها ، وجسس الشيء ضبطه ، واذا كان
لجام الفرس قصيرا كان صاحبه أقدر على ضبطه وكبح جماحه (٣) البادرة
ما يبدر من حدة الرجل فى الغضب من قول أو فعل ، وبادرة الشر ما يبدر
منه ويسرع ، يقال أخشى عليك بادرته ، وبادرت منه بوادى غضب أى
خطأ وسقطات عند ما احتد ، قال النابغة الجعدي :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادى تحمى صفوه أن يكدرها
والوغى أصله الصوت والجلبة فى الحرب ، وقد يراد به الحرب نفسها
لما فيها من الصوت والجلبة (٤) جهم « ككرم » وجهمه « كمنعه وسمعه »
اذا استقبله بوجهه بأسر كربه ، وحسر اللثام . يحسره : كشفه

يَطْنِي وَيَلْعَبُ فِي دَلَالِ عِذَارِهِ
 كَالْمُهْرِ يَمْرُحُ فِي اللَّجَامِ الْمُجْرَسِ ^(١)
 سَلَّمَ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النَّقَا
 وَسَطًا بَلَيْثَ الْغَابِ ظِيَّ الْمَكْنَسِ ^(٢)
 عَنَّا بِكَاسِكَ ، قَدْ كَفَتَا مُقَلَّةً

حَوَراءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ
 وَأُورَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ صَاحِبُ الْبَدَائِعِ بِقَوْلِهِ : حَضَرَ
 أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَ الْمُؤْتَمَنِ بْنِ هُوْدٍ فِي
 يَوْمٍ أَجْرَى الْجَوُّ فِيهِ أَشْقَرُ بَرْقِهِ ، وَرَمَى بِنَبْلٍ وَدَقَّهُ ،
 وَتَحَمَّلَتْ الرِّيحُ فِيهِ أَوْقَارَ ^(٣) السَّحَابِ عَلَى أَعْنَاقِهَا ،
 وَتَمَايَلَتْ قَامَاتُ الْأَغْصَانِ فِي الْحُلُلِ الْخَضِرِ مِنْ أَوْرَاقِهَا ^(٤) ،

(١) للرح شدة الفرح والتوسع فيه والنشاط حتى يجاوز قدره ، وفي الأصل
 «يرمح» وهو تصحيف ، والمجرس أى ذى الجرس وهو الصوت لما فيه من الحلية ،
 أولان به جرسا ، والجرس أيضا الحركة ، وأجرس الحلى اذا صارت مثل صوت
 الجرس ، ودابة مجرسة مدربة مجربة فى السير والركوب (٢) الغاب مأوى
 الليث ، والمكنس مأوى الغزال ، وفى معنى البيت قول الشاعر :

كَمْ قُلْتُ إِيَّاكَ الْعَقِيقُ فَانْهَ ضَرِيتَ جَاذِرُهُ بِصِيدِ أَسُودِهِ
 وَأُرِدْتُ صَيْدَ مِمَّا الْعَقِيقُ فَلَمْ يَطَا وَعَلَّ الْقَضَاءُ فَصُرْتُ بِبُضْ صِيُودِهِ
 (٣) جمع وفر وهو الحبل (٤) بعد ذلك فى بدائع البدائى : والازهار قد
 تفتحت عيونها ، والسكائم قد ظهر مكنونها ، والاشجار قد انصقلت

وَالرَّاحُ^(١) قَدْ أَشْرَقَتْ نُجُومُهَا فِي بُرُوجِ الرِّيحِ ، وَحَاكَتْ
شَمْسُهَا شَمْسَ الْأَفُقِ فَتَلَفَعَتْ بِغُيُومِ الْأَقْدَاحِ ، وَمُذِيرُهَا
قَدْ ذَابَ ظَرْفًا فَكَادَ يَسِيلُ مِنْ إِهَابِهِ^(٢) ، وَأَخْجَلَ خَدَّهَا
حُسْنًا فَتَكَلَّلَ^(٣) بِعَرَقِ حَبَابِهِ ، إِذَا بَقِيَ^(٤) مِنْ فِتْيَانِ
الْمُؤْتَمَنِ قَدْ أَقْبَلَ مُتَدَرِّعًا كَالْبَدْرِ اجْتَابَ^(٥) سَحَابًا ،
وَالْخَمِرِ قَدْ أَكْتَسَتْ حَبَابًا^(٦) وَقَدْ جَاءَ يُرِيدُ اسْتِشَارَةَ

بمداوس القطر ، ونشرت ما يفوق ألوان اللمز وبنت ما يملأ أرواح العطر
والراح الخ « الدوس الصقل ، والمداوس المصقلة ، وهي خشبة يشد عليها من
يدوس ليصقل السيف ونحوه حتى يحاوه . قال :

وَأَبْيَضَ كَالْقَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ قِيُونَ بِالْمَدَاوِسِ نِصْفَ شَهْرٍ
وَالْبَزْ ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ الْجَمِيلَةِ^(١) فِي الْأَصْلِ « وَالرَّيَاحِ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ،
وَالرَّاحُ الْحَرُّ ، وَالرَّاحُ فِي آخِرِ الْفَقْرَةِ جَمْعُ رَاحَةٍ وَهِيَ السَّكْفُ^(٢) الْإِهَابُ
الْجِلْدُ أَوْ الْجَسَدُ ، وَكَادَ الْفَرَسُ يَخْرُجُ مِنْ إِهَابِهِ مَبَالِغَةً فِي عَدْوِهِ^(٣) عِلَاهُ
كَالْأَكْلِيلِ ، وَكَالَهُ فَتَكَلَّلَ إِذَا أَلْبَسَهُ الْكَاتِلُ أَيْ التَّاجَ ، أَوْ شَبَّهِ عَصَابَةَ تَزِينُ
بِالْجَوَاهِرِ ، وَرَوْضَةً مَكَلَّاهُ أَيْ مَحْفُوقَةً بِالنُّورِ ، وَفِي الْأَصْلِ « فَتَظَلُّلٌ » وَفِي
بَعْضِ النُّسخِ « فَتَجَلَّلَ » أَيْ تَغَطَّى بِالْحَبَابِ حَتَّى عَمَّهُ ، وَتَجَلَّلَهُ إِذَا عِلَاهُ ،
وَالْمُرَادُ أَنَّ حَمْرَةَ خَدِّ الرَّاحِ خَجَلَتْ مِنَ السَّاقِ لِأَنَّهُ أَجْمَلَ مِنْهَا وَأَبْهَى
فَعَرَقَتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُجَلِ فَظَهَرَ عَرَقُهَا حَبَابًا^(٤) فِي الْقَلَانِدِ « بِقِيٍّ رَوِيٌّ »
(٥) قَطْعُهُ وَخَرَجَ مِنْهُ ، أَوْ قَطَعَ وَسَطُهَا فَخَرَقَهَا وَنَقَبَهَا وَدَخَلَ فِيهَا وَبَدَأَ فِي
وَسَطِهَا . وَاجْتَابَ الظَّلْمَةَ قَطْعَهَا - أَوْ مِنْ اجْتَابَ الْقَمِيصَ إِذَا لَبَسَهُ . وَهَذِهِ
لِلْمَعْنَى أَظْهَرَ لِأَنَّ الدَّرْعَ كَانَتْ تَغَطِّي الْفَتَى (٦) فِي الْبَدَائِعِ زِيَادَةً بِعَدْلِكَ وَهِيَ

الْمُؤْتَمَنَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى مَوْضِعٍ قَدْ كَانَ عَوَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَحِينَ^(١) لَمَحَهُ ابْنُ عَمَّارٍ وَالشُّكْرُ
قَدْ اسْتَحْوَذَ^(٢) عَلَى لُبِّهِ ، وَأُنْبِتَتْ سَرَايَاهُ فِي نَوَاحِي قَلْبِهِ^(٣)
جَدًّا فِي أَنْ يَسْتَخْرِجَ تِلْكَ الدَّرَّةَ مِنْ مَاءِ ذَلِكَ الدَّلَاصِ^(٤) ،
وَأَنْ يُجَلِّيَ عَنْهُ سَهْكُهُ^(٥) ، كَمَا يُجَلِّيْ أُنْجَبَتْ^(٦) عَنْ
أَخْلَاصِ^(٧) ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ السَّاقِي ، فَأَمَرَهُ الْمُؤْتَمَنُ

والطاووس انقلب حبابا ، فهو ملك حسنا الا أنه جسد ، وغزال لنا الا
أنه في هيئة أسد » الحجاب - بضم الحاء - المحبوب ، والحجاب حية ليست من العوارم
فالغرض من تشبيه الساقى بها أنه يقتنى ويكثر من الحركة والتمايل والنشاط
مع حسنه الطاووسى « (١) فى البدائع » فحين وصل الى حضرته لمح
ابن عمار « (٢) غلبه واستولى عليه (٣) زاد فى البدائع » فأشار اليه
وقربه ، واستبدع ذلك اللباس واستغربه ، وجدالح « (٤) الدلاص : درع
ملساء لينة براقه - يريد أنه أراد أن ينزع عنه درعه ، فقد كان متدرعا
بدرع سترت جسعه وغطت بعض محاسنه ، كما يحجاب البدر السحاب ، أو
كما تغطي حمرة الحد بغطاء الحجاب (٥) السهك : صدأ الحديد ، وجلاه
إذا صقله ، جعل الدرع كأنها صدأ يملأ صفاء الجسم ويستر اشراقه
(٦) خبت الحديد والفضة مانفاه الكبير إذا أذيبا وهو مالا خير فيه ،
وأصل الحبث كل مكروه ، فان كان من الكلام فهو الاقذاع والشتم ، وان
كان من الطعام فهو الحرام ، وان كان من الشراب فهو الضار ، وغير ذلك ،
ومنه الحديث : « ان الحمى تنفى الذنوب كما ينفى الكبير الحبث » .

(٧) الخلاص والخلاصة ما أخلصته النار من الذهب والفضة ونحوهما ببدآن
تنفى الحبث والمواد القريية عنه ، وجلى الحبث عنه اذا كشفه وأذهب ، وجلى

بِقَبُولِ أَمْرِهِ وَأَمْتِثَالِهِ ، وَأَحْتِذَاءِ مِثَالِهِ ^(١) ، فَحِينَ ظَهَرَتْ
تِلْكَ الشَّمْسُ مِنْ حُجُبِهَا ، وَرُمِيَتْ شَيَاطِينُ النُّفُوسِ مِنْ
كُمَيْتِ ^(٢) الْمَدَامِ بِشُھْبِهَا ، أَرْتَجَلُ ابْنُ عَمَّارٍ : وَهَوِيَتْهُ الْخ
إِلَّا أَنَّهُ قَالَ إِثْرَ قَوْلِهِ :

إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَعَى مِنْ قَارِسٍ
مَا صُورَتْهُ :

يَضَعُ السَّنَانَ عَلَى الْعِذَارِ الْأَمْلَسِ ^(٣)

أَنْتَهَى .

وَلِابْنِ عَمَّارٍ الرَّائِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ فِي مَدْحِ الْمُعْتَصِدِ ^(٤)
وَالِدِ الْمُعْتَمِدِ ، وَهِيَ :

عنه المموم : كشفها ، وتجلت الشمس اذا انكشفت وخرجت من نحو
الكسوف ، وتجلي القمر انكشف عنه السحاب فأشرق وأضاء . وزاد
في البدائع بعد ذلك « وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ، ويكون
هو الساقى على عادته القديمة ورسومه » (١) احتذى مثاله اذا اقتدى به
في أمره (٢) الكميت الحمر فيها سواد وحمرة ، يريد لما أثرت في النفوس
الحمر ، وانتقد فيها من الهوى والغرام الحمر (٣) الذي في البدائع : خشن
القناع على عذار أملس ، فلعلها نسخة أخرى نقل عنها (٤) هو أبو عمرو
عباد المعتضد بالله بن الظاهر المؤيد بالله أبي القاسم محمد بن اسمعيل قاضي
اشبيلية ، قام المعتضد بالأمر بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣ هـ وتسمى أولا بغير الدولة
ثم بالمعتضد وتوفي سنة ٤٦١ هـ فقام بالملكة بعده ولده المعتضد على الله
أبو القاسم محمد « وله ذكرهنا » وتوفي سنة ٤٨٨ هـ . ومحمد بن عمار الشاعر
المشهور ولد سنة ٤٣٢ هـ وقتله المعتضد سنة ٤٧٧ هـ . « أحمد يوسف نجاشي »

* *

رأية ابن عمار
في مدح المعتضد

أَدْرِ الْمُدَامَةَ فَالْتَّسِيمُ قَدْ أَنْبَرَى
وَالْتَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ الشَّرَى^(١)
وَالصَّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ
لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعَنْبَرَا
وَالرَّوْضُ كَالْحَسَنَاءِ كَسَاهُ زَهْرُهُ
وَشَيْئًا وَقَلْدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا
أَوْ كَالْعَلَامِ زَهَا بِوَرْدِ خُدُودِهِ
خَجَلًا وَتَاهَ بِآسِهِنَّ مُعْذَرَا^(٢)
رَوْضٌ كَانَ النَّهْرَ فِيهِ مِعْصَمٌ^(٣)
صَافٍ أَطْلَقَ عَلَى رِدَائِهِ أَخْضَرَا

(١) أنبرى له إذا اعترض، والسرى سير الليل، وفي الديوان «أدر الزجاجة»
(٢) تاه من التيه وهو الزهو والدلال والاعجاب بالفس، والمعذر من
نبت عذاره، ويشبه العذار بالأس كما قيل:

خليلي ماس للأس يعبق نشره إذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكي لونه أصداع ريم معذر وصورته آذان خيل نوافر

(٣) المعصم موضع السوار من الساعد. «أحمد يوسف نجاتي»

وَهَزَّهٗ رِيحُ الصَّبَا فَتَحَالَهُ
سَيْفَ ابْنِ عَبَّادٍ يُدَدُ عَسْكَرًا^(١)
عَبَّادُ الْمُخَضَّرِ نَائِلُ كَفِّهِ^(٢)
وَالْجَوْزُ قَدْ لَبَسَ الرِّدَاءَ الْأَعْبَرَا
مَلِكٌ إِذَا أَرْدَحَمَ الْمُلُوكَ بِمَوْرِدٍ
وَنَحَاهُ لَا يَرْدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا^(٣)
أُنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى
وَالَّذِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَّةِ الْكَرَى^(٤)

(١) هذا حسن تخلص بديع (٢) يكنى بالحضرة عن الحصب والنعمة ،
والحضراء: الخير والسعة والنعيم ، وفلان أخضر أى كثير الخير . ويوصف
الجذب والجوع بالأعبر ، كما يوصف الموت بالأحر ، كناية عن السنين المجدبة
والقتل بالسيف ، وعجز البيت كناية عن اشتداد الحال وكتب الزمان حتى
تظلم الدنيا في العيون ، وأسند في صدر البيت الاخضرار الى نائل كفه أى
عطائه توسعا ومبالغة (٣) يمدحه بالرياسة والشرف والعزة وأن الملوك تهابه
وتقدمه اعترافا له بحق السبق وعجزا عن مباراته (٤) كأنه يقول :

حديثه أو حديث عنه يطربنى هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا
فانى أظن أنه يريد بصدر البيت ارياح النفس الى ذكره وانبساطها الى
سماع سيرته ، وبمعجزه السرور برؤيته واكتحال العين بنور طلعه ، وقد
صرح بهذا المعنى بعد في قوله :

ملك يروك خلقه أو خلقه كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
ويقرب من معنى عجز البيت :

يَخْتَارُ إِذْ يَهْبُ الْخَرِيدَةُ كَاعِبًا
وَالطَّرْفَ أَجْرَدًا وَالْحُسَامَ مُجَوِّهًا^(١)
قَدَّاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ مِنْ
نَارِ الْوَعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى^(٢)
لَا خَلْقَ أَفْرَى مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ
إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ أَسْطُرًا^(٣)

وأعدلى حديثه فلمعنى فرط وجد بالؤلؤ المنثور
وقد يحتمل معنى البيت غير هذا ولكن ذلك معنى لطيف دقيق .
« أحمد يوسف نجاني » .

(١) يعنى أنه يوجد بأنفس الأشياء وأتمنها وبما يضمن به غيره من كرائم
الأموال ، والخريدة الفتاة البكر العفراء . والحفرة الحية الطويلة السكوت
الحافضة الصوت المنسرة قد جاوزت الأعصار ولم تعنس ، والكاعب الناهد
أى التى نهى ثديها ، وكعب التدى « كضرب ونصر » اذا تأنى وارتفع ،
والطرف الجواد الكريم ، والأجرد قصير الشعر رقيقه ، وذلك من علامات
العتق والكرم ، والأجرد السباق الذى يسبق الخيل ويتجرد عنها سرعته
(٢) فدح بالزند رام الابراء « ايقاد النار به » والقرى لما بعد للضيف (٣) فى
الأصل « لاشئ أقرأ » وكأنه نظر الى قوله فى آخر البيت « أسطرا »
وفى القلائد « أفرى » مراعاة لقوله « خلق » وهو المناسب للاستعمال ،
وخلق الأديم ونحوه اذا قدره وحزره ، أو قدره لما يريد قبل أن يقطعه
وقاسه ليقطع منه ما يشاء ثم يفرى ما خلقه بعد ذلك ، قال زهير يمدح هرم
ابن سنان :

ولانت تفرى ما خلقت وبه ض القوم يخلق ثم لا يفرى

أَيَقْنَتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ يَحْنَةُ
لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكَوْثَرُ (١)
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبِّي مُخَصَّبٌ
لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ النِّعَامَ الْمُطِيرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا أَحْتَبَى
مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَاحُ إِذَا جَرَى (٢)
مَاضٍ وَصَدْرُ الرَّمْحِ (٣) يَكْهَمُ، وَالطَّبَا
تَنْبُو، وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعْتُرِي الثَّرَى (٤)

أى إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه لأنه ليس
بماضى العزم وأنت مضاء على ما عزمته عليه . وفري الشيء يفر به إذا شقه
والسطر الصف من الشيء ، يريد أن سيوفه أمضى الأشياء ، وشقها الصفوف :
الفنك بها . وإن بقيت « أقرأ » فالخلق بمعنى الناس ، ويكون قد جعل
مباشرة السيوف للصفوف قراءة لاسطرها (١) الذر الكنف والكن والستر .
يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره ودفته (٢) كنى بالاحتباء
عن السكون والاستقرار - ويقال فلان لا عمل حيوته أى لا يستغزه جهل
ولا يفضب لحمة وثباته (٣) ويروى « وطرف الرمح » ، وسيف كهام
أى كليل لا يقطع ، كهـم الرجل « ككرم ومنع » إذا بطؤ عن الحرب
والنصرة ، وظبات السيوف : حدها وأطرافها . نبا السيف لم يؤثر فى الضريبة
(٤) ويروى « تعثر فى البرى » والبرى التراب « أحمد يوسف نجاني »

قَادَ الْكَتَابَ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ
 مِنْ لَأَمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنُحُورًا^(١)
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ قَدْ تَقَلَّدَ أَيْضًا
 عَضْبًا ، وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرَ^(٢)
 مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلُقُهُ
 كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنَظَرًا أَوْ خَبْرًا
 أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ
 فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرًا^(٣)
 وَجَهَلْتُ مَعْنَى أَجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ
 فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفْسَّرًا

(١) اللام: عدة الحرب كاملة - والكنهور من السحاب قطع كالجبال ،
 أول النرا كم اللترا كب النخين منه أو الأبيض العظيم . ويروى « فإذا الكتاب »
 (٢) يروى عجز البيت : قد تحمل أسمر ، وفي القلائد « قد تأبط »
 وأكثر ما تطلق العرب على الرجل « أبيض » إذا أرادوا نقاء العرض من
 الدنس والعيوب ، وهو كثير في كلامهم ، لا يريدون به بياض اللون ولكنهم
 يريدون اللوح بالكرم ونقاء العرض قال زهير :

وأبيض فياض يده غمامة على معنفيه مانتب فواضله

والأبيض الثاني السيف ، والأسمر الرمح (٣) شامه رآه ، والأصل فيه
 سام البرق يشيعه إذا نظر إليه أين يقصد ، وفي البيت كناية عن نسبة

فَاحَ الْتَرَى مُتَعَطِّراً بِثَنَائِهِ
 حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تَرْبٍ عَنَبَرًا^(١)
 وَتَوَجَّجَتْ بِالزَّهْرِ صُلْعُ^(٢) هَضَابِهِ
 حَتَّى ظَنَّنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرًا
 هَصَرَتْ يَدَى غُصْنِ الْغَنَى مِنْ كَفِّهِ
 وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ الشُّرُورِ مُنَوَّرًا^(٣)
 حَسَنِي عَلَى الصَّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ
 أَسْعَى بِجِدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأَعْذَرًا^(٤)

الفضل اليه وقصره عليه فقد جعله في بردته ، وإنما الذي في بردته هو
 نفسه فكأنه هو الفضل عينه (١) هذا مثل قول ابن هاني :
 قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا نجد الثغور عذابا
 وقال أبو الطيب :

وما طيب الرياض لها ولكن كساها دفنهم في الأرض طيبا
 (٢) جبل أصلع وصليع ليس عليه نبت (٣) هصر الغصن اذا جذبته اليه
 وأماله أو كسره من غير ابانة (٤) الجد الاجتهاد . والجد « بالفتح » الحظ
 وهو من قول الشاعر :

فسر في بلاد الله والخمس الغنى تمش ذا يسار أو تموت فتعذرا
 ومن المثل العربي : « اسع بجد أو دع » يعني ان طلبت فأطلب بجد والا
 فدع فإنه لا يعني عنك الكد مع عدم الجد ، والجد الحظ من الخير يجمله
 الله للعبد ، ومنه قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَارَ الْعُلَا
وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمَثَلِ حَمْدِي أَنْوَرًا^(١)
السَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادِ خُطْبَةٍ
فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مَنِيرًا^(٢)
مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ عَنَّا^(٣) لَكَ رَاجِيًا
نَيْلًا . وَتُغْنِي مَنْ عَنَّا وَتَجَبَّرَا
حَتَّى حَلَّتْ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَحْجَرًا^(٤)
رَحْبًا ، وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرًا

تقلبت ان كان الثقلب نافعى وبالجد يسعى للرء لابلتقلب
فابن عمار يقول انه بصبح للمدوح وهب الله له جدا سعيدا ينجح به سعيه
حتى يموت . « أحمد يوسف نجاشى » .
(١) يريد حمده وثناؤه عليه ووصفه بالانارة (٢) هذا البيت من أجود
ما قيل فى معناه وأبلغه ، يريد زياد بن « سمية » أو ابن أبى سفيان ، وكانت
بلاغته وقدرته الخطابية وقوة تأثيره بها مثلا ، وهو صاحب الخطبة البتراء
المشهوره وغيرها ، وقرىب من هذا المعنى قول أبى تمام :
السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
(٣) عنا يعنو اذا خضع وانقاد وذل (٤) المحجر من العين ما دار بها ،
والمحجر : الحديقة والموضع فيه رعى كثير وماء ، ومحجر الرئيس : حوزته
وناحيته التى لا يدخل فيها غيره - وكان فى المحجر تورىة رشح لها بقوله
« حلت » وبقوله « طرفا أحور » والطرف أيضا الرجل الكريم الآباء

شَقِيتَ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
 إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرَبْرًا^(١)
 أَثْمَرْتَ رُفْحَكَ مِنْ رُءُوسِ كُمَاتِهِمْ
 لَمَّا رَأَيْتَ الْفُضْنَ يُعْشَقُ مُشْمَرًا
 وَصَبَّغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ
 لَمَّا عَلِمْتَ الْحُسْنَ يُبْلِسُ أَحْمَرًا^(٢)

الى الجدل الأكبر . ومن معاني الاحور العقل . والغرض أنه حل من
 الرياسة في عينها اكراما وعلو منزلة ، وكنت أنت عينها التي بها تبصر .
 وان شئت أن تفهم معنى آخر من المعاني التي ذكرناها وحملت
 « المحجر والطرف وأحور » على التورية كان لك ذلك .
 (١) قام المعتضد عباد بالأمر سنة ٤٣٣ هـ واشتدت حروبه واستولى على
 كثير من بلاد الأندلس ، وكان من البربر أن أغروا ابنه اسمعيل
 بالخروج عليه والسعي في انتزاع الملك منه ، فثار على أبيه بمؤتمهم حتى كان
 ذلك سببا في أن قتل الوالد ابنه ، ثم رجع الى الانتقام من البربر بالتنزين
 بالثغور ومطالبتهم بماجنوه ، وكان منهم من يسمى المستظهر العزيز بن محمد
 ابن عبد الله البرزالي التغلب على قرمونة واستجة وغيرها ، وكان منهم
 رؤساء آخرون في بعض مدن الجزيرة وثغورها ، فخاربهم واستولى على كثير
 من ممالكهم وضائقهم ، واتقم منهم بالقوة مرة بالحيلة والمكر أخرى
 حتى تغلب على معاقلمهم فكانت مملكته أعظم ممالك الطوائف في عصره
 « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) سبق القول في « الحسن أحمر » ويأتي كلام فيه ، ومن كلامهم :

وَإِلَيْكُمَا كَالرَّوْضِ زَارَتْهُ الصَّبَا
وَحَنَا لِمَلِيهِ الطَّلُ حَتَّى نَوْرًا
نَغَمَتْهَا وَشْيًا بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا
وَفَتَقَتْهَا مِسْكًَا بِحَمْدِكَ أَذْفَرًا^(١)
مَنْ ذَا يُنَافِخُنِي^(٢) وَذِكْرُكَ مَنَدَلٌ
أُورِدَتْهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرًا ؟
فَلَنْتُ وَجَدْتُ نَسِيمَ مَدْحِي عَاطِرًا
فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكِ أَعْطَرًا
أُنْتَهَى .



« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ الْمُرْسِيِّ^(٣) »

التعريف
بإبن وهبون

الحسن الأحمر ، أى الحسن فى الحمرة ، وقيل المعنى انه شاق يحتاج الى حمل
المصائب ، أو أنه يلقى العاشق منه ما يلقى المحارب فى الحرب (١) فتق
الطيب اذا طيبه وخلطه بعود أو غيره ، وتقى المسك بغيره اذا أخرج
رائحته بشئ يدخله عليه ، ومسك أذفر متوهج الرائحة (٢) ناخه اذا
كافه وخاصمه ، ويجوز أن يكون من نفح الطيب وهو أرجه ، أى من
يباريني فى ذكاء الرائحة وتضوع الطيب ، ففيه توربة مرشحة بقوله
« مندل الخ » والندل العود الرطب ، أو أجوده وهو القاقلى ، أو عود الطيب
الذى يتبخر به (٣) أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأديب شاعر

رَكِبَ بِإِشْبِيلِيَّةَ زَوْرَقًا فِي نَهْرِهَا الَّذِي لَا تُدَانِيهِ الصَّرَاةُ^(١) ،
وَلَا يُضَاهِيهِ الْفَرَاتُ ، فِي لَيْلَةٍ تَنْقَبُ بِظُلُمَتِهَا ، وَلَمْ
يَبْدُ وَضَحٌ^(٢) فِي دُحْمَتِهَا ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَمْعَتَانِ قَدْ أُنْعَكَسَ
شُعَاؤُهُمَا فِي اللَّجَّةِ ، وَزَادَ فِي تِلْكَ الْبَهْجَةِ ، فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الشَّمْعَتَانِ إِذْ سَمَتَا

جِدُّ غُلَامٍ مُحَسِّنِ الْغَيْدِ^(٣)

المتعمد على الله بن عباد ومن أخص ندمائه والمقربين اليه، وهو من الشعراء
المجيدين ذوى الرقة وحضور البديهة ، وكان من فرسان تلك الحلبة الأدبية
من شعراء ملوك الطوائف التي ازدان بها عصرهم . منهم ابن عمار وابن
خفاجة وأبو بكر بن القبطرنة وغيرهم مما سنفضل القول فيه في كلامنا
على الأدب بالاندلس في كتابنا الجامع ، فقد أفردنا للأدب بالاندلس
جزءاً ضخماً . وتوفي ابن وهبون حوالى سنة ٤٨٠ « أحمد يوسف نجاشي »
(١) الصراة اسم لنهرين ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى ،
يخرج أحدهما من نهر عيسى بالقرب من بغداد ويتفرع منه أنهار حتى
يصل الى بغداد ثم يصب في دجلة . وفي نهر الصراة قيل :

وقفت على الصراة وليس تجري معانيها لنقصان الفرات

فلما أن ذكرتك فاض دمعي فأجراهن جرى العاصفات

(٢) الوضع البياض أو النور ، وفي بعض المراجع « تنقبت بظلمتها ولم يلمح قر
في سمائها » والدحمة السوداء أو الظلمة (٣) الغيد مصدر غيد « كفرح » اذا مالت

وَفِي حَشَا النَّهْرِ مِنْ شُعَاعِهِمَا
 طَرِيقُ نَارِ الْهَوَى إِلَى كِبْدِي
 وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ الْبَكْرِيُّ^(١) مُعَاطِيًا لِلرَّاحِ ، وَجَارِيًا
 فِي مِيدَانِ ذَلِكَ الْمِرَاحِ ، فَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْجَلِيلِ بِمَا جَاءَ ،
 وَحَلَّى لِلْإِبْدَاعِ أَجْوَانِبَ وَالْأَرْجَاءِ ، حَسَدُهُ عَلَى ذَلِكَ
 الْإِرْتِمَالِ ، وَقَالَ بَيْنَ الْبُطْءِ وَالِاسْتِعْجَالِ :
 أُعْجِبْ بِمَنْظَرِ لَيْلَةٍ لَيْلَةٍ^(٢)
 تُجْنَى بِهَا اللَّذَاتُ فَوْقَ الْمَاءِ
 فِي زَوْرَقٍ يُرْهِى بِفُرَّةٍ أُغِيدِ
 يَخْتَالُ مِثْلَ الْبَانَةِ الْغِيَاءِ^(٣)

عنقه ولانت أعطافه ، والغيداء المرأة تنثنى لنا ، وفي بعض النسخ « خدا »
 تنية خدا بدل « جيد » « أحمد يوسف نجاني »
 (١) هو أبو الحسن حكيم بن محمد أديب شاعر محسن ذو بديهة حاضرة وخاطر
 جياش ، له حسن تصرف في المعاني واختراعها والتوليد من معاني غيره من
 الشعراء . كان من شعراء ابن عباد ومن ذوي القام المحمود في الدولة العبادية
 وعاش حتى أدرك دولة للثمين ومدح أول ملوكها « أحمد يوسف نجاني »
 (٢) شديدة الظلمة (٣) الغياء : الخضراء من الشجر الكثيرة الورق
 الملتفة الأغصان الناعمة ، وفي الأصل « الغناء » « أحمد يوسف نجاني »

قَرَنْتَ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ
كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ^(١)
وَالنَّاحِ^(٢) تَحْتَ الْمَاءِ ضَوْءُ جَبِينِهِ
كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ

وصف الفتى
نية المنصور
« وَقَالَ الْفَتْحُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - « دُعِيتُ يَوْمًا إِلَى مُنِيَّةِ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يَلْنَسِيَّةَ ، وَهِيَ مُتَهَيِّ الْجَمَالِ ،

(١) أراد بالبدر وجهه. وبالنسر والجوزاء الشمعتين ، والنسران كوكبان معروفان على التشبيه بالنسر الطائر ، وهما النسر الطائر والنسر الواقع ، وقد تقدم شرحهما ووصفهما في الأجزاء السابقة . أما الجوزاء فتبدو في السماء على شكل خمس غير منتظم واقع على حافة المجرة ، وأضوأ نجمين في الجوزاء تسميهما العرب « الذراع البسوط » أو التوءمين « التوءم المقدم والتوءم المؤخر » ويمكن مشاهدة الأول بالمنظار الصغير لشدة توهجه ولمعانه . وتسمى العرب النجمين اللذين عند رجلي التوءم للمؤخر « الهنعة » وتوافق النزلة السادسة من منازل القمر ، وسابعة المنازل « الذراع البسوط » وتطلق كتب الفلك العربية لفظ « الجوزاء » على كوكبي التوءمين والجبار . ومن أبداع ما قيل في وصفها قول أبي بكر الخالدي :

وتمايل الجوزاء يحكي في الدجا ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هي فيه بين تبخر وتبرج
كتنفس الحسناء في المرأة اذ كملت محاسنها ولم تتزوج
وسموها جوزاء لاعتراضها في جوز السماء أى وسطها « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) الناح : لاح وأشرق . وصدر البيت كان في الأصل هكذا

وَمُزْدَهَى^(١) الصَّبَا وَالشَّمَالِ ، عَلَى وَهْيِ^(٢) بِنَائِهَا ، وَسُكْنَى
الْحَوَادِثِ بُرْهَةً يَفْنَأُهَا ، فَوَافِئُهَا وَالصُّبْحُ قَدْ أَلْبَسَهَا قَمِيصَةَ ،
وَالْحُسْنُ قَدْ شَرَحَ بِهَا عَوِيصَةَ^(٣) ، وَبِوَسَطِهَا مَجْلِسٌ قَدْ تَقَفَّحَتْ
لِلرَّوْضِ أَبْوَابُهُ ، وَتَوَشَّحَتْ بِالْأَزْرِ الذَّهِيَّةِ أَثْوَابُهُ^(٤) ،
يَخْتَرِقُهُ جَدْوَلٌ كَالْحُسَامِ الْمَسْلُولِ ، وَيَنْسَابُ فِيهِ أَنْسِيَابُ

« والتاج تحت اللاء أضواء منهما » (١) أى موضع ازدهائهما وحسنهما وبهما كاتنا
تزيهان وتعجبان (٢) ضعف « وكان ذلك فى أول القرن الخامس »
(٣) العويس الغامض المشكل ، والغرض أن الحسن قد ظهر فيها جلها
تماما . واعلم أن للنصور هذا هو عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن
أبى عامر من ملوك الطوائف ، وكان أميرا بشاطبة وما معها من شرق
الأندلس ببيع له سنة ٤١١ أقامه الموالى العامريون عند الفتنة البربرية ،
ثم ثار عليه أهل شاطبة فتركها ، ثم لحق ببلنسية فملكها وفوض أمره للموالى
العامريين ، ثم ولى على بلنسية ابنه عبد الملك بن عبد العزيز فقام بأمره وجاهد
المأمون بن ذى النون فقلبه على بلنسية وانتزعها منهم فى سنة ٤٥٧ وبقى للنصور
مدينة مرسية ملكها بعد موت زهير العامرى سنة ٤٢٩ وكذا مدينة
الرية ولى عليها قائدهم مع بن صاهد سنة ٤٣٣ وغزا الموالى العامريين بشاطبة
فقلبهم عليها ، وقد تقدم القول فى ملوك الطوائف وأماراتهم « أحمد يوسف نجاشى »
(٤) التوشح بالثوب أن يلقبه عليه ثم يخرج طرفه الذى ألقاه على عاتقه
الأيسر من تحت يده اليمنى ثم يعقد طرفيهما على صدره « هذا هو الأصل »
ثم استعمل « توشح » فى معنى « ازدان » وتجميل ، والأثر جمع أزار -

الْأَيْمِ^(١) فِي الطَّلُولِ ، وَصَفَاتُهُ بِالْأَذْوَاحِ مَحْفُوفَةٌ ،
وَالْمَجْلِسُ يَرُوقُ كَالْخَرِيدَةِ الْمَرْفُوفَةِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيٌّ
ابْنُ أَحْمَدَ أَحَدُ شُعَرَاءِهَا ، وَقَدْ حَلَّهٗ مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ وَزَرِهَا :

* *

وصف على بن
أحمد المجلس منية
النصور

قُمْ فَاسْقِنِي وَالرِّيَاضُ لَابِسَةٌ
وَشَيْءٌ مِنَ النُّورِ حَاكَةٌ الْقَطَرُ
فِي مَجْلِسٍ كَالسَّمَاءِ لَاحٍ بِهِ
مِنْ وَجْهِ مَنْ قَدْ هَوِيَّتُهُ بَدْرُ
وَالشَّمْسُ قَدْ عَصْفَرَتْ^(٢) غَلَايِلَهَا
وَالْأَرْضُ تَنْدَى ثِيَابَهَا الْخُضْرُ
وَالنَّهْرُ مِثْلُ الْمَجَرِّ حَفَّ بِهِ
مِنَ النَّدَاىِ كَوَاكِبُ زُهْرُ

فَحَلَّتْ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ وَفِيهِمْ اخْدَانُ^(٣) ، كَأَنَّهُمُ الْوِلْدَانُ

يصف ما بالروض من أزهار وأنوار (١) الأيم الحية البيضاء، والثعبان الذي لا يضر أحداً ، ويقال فيه أيضاً « أيم » « مثل كيس » وفي نسخة « في الطول » بدل « الطلول » (٢) أى صبغت بالصففر وهو نبت معروف وبزره القرطم « وصبغه بين الأحمر والأصفر » يريد أن الشمس قد أذنت بالغيب ودنت من الغروب (٣) جمع خدن وهو الصديق والمصاحب « أحمد يوسف نجاتي »

وَهُمْ فِي عَيْشٍ لَذِنٍ^(١) ، كَانَتْهُمْ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ ، فَأَنْتَحْتُ
لَدَيْهِمْ رَكَائِي وَعَقَلْتُهَا^(٢) ، وَتَقَلَّدْتُ بِهِمْ رَعَائِي وَأَعَقَلْتُهَا^(٣)
وَأَقَمْنَا تَنْعَمَ بِحُسْنِهِ طُولَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَوَأَفَى اللَّيْلُ
فَذُدْنَا^(٤) عَنِ الْجُفُونِ طُرُوقَ النَّوْمِ ، وَظَلَّلْنَا بَلِيلَةَ كَأَنَّ
الضُّبْحَ مِنْهَا مَقْدُودٌ^(٥) وَالْأَغْصَانُ تَمِيسُ كَأَنَّهَا قُدُودٌ ،
وَالْمَجْرَةُ تَرَأَى نَهْرًا ، وَالْكَوَاكِبُ تَخَالِفُ فِي الْجَوِّ زَهْرًا
وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا رَاحَةٌ تُشِيرُ^(٦) ، وَعُطَارِدُ لَنَا بِالطَّرَبِ بَشِيرٌ ،

(١) اللذنين الذين وفعلوه « ككرم » يريد في نعمة ورغد عيش (٢) يريد أقام
بينهم وسكن اليهم (٣) أي نالها وتمكن منها ، وأصله من تقلدت إذا لبست
القلادة ، وتقلد السيف إذا ألقى حمالة في عنقه فتقلده ، واعتقل الرمح جعله
بين ركابه وساقه ، أو أن يجعله الركب تحت فيخذه ويحمر آخره على الأرض
وراءه - وأما شبه الرغائب بالسيف والرمح لأنها قوة للمرء إذا نالها تغلب على
شدائد الدهر ومصاعب الحياة واتصرت على خطوبها « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) ذاد : منع وطرده (٥) قدالشيء إذا شقه وقطعه ، يصف الليلة بالاشراق
والبهاء حسا أو معنى لما فيها من الصفاء والسرور (٦) من تشبيه الثريا
بالراحة قول الشاعر وأدمج فيه الشكوى من طول الليل :

كأن الثريا راحة تشير الدجا لتنظر طال الليل أم قد تعرضا
ومنه قول أبي الفرج البغدادى :

كأن نجم الثريا كف ذى كرم مبسوطة بالعطايا ليس تنقبض

ولابن الرومى :

وكان الهلال نصف سوار والثريا كف تشير إليه

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدِّ وَافَيْتُ الرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(١) زَارًا
فَأَفْضَنًا فِي الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ أَفْضَى بِنَا إِلَى ذِكْرِ مُتَزَهِنَةٍ

ونشاعر وأحسن :

زارني في الدجا فقم عليه طيب أردانه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خود برزت في غلالة زرقاء

ولابن سكرة الهاشمي :

تري الثريا والقرب يجذبها والبدر يسرى والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها أو عقد در في الجو ينتثر
أما عطارد فهو أصغر الكواكب وأدناها من الشمس فانه لا يكاد يرى
الا بجوارها ، ويشاهد في أكثر شهور الشتاء أكثر ضوءا وأقوى.
سطوعا منه في معظم أشهر الصيف ، ويدعى « نجم الصباح » حين
يكون الى الغرب من الشمس فيشرق قبل شروقها ، ثم يسمى نجم
المساء حين ينتهى بعد أن يسبح في فلكه الى أن يكون الى الشرق
من الشمس فيغرب بعد مغيبها ، وهو في كلاله يبدو لعين الراى
مشرق الوجه جميل الطلعة ، يتألق بحياه بشرا ، ويتلألأ سرورا وبهجة ،
وفيه يقول الشريف الموسوى :

أرى كل نجم عاريا وعطارد اذا مابدا مثل الغلام للدرع
وتحت شعاع الشمس ان راح ساريا كالأوثة في كأس خمر منعشم
وكانوا يجعلون عطارد كوكب الكتاب « أحمد يوسف نجاتي »

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر كان من جلة الرؤساء البرزين في
الأدب المجيدين في مثوره ومنظومه ، تقلبت به الايام بين رضا وسخط
حتى توفي سنة ٥٠٧ هـ ، وهو ممن عنيانا بالتوسع في ترجمتهم وبيان أثرهم
في الأدب من أعيان الأدباء الأندلسيين في كتابنا الجامع « أحمد يوسف
نجاتي »

بِالْأَنْسِ ، وَمَا لَقِينَا فِيهِ مِنَ الْآنْسِ ، فَقَالَ لِي : وَمَا بِهِجَةٌ
مَوْضِعٍ قَدْ بَانَ^(١) قَطِينُهُ وَذَهَبَ ، وَسَلَبَ الزَّمَانُ بِهِجَتَهُ
وَأَنْتَهَبَ ، وَبَادَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ ، وَمَحَاهُ الْخُدَّانُ فَمَا يَكَادُ
يُلَوِّحُ وَسْمُهُ ؟! عَهْدِي بِهِ عِنْدَ مَا فُرِغَ مِنْ تَشْيِيدِهِ ، وَتَوَهَّى
فِي تَنْسِيْقِهِ وَتَنْضِيدِهِ ، وَقَدْ اسْتَدْعَانِي إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ فِي يَوْمٍ
حَلَّتْ فِيهِ الشَّمْسُ نَيْتَ شَرْفِهَا ، وَأُكْتَسَتْ فِيهِ الْأَرْضُ
بِرُخْرِفِهَا ، فَحَلَلْتُ بِهِ وَالْدَّوْحُ تَمِيسُ مَعَاطِفُهُ ، وَالنَّوْرُ
يُخْجِلُهُ قَاطِفُهُ ، وَالْمَدَامُ تَطْلُعُ بِهِ وَتَعْرُبُ ، وَقَدْ حَلَّ فِيهِ
قَحْطَانٌ وَتَعْرُبُ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ مَائَةُ غَلَامٍ مَا يَزِيدُ
أَحَدُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ غَيْرَ أَرْبَعٍ . وَلَا يُحِلُّ غَيْرَ الْفُؤَادِ مِنْ
مَرْبَعٍ^(٢) ، وَهُمْ يُدِيرُونَ رَحِيقًا^(٣) ، خِلْتَهَا فِي كَاسِهَا دُرًّا
وَعَقِيقًا ، فَأَقَمْنَا وَالشَّهْبُ تَغَاوَزْنَا ، وَكَانَ الْأَفْلَاكُ مَنَازِلُنَا ،
وَوَهَبَ الْمَنْصُورُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفًا

(١) فارقه ساكنوه (٢) أصل للربيع مكان الإقامة زمن الربيع ، ثم أطلق
على أى مكان يقيم فيه ساكنه (٣) الرحيق : الحمر ، أو صفوتها وأطيبها ،
وأعتقها وأجودها « أحمد يوسف نجاني »

مِنْ صِلَاتٍ، مُتَّصِلَاتٍ، وَإِقْطَاعٍ، ضِيَاعٍ^(١)، ثُمَّ تَوَجَّعَ لَذَلِكَ
الْعَهْدِ، وَأَفْصَحَ بَيِّنَ ضُلُوعِهِ مِنَ الْوَجْدِ، وَقَالَ :

سَقِيًّا لِمَنْزِلَةِ اللَّوَى وَكَثِيرِهَا

إِذْ لَا أَرَى زَمَنًا كَأَزْمَانِي بِهَا

انتهى



« وَمَا أَحْسَنَ مَا كَتَبَ بِهِ الْفَتْحُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ »
يَصِفُ زُهْرَةً يَبْعُضُ مُنْزَهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْمُؤَيَّدَةِ، وَيَذْكُرُ
أُسْتِضَاءَتَهُ فِيهَا بِشُمُوسِ الْمَسَرَّةِ الْمُشْرِقَةِ، وَهُوَ : أَطَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ بَقَاءَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَخَفِيَ الْمِلَّةِ، الَّذِي حَسَنَ بِلِقَائِهِ
الْعَيْشُ، وَتَزَيَّنَ بِمُحْيَاةِ الْجَيْشِ، وَرَاقَ بِاسْمِهِ الْمَلِكُ،
وَجَرَتْ بِسَعْدِهِ الْفُلُكُ، وَأَنَارَ بِهِ اللَّيْلُ الدَّامِسُ^(٢)، وَلَا حَ لَهْ
الْأَثَرُ الطَّامِسُ^(٣)، وَجَرَى الدَّهْرُ لِسَطْوَتِهِ خَائِفًا، وَغَدَا
السَّعْدُ بِمَقْوَتِهِ^(٤) طَائِفًا، وَالزَّمَانُ بِرُودِ عُلْيَاهُ مُلْتَحِفًا،

وصف زهرة
بعض منزهات
الأندلس

(١) كذا في القلاند، وقد كان في الاصل « وأقطع ضياعا » (٢) شديد
الظلام (٣) طمس « كنصر وضرب » الاثر وغيره اذا درس وانمحى
(٤) العقوة ماحول الدار أو الحلة وجمعه عقاء « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِشُعُورِ نَدَاهُ مُرْتَشِفٌ ، وَلَا زَالَ لِلْمَجْدِ يَتَمَلَّكُهُ ، وَالسَّعْدِ
يَحْمِلُهُ فَلَكُهُ ، أَمَا وَقَدْ وَاقَفْتَنِي أَيَّامُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ -
وِفَاقًا وَرَأَيْتُ لِلْبَيَانِ عِنْدَهُ نَفَاقًا^(١) ، فَلَا بُدَّ أَنْ أُرْسِلَ كِتَابَتُهُ
أَفْوَاجًا ، وَأُفِضَ مِنْ بَحْرِهِ أَمْوَاجًا - وَأُصِيفَ مَا شَاهَدْتُهُ
مِنْ أَقْدَارِهِ ، وَعَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِ إِرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ ، بِمَقَالِ
أَفْصَحَ مِنْ شَكْوَى الْمُعْزُونَ ، وَأَمْلَحَ مِنْ رِيَاضِ
الْحُزُونِ^(٢) وَقَدْ كُنْتُ - أَيَّدَ كُمْ اللَّهُ تَعَالَى - كَلِفًا بِالْذُّلِ
وَبَهَائِهَا ، لَهْجًا^(٣) بِالْبُلُوغِ إِلَى أَنْتِهَائِهَا ، لِأَجْدِ دَوْلَةٍ أَرْتَضِيهَا ،
وَحُظُوءَةٍ عَلَيَّاءَ أَقْضِيهَا ، فَكُلُّ مُلِكٍ فَارُضْتُهُ سِرًّا أَوْ جَهْرًا ،
وَكُلُّ مُلِكٍ قَلْبَتُهُ بَطْنًا وَظَهْرًا ، وَالنَّفْسُ تَصَدُّ عَنْهُ صُدُودَ
الْجَبَانِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَالْمَلَأْسِكَةِ الْكَرَامِ عَنِ الشَّرْبِ^(٤)

(١) رواجاً وقبولاً (٢) جمع حزن وهو ماغلظ من الأرض في ارتفاع ،
والحزن في قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل الخ
موضع كانت ترعى فيه ابل الملوك، وهو من أرض بنى أسد (٣) لهج بالامر
« كفرح » اذا أغرى به وأولع فتأثر عليه واعتاده (٤) القوم يشربون
ويجتمعون على الشراب « أحمد يوسف نجاشى »

إِلَى أَنْ حَصَلْتُ لَدَيْهِ ، وَوَصَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ الْآنَ
أُمْكِنَ مِنْ رَاحِ الْبُغْيَةِ الْإِنْتِشَاءُ ^(١) وَتَمَثَّلْتُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ » وَمَا زِلْتُ أُسَايِرُهُ حَيْثُ سَارَ ، وَأَخْذُ الْيَمِينِ
تَارَةً وَتَارَةً الْإِسَارَ ، وَكُلُّ نَاحِيَةٍ تُسْفِرُ لِي عَنْ خَدِّ رَوْضٍ
أَزْهَرِ ، وَعِذَارٍ نَبَتْ أَخْضَرَ ، وَتَبَسُّمٌ عَنْ ثَغْرِ حَبَابٍ ، فِي
نَهْرٍ كَالْحُبَابِ ، وَتَرْفُلٌ ^(٢) مِنَ الرَّيِّعِ فِي مَلَابِسٍ سُنْدُسيَّاتٍ
وَتَهْدِي إِلَيْنَا نَوَافِحَ ^(٣) مِسْكِيَّاتٍ ، وَتُزْهِى مِنْ بَهْجَتِهَا
بِأَحْسَنِ مَنْظَرٍ ، وَتَتَبَّعُ بِجِلْبَابٍ أَيْنَعَ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ الْأَنْضَرِ .
فَجُلْنَا فِيهَا يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَأُسْتَحْبَرَ نَاعَنْ أَسْرَارِهَا صَبًا وَشِمَالًا .
ثُمَّ مَالَ بِنَا - أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ هَذِهِ الْمَسَارِحِ السَّنِيَّةِ ،
وَالْمَنَازِلِ الْبَهِيَّةِ : إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ الْحَالِيَةِ ^(٤) ، وَبِقَاعِهِ

- (١) يريد أمكن التمتع بفيل البغية كلها والسرور بالحصول عليها تامة
هنيئة . والراح الحجر ، والانتشاء منها السكر بها وعملها في شاربها .
(٢) رفل في ثيابه اذا جر ذيله وتبختر ، وامرأة رفلة تجر ذيلها جراحسا
اذا مشت وتميس في ذلك معجبة مختالة (٣) جمع نافحة من نفح الطيب
اذا أريج وفاح ، وفي نسخة « نوافج » بالجيم جمع نافقة وهي وعاء المسك
« وهو معرب » (٤) ذات الحلى والزينة . يريد الزدانة بالنبات وللناظر ذات

الْعَالِيَةِ ، فَحَلَلْنَاهَا وَالْأَيْمُ^(١) قَدْ عَرِيَ مِنْ جِلْبَابِهِ ، وَالْيَوْمُ
قَدْ اكْتَهَلَ بَعْدَ شَبَابِهِ ، قَتَرَلْنَا فِي قُصُورٍ يَقْصُرُ عَنْهَا
جَعْفَرِي^(٢) جَعْفَرٍ ، وَقُصُورُ بَنِي^(٣) الْأَصْفَرِ ، تُهْدَى مِنْ
لَبَائِبِهَا^(٤) بُرْدًا مُحَبَّرًا ، وَتُبْدَى مِنْ شَذَاهَا مِسْكًَا وَعَنْبَرًا ،
وَقَدْ لَاحَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا نُجُومٌ أَكْوَاسٍ ، لَوْ رَأَاهَا أَبُو نُوَاسٍ
لَجَعَلَهَا شِعَارَهُ ، وَوَقَفَ عَلَى نَعْتِهَا أَشْعَارُهُ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ سِوَاهَا
نُجْمَةً^(٥) ، وَلَا نَبَّةَ خَمَارَةٍ بَعْدَ هَجْعَةٍ^(٦) فَتَعَاطَيْنَاهَا وَالسَّعْدُ لَنَا

الحسن والبهجة (١) الایم فی الاصل الثعبان الابيض الذى لا يضر أحدا
استعير هنا للنهار (٢) الجعفرى قصر بناء سنة ٢٤٥ أمير المؤمنين جعفر
المتوكل على الله الخليفة العباسى بن المعتصم قرب سامراء ، فاستحدث عنده
مدينة وانتقل إليها ، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء
وفيه قتل المتوكل سنة ٢٤٧ فعاد الناس الى سامراء ، وللشعراء فى ذكر
الجعفرى قصائد بديعة ، ومن أحسن ما قيل فيه قصيدة البحترى التى منها :

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن ليتم الا بالخليفة جعفر

(٣) اسم كانوا يطلقونه على الروم أو ملوكهم - قال عدى بن زيد :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ روم لم يبق منهم مذكور

(٤) الالبه فى الاصل موضع القلادة من الصدر أو وسط الصدر ، والبرد
ثوب مخطط ذووشى ، وجبره اذا وشاه وحسنه ونقشه (٥) النجمة طلب
الكلأ فى موضعه ، ويقال هو نجعتى أى أملى ومطلبى على التل (٦) أى
بعد نومة خفيفة ومضى طائفة من الليل وفى نسخة « خمارة » ، يشير الى

خَادِمٌ ، وَمَا غَيْرُ السُّرُورِ عَلَيْنَا قَادِمٌ ، وَخُدُودُ سُقَاتِنَا
قَدْ أَكْنَسَتْ مِنْ سَنَاهَا ، وَقُدُودُهُمْ تَهِيلٌ^(١) عَلَيْنَا بِنَجَانِهَا ،
وَنَحْنُ بَيْنَ سُكْرِ وَصَحْوٍ ، وَإِثْبَاتٍ وَنَحْوٍ ، وَإِصَاخَةٍ إِلَى
بِمٍّ^(٢) وَزِيرٍ ، وَالْتِفَاتَةٍ إِلَى مَلِكٍ وَوَزِيرٍ ، إِلَى أَنْ وَلَّى النَّهَارُ
فَحْيَانَا ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ أَلْمِيْتُ فَأَحْيَانَا ، فَوَصَلْنَاهُ بِلَهْوٍ

قول أبي نواس من أبيات له فيها عبث رقيق ماجن، ورفث نواصي غير
عفيف :

وخارة نهتها بعد هجعة وقد غابت الجوزاء وأحدر النسر
فقال: من الطراق؟ قلنا: عصابة خفاف الأداوى يذهب لهم خمر
الأداوى جمع إداوة اناء صغير من جلد، يريد أنهم قد نفد شراهم فخفت
أداواهم، وكانوا يحملون بها الماء، ومثل أبي نواس وصحبه انما تملأ أداواهم
بغير الماء، فليسوا بمن يكرع القراح، ولكنهم بمن يرتوون بالراح، وبعد
البيتين قص حديثه مع الخمار ومار تكبوه في حانها بعد أن شربوا الاثم
وذهبت بصوابهم أم الحباث « أحمد يوسف نجاتي »
(١) تميل، من قولهم تهيل الرمل اذا تساقط ولم يثبت مكانه، شبه
قدودهم بأغصان تترنح متشفية، وجناها ورد الحدود ونفاحها « وأظنه يريد
أنهم كانوا يقتطفون منهم القبل ونحوها لما دعاهم اليه ثمل الشراب ونشوة
الخمر (٢) البم من أوتار العود وكذلك الزير، قال :

البم والزير وكأس الملا أولى بمشلى من سؤال الديار
وقال ابن الرومي :

فيه بم وفيه زير من النعم وفيه مثالث ومثاني
« وهذه أسماء الأوتار كلها » « أحمد يوسف نجاتي »

وَقَصَفٍ ، وَعَيْشٍ يَتَجَاوَزُ كُلَّ وَصَفٍ ، فَكَأَنَّ يَوْمَنَا مُقِيمٌ
أَوْ كَأَنَّا لَيْلَنَا مِنَ الظَّلَامِ عَقِيمٌ ، وَلَمَّا سَلَ الْفَجْرُ حُسَامَهُ ،
وَأَبْدَى لِعُبُوسِ اللَّيْلِ ابْتِسَامَهُ . وَجَاءَ يَخْتَالُ اخْتِيَالًا ، وَيَمْحُو
مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ نِيَالًا ^(١) ، قُمْنًا نَتَنَاقِبُ ^(٢) الْمَسِيرِ ، وَكُلْنَا فِي يَدِ
النَّشْوَةِ أَسِيرٌ ، فَسِرْنَا وَالْمَلِكُ الْأَجَلُ يَقْدُمُنَا ، وَالْأَيَّامُ
تَخْدُمُنَا ، فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ بِهِ زَاهِيَةً ، وَعَنْ سِوَاهُ لَاهِيَةً ،
مَا عَمَرَ وَكَرَّ عَقَابٌ ^(٣) وَكَانَ لِلشُّهُورِ غُرَزٌ وَأَعْقَابٌ ^(٤) .
أَتَمَّ .



« وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ أَبِي خَالِدٍ يَزِيدَ »

الراضي بالله
ابن عباد

(١) يريد صبغة أو أثرًا باقيا ، وفي بعض النسخ « خيالا » أي أثرًا (٢) وفي نسخة
« تنادب » (٣) العقاب هذا الطائر المعروف ، كانوا يدعونه سيد الطيور ، ويرونها
أحزم الطير وأشده بأسا . وقيل لبشار بن برد : لو خيرك الله أن تكون حيوانا
ماذا كنت تختار ؟ قال : العقاب لأنها نلبث حيث لا يباغها سبع ولا ذو أربع
وتحيد عنها سبع الطير ولا تعاني الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذي صيد
صيده (٤) الغرة من الشهر ليلة استهلال القمر لبياض أولها تشبها بغرة
الفرس في جبهته ، وغرة كل شيء أوله ، والأعقاب جمع عقب وهو آخر كل
شيء ، ويقال : جثت في عقب الشهر وعلى عقبه أي لايام بقيت منه ،
في آخره « أحمد يوسف نجاتي »

أَبْنِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ^(١) « بَعْدَ كَلَامِ مَا صُوِّرَتْهُ : وَأَخْبَرَنِي
الْمُعْتَمِدُ بِاللَّهِ أَنَّ أَبَاهُ الْمُعْتَمِدَ وَجَّهَهُ - يَعْني أَخَاهُ الرَّاضِي -
إِلَى شَلْبِ^(٢) وَالْيَا ، وَكَانَتْ مَلْعَبَ شَبَابِهِ ، وَمَأْلَفَ أَحْبَابِهِ ،

(١) الأمير يزيد بن محمد المعتمد بن عباد المعتضد، نشأ نشأة أبناء
الملوك، ونهل من العلوم والعارف، ونال ثقافة عالية، وشب شجاعاً كريماً أديباً
ثم ولاه أبوه أعمال الجزيرة الخضراء ومدينة رندة فظهرت كفايته وحسن
سياسته، إلى أن كان بالأندلس ما كان من تغلب العدو على مدينتها وثغورها
شيئاً فثبنا، ودخول يوسف بن تاشفين للجهاد ونزوله بالجزيرة الخضراء
سنة ٤٧٩ هـ ثم استولى بعد ذلك على ممالك ابن عباد، وقتل في هذه الحروب
المأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقتل كذلك ابنه يزيد
الراضي في تلك الفتنة غداة، وقد تقدمت القصيدة التي رثاها بها أبوها
المعتمد، وله أيضاً قصيدة أخرى برثيها فيها قالها وقد رأى قرية تنوح
على غصن وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغماً، ويفردان ترحه وترغماً
بكت أن رأيت الفين ضمهما وكر مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها ومأنطت حرفاً يبوح به سر
فما لي لا أبكي أم القلب صخرة؟! وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
بكت واحداً لم يشجها غير فقده وأبكي لآلاف عديدهم كثر
بني صغير أو خليل موافق يمزق ذا قفر، ويفرق ذا بحر
ونجمان زين لازمان احتواهما بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت إذا ان ضن جفني بقطرة وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي لثلهما فلتحزن الانجم الزهر
وتقدم ما آلت إليه حال المعتمد بن عباد بعد ذلك من أسره ووفاته غريباً
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) شلب مدينة بغرب الأندلس غربي قرطبة

الَّتِي عَمَرَ نُجُودَهَا غُلَامًا ، وَتَذَكَّرَ عُهودَهَا أَخْلَامًا ، وَفِيهَا
يَقُولُ - يُخَاطِبُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا :

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشَلْبٍ أَبَا بَكْرٍ
وَسَلَمُنَّ: هَلْ عَهْدُ الْوِصَالِ كَمَا أَدْرِي !

وَسَلَّمَ عَلَى قَصْرِ الشَّرَاجِبِ مِنْ قَتَى
لَهُ أَبَدًا شَوْقٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ ^(١)
وَقَصْرُ الشَّرَاجِبِ هَذَا مُتَنَاهٍ فِي الْبَهَاءِ وَالْإِشْرَاقِ ،
مُبَاهٍ لِرُؤُوسِ الْعِرَاقِ ، رَكَضَتْ فِيهِ جِيَادُ رَحَاتِهِ ، وَأَوْمَضَتْ

كانت قاعدة ولاية أشكونية من الممالك المضافة الى اشبيلية الى الغرب
والشمال منها ، ولم يكن بالأندلس بعد اشبيلية مثلها ، وقيل أن كان المرء
يرى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعنى بالأدب حتى الصانع في مصنعه
والفلاح خلف فدانته ، وكان للعتصم عباد قد ولي ابنه المعتمد ولاية شلب
في حين شبابه وصباه ، ففضى بها شطرا من أنضر أيام حياته ، فلذلك كان
يحن اليها ويعطف عليها (١) بهما :

منازل آسـاد وبيض نواعم فناهيك من غيل ، وناهيك من خدر
وكم ليلة قدبت أنعم جنحها بمخـصة الأرـداف مجدبة الحـصر
وبيض وسمـر فاعلات بمهجتي فعال الصفايح البيض والأـسـل السمر
وليل بسـد النهر لهوا قطعتـه بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم نضير كما انشق الكـمام عن الزهر

بُرُوقُ أَمَانِيهِ فِي سَاحَاتِهِ ، وَجَرَى الدَّهْرُ مُطِيعًا بَيْنَ بُكْرِهِ
وَرَوْحَاتِهِ ، أَيَّامٌ لَمْ تُحَلَّ عَنْهُ تَمَائِمُهُ ^(١) ، وَلَا خَلَّتْ مِنْ
أَزَاهِيرِ الشَّبَابِ كَمَائِمُهُ ^(٢) ، وَكَانَ يَعْتَدُّهَا مُشْتَهَى آمَالِهِ ،
وَمُنْتَهَى أَعْمَالِهِ ، إِلَى بَهْجَةِ جَنَابَتِهَا ، وَطِيبِ نَفْحَاتِهَا وَهَبَاتِهَا
وَالْتِفَافِ حَمَائِلِهَا ^(٣) ، وَتَقْلُدِهَا بِنَهْرٍهَا مَكَانَ حَمَائِلِهَا ، وَفِيهَا
يَقُولُ ابْنُ اللَّبَّانَةِ ^(٤) :

أَمَّا عِلْمُ الْمُعْتَدِّ بِاللَّهِ أَنَّنِي
بِحَضْرَتِهِ فِي جَنَّةٍ شَقِيهَا نَهْرٌ!
وَمَا هُوَ نَهْرٌ أَغْشَبَ أَلْبَنَتُ حَوْلَهُ
وَلَكِنَّهُ سَيْفٌ حَمَائِلُهُ خَضِرُ

فَلَمَّا صَدَرَ عَنْهَا وَقَدْ حَسُنَتْ آثَارُهُ فِي تَدْيِيرِهَا ،
وَأَنْسَدَلَتْ رِعَايَتُهُ عَلَى صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، نَزَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ
مُشْرِقًا لِأَوْبَتِهِ ، وَمُعَرِّقًا بِسُمُو قَدْرِهِ لَدَيْهِ وَرُبَّتِهِ ، وَأَقَامَ

(١) كناية عن حداثة سنه وصغره ، والتميمة اسم لحُرْزَة رِقْطَاء كانت
تنظم في سير ثم يعقد في عنق الصبي (٢) جمع كامة وهي غلاف النور
وغطاء الزهر (٣) جمع خميلة وهي الشجر الكثير اللثف الذي لا ترى فيه
الشيء إذا وقع في وسطه (٤) تقدمت ترجمته « أحمد يوسف نجاني »

يَوْمَهُ عِنْدَهُ مُسْتَرِيحًا ، وَجَرَى فِي مِيدَانِ الْإِنْسِ بَطْلًا
 مُشِيحًا^(١) ، وَكَانَ وَاجِدًا^(٢) عَلَى الرَّاضِي فَجَلَّتِ الْحُمَيَّا أَفْقَهُ
 وَحَتَّ غَيْظُهُ عَلَيْهِ وَحَقَّقَهُ ، وَصَوَّرَتْهُ لَهُ عَيْنُ حُنُوِّهِ ،
 وَذَكَرَتْهُ بَعْدَهُ فَجَنَحَ إِلَى دُنُوِّهِ ، وَيَنَمَّا أَسْتَدْعِي وَأَوْفَى ،
 مَالَتْ بِالْمُعْتَمِدِ نَشْوَتُهُ وَأَغْنَى^(٣) ، فَأَلْفَاهُ صَرِيحًا فِي مُسْتَدَاهُ ،
 طَرِيحًا فِي مُتَهَيِّ مَدَاهُ : فَأَقَامَ تُجَاهَهُ ، يَرْتَقِبُ أَنْتِبَاهَهُ ،
 وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ صَنَعَ شِعْرًا أَتَقَنَهُ وَجَوَّدَهُ ، فَلَمَّا اسْتَبَقَطَا
 أَنْشَدَهُ :

الآنَ تَعُودُ حَيَاةُ الْأَمَلِ وَيَدْنُو شِفَاءُ فُؤَادِ مُعَلِّ

(١) الشيخ الجاد في الأمور الحذر لا يكاد عدوه يناله . قال عمرو بن الأظنابة :

واقدامي على المكره نفسي وضربني هامة البطل الشيخ

(٢) غاضبا ، وكان العتمد كثيرا ما يرمى ابنه الراضي بلامه ، ويصميه
 بسهامه ، وكان الراضي يستعطفه بشعر يسيل رقة وعذوبة ، فمن ذلك
 قوله له وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعدته ، وأدناهم وأبعدته .

أعيذك أن يكون بنا خمول ريطلع غيرنا ولنا أقول
 حنانك ! ان يكن جرمي قبيحا فان الصفح عن جرمي جميل
 أأنت بفرعك الزاكي ؟ وماذا يرجي الفرع خاتته الأصول ؟ !

(٣) أوفى عليه أشرف ، وأوفى القوم ووافاهم اذا جاءهم وأقبل عليهم ،
 وأغنى نفس ونام « أحمد يوسف نجاتي »

وَيُورِقُ لِلْعِزِّ غُصْنٌ ذَوَى
 وَيَطْلُعُ لِلسَّعْدِ نَجْمٌ أَقْلٌ^(١)
 فَقَدْ وَعَدْتَنِي سَحَابُ الرُّضَا
 بَوَائِلِهَا حِينَ جَادَتْ بِطَلٍّ
 أَيَا مَلِكًا أَمْرُهُ نَافِذٌ
 فَمَنْ شَاءَ عَزَّ وَمَنْ شَاءَ ذَلٌّ
 دَعَوْتَ فَطَارَ بِقَلْبِي الشُّرُورُ
 إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ الْوَجَلُ
 كَمَا يَسْتَطِيرُكَ حُبُّ الْوَعَى
 إِلَيْهَا وَفِيهَا الطَّبَا وَالْأَسَلُ^(٢)
 فَلَا غَرَوْا إِنْ كَانَ مِنْكَ اُغْتِفَارُ
 وَإِنْ كَانَ مِنَّا جَمِيعًا زَلَالُ^(٣)

(١) ذوى ذبل وجف ، وأقل غاب (٢) استطاره الأمر اذا ذهب به بسرعة كأنه سار اليه على جناح طير ، واستطير الفرس اذا أسرع الجرى ، واستطار السيف اذا سله واتزعه من غمده مسرعا ، والطبا جمع طبة وهى حدة السيف والسنان ونحوهما كالنصل والخنجر وشبهه. والأسل الرماح والنبيل (٣) لاغرو أى لاعجب ، والزلال الخطأ

فَمِثْلَكَ - وَهُوَ الَّذِي لَمْ نَجِدْ
هُ - عَادَ بِحِلْمٍ عَلَى مَنْ جَهِلَ^(١)
انتهى

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ ابْنِ الْأَفْطُسِ^(٢)
مَا صُورَتْهُ » وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِوَنَ^(٣) أَنَّ
الْأَرْضَ تَوَالَى عَلَيْهَا الْجَذْبُ بِمَحْضَرَّتِهِ حَتَّى جَفَّتْ مَذَانِهَا^(٤)
وَأَعْبَرَتْ جَوَانِبَهَا ، وَغَرَّدَ الْمَكَاءُ^(٥) فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ ، وَخَاضَ

(١) هذا مثل قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والكارم مثلاً
(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن عبد الله بن مسلمة التجيبي
المعروف بابن الأفطس صاحب بطليوس ، قام المتوكل بالأمر بعد وفاة أبيه
المظفر سنة ٤٦٠ فلم يزل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٩ وتقدم
التعريف ببني الأفطس وغيرهم من ملوك الطوائف « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) هو الوزير الكاتب البارع والشاعر المجيد والمؤرخ الخبير ذو الوزارتين
عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهرى من أهل يابرة ، كان من كتاب
المتوكل على الله ونمت حاله معه ، وهو من كتاب المغرب للبرزني غزير
الأدب نبيه القدر حاضر البديهة سريع الخاطر ، توفي بمدينة يابرة منصرفاً
لزيارته من له بها سنة ٥٢٩ « أحمد يوسف نجاشي » (٤) جمع مذنب
وهو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها فيفرق ماءها فيها ، والتي
يسيل عليها الماء مذنب أيضاً ، والمذنب مسيل ما بين التلعتين ، أو مسيل
الماء إلى الأرض ، وأذنان الأودية ومذانبها أسافلها (٥) الكاء طائر صغير

المتوكل بن
الأفطس

الْيَأْسُ بِالنَّاسِ أَعْظَمَ خَوْضِهِ ، وَأَبْدَتِ الْخَمَائِلُ عُيُوسَهَا ،
وَشَكَتِ الْأَرْضُ لِلسَّمَاءِ بُؤْسَهَا ، فَأَقْلَعَ الْمُتَوَكِّلُ عَنِ
الشَّرْبِ وَاللَّهُوِ ، وَزَرَعَ مَلَابِسَ الْخِلَاءِ وَالزَّهْوِ ، وَأَظْهَرَ
الْخُشُوعَ ، وَأَكْثَرَ الشُّجُودَ وَأَارِثَ كُوعَ ، إِلَى أَنْ غِيَمَ الْجُودُ
وَأَنْسَجَمَ النَّوْ ، وَصَابَ ^(١) الْغَمَامُ ، وَتَرَنَّمَتِ الْحَمَامُ . وَسَفَرَتِ
الْأَزْهَارُ ، وَزَهَتِ النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ . وَاتَّفَقَ أَنْ وَصَلَ
أَبُو يُوسُفَ الْمَعْنَى وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ زَخَارِفَهَا ، وَرَقَمَ ^(٢)

يزقو ويصبح في الرياض ويألف الريف، وهو طائر أبيض يكون بالحجاز
وله صفير، ولأنه إنما يألف الرياض ويفرد فيها كان تعريده في غير روضة
علامة على افراط الجذب وعدم النبات، قال الشاعر :

إذا غرد الكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحمرات
لأنه إذا اشتد الجذب ولم يكن بالأرض نبات هلك الشاء والحمر، فالويل
لمن لم يكن له مال غيرهما، وورد أعرابي الخضر فرأى مكاء يصيح فخن
إلى بلاده فقال :

ألا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيع فأين تبيض
فأصعد إلى أرض المكاء واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض
والمكاء من طير البادية، وجمه مكاء، وهو من مكاء يمكو إذا صفر،
ومنه قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »
« أحمد يوسف نجاشي » (١) النوء للطر، وصاب للطر يصب إذا انهمل
(٢) رقمها إذا وشاها بألوان الزهر « أحمد يوسف نجاشي »

الْغَمَامُ مَطَارِفَهَا ، وَتَتَوَجَّعُ الْفَيْطَانُ^(١) وَالرَّبَا ، وَأَرْجَتْ
نَفَحَاتُ الصَّبَا ، وَالْمَتَوَكَّلُ مَا فَضَّ لِتَوْبَتِهِ خِتَامًا ، وَلَا
قَوْضَ عَنْ قَلْبِهِ مِنْهَا خِيَامًا^(٢) ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَلَمْ أَبُؤْ يُوْسُفَ وَالْمَطَرُ

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يُنْتَظَرُ

وَلَسْتُ بِآبٍ - وَأَنْتَ الشَّهِيدُ -

حُضُورَ نَدْيِكَ فِيمَنْ حَضَرَ^(٣)

وَلَا مَطْلَعِي وَسَطَ تِلْكَ السَّمَاءِ

يَيْنَ النُّجُومِ وَيَيْنَ الْقَمَرِ

وَرَكِضَى فِيهَا جِيَادُ الْمَدَا مِ مَحْثُوتَةً بِسَيَاطِ الْوَتَرِ^(٤)

(١) جمع غوط وهو المظمن الواسع من الأرض فيه انخفاض ، والرطوبة المرتفع من الأرض . وفي القلائد « تدبجت » بدل « تتوجت » والمال واحد ، وديج : نقش وزين ، والغرض أن الغيث وشئ الأرض بالنبات وأحيائها بعد موتها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٢) الذى فى القلائد « ولانقض عن قلبه منها قتاما » والقتام القبار ، وما فى النفع أولى مما فى القلائد ، وقوض الحيام اذا هدمها يريد الارتحال (٣) أبى النشى اذا لم يرضه وامتنع منه . والنشى : المجلس مكان الاجتماع (٤) الركض استعجالت الفرس للعدو ، يريد الثراب والغناء « أحمد يوسف نجاشى » (٢٢ - نفع الطيب - خامس)

فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَرْكُوبًا وَكَتَبَ مَعَهُ :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنَاحًا قَطِرًا

عَلَى خَفِيَّةٍ مِنْ عُيُونِ الْبَشَرِ

عَلَى ذُلٍّ مِنْ تَنَاجِ الْبُرُوقِ

وَفِي ظُلَلٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّجَرِ^(١)

فَحَسَنِي يَمِّنْ نَأَى مِنْ دَنَا

فَمَنْ غَابَ كَانَ فِدَا مِنْ حَضَرَ

فَوَصَلَ الْقَصَبَةَ^(٢) الْمِطْلَةَ عَلَى الْبَطْحَاءِ^(٣) ، الْمُزْرِيَّةَ

بِمَنَازِلِ الرُّوحَاءِ^(٤) ، فَأَقَامَ مِنْهَا حَيْثُ قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

(١) في الأصل « على فلك » والذلل جمع ذلول الدابة النقاداة ليبت بصعبة - يريد جوادا كريما سريعا كالبرق ، والظلل جمع ظلة ما يستظل به من الشمس ، وما أظلك من شجر ، وشيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد (٢) في الأصل « القبة » والقصبة المدينة ، وقصبة البلاد مدينتها ، والقصبة أيضا القصر أو جوفه (٣) سبيل واسع فيه دقاق الحصى (٤) الروحاء بلدة من رحبة الشام « أي رحبة مالك بن طوق » وبلدة أخرى من أعمال نهر عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو كورة واسعة غربي بغداد ، وموضع بين الحرمين الشريفين على نحو ٣٦ ميلا من المدينة ، وفيه يقول بعض الأعراب :

• أنى كل يوم أنت رام بلادها بعينين إنسانا هما غرقان

يَصِفُ صَنَعَهُ ^(١) :

عدي بن زيد
يصف صنعا
(والصحيح أنه
يزيد بن معاوية)

فِي قِبَابِ حَوْلٍ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا
وَمَضَى لَهُمْ مِنَ السَّرُورِ يَوْمَ مَامَرٍ لِدِي رُعَيْنٍ ^(٢) ، وَلَا

إذا اغرورقت عيناى قال صحابى لقد أولت عيناك بالهملان
ألا فاحملانى بارك الله فيكما الى حاضر الروحاء ثم ذرائى
واسمها مأخوذ من الراحة ، ويوم روح أى طيب ، والروح الانبساط
والسعة « أحمد يوسف نجاشى » (١) فى الأصل « مصنعا » وصنعا هنا
قرية كانت بالغوطة من دمشق ، وقد خربت وصارت مزرعة وبتانين -
ثم المعروف أن هذا البيت ليزيد بن معاوية من أبيات فى لئاطرون « موضع
بالشام قرب دمشق » منها :

آب هذا الهم فاكتمنا وأمر النوم فامتعا
جالسا للنجم أرقبه فإذا ما كوكب طلعا
صار حتى أتى لأرى أنه بالغور قد وقعا
ولها بالماطرون إذا أكل النخل الذى جمعا
خرفة حتى إذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا
فى قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا

والأبيات يقولها يزيد ينزل فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير كان
عند الماطرون « بستان بظاهر دمشق يسمى المنطور » آب عاد ، واكتنع
قرب ودنا ، والد سكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم
والحشم وتنسب الأبيات أيضا الى الاخطل - والد سكرة بيوت الاعاجم
يكون فيها الشراب ولللاهى ، معرب : دست كره ودست بمعنى الشىء
الذى مع أفرادها الثامة ، وكره بيت الخان والمدرسة ، ونسبت الأبيات
للاحوص ، وزعم بعضهم أنها لابن دهبيل الجمحى ، والصحيح أنها ليزيد
ابن معاوية كما قدمنا « أحمد يوسف نجاشى » (٢) ذورعين من ملوك

تَصَوَّرَ قَبْلَ غَيُونِهِمْ لَعَيْنٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَايَرُهُ إِلَى
شَنْتَرِينَ^(١) قَاصِيَةِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، السَّامِيَةِ الذَّرَا وَالْأَغْلَامِ ،
الَّتِي لَا يَرُوعُهَا صَرْفٌ ، وَلَا يَقْرَعُهَا^(٢) طَرْفٌ ، لِأَنَّهَا
مُتَوَعَّرَةٌ الْمَرَاقِ ، مُعَقَّرَةٌ^(٣) لِلرَّاقِ ، مُتَمَكِّنَةٌ الرَّوَاسِي

حمير من ولد الحرث بن عمرو بن حمير ، وقيل في نسبه غير ذلك ، ورعين
حصن له أو جبل فيه حصن ، وهو القائل :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سعيد من بيت قرير عين

فَأَمَّا حمير غَدَرَتْ وَخَانَتْ فمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَنِي رَعِينِ

وكان من أقبال حمير العقلاء ذوى السداد وأصاله الراى «أحمد يوسف نجاشى»
(١) شنترين مدينة كانت مضافة الى أعمال قاعدة أشبونة ، وكانت
قديما من جليقية شمالى الأندلس ، ثم استقرت من أعمال أشبونة التى
كانت مضافة الى بطليوس حين كان ملكها ابن الإفطس - وقد تضاف
الى أعمال باجة فى غرب الأندلس - وشنترين غربى قرطبة على نهر
تاجه قرب انصابه فى البحر المحيط « بحر برطانية وهو بحر برديل
« بورودو » الخارج من البحر المحيط » وأرضها طيبة ، وكانت منيعة ذات
حصانة ، واستولى الفرنج عليها فى سنة ٥٤٣ هـ « أحمد يوسف نجاشى »

(٢) فرعه علاه ، يريد أن الطرف لاسمو اليها اعاولها الشاهق (٣) فى
الأصل « معفرة » وفى نسخة أخرى « مغفرة » وفى القلائد « معثرة »
من عثر اذا كبا وسقط ، يعنى أنها تجعل من يحاول أن يرقى عليها كثير
التعثر لصعوبتها ووعورتها وكثرة عقباتها ، ولعل « مغفرة » من عفر
الرجل « كففرح » اذا لم تطاوعه رجلاه فى السد ، وعفر البعير تعقبها

وَالْقَوَاعِدِ ، عَلَى صَفَةِ نَهْرٍ أَسْتَدَارَ بِهَا أَسْتِدَارَةَ الْقَلْبِ^(١)
بِالسَّاعِدِ ، قَدْ أَطَلَّتْ عَلَى خَمَائِلِهَا إِطْلَالَ الْعُرُوسِ مِنْ
مِنْصَتَهَا^(٢) وَأَقْتَطَعَتْ مِنْ أَجْوٍ أَكْثَرَ مِنْ حِصَّتِهَا ، فَمَرُّوا
بِأَنْفَسِ^(٣) قُطْرِ سَالَتْ بِهِ جَدَاوِلُهُ ، وَأَخْتَالَتْ فِيهِ خَمَائِلُهُ
فَمَا يَحُولُ الطَّرْفُ مِنْهُ إِلَّا فِي حَدِيقَةٍ ، أَوْ بُقْعَةٍ أُنِيقَةٍ ،

إذا قطع قوائمه ، والعقر الجرح (١) القلب: السوار (٢) المنصة: ما ترفع عليه
العروس لتجلى كسريرها وكرسيها ، ونص العروس أجلسها على المنصة
(٣) كذا بالأصل، وفي القلائد « بألبش » وألبش من الثغور الجوفية
مدينة كانت من أعمال بطليوس من غرب الأندلس « ومملكة بطليوس
في الشمال والقرب من مملكة قرطبة ، وفي القرب بميلة إلى الجنوب عن
مملكة طليطلة في بسيط من الأرض مخضرة على جانب نهر ، وقد عرفت
أنها كانت بيد التوكل على الله عمر بن الأفطس » ومن أهل ألبش
أبو الحسن عبيد الله بن خليفة المعروف بابن الموصلي نسبة إلى موصل
قرية بأشبونة - كان من أهل العلم والنباهة ، وولى قضاء اشبيلية في الدولة
المتونية بعد أبي بكر بن العربي استقدم لذلك من بلده بالثغر ، وتوفي بهامصر وفا
عن عمله سنة ٥٦٠ هـ ودفن هناك . ومن ألبش أيضا أبو محمد عبد الله بن
ننتان « أو منتان » النحوي ، سكن اشبيلية وقرطبة وأقرأ بها ، وكان
علما بالعربية والآداب حافظا لكثير من كلام العرب ذا كرا لكتابي
الكامل للبرد والامالي للقالى ، وكان له حظ من قرض الشعر ، وعلم بقرطبة
سنة ٥٩٨ هـ وتوفي حوالي سنة ٦٠٠ هـ ولم أعر على ألبش هذه بمعجم ياقوت
« أحمد يوسف نجاتي »

فَتَلَقَّاهُمْ ابْنُ مُقَانَةَ^(١) قَاضِي حَضْرَتِهِ^(٢) وَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ ، وَأَوْزَى لَهُمْ بِالْمَبَرَّةِ زَنْدَهُ ، وَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا ، وَأَعْتَقَدَ قَبُولَهُ مِنْهَا وَإِنْعَامًا ، وَعِنْدَمَا طَعِمُوا قَعَدَ الْقَاضِي بِبَابِ الْمَجْلِسِ رَقِيبًا لَا يَبْرَحُ ، وَعَيْنُ الْمُتَوَكِّلِ حَيَاءٍ مِنْهُ لَا تَجُولُ وَلَا تَمْرَحُ فَخَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٣) وَقَدْ أَبْرَمَهُ الْقَاضِي بِثَقِيلِهِ ، وَحَرَمَهُ رَاحَةَ رَوَاحِهِ وَمَقِيلِهِ ، فَلَقِيَ ابْنَ خَيْرُونَ^(٤) مُنْتَظِرًا لَهُ ، وَقَدْ أَعَدَّ لِحُلُولِهِ مَنَزِلَهُ ، فَسَارَ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ أُتْبِسَمَتْ نُغُورُ نُوَارِهِ ، وَخَجَلَتْ خُدُودُ وَرْدِهِ مِنْ زُورِهِ ، وَأَبْدَتْ صُدُورُ أَبَارِيقِهِ أَسْرَارَهَا ، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَاسِنُ أَرْزَارَهَا ،

(١) تقدم ذكر أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبونى البطليوسى ، وكان مع فقهه شاعرا أديبا مشهورا ، وفى بعض المراجع « ابن مقاناة » . « أحمد يوسف نجاشى » (٢) كذا بالأصل ، والذى فى الفوائد « قاضى رنده » وقد تقدم ذكر مدينة رنده ، وكانت من كور اشبيلية من مملكة المتمد بن عباد ، وهى أيضا غربى مملكة قرطبة (٣) الأديب ابن عبدون ، وأبرمه أضجره (٤) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى أصله من مدينة أندة وسكن مريبطر « من أعمال بلنسية » كان راوية فقيها حافظا أديبا ، وتوفى سنة ٥١٠ ، وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون الأديب النحوى توفى نحو سنة ٤٧٠ ، وسيأتى ذكر لابن خيرون بعد ذلك فتعين أيهما المراد هنا من هذين . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَلَمَّا حَضَرَ لَهُ وَقْتُ الْأَنْسِ وَحِينُهُ ، وَأَرَبَتْ لَهُ رِيَاحِينُهُ ،
وَجَّهَ مَنْ يَرْقُبُ الْمَتَوَكَّلَ حَتَّى يَقُومَ جَلِيسُهُ ، وَيَزُولَ
مُوحِشُهُ لَا أُنَيْسُهُ ، فَأَقَامَ رَسُولُهُ وَهُوَ بِمَكَانِهِ لَا يَرِيئُهُ^(١)
قَدْ لَازَمَهُ كَأَنَّهُ غَرِيئُهُ ، فَمَا انفَصَلَ ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّ عَارِضَ
الَّيْلِ قَدْ نَصَلَ^(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِانْفِصَالِهِ بَعَثَ إِلَى
الْمَتَوَكَّلِ قَطِيعَ رَاحٍ وَطَبَقٍ وَرَدٍّ وَكَتَبَ مَعَهُمَا :

إِلَيْكُمَا فَاجْتَلِيَا مُنِيرَةً

وَقَدْ خَبَا^(٣) حَتَّى الشَّهَابُ الثَّاقِبُ

وَاقِفَةً بِالْبَابِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهَا

إِلَّا وَقَدْ كَادَ يَنَامُ الْحَاجِبُ

فَبَعْضُهَا مِنَ الْمَخَافِ جَامِدٌ وَبَعْضُهَا مِنَ الْحَيَاءِ ذَائِبٌ

(١) أى لا يبرحه ولا يفارقه ، وأكثر ما يستعمل فى النفي ، قال الأعشى

أبَانَا فَلَارَمْتُ مِنْ عِنْدِنَا فَأَنَا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرَم

(٢) أى زال سواده ، ونصل الشعر « كقعده » زال عنه الحطاب ، ونصلت

اللعبة خرجت من الحطاب وزال عنها لونه (٣) فى الأصل « دجا » وفى

القلاد « خبا » وخبث النار إذا سكنت وطفئت وخدم لحيها - يريد قد

هدأ العالم وسكنت الطبيعة ، ودجا الليل إذا أظلم ، وسكن ، والدجا سواد

الليل مع غيم وألا ترى نجما ولا قمرًا . « أحمد يوسف نجاشى »

فَقَبِلَهَا مِنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ - وَكَتَبَ إِلَيْهِ :
 قَدْ وَصَلْتُ تِلْكَ الَّتِي زَقَفْتَهَا
 بِكَرًّا وَقَدْ شَابَتْ لَهَا ذَوَائِبُ
 فَهَبْ حَتَّى نَسْتَرِدَّ ذَاهِبًا
 مِنْ أَنْسَانَا إِنْ أُسْتُرِدَّ ذَاهِبُ
 فَرَكِبَ إِلَيْهِ ، وَتَقَلَّ مَعَهُ مَا كَانَ بِالْمَجْلِسِ بَيْنَ
 يَدَيْهِ ، وَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا لَا يَرِيحَانِ السَّهَرُ ، وَلَا يَشِيْمَانِ
 بَرَقًا إِلَّا الْكَاسَ وَالزَّهَرَ

وصف روض « ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ كَلَامٍ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ
 أَبُو أَيُّوبَ^(١) بَنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ بِرَوْضِ

(١) ذكره الفتح بن خاقان في كتابه « مطمح الانفس » وأثنى عليه ،
 قال : واحد الاندلس الذى طوقها بخارا ، وطبقها بأوانه افتخارا ، ..
 ثم قال : ودعى للقضاء فما رضى ، وعنى عنه فكانه استقضى
 ووصفه بالادب والوقار والمجد وكرم السجايا وحسن الشئائل ، وأتى بشئ
 من نثره وشعره . قلت أما أبوه أبو أمية فهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 ابن عبد الله بن عصام قاضى قضاة الشرق فى عصره ، كان قاضيا بمدينة مرسية
 ثم فى دولة اللثمين صرفه عنها على بن يوسف بن تاشفين وولى مكانه

مُفْتَرٌ^(١) الْمُبَاسِمِ ، مُعْطَرِ الرِّيحِ الْتَوَاسِمِ^(٢) قَدْ صَفَلَ
الرَّيِّعُ حَوْذَانَهُ^(٣) ، وَأَنْطَقَ بُلْبُلُهُ وَوَرَشَانَهُ^(٤) ، وَأَلْخَفَ
غُصُونُهُ بُرُودًا مُخْضَرَّةً ، وَجَعَلَ إِشْرَاقُهُ لِلشَّمْسِ ضَرَّةً ،
وَأَزَاهِيرُهُ تَتَبَعَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَتَحْتَالُ فِي خِلْعِ الْقَمَامِ
السَّوَاكِبِ ، فَارْتَحَ إِلَى الْكُونِ بِهِ بَقِيَّةَ نَهَارِهِ ، وَالتَّمَّ
يَنْفَسَجِهِ وَبَهَارِهِ^(٥) ، فَلَمَّا حَصَلَ مِنْ أَنْسِهِ فِي وَسَطِ الْمَدَى ،
عَمَدَ إِلَى وَرَقَةٍ كُرْنَبٍ قَدْ بَلَّلَهَا التَّدَى . وَكَتَبَ فِيهَا

القاضي الامام أبا علي ابن سكرة الصدي السرقسطي المعروف بابن الدراج،
وكان أبو أمية فقيها أديبا شاعرا ، من أهل بيت جلالة ووزارة ، بايعا
متصرفا في فنون القول مهيبا وقورا ، يأخذ عليه بعض منافسيه
شيئا من الزهو وحب العظمة والاعجاب بالنفس ، ولكنه كان ذاعلاء
وحدة ذكاء ، وقوة مضاء ، استوفى شرط الرئاسة ، وعرف بأصالة الرأي
وحسن السياسة ، وله شعر جيد وبشر حسن ، وتوفي سنة ٥١٦ وكان ابنه
عبد الرحمن بن أبي أمية بن عصام فقيها محدثا أديبا «أحمد يوسف نجاتي»
(١) افتر ضاحكا اذا أبدى أسنانه ، وافتر ثغره اذا تبسم وضحك ضحكا
حسنا (٢) جمع ناسمة من نسمت الريح اذا هبت باطفف وكانت ذات نفس
ضعيف كالنسيم (٣) الحوذان بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر ذو رائحة
ذكية (٤) الورشان طائر مفرد شبه الحمام ، ويسمى ساق حر . أو هو
نوع من التماري (٥) البهار نبت طيب الريح أو هو العرار له زهرة صفراء
تفتت أيام الربيع . « أحمد يوسف نجاتي »

بِطَرَفِ غُصْنٍ يَسْتَدْعِي الْوَزِيرَ أَبَا طَالِبٍ بْنُ غَانِمٍ أَحَدَ
تُدْمَائِهِ ، وَنُجُومِ سَمَائِهِ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَقَعَ وَقُوعَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَنَحْنُ عِقْدٌ بَغِيرٍ وَسَطَى^(١)

مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُمَادِحٍ^(٢) مَا صُورَتْهُ » :
وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو خَالِدٍ بْنُ بَشْتَغِيرٍ^(٣) أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَهُ

ترجمة المعتصم
ابن صمادح

(١) وسطى العقد أكرم جواهره وأنفس حباته ، وبه يتم انتساقه ، ويحسن
نظمه ، ويحمل شكله ، ويكمل التثامه (٢) هو أبو يحيى محمد بن معن بن
عمر بن أحمد بن صمادح التجيبي صاحب المرية ، قام بالأمر فيها سنة ٤٤٤
بعد وفاة أبيه معن بن صمادح « وكان قائد عبد العزيز بن أبي عامر » ولم
يزل للمعتصم أميرا بها حتى توفي سنة ٤٨٤ فوليه ابنه أحمدو بقي حتى خلعه
يوسف بن تاشفين . وقد سبقت كلمتنا في بني صمادح وولايتهم فارجع
إليها . « أحمد يوسف نجاشي » (٣) في الأصل « بشتفين » وهو تصحيف
وابن بشتغير Ibn Baxtagair وهو لقب من كلمة لاتينية Bastagarius
معناها من يوكل إليه نقل أمتعة الدولة أو الكنيسة في أيام الاحتفالات العامة
وكانت وظيفة ذات شرف ، والقائم بها أمين ثقة ، وبنو بشتغير كانوا من
ذوى البيوتات النخبة بالأندلس وعمن ولوا الأعمال العظيمة والولايات
الرفيعة بها ، ولهم أثر في العلوم والمعارف والآداب ، وليس هذا موضع بسط
القول في هذه الاسرة الراقية ، فسيكون لهم مكان متسع من كتابنا الجامع
في الأدب ، وهم ينسبون إلى لحم ، وموطنهم مدينة لورقة - ومنهم أبو قاسم

بِالضَّمَادِحِيَّةِ فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَفِيهِ أَعْيَانُ الْوُزَرَاءِ ، وَبُهَاءُ
الشُّعْرَاءِ ، فَقَعَدَ عَلَى مَوْضِعٍ يَتَدَاخَلُ الْمَاءُ فِيهِ ، وَيَلْتَوِي
فِي نَوَاحِيهِ ، وَالْمُعْتَصِمُ مُنْشَرِّحُ النَّفْسِ ، مُجْتَمِعُ الْأَنْسِ ،
فَقَالَ :

انْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَذَا الْمَاءِ فِي صَبَبِهِ^(١)

كَأَنَّهُ أَرْقَمُ قَدْ جَدَّ فِي هَرَبِهِ

فَاسْتَبَدَّعُوهُ ، وَتَيَمَّوْهُ بِهِ وَأَوْلَعُوهُ ، فَاسْكَبَ عَلَيْهِمْ
شَايِبَ^(٢) نَدَاهُ ، وَأَغْرَبَ^(٣) بِمَا أَظْهَرَهُ مِنْ بَشَرِهِ وَأَبْدَاهُ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَخَرَجَ إِلَى بَرْجَةٍ^(٤) وَدَلَايَةٍ وَهَمَا

عباس بن أحمد بن بشتغير الالحمي الباجي توفي حوالي سنة ٤٥٠ - ومنهم
أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير كان محدثا ثقة واسع الرواية
وفقيها أديبا توفي سنة ٥١٦ ، وأبو عامر يحيى بن سعيد وكان يسكن مرسية
رُكَّان من أهل الفضل والرواية ، ولأبي عبد الله بن أبي الحِصَال الكاتب
الشهير « وقد تقدم ذكره » اليه رسالة بلغة يحاطبها بها « تدل على عظم
قدره ورفعة شأنه ، وابنه أبو عامر سعيد بن يحيى ، وأبو جعفر أحمد بن يحيى
كانا من ذوى العلم والأدب ، وكانوا غرة في جبين القرن السادس .
« أحمد يوسف نجاشي » (١) انحداره ، والصَّبَبُ تصوب نهر أو طريق
يكون في حدور ، وما انحدر من الأرض ، والأرقم الحية مرقومة ذات
خطوط (٢) جمع شوبوب وهو الدفعة من الطر ، وأسكبه: صبه منهمرا
(٣) بالغ (٤) تقدم وصف مدينة برجة ، ودلاية بلد قريب من المرية من

نَظْرَانِ^(١) لَمْ يَجُلْ فِي مِثْلِهِمَا نَظَرٌ ، وَلَمْ تَدَّعِ حُسْنَهُمَا
الْخُدُودُ النَّوَاصِرُ ، غُصُونُ ثُنْيَيْهِمَا الرِّيَاحُ ، وَمِينَاءُهُمَا
أَنْسِيَاخُ ، وَحَدَائِقُ تَهْدِي الْأَرْجَ وَالْعَرَفَ ، وَمَنَازِهِ تُبْهِجُ
النَّفْسَ وَتُمَتِّعُ الطَّرْفَ ، فَأَقَامَ فِيهَا أَيَّامًا يَتَدَرَّجُ فِي
مَسَارِحِهَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِي مَنَازِحِهَا وَمَسَايِحِهَا ، وَكَانَتْ زُرْهَةٌ
أَزْبَتْ عَلَى زُرْهَةِ هِشَامٍ بِدِيرِ^(٢) الرُّصَافَةِ ، وَأَنَافَتْ^(٣) عَلَيْهَا
أَيَّ إِنَافَةٍ .



ترجمة ابن رزين « وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ رَزِينِ^(١) مَا مُلَخَّصَةٌ » : أَخْبَرَنِي

سواحل بحر الأندلس (١) عملان أو بلدان ، وفي الأصل « منظران »
والناظر أشرف الأرض لانه ينظر منها ، والنظر : الحكم بين القوم ، وقد
يطلق النظر على المدينة أو الولاية التي يتولى فيها الحاكم الحكم .

(٢) هو في رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان التي بينها وبين الرقة
مرحلة ، وكان من عجائب الدنيا حسنا وعمارة ، وعنده بني هشام مدينته
وفيه يقول أبو نواس :

ليس كالدير بالرصافة دير فيه مانتسهي النفوس وتهوى

بته ليلة فقصبت أو طارا ويوما ملأت قطريه لهوا

وكان لبني أمية في هذه الانحاء أيام سرور ، ومجالس أنس وجبور ، وكانت
خلافة هشام سنة ٩٦ وتوفي سنة ١٢٥ وجدد الرصافة وسكنها ، وكان يجد
فيها راحة وأنا . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أناف : أشرف وزاد
(٤) تقدم التعريف بالحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين

الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ ^(١) أَنَّهُ أَصْطَبَحَ يَوْمًا وَأَجْلَوْ سِمَاكِ ^(٢)
 الْعَوَارِفِ ، لَا زَوْدِيَّ الْمَطَارِفِ ^(٣) ، وَالرَّوْضُ أَيْنَةُ
 لِبَآئِهِ ^(٤) ، رَقِيقَةٌ ^(٥) هَبَّاءُ ، وَالنَّوْرُ مُبْتَلًى ، وَالنَّسِيمُ
 مُعْتَلًى ، وَمَعَهُ قَوْمُهُ ، وَقَدْ رَأَتْهُمْ يَوْمَهُ ، وَصِلَاتُهُ تُصَافِحُ
 مُعْتَفِيهِمْ ^(٦) ، وَمَبْرَأَتُهُ تُشَافِهِ مُوَافِيهِمْ ، وَالرَّاحُ تُشَعِّعُ ^(٧) ،
 وَمَاءُ الْأَمَانِيِّ يُنْشَعُ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَهُوَ ضَيْفُهُ :

(١) في القلائد : أبو عامر بن سنون (٢) كذا بالأصل والقلائد ، وفي
 بعض المراجع « مسكى » فالسماكى نسبة الى السماك الكوكب المعروف
 « وسبق القول في السماكين » وكأنه يريد أن الجوفى أخريات الربيع
 فإن العرب يقول ساجمها : اذا طلع السماك ، ذهب العماك ، وقل على الماء
 اللسك ، فأصلح فناك ، وأجد حذاك ، فأن الشتاء قد أناك . والعماك
 شدة الحر مع سكون الريح ، واللسك شدة الزحام . والسماك من الكواكب
 التي كانت العرب تنسب اليها الانواء والطر والسحب كما قيل :

فليت سماكيا يطير ربابه يقاد الى أهل الغضا بزمام

والعوارف جمع عارفة أى معروف ، يريد بها الغيث على رواية سماكى ، أو
 ذكاء الرائحة والعرف على رواية مسكى (٣) يريد صفاء السماء وزرقة
 أديمها (٤) أصل الابة موضع القلادة من النحر ، وكأنه يريد بها الشجر
 وعقودها الأزهار والانوار (٥) وفي نسخة « عبقة » أى ذات رائحة
 ذكية ثابتة أرجة (٦) للعتنى والعافى : الضيف وكل طالب فضل أو رزق
 (٧) تخرج . « أحمد يوسف نجاشى »

صَمَانٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ أَبْلُغَ الْغَنَى
 إِذَا كُنْتَ فِي وَدَى مُسِيرًا وَمُعْلِنًا
 فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ
 بِوَدِّ ابْنِ عَمَّارٍ لَقُلْتُ لَهَا أَنَا
 فَإِنْ حَالَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 فَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ أَوْ يَحْضُلُ الْغَنَى^(١)؟!

فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ إِلَيْهِ تَأَخَّرَ عَنِ الْوُصُولِ ،
 وَاعْتَذَرَ بِعُذْرٍ مُخْتَلٍّ الْمَعَانِي وَالْفُصُولِ ، فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ :
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قُعودِ ابْنِ عَمَّارٍ ، عَنْ هَذَا الْمَضْمَارِ^(٢) ،
 مَعَ مِيلِهِ إِلَى السَّمَاعِ ، وَكَلْفِهِ بِمِثْلِ هَذَا الْاجْتِمَاعِ ! فَقَالَ
 ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : إِنَّ الْجَوَابَ تَعَذَّرَ ، فَلِذَلِكَ اعْتَذَرَ ، لِأَنَّهُ
 يُعَانِي قَوْلَهُ وَيَعْلَلُهُ ، وَيُرْوِيهِ وَلَا يَرْتَجِلُهُ ، وَيَقُولُهُ فِي
 الْمُدَّةِ ، وَالسَّاعَاتِ الْمُمتَدَّةِ ، فَرَأَى أَنَّ الْوُصُولَ بِلَا جَوَابٍ
 إِخْجَالٌ لِأَدَبِهِ ، وَإِخْلَالٌ بِمَنَازِلِهِ فِي الشَّعْرِ وَرَتْبِهِ . فَلَمَّا

(١) وفي رواية « أويحسن الغنى » و « يحسن الغنى مخفف » « غناء »
 أي يطيب السماع ويلذ (٢) في الفلاند « أنى لأعجب من ابن عمار ،

كَانَ مِنَ الْغَدِ وَرَدَّ ابْنُ عَمَّارٍ وَمَعَهُ الْجَوَابُ ، وَهُوَ :

هَصَرْتُ لِي الْأَمَالَ طَيِّبَةَ الْجَنَى

وَسَوَّغْتِي الْأَحْوَالَ مُقْبِلَةَ الدُّنَى ^(١)

وَالْبَسْتِي النُّعْمَى أَغْضَ ^(٢) مِنْ الدُّنَى

وَأَجَمَلْ مِنْ وَشَى الرَّيِّعِ وَأَحْسَنَ ^(٣)

وَكَمْ لَيْلَةٍ أَحْظَيْتَنِي بِحُضُورِهَا

فَبِتُّ سَمِيرًا لِلْسَّنَاءِ وَلِلْسَنَى ^(٤)

أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعَمَلَا

وَأَذْنِي وَكَفَى بِالْعِنَاءِ وَبِالْفَنَى ^(٥)

سَافِرُنُ بِالتَّمْوِيلِ ذِكْرَكَ كُفَمَا

تَعَاوَرَتْ ^(٦) الْأَسْمَاءُ غَيْرَكَ وَالْكُنَى

وكيف فقد عن هذا الضمار « (١) و يروى : وسوغتني الأيام مقبلة
التي - وهصر النفس اذا جذبته اليه واماله ، أو كسره من غير أن يبين .
والفرض أنه مكنه من آماله ، وجعله يتصرف فيها كما يشاء ، ويحكي ثمراتها
كيف أراد ، وسوغه الشيء أباحه له وجعله سائقا هنيئا ، والدنا جمع الدنيا
(٢) النفس الطرى الرطب الندى والناضر البهى (٣) و يروى « وشى
الرياض » (٤) السناء الشرف والرفعة ، والسنى النور والضياء (٥) في
عجز البيت اف ونشر مرتب وهو ظاهر . (٦) تداولت وتناوبت

لَا وَسَعَتِي قَوْلًا وَطَوَّلًا^(١) كِلَاهُمَا
يُطَوَّقُ أَعْنَاقًا وَيُخْرِسُ أَلْسِنًا
وَشَرَّفَتْنِي مِنْ قِطْعَةِ الرُّوْضِ بَالْتِي
تَنَازَّرَ فِيهَا الطَّبْعُ وَرَدًّا وَسَوْسِنًا^(٢)
تَرْوِقُ بِجِيدِ الْمُلْكِ عِقْدًا مُرَصَّمًا
وَتَزْهُو عَلَى عِطْفِيهِ بُرْدًا مُزَيَّنًا^(٣)
فَدُمُ هَكَذَا يَا فَارِسَ الدَّسْتِ وَالْوَغَى
لِتَطْعَنَ طَوْرًا بِالْكَلَامِ وَبِالْقَنَّا^(٤)
وَأُخْبِرَنِي الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ سَعْدُونَ :
أَنَّهُ أَصْطَبَحَ يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ وَلِلرَّذَاذِ رَشٌّ ، وَلِلرَّيِّعِ عَلَى

(١) فضلا ونعمة (٢) يريد بقطعة الروض الأبيات الثلاثة الشعرية التي كتب للمدوح بها إليه ، وشرح المجاز بذكر الورد والسوسن ، ووصفها بأنها بريئة من التكلف ، يترقق فيها ماء الطبع ، فتروق النفس وتنشف السمع (٣) في القلائد « وشيا معينا » (٤) ويروي عجز البيت « لتطعن بالاقلام فيها وبالقنا » يريد بالدست هنا الرياسة والديوان « وتقدم بسط الكلام في الدست » ومعانيه وتصرف الولدين فيه ، ففي عجز البيت لف ونشر مرتب ، فالطعن بالكلام أو الأقدام راجع إلى الدست ، والطعن بالقنا عائد إلى الوغى أي الحرب « أحمد يوسف نجاتي »

وَجْهَ الْأَرْضِ فَرَشْتُ ، وَقَدْ صَقَلَ النِّعَامُ الْأَزْهَارَ حَتَّى أَذْهَبَ
نَمَشَهَا ^(١) ، وَسَقَاهَا فَأَرْوَى عَطَشَهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَدَيْنَاكَ لَا يَسْطِيعُكَ النِّظْمُ وَالنَّثْرُ

فَأَنْتَ مَلِكُ الْأَرْضِ وَأَنْفَصَل ^(٢) الْأَمْرُ

مَرَيْنَا نَدَاكَ الْغَمْرَ فَانْهَلَّ صَبِيًّا

كَمَا سَكَبْتَ وَطْفَاءً أَوْ سَكَبَ الْبَحْرُ ^(٣)

وَجَاءَ الرَّيِّعُ الْطَلْقُ يَنْدَى غَضَارَةً

فَحَيْثُكَ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالرَّوْضُ وَالنَّهْرُ ^(٤)

(١) النمش في الأصل نقط بيض وسود ، أو يقع تقع في الجلد تخالف لونه (٢) أى قضى وانتهى ، وفي الأصل « وانصل » (٣) مرى النافذة وغيرها إذا مسح ضرعها لتدر « يريد طلبنا وتعرضنا له بالمدايح والطاب ، وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة ماؤها ، وفي القلائد « كما ثبتت وطفاء أو وفق الزهر » (٤) هو من قول البحترى - وهو من أجود حاقيل في الربيع - :

أَتَاكَ الرَّيِّعُ الْطَلْقُ يَخْتَالُ ضَاكِمًا مِنْ الْحَسَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَنْكَلِمَا
وَقَدْ نَبِهَ التَّبَرُّوزَ فِي غُلَسِ الدَّجَا أَوَائِلَ وَرْدِ كُنْ بِالْأَمْسِ نَوْمَا
يَفْتَقِهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبْتَ حَدِيثًا كَانَ قَبْلَ مَكْمَا
وَرَقَ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نَعْمَا
وَالْغَضَارَةُ : الْحَسَنُ وَالْبَهْجَةُ وَالْحَصْبُ وَالْخَيْرُ وَالنَّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي الْعَيْشِ ،
(٢٣ - نَفْحُ الطَّيِّبِ - خَامِسُ)

إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ وَجَّهَ فِيهِ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ أَرِجَتْ
نَفَحَاتُهَا ، وَتَدَيَّجَتْ ^(١) سَاحَاتُهَا ، وَتَفَتَّحَتْ كَمَاثُهَا ، وَأَفْضَحَتْ
حَمَائِمَهَا ، وَتَجَرَّدَتْ جَدَاوِلُهَا كَالْبَوَاتِرِ ^(٢) ، وَرَمَقَتْ أَزَاهِرُهَا
كَالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ ^(٣) ، وَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ أَكْوَانَهُمْ ،
وَيَسْتَمِلُونَ ^(٤) إِيْنَانَهُمْ ، فَقَالَ ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ :

* *

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئاً مُجَدِّدَا وصف روضة
فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنُّفُوسِ وَمُقْعِدَا ^(٥)
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلَتْ غُصُونُهُ
رَوَاقِصٍ فِي خُضْرٍ مِنَ الْقُضْبِ مُيَّدَا ^(٦)

وعجز البيت في القلائد « فحيتك منه الشمس والاشجيم الزهر »
« أحمد يوسف نجاني » (١) نقشت وازدانت بألوان الزهر
(٢) جرد السيف إذا نضاه واستله من غمده ، والباير السيف الفاطم الماضي
(٣) طرف قاتر ذو فتور أي ضعف مستحسن وانكسار نظر من غير آفة ، بل
قديمكون من تيه أو دلال ، ويروي « عيون فواتر » (٤) أي يستملون به كالنوب
والفرض أن الأنس قد تمكن منهم واستولى عليهم ، وفي القلائد « يشملون »
أي يعملونه عاما يشمل المجلس (٥) في نسخة « فأضحى مقيا للعيون .. »
يعني أنها لا تنفتأ تردد الطرف فيه ولا تكاد تنقضي عجايبها منه وقرتها
من حسنه (٦) ميذا جمع مائد من ماد يمد إذا ثنى وتميل ، وفي القلائد
« العصب » بدل القضب . وأصل العصب ضرب من البرود الينية يعصب

إِذَا مَا أُنْسِكَبَ الْمَاءُ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
 وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ مِبْرَدًا^(١)
 وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ
 حُسَامًا صَقِيلًا صَافِيَّ الْمَتَنِ جُرْدًا
 وَغَنَّتْ بِهِ وَزُقُ الْحَمَائِمِ يَتَنَّا^(٢)
 غِنَاءٌ يُنَسِّيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدًا
 فَلَا يَجْفُونَ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُسْعِدًا
 وَمُدًّا إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا
 وَخُذْهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ
 إِذَا مَا سَقَى بَدْرٌ تَحْمَلُ فَرْتَدَا
 إِلَى أَنْ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ ابْنُ سَنُونُ

غزله أى يجمع ويشد ثم يحاك ويصغ فيأتى موشيا بديعا يروق منظره ،
 وأراد بها هنا ما على الأرض من نبات موشى بألوان الزهر مما دبحه الربيع
 « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ورواية القلائد أظهر وأحسن
 من رواية النفع « أحمد يوسف نجاشى » (١) يشبه ما يعلو سطح الماء
 اذا جرى فوقه النسيم من الطرائق والتجاعيد والحبك (٢) فى نسخة
 « حولنا » و قد قدم التعريف بالغريض ومعبد الغنيين « أحمد يوسف نجاشى »

أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِي مُنَيَّةِ الْعُيُونِ ، فِي يَوْمٍ مُطَرَّرِ الْأَدِيمِ ،
وَمَجْلِسٍ مُعَزَّزِ النَّدِيمِ ، وَالْأُنْسُ يُعَارِلُهُمْ مِنْ كُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَيُوَاصِلُهُمْ بِكُلِّ أُمْنِيَّةٍ ، فَسَكِرَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ سُكْرًا
مَثَلُ لَهُ مَيْدَانِ الْحَرْبِ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ مُسْتَوِعِرَ الطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ ، فَقَلَبَ مَجْلِسَ الْأُنْسِ حَرْبًا وَقِتَالًا ، وَطَلَبَ
الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالتَّرَا^(١) ، فَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ :

نَفْسُ الدَّلِيلِ تَعِزُّ بِالْجُرْيَالِ^(٢) فَيَقَاتِلُ الْأَقْرَانَ دُونَ قِتَالِ

كَمْ مِنْ جَبَانٍ ذِي افْتِخَارٍ بَاطِلٍ

بِالرَّاحِ تَحْسِبُهُ مِنَ الْأَبْطَالِ

كَبَشُ النَّدَى تَخْمَطُا وَعَرَامَةً

وَإِذَا تُشِبُّ الْحَرْبُ شَاءَ نَزَالِ^(٣)

(١) هو من قول أبي الطيب :

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالتَّرَا

وفي معناه قول الشاعر :

يَقُولُ جَبَانُ الْقَوْمِ فِي حَالِ سَكْرِهِ وَقَدْ شَرِبَ الصَّهْبَاءُ : هَلْ مِنْ مَبَارِزِ ؟

وَأَيْنَ الْحَيُولُ الْأَعْوَجِيَّاتُ فِي الْوُغَى أَطَاعَنَ مِنْهَا كُلَّ قَرْمٍ مُنَاجِزِ ؟

فِي السَّكْرِ قَيْسُ وَابْنُ مَعْدَى وَغَاوِرُ وَفِي الصَّحْوِ تَلْقَاءُ كَبْعُضِ الْمَجَازِ

(٢) الحمر (٣) كبش القوم : قاتلهم وحاميتهم ، وسيدهم ، ورئيسهم . والندى



« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ طَاهِرٍ ^(١) مَا صُورَتْهُ » وَجِئْتُهُ تَرْجَمَةُ ابْنِ طَاهِرٍ
يَوْمًا وَقَدْ وَقَفْتُ ^(٢) بِيَابِ الْحَنْسِ فَقَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ ،
وَوَصَفْتُ لَهُ مَا عَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِهِ وَتَأَمَّلْتُهُ ، فَقَالَ لِي : كُنْتُ
أَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي مَعَ الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ
- يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٣) - إِلَى رَوْصَتِهِ الَّتِي وَدَّتِ الشَّمْسُ

المجلس ، وتخط الرجل اذا غضب وتكبر ، وثار وأجلب ، شبه بهدير الفحل ،
والتخبط الاخذ والقهقير بغلبة ، وقال السكيت :

وقد كان زينا للعشيرة مدرها اذا مات سامت للتخبط صيدها
« الصيد جمع أصيد وهو ذو الكبر للعجب بنفسه ، والملك اللدل بقوته »
وعرم الرجل « كضرب ونصر وكرم وعلم » عرامة وعراما اذا كان ذا
شراسة وقوة وشدة وأذى ، قال وعلة الجرمي :

ألم تعلموا أني تخاف عرامتي وأن قناتي لاتلين على الكسر
(١) هو الرئيس الجليل محمد بن أحمد بن اسحق بن طاهر أديب بليغ
وكاتب قدير ، من بيت فضل ورياسة ، ومعدن أدب ونباهة ، تقلبت به
الأيام من رفعة الى خفض ، ومن ولاية الى عزل ، حتى أقام بمرسية زمانا
فلما شبت بها نار الفتنة وقع في قبضة الأشر ، ثم خلاص منه خلاص
السيف من غمده ، فلجأ الى شاطبة فسكنها حيناً حتى خمدت ثورة
اشبيلية فماد اليها عودا حلجى الى العاطل ، حتى توفى بها سنة ٥٠٧ عن نحو
تسعين سنة ودفن بمدينة مرسية « أحمد يوسف نجاشي » (٢) في القلائد « وقف »
(٣) هو بقية وزراء ابن أبي عامر ، وكان للأُمون بن ذى النون كما تقدم

أَنْ يَكُونَ مِنْهَا طُلُوعُهَا ، وَتَمَنَّى الْمِسْكُ أَنْ تُضَمَّ عَلَيْهِ
ضُلُوعُهَا ، وَالزَّمَانُ غُلَامٌ ، وَالْعَيْشُ أَخْلَامٌ ، وَالْذُّنْيَا نَحِيَّةٌ
وَسَلَامٌ ، وَالنَّاسُ قَدْ اُنْتَشَرُوا فِي جَوَانِبِهِ ، وَقَعَدُوا إِلَى
مَذَانِهِ^(١) ، وَفِي سَاقِيَتِهِ الْكُبْرَى دُولَابٌ يَتْنُ كَنَاقَةٍ
إِثْرَ حُورٍ^(٢) ، أَوْ كَشَكْلَى مِنْ حَرِّ الْأَوَارِ^(٣) ، وَكُلُّ

قد تغلب على بلنسية، ولما مات سنة ٤٦٧ ولى حفيده القادر فولى على
بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز هذا فحسن له المقتدر بن هود صاحب
سرقسطة الانتفاض على القادر ففعل واسقيد بمدينة بلنسية، وتوفي سنة
٤٧٨ ثم استولى الفرنج في سنة ٤٧٩ على مدينة بلنسية حتى جاء
يوسف بن تاشفين وكان منه ما تقدم بعضه « أحمد يوسف نجاشي »
(١) جمع مذهب « كبر » وهو مسيل الماء الى الأرض ليس بنجد واسع
وجداول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها فيفرق ماؤها فيها ، والتي يسيل
عليها الماء مذهب أيضا ، وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذهب
(٢) الحوار ولد الناقة ساعة تضعه أمه ، أو من حين أن يوضع الى أن
يفطم ويفصل عن أمه ، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل ، وجمعه أحورة
وحيران ، وحوران ، ومن أمثالهم : « حرك لها حوارها تحن » وقالوا :
« أُمسَخ من لحم الحوار » ، قال الشاعر

وقد علم الغر والطارقون بأنك للضيف جوع وفر
مسيخ مليخ كاحم الحوار فلا أنت حل ولا أنت مر
« للسيخ والمليخ الذي لاطعم له » وقالوا : « كسور العبد من لحم الحوار »
ويضرب للشيء الذي لا يدرك منه شيء ، وأصله أن عبدا نحر حورا وأكله
كله ولم يبق لمولاه منه شيئا فضرب به المثل لما يفقد البتة (٣) حر العطش

مُغْرَمٍ يَجْعَلُ فِيهِ أَرْيَاخَهُ ، بُكْرَتَهُ وَرَوَّاحَهُ ، وَيُنَازِلُ
عَلَيْهِ حَبِيبَهُ ، وَيَصْرِفُ إِلَيْهِ تَشْبِيهَهُ^(١) ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ لَيْلَةً
وَالْمَتْنَبِيَّ^(٢) الْجَزِيرِيَّ وَاقِفٌ وَأَمَامَهُ ظِلِّي آنِسٌ ، تَهِيمٌ بِهِ
الْمَكَانِسُ^(٣) ، وَفِي أُذُنِهِ قُرْطَانٍ ، كَأَنَّهُمَا كَوَّ كَبَانٍ ، وَهُوَ
يَتَأَوَّدُ^(٤) تَأَوَّدَ غُصْنِ الْبَانِ ، وَالْمَتْنَبِيُّ يَقُولُ :

مَعَشَرَ النَّاسِ يَبَابُ الْخُنْشِ

بَذُرُ تَمٍّ طَالَعَ فِي غَبَشٍ^(٥)

عَلَقَ الْقُرْطَ عَلَى مِسْمَعِهِ

مَنْ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَيْنِ خَشِيَ

فَلَمَّا رَأَى أَمْسَكَ ، وَسَبَّحَ كَأَنَّهُ قَدْ تَنَسَّكَ :

(١) غزله ، والتشبيب في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل (٢) هو أبو طالب الجزيري الملقب بالمتنبي من أهل جزيرة شقر في شرق الأندلس كان أديبا عظيما وشاعرا مجيدا ، وله تاريخ ألفه منظوما جاري به التاريخ الذي ألفه يحيى بن حكم الغزال « وقد تقدم ذكره » وكان المتنبي معاصرا للفتح بن خافان وتوفي حوالي سنة ٥٣٠ هـ ، وسيأتي له ذكر في نفح الطيب بعد . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) للكنس : مأوى الظبي (٤) يئنس ويتأيل مختالا (٥) الغبش : شدة الظلمة ، أو هو بقية الليل أو ظلمة آخره وغبش الليل « كضرب وفرح » وأغبش اذا أظلم « أحمد يوسف نجاتي »



التعريف بآين
عمار

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَمَّارٍ مَا صُورَتْهُ ^(١) » وَتَنَزَّهَ
بِالدَّمَشْقِ بِقَرْطَبَةَ وَهُوَ قَصْرُ سَيِّدِهِ بَنُو أُمَيَّةَ بِالصُّفَّاحِ
وَالْعَمَدِ ، وَجَرَوْا فِي إِتْقَانِهِ إِلَى غَيْرِ أَمَدٍ ، وَأَبْدَعَ بِنَاؤُهُ ،
وَتُمَمَّتْ سَاحَتُهُ وَفِنَاؤُهُ ، وَاتَّخَذُوهُ مَيْدَانِ مَرَاكِحِهِمْ ، وَمِضْمَارًا
لِالنَّشْرَاحِيِّمْ ، وَحَكَّوْا بِهِ قَصْرَهُمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَأَطْلَعُوهُ
كَالْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ الْمَشْرِقِ ، فَحَلَّهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمَّارٍ
عَلَى أَثَرِ بُوسِهِ ، وَأَبْتَسَمَ لَهُ دَهْرُهُ بِهِ بَعْدَ عُيُوسِهِ ، وَالْذُّنْيَا
قَدْ أَعْطَتْهُ عَفْوَهَا ، وَسَقَتْهُ صَفْوَهَا ، وَبَاتَ فِيهِ مَعَ لُمَّةٍ مِنْ
أَتْبَاعِهِ ، وَمُتَقَيِّئٍ ^(٢) رِبَاعِهِ ، وَكُلُّهُمْ يُحْيِيهِ بِكَأْسٍ ، وَيُقَدِّهِ
بِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ بَاسٍ ، فَطَابَتْ لَهُ لَيْلَتُهُ فِي مَشِيدِهِ ،
وَأَطْرَبَهُ الْآنَسُ بِبَسِيطِهِ وَلَشِيدِهِ ^(٣) ، فَقَالَ :

(١) تقدمت هذه الحكاية وشرحها . (٢) في الفلاند « ومتقيلي » والمعنى
واحد ، والرباع جمع ربع وهو الدار والمحلة والمزل والوطن ، وتفيأه اذا استظل
بظله ، وتقبله وتقبل فيه اذا نام فيه وقت القيلولة وتقبله تبعه وحذا حذوه ،
والفرض أنهم يلتجئون اليه ويستظلون بكنفه (٣) في بعض النسخ « ببسيطة
ومد يده » وهو من توجهات علم العروض « أحمد يوسف نجاتي »

كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الدَّمَشْقِ يُدَمُّ
 فِيهِ طَابَ الْجَنَى وَفَاحَ الْمِشْمُ
 مَنْظَرُهُ رَائِقٌ وَمَاءُهُ نَمِيرٌ
 وَتَرَى عَاطِرُهُ وَقَصْرُ أَشَمٍّ (١)
 بَتْ فِيهِ وَاللَّيْلُ وَالْفَجْرُ عِنْدِي
 عَبْرَ أَشْهَبٍ وَمِسْكٍ أَحَمٍّ (٢)
 انْتَهَى



وَعَبْرَ صَاحِبِ الْبَدَائِعِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَقُولُهُ : تَنَزَّهَ
 ابْنُ عَمَّارٍ بِالدَّمَشْقِ بِقُرْبَةِ وَهُوَ قَصْرٌ شَيْدُهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ
 وَزَخْرَفُوهُ ، وَدَفَعُوا صَرَفَ الدَّهْرِ عَنْهُ وَصَرَفُوهُ ، وَأَجْرَوهُ
 عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَصَرَفُوهُ . وَذَهَبُوا اسْقَفَهُ وَفَضَّضُوهَا ، وَرَخَّمُوا
 أَرْضَهُ وَرَوَّضُوهَا ، فَبَاتَ بِهِ وَالسَّعْدُ يَلْحَظُهُ بِطَرَفِهِ ،
 وَالرَّوْضُ يُحْيِيهِ بِعَرَفِهِ ، فَلَمَّا اسْتَنْفَدَ كَأَفُورِ الصَّبَاحِ مِسْكَ

وصف قصر
شيدته خلفاء
بنى أمية

النَّسَقِ^(١) ، وَرَصَعَ آيُنُوسُ الظَّلَامَ نُضَارَ الشَّقِّ^(٢) قَالَ
مُرْتَجِلًا : كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الدَّمَشَقِ يُذَمُّ ، الْخ . اُنْتَهَى .

* *

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَيْسَى بْنُ
لَبُونِ^(٣) » أَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ الطَّوِيلِ أَنَّهُ كَانَ
بِقَصْرِ مُرَيْطَرِ^(٤) بِالْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ^(٥) مِنْهَا وَالْبَطْحَاءِ قَدْ
لَيْسَتْ زُخْرُفُهَا^(٦) ، وَدَبَّحَ الْعِمَامُ مُطَرَفُهَا^(٧) ، وَفِيهَا حَدَائِقُ

ترجمة ذى
الوزارتين بن
لبون

(١) النسق الظلمة « وأكثر ما يطلق على ظلمة أول الليل » أو ظلمة الليل
إذا غاب الشفق (٢) النضار الذهب أو الفضة ، وغلب على الذهب والجوهر
الخالص من النهر وغيره ، وجمعه نضار « بالسكسر » وأنضر - والشفق : الحمرة
التي في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة ، أو اختلاط ضوء النهار بسواد
الليل عند غروب الشمس ، والبياض الباقي في الأفق بعد الحمرة المذكورة
وقد يطلق الشفق على النهار « وهو المراد هنا - وبه فسر قوله تعالى :
« فَلَأَقْسِمُ بِالشَّفَقِ » (٣) تقدم التعريف به (٤) تقسم التعريف بها ،
وبينها وبين بلنسية ٤ فراسخ ، ينسب إليها قاضيها ابن خيرون الربيطري
وقد سبق أنها كانت مع ذى الوزارتين القائد أبى عيسى بن لبون ، ثم
أخذها منه ابن رزين (٥) فى القلائد « المشرف » (٦) الزخرف الزينة
وكمال حسن الشيء . وزخرف الأرض ألوان نباتها المختلفة ، ومنه قوله تعالى :
« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ » أى زينت من ألوان الزهر
وناصع النور ، وقيل تمامها وكلها (٧) دبح : نقش وزين ، والمطرف فى

تَرْنُو عَنْ مُقَلِّ نَرْجِسِهَا ، وَتَبْتُ طِيبَ تَنْفِسِهَا ، وَالْجُلْنَارُ^(١)
 قَدْ لَبِسَ أَرْدِيَةَ الدَّمَاءِ ، وَالرَّاحُ قَدْ مَلَكَتْ أَفْنِدَةَ^(٢) النَّدْمَاءِ
 فَقَالَ :

قُمْ يَا نَدِيمُ أَدِرْ عَلَى الْقَرْقَفَا
 أَوْ مَا تَرَى زَهْرَ الرِّيَاضِ مُفَوِّقًا^(٣) !

فَتَخَالَ مَحْبُوبًا مُدِلًّا وَرَدَهَا
 وَتَظُنُّ نَرْجِسَهَا مُحِبًّا مُدِنَقًا^(٤)
 وَالْجُلْنَارُ دِمَاءٌ قَتَلَى مَعْرَكِ
 وَالْيَاسَمِينُ حَبَابَ مَاءٍ قَدْ طَفَا^(٥)

إِلَى أَنْ قَالَ : وَشَرِبَ مَعَ الْوُزَرَاءِ الْكُتَّابِ^(٦)

الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام. وترنو : تديم النظر (١) زهر الرمان
 (٢) كذا بالقلائد ، وفي الأصل « وراع أفئدة الندماء » (٣) القرقف
 الحجر الصافية ذات البرد : وبرد مفوف أى رقيق موشى (٤) أدل فهو
 مدل إذا تدلل وانبسط ، وأدنفه الحب ونحوه إذا أمرضه مرضاً ثقيلاً لازماً
 (٥) حباب الماء طرائفه كأنها الوشى ، ونفاخاته وفقاً لبعده التى تعالوسطحه
 كأنها القوارير ، وتسمى البعائل ، وطفا الشئ فوق الماء إذا علا ولم يرسب
 « أحمد يوسف نجاشى » (٦) وفى نسخة « والكتاب »

يَبْطَحَاءُ لُورَقَةَ^(١) فِي عَشِيَّةٍ تَجُودُ بِدِمَائِهَا ، وَيَصُوبُ^(٢) عَلَيْهَا
دَمْعُ سَمَائِهَا ، وَالْبَطْحَاءُ قَدْ خُلِعَ عَلَيْهَا سُنْدُسُهَا ، وَدُرُّهَا^(٣)
تَرْجِسُهَا ، وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ عَلَى الرُّبَا زَعْفَرَانَهَا^(٤) وَالْأَنْوَارُ ،
تُعْمِنُ أَجْفَانَهَا ، فَكُتِبَ إِلَى ابْنِ الْيَسَعِ :

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ يَا هَذَا عَشِيَّتَنَا

وَالْمُزْنَ^(٥) تَسْكُبُ أَحْيَانًا وَتَتَحَدَّرُ

وَالْأَرْضُ مُصْفَرَّةٌ بِالزَّهْرِ^(٦) كَاسِيَةً

أُنْصَرَّتْ تَبْرًا عَلَيْهِ الدُّرُّ يَنْتَبِرُ

(١) البطحاء أرض واسعة منبسطة ، أو مسيل فيه دقاق الحما ، ولورقة
مدينة من أعمال تدمير ، وكانت ذات شهرة بالغنب الجيد « وتقدم التعريف
بها في الجزء الأول » وفي القلائد: وشرب مع الوزراء والكتاب ببطحاء
لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما في عشيّة الخ « وقد تقدم أن
أخاه أبا محمد بن ليون كان يملك مدينة لورقة وبها توفي ، وتقدم التعريف
بذي الوزارتين القائد أبي الحسن بن اليسع (٢) صاب : انصب ، والصوب:
مجيء السماء بالغيث (٣) كذا بالأصل ، وفي القلائد « ودنرها » أي جعلها
ذات دنانير ، شبه زهرة الترجس بالدينار ، وفرس مدثر فيه تدنير : سواد
تخالطه شبهة ، ودنر وجهه إذا أشرق وتلاّ (٤) يعني أن الوقت أصيل
وهو أطيب أوقات النهار (٥) السحاب ذو الماء (٦) في الأصل « بالشمس »
وفي بعض المراجع « بالزهر » وهو أولى كما يدل عليه هيئة المشبه به في



« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ رُحَيْمٍ ^(١) »
 مَا صُورَتْهُ « وَوَصَلَ هُوَ وَأَبْنُ وَضَّاحٍ ^(٢) صِهرُ الْمُرتَضَى
 وَأَبْنُ جَمَالٍ اخْلَافَهُ صَاحِبُ صِقْلِيَّةٍ إِلَى إِحْدَى جَنَّاتِ مُرْسِيَّةٍ
 فَحَلُّوا مِنْهَا فِي قُبَّةٍ فَوْقَ جَدُولٍ مُطَرَّدٍ ^(٣) ، وَتَحْتَ أَدْوَاخٍ ^(٤)
 طَيْرُهَا غَرْدٌ ، فَأَقَامُوا يَتَعَاطَوْنَ رَحِيقَهُمْ ، وَيَعْمُرُونَ
 بِالْمُؤَانَسَةِ طَرِيقَهُمْ ، إِذَا بِالْجَنَّانِ ^(٥) قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ :

عجز البيت . « أحمد يوسف نجاشي » (١) هو ذو الوزارتين الكاتب
 الشاعر الأديب أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيمة أو « دحيم » وكانت بينه
 وبين القاضي أبي أمية إبراهيم بن عصام مدة قضائه بمرسية معانبات رفيقة
 وله مدائح وتهاني في الأمير أبي اسحق إبراهيم بن يوسف بن ناشئين
 في سنة ٥١٥ هـ ويأتي له ذكر بعد (٢) هو أبو جعفر محمد بن وضاح الأديب
 الشاعر توفي حوالي سنة ٥٤٠ هـ (٣) بحرى ماؤه متناها (٤) أشجار كثيرة
 ملتفة (٥) في الأصل « بالجناني » وفي الفلاحة « بالجنان » وأظنه
 يريد أبا اسحق إبراهيم بن خلفجة الأندلسي فقد كان أهل الأندلس
 يسمونه الجنان لولوعه في شعره بوصف الجنان والحدائق والأنهار والأشجار
 والرياح والأزهار والمياه وما يتصل بذلك من وصف مناظر الطبيعة الفاتنة
 ومشاهدها البديعة الساحرة التي توحى بالشعر ونسوء بالخيال . وقد يكون
 « ابن الجنان » وهو أبو الوليد بن الجنان ، أو أبو القاسم خلف بن مفرج

كَانَ بِمَوْضِعِكُمْ هَذَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ شُعُورٌ
مَنْشُورَةٌ ، وَخُدُودٌ غَيْرُ مَسْتُورَةٍ ، قَدْ رُفِيتْ عَنْهَا الْبَرَاقِعُ ،
وَمَا مِنْهَا نَظْرَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا سَهْمٌ وَاقِعٌ ، فَاسْتَدْعَى فَحْمًا
وَكَتَبَ فِي إِحْدَى زَوَايَا الْقُبَّةِ :

قَادَنَا وَذُنَا إِلَيْكَ فَجِئْنَا بِنُفُوسٍ تَقْدِيكَ مِنْ كُلِّ بُوسٍ
فَقَزَلْنَا مَنَازِلًا لِبُدُورٍ وَحَلَلْنَا مَطَالِعًا لِشُمُوسٍ

* *

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِوَنَ
مَا صُورَتُهُ » حَلَلْتُ يَابِرَةَ^(١) فَأَنْزَلَنِي وَإِلَيْهَا بِقَصْرِهَا ،
وَمَسَكْتَنِي مِنْ جَنَى الْأَمَانِيِّ وَهَضَرِهَا^(٢) ، فَأَقَمْتُ لَيْلِي ، أَجْرًا
عَلَى الْمَجَرَّةِ ذَيْلِي ، وَتَتَطَارَدُ فِي مَيْدَانِ الشَّرُورِ خَيْلِي ، فَلَمَّا
كَانَ مِنَ اللَّغْدِ بَا كَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ مُسْلِمًا ، وَمِنْ

ترجمة أبي محمد
ابن عبدون

ابن سعيد الكنانى من أهل شاطبة ولى القضاء بإحدى الكور الشرفية
لابنى أمية ابراهيم بن عصام وكان أديبا فقيها مشاورا ، وأبو العلاء عبدالحق
ابن خلف بن مفرج الكنانى يعرف بابن الجنان ، وصحب أبا اسحق بن
خفاجة ، وكان من كبار الأدباء وجملة الشعراء وأعظم البلغاء وله بصر بالطب
توفى سنة ٥٣٩ هـ . « أحمد يوسف نجاشى » (١) يابرة بلد فى غربى الاندلس
(٢) هضر العنص : جذبه وأماله اليه « يريد التمتع بنيل آماله والتصرف فيها كما
يشاء » « أحمد يوسف نجاشى »

تَكْبِي^(١) عَنْهُ مُتَّالِمًا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْقَائِدِ عَاتِبًا عَلَيْهِ ،
فِي كَوْنِي لَدَيْهِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَقَدْ أَخَذَنِي مِنْ يَدَيْهِ ، فَحَلَّتْ
عِنْدَهُ فِي رُحْبٍ ، وَهَمْتُ عَلَى مِنَ الْبَرِّ أَمْطَارُ سُحْبٍ ، فِي
مَجْلِسٍ كَانَ الدَّرَارِيُّ فِيهِ مَصْفُوفَةً ، أَوْ كَانَ الشَّمْسُ إِلَيْهِ
مَرْفُوفَةً ، فَلَمَّا حَانَ أَنْصِرَافِي ، وَكَثُرَ تَطَلُّعِي إِلَى مَا بِي^(٢)
وَأُسْتَشْرِفِي ، رَكِبَ مَعِيَ إِلَى حَدِيقَةِ نَضْرَةٍ ، مُجَاوِرَةٍ
لِلْحَضْرَةِ ، فَأَتَخْنَا عَلَيْهَا أَيْدِيَ عَيْسِنَا^(٣) ، وَنَلْنَا مِنْهَا مَا شِئْنَا
مِنْ تَأْنِيسِنَا ، فَلَمَّا أُمْتَطَيْتُ عَزْمِي^(٤) ، وَسَدَدْتُ إِلَى غَرَضِ
الرَّحْلَةِ سَهْمِي ، أُنْشَدَنِي :

سَلَامٌ يُنَاجِي مِنْهُ زُهْرَ الرُّبَا عَرَفُ

فَلَا سَمْعَ إِلَّا وَدَّ لَوْ أَنَّهُ أَنْفٌ^(٥)

حَنِينِي إِلَى تِلْكَ السَّجَايَا فَإِنَّهَا

لَا تَأْكُرُ أَعْيَانِ الْمَسَاعِي أَلْتِي أَقْفُو^(٦)

(١) انصرافي عنه وعدم النزول عنده (٢) رجوعي وعودتي (وفي القلائد :
قيامي « واستشرف الى الشيء اذا تطلع اليه (٣) أى أقاموا بها ، والعبس
في الاصل: الابل البيض يخالط بياضها شئ من الصفرة (٤) عزم على
الارتحال (٥) المرف: الرائحة الذكية (٦) ففأثره اذا تبعه «أحمد يوسف نجاتي»

ثُمَّ سَرَدَ الْقَصِيدَةَ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ مَعَانٍ ^(١) فِصَاحٍ

فَبَكَمَ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فِصَاحٍ

وَحَلَّى أَكَايِلَ تِلْكَ الرِّبَا

وَوَشَّى مَعَاطِفَ تِلْكَ الْبِطَاحِ ^(٢)

فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدِي بِهَا

وَجَرَّيَ فِيهَا ذُيُولَ الْمِرَاحِ ^(٣)

وَتَوَوَّيَ عَلَى حَبَرَاتِ الرِّيَاضِ

يُجَاذِبُ بُرْدَى مَرُّ الرِّيَاحِ ^(٤)

وَلَمْ أُعْطِ أَمْرَ النُّهْيِ طَاعَةً

وَلَمْ أَصْغِ سَمْعِي إِلَى قَوْلٍ لَاحِي ^(٥)

(١) الغنى منزل القوم ومحل اقامتهم (٢) يدعو للربا بأن تزينا الزهار والاشجار ، والبطاح جمع أبطح وبطحاء (٣) المراح اسم من مراح « كفرح » وهو شدة الفرح والنوسع فيه والاختيال والنشاط حتى يجاوز قدره (٤) الجبرة « كناية » ضرب من ضروب اليمن ذو وشى (٥) الا لاحى اللاتم العنف ، يقول انه لم يجب داعي العقل ، بل لبي نداء عواطفه وخضع لدواعي نفسه ورغبات قلبه « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَيْلٍ كَرَجَمَةٍ طَرْفِ الْمُرِيبِ

لَمْ أَدْرِ لَهُ شَفَقًا مِنْ صَبَاحٍ^(١)

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ^(٢) - بَعْدَ تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ

كَلَامٍ لَهُ فِيهِ ، وَإِنْشَادِهِ يَتَّبِعُهُ الْبَدِيعِيُّ الَّذِينَ هُمَا

(١) صدر البيت كناية عن مزيد قصر الليل ، والمريب من كان ذا ريبة أى تهمة وظنة وشك « بَأَن كَانَ يَخَالِسُ النَّظَرَ إِلَى مَنْ يَهْوَى مُنْتَهَا غَفْلَةِ الرِّقِيبِ فَيَكُونُ طَرَفُهُ سَرِيعَ النَّظَرِ وَالرَّجْعُ خِيفَةٌ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ » قال ابن المعتز :

تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ لَحْظِ الْمُرِيبِ فَإِنَّ الْعَيُونَ وَجُودَ الْقُلُوبِ

وَطَالَعَ بَوَادِرَهُ فِي السَّكَّامِ فَانْكَ تَجْنِي ثَمَارَ الْغُيُوبِ

وعجز البيت يدل على قرب مسافة ما بين الشفق إلى الصباح « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) هو الوزير الجليل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري من ولد عقبة بن نعيم الداخل إلى الأندلس في جند دمشق كان أحد وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة ، وأحد رجالها ومحاسنها جلالة ونباهة وجزالة أدبيا بليغا كاتباً مجيداً شاعراً بارعاً فقيهاً محدثاً ذا مروءة عظيمة وثرثرة طائفة جاد بها في ابتناء المكارم ، وكان إليه النظر في المستخلص باشبيلية وغرناطة ، ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين إلى طرطوش برسم بنائها ، فأحسن إلى أهلها ووسع أرزاقهم وأنشأ عثرهم ، وتوفي بغرناطة في غرة رمضان سنة ٥١٨ و حضر جنازته الخاصة والعامة . وورثاه الكاتب البليغ أبو عبد الله بن أبي الحصال وأثنى عليه ، ودفن بازاء قبر صهره أبي بكر القليعي القاضي رحمهم الله جميعاً . « أحمد يوسف نجاشي »

(٢٤ - نفع الطيب - خامس)

لَا تَلْمِزْنِي بِأَنْ طَرَبْتُ لِشَدْوٍ^(١)

يَبْعَثُ الْإِنْسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ

لَيْسَ شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا^(٢)

إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُشَقَّ الْقُلُوبُ

مَا صَوَّرْتُهُ : وَخَرَجْتُ بِإِسْبِيلِيَّةَ مُشِيعًا لِأَحَدِ زُعَمَاءِ

الْمُرَابِطِينَ ، فَأَلْفَيْتُهُ مَعَهُ ، مُسَافِرًا لَهُ فِي مُجَلَّةٍ مِنْ شِيعَةٍ ،

فَلَمَّا أَنْصَرَفْنَا مَالَ بِنَا إِلَى مُعَرَّسٍ^(٣) أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ - أَدَامَ

اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - الَّذِي يَنْزِلُهُ عِنْدَ خُلُولِهِ بِإِسْبِيلِيَّةَ ، وَهُوَ

مَوْضِعٌ مُسْتَبَدِّعٌ ، كَانَ الْحُسْنُ فِيهِ مُودَعٌ ، مَا شِئْتُ مِنْ

نَهْرٍ يَنْسَابُ أَنْسِيَابَ الْأَرَاقِمِ ، وَرَوْضٍ كَمَا وَشَّتِ الْبُرْدُ

(١) في الأصل « لشجو » وفي القلائد « لشدو » وهو أحسن ، والشدو

الفناء (٢) في القلائد « أما الحق » وفي معنى البيت قول الأول :

لوامي زليخا لورأين جيينه لاآرن بالقطع القلوب على الأيدي

« لوامي جمع لائمة وأصله لواثم فقلب وأعل - « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) موضع نزوله من عرس القوم وأعرسوا إذا زلوا في آخر الليل للاستراحة

ثم أناخوا وناموا نومة خفيفة ثم ساروا مع انفجار الصبح سائرين ، وفي

بعض للراجع « قصر » بدل معرس ، وهو ألصق بالسياق كما هو ظاهر

« أحمد يوسف نجاتي »

يَدُ رَاقِمٍ ، وَزَهْرٍ يَحْسُدُ الْمِسْكَ رِيَّاهُ ، وَيَتَعَنَّى الصَّبْحُ أَنْ
يَسِمَ بِهِ ^(١) مُجَيَّاهُ ، فَقَطَفَ غُلَامٌ وَسِيمٌ مِنْ غِلْمَانِهِ نَوْرَةً
وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى وَهْيٍ فِي كَفِّهِ . فَعَزَمَ عَلَى أَنْ أَقُولَ يَتَا
فِي وَصْفِهِ ، فَقُلْتُ :

وَبَذَرَ بَدَا وَالطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ
وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النَّوْرِ كَوْكَبُ
فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ :

يَرْوُحُ لَتَعْذِيبِ الْنُفُوسِ وَيَقْتَدِي
وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَغْرُبُ
وَيَحْسُدُ مِنْهُ الْغُصْنُ أَيْ مُهَفِّفٍ
يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ وَيَذْهَبُ

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّقَّاطِ ^(٢) تَرْجَمَةُ أَبِي الْقَاسِمِ
ابْنِ السَّقَّاطِ

(١) وسمه أعلمه وجعل له سمة . والحيا الوجه ، وبقية الالفاظ قد سبق
شرحها وبيان معانيها في غير موضع (٢) وصفه الفتح في القلائد بالبلاغة
واجادة الكتابة والشعر والخطابة ، وأورد له كثيرا من نظمته وثره

بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتْهُ : وَحَمَلْنَا الْوَزِيرُ الْقَاضِي
أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَضْحَى ^(١) إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِخَارِجِ غَرْنَاطَةَ
وَمَعَنَا الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مَالِكٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ
تِلْكَ الْمَمَالِكِ ، فَحَلَلْنَا بِضِيعَةً لَمْ يَنْحَتِ الْمَحَلُّ أَثْلَهَا ^(٢) ،
وَلَمْ تَرْمُقِ الثُّيُونُ مِثْلَهَا ، وَجَلْنَا بِهَا فِي أَكْنَافِ جَنَاتِ
الْأَفَافِ ^(٣) ، فَمَا شِئْتَ مِنْ دَوْحَةٍ لَفَاءً ^(٤) ، وَغُضْنٍ يَمِيسُ
كَمِطْنَى هَيْفَاءٍ ^(٥) ، وَمَاءٍ يَنْسَابُ فِي جَدَائِلِهِ ، وَزَهَرٍ يُضْمَعُ ^(٦)
بِالْمِسْكِ رَاحَةً مُتَنَاوِلِهِ . وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ تِلْكَ الْأَحْدَاقِ
أَرْبَابًا ، وَأَفْتَضَضْنَا مِنْهَا أَثْرَابًا ^(٧) عُرْبًا ، مِلْنَا إِلَى مَوْضِعٍ

(١) تقدمت ترجمته في بعض الأجزاء السابقة والقول في بني أضحي ،
وسياق في ذكر للقاضي أبي الحسن بن أضحي هذا (٢) الأثل : شجر وهو نوع
من الطرفاء أو عضاهة « شجرة ذات شوك » طويلة قوية كانوا يملأون
منها الاقداح ونحوها « ونحت أثله كناية عن العيب والنقص ، ونحت أثله
إذا انتقصه وذمه ، ونحت الأثل هنا كناية عن شدة الجذب والقشط حتى ينحت
الناس والأشجار (٣) الألفاف الأشجار الملتفة بعضها ببعض واحدها لفاف
« بكسر اللام وفتحها » ومنه قوله تعالى : « وجنات ألفافا » ، أي بساكن
ملتفة (٤) أي ملتفة الأغصان (٥) الهيف دقة الخاصرة مع ضمير البطن
(٦) أي يعمها بالطيب (٧) أثراب جمع ترب ، وأصل ترب الفتاة من كانت في
سناها ، وهي تربها أي لدها ، وفسرت الأثراب أيضا في قوله تعالى : « عربا
أثرابا » بالأمثال اذ ليست هناك ولادة . وأصل العروب « وجمعه عرب »
المرأة الحسناء المتحبة الى زوجها اللطيفة له المظهرة له مودة وفرط شغف

الْمَقِيلِ^(١) ، وَزُلْنَا^(٢) عِنْدَ مَنَازِهِ تَرَرَى بِمَنَازِهِ جَذِيعَةً مَعَ
مَالِكٍ وَعَقِيلِ^(٣) ، وَعِنْدَ وُصُولِنَا بَدَأَ لِي مِنْ أَحَدِ الْأَصْحَابِ
تَقْصِيرٌ فِي الْمَبَرَّةِ ، عَرَضَ لِي مِنْهُ تَكْدِيرٌ لِتِلْكَ الْعَيْنِ
الْثَّرَةِ^(٤) ، فَأَظْهَرْتُ التَّثَاقُلَ أَكْثَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ
عَدَلْتُ عَنْهُمْ إِلَى الْإِضْطِجَاعِ وَالنَّوْمِ ، فَمَا أَسْنَقْتُ إِلَّا
وَالسَّمَاءُ قَدْ نُسِخَ^(٥) صَحْوُهَا ، وَغَمَّ جَوْهَا ، وَالْغَمَامُ مُنْهَمِلٌ ،
وَالثَّرَى مِنْ سُقْيَاهُ مَمْلٌ ، فَبَسَطَنِي بِحَفَفِيهِ^(٦) وَأَبْهَجَنِي بِرِيٍّ
لَمْ يَزَلْ يُتِمُّهُ وَيُوفِّيهِ ، وَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ تَجْهَمُ^(٧) فِيهِ الْأَفْقُ وَأُتْتَرَتْ

مَدَامِعُ الْغَيْثِ فِي خَدِّ الثَّرَى هَمَلًا

(١) النوم بالظهر للاستراحة من الحر (٢) كذا بالقلائد ، وفي الأصل « وزلنا
عن منازره » (٣) جذعية الأبرش ونديماء قد سبق التعريف بهم (٤) كثيرة
الماء غزيرة « وهو مستعار للالقاء من توالى الأكرام وتتابع الصفا » (٥) تغير
وزال (٦) بسطه أزال ما عنده من الانقباض ، والتحنى : اللباغة في الأكرام والبر
واظهار مزيد السرور والفرح وحسن اللقاء ولللاطفة ، والقيام بكل حاجاته
ومطالبه ، واكرام الوفاة واحسان التوى (٧) عبس وتغير بالغمام . والهمل
الماء السائل الذي لا مانع له ، والتروك غير المستعمل ولا المنتفع به

رَأَى وَجُومَكَ فَأَرَبَدَّتْ طَلَّاقَتُهُ^(١)

مُضَاهِيًا لَكَ فِي الْأَخْلَاقِ مُتَشَبِّهًا

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ
الْحَسَنِ ابْنِ أَضْحَى تَرْجَمَةُ الْقَاضِي أَبِي
أَضْحَى مَا نَصَّهُ : « وَكَانَ لِصَاحِبِ الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ
بِهِ ابْنٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً ، وَكَانَتْ مَحَاسِنُ الْأَفْعَالِ
وَالْأَقْوَالِ عَلَيْهِ مَقْصُورَةً ، مَعَ مَا شِئْتَ مِنْ لَسَنِ^(٢) ،
وَصَوْتٍ حَسَنِ ، وَعَقَافٍ ، وَاجْتِلَاطٍ بِالْبَهَاءِ^(٣) وَالْتِفَافِ ،
فَحَمَلْنَا إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِقُرْبٍ مِنْ حَضْرَةِ غَرْ نَاطَةٍ ، فَحَلَلْنَا
قَرِيَةً كَانَتْ عَلَى صَفَةِ نَهْرٍ ، أَحْسَنَ مِنْ شَاذٍ مِهْرٍ^(٤) ، تَشَقُّهَا

(١) وجم وجوما اذا سكنت على غيظ وغضب، والواجم العبوس ينطرق ساكتا
لشدة الحزن تملوه كآبة، وار بدوجه وتر بد اذا تغير لونه من الغضب الى التبره
وعبس. وار بدت السماء وتر بدت اذا تقيمت، وفي الاصل والقلائد « فار بدت »
وهو تصحيف وانصح معناه « أحمد يوسف نجاتي » (٢) فصاحة وطلاقة
لسان (٣) كذا بالأصل والقلائد، وفي بعض النسخ « بالنباه » .

(٤) مدينة أو موضع بنيسابور، وكان هناك بستان لعبده الله بن طاهر
ابن الحسين أنيق، وقصور شاحخة، ونعيم وملك كبير، ثم انقضت دولة
آل طاهر وخربت تلك القصور، وفيها يقول بعض الشعراء :

جَدَاوِلُ كَالصَّلَالِ^(١) ، وَلَا تَرْمُقْهَا الشَّمْسُ مِنْ تَكَأُفِ
الظَّلَالِ - وَمَعَنَا جُمْلَةٌ مِنْ أَعْيَانِهَا - فَأَخْضَرْنَا مِنْ أَنْوَاعِ
الطَّعَامِ ، وَارَانَا مِنْ فَرْطِ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ ، مَا لَا يُطَاقُ
وَلَا يُحَدُّ ، وَيَقْصُرُ عَنْ بَعْضِهِ الْعَدُّ ، وَفِي أَثْنَاءِ مُقَامِنَا بَدَا لِي
مِنْ ذَلِكَ الْفَتَى الْمَذْكُورِ مَا أَنْكَرْتُهُ ، فَقَابَلْتُهُ بِكَلَامٍ
أَعْتَقَدُهُ^(٢) ، وَمَلَامٍ أَحَقَّدُهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ لَقِيتُ مِنْهُ
أُجْتِنَابَهُ ، وَلَمْ أَرِ مِنْهُ مَا عَهْدْتُهُ مِنَ الْإِنَابَةِ^(٣) ، فَكَتَبْتُ إِلَى
أَبِي الْحَسَنِ مُدَاعِبًا ، فَرَاغَنِي بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ :

أَتَتْنِي أَبَا نَصْرِ نَتِيجَةً خَاطِرٍ

سَرِيعٍ^(٤) كَرَجْعِ الطَّرْفِ فِي الْخَطَرَاتِ

فتلك قصور الشاذياخ بلاقع خراب يباب والبيان مزارع
وأضحت خلاه شاذمهر وأصبحت معطلة في الأرض تلك المصانع
والشاذياخ مدينة نيسابور بناها عبد الله بن طاهر بجوارها في بستانه العظيم.
والبيان بلد « أحمد يوسف نجاشي » (١) جمع صل وهي الحية ، والسيف
القاطع (٢) أضمره في نفسه ، أو اعتقد صحته فعاظه ، أو أغضبه ، ويقال
تحللت عقده إذا سكن غضبه ، وعقد ناصيته إذا غضب وتهيباً للشر
(٣) الرجوع والاقبال (٤) في الأصل « مريع » وهو تصحيف لايساعد
عليه بقية البيت وان صح وصف الخاطر بأنه خصب مريع « أحمد يوسف نجاشي »

فَأَعْرَبْتَ عَنْ وَجْدِ كَيْمٍ طَوَيْتَهُ^(١)
 بِأَهْيَفَ طَاوٍ فَاتَرَ اللَّحْظَاتِ
 غَزَالٍ أَحْمَ الْمُقْلَتَيْنِ عَرَفْتَهُ
 بِخَيْفٍ مَنِىٍّ لِلْحُسْنِ أَوْ عَرَفَاتٍ^(٢)
 رَمَاكَ فَاصْصِ^(٣) ، وَالْقُلُوبُ رَمِيَّةٌ
 لِكُلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي فَتَكَاتِ
 وَظَنَّ بِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُحْصَبٌ
 فَلَبَّاكَ مِنْ عَيْنَيْهِ بِالْجَمَرَاتِ^(٤)

(١) فى القلائد « فأعرب » والوجد : القرام ، والطاوى : الضامر البطن
 الأهيف (٢) خيف منى وعرفات بمكة ، ولعله يشير الى أن هذا الغزال
 فى حرم لا يحل صيده . كقوله :

بيض أو انس ما مهن برية كظباء مكة صيدهن حرام
 ويقرب من معنى البيت قول الشاعر :

فيادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
 وفى القلائد وبعض نسخ النفع « للحين » أى الهلاك بدل « للحسن »
 (٣) رماه فأصاه اذا قتله مكانه وهو يراه ، والرمية : الهدف وما يرمى من الصيد
 ومنه :

تشكى الحب وتلقى الدهر شاكية كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان
 واذا كانت القلوب رمايا فالسهام هى العيون كما يدل عليه عجز البيت .
 « أحمد يوسف نجاشى » .

(٤) فى البيت كاليتين السابقين والبيت بعده وفى البيت الأخير توجيه

تَقَرَّبَ بِالنُّسَاكِ فِي كُلِّ مَنْسِكٍ^(١)
وَضَعَى غَدَاةَ النَّحْرِ بِالْمُهَجَاتِ
وَكَانَتْ لَهُ جَيَّانٌ^(٢) مَثْوًى فَأَضْبَحَتْ
صُلُوعَكَ مَثْوَاهُ بِكُلِّ فَلَاةٍ
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهَيِّمَ قَتَنُطْوَى
كَثِيبًا عَلَى الْأَشْجَانِ وَالزَّفَرَاتِ
فَلَوْ قِيلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحُبِّ فِدْيَةٌ
فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَشَرَاتِ

في أسماء أما كن الحج وتورية بها . والمحصب اسم الشعب الذي مخرجه الى
الأبطح بين مكة ومنى يقام فيه ساعة من الليل ثم يخرج الى مكة ، سمي
به للحصباء التي فيه ، أو المحصب موضع رمى الأحجار بمنى ، وحصبه اذا
رماه بالحصبة أو الحصباء وهي الحجارة والحصى (١) النسك العبادة والطاعة
« وأراد بالنسك العشاق ومن يتقربون بأرواحهم وقلوبهم الى من يحبون »
وأصل النسك الموضع المعتاد الذي تعاده ، ويقال ان لفلان منكاً يعتاده
في خير كان أو غيره ، ثم سميت أمور الحج مناسك ، والنسك : الموضع الذي
تذبح فيه النسيكة « أى الذبيحة » ومنه قولهم : منى منسك الحج (٢) جيان
مدينة كانت لها كورة واسعة بالاندلس في شرق قرطبة بينهما ١٧ فرسخا
وعملكتها بين مملكتي غرناطة وطليطلة ، وكانت في غاية النعمة والحصانة ، ومن
أكثر مدن الاندلس خصبا ، كثيرة العيون طيبة البقعة كثيرة الثمار

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ أُدَيْبِ الْأَنْدَلُسِيِّ شَاعِرِهَا أَبِي إِسْحَقَ ترجمة أبي إسحق
ابن خفاجة
ابْنِ خَفَاجَةَ بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُوِّرَتْهُ » : وَقَالَ يَنْدُبُ مَعَاهِدَ
الشَّبَابِ ، وَيَتَفَجَّعُ لَوْفَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَحْبَابِ ، بِعَقَبِ سَيْلِ
أَعَادِ الدِّيَارِ آثَارًا ، وَفَضَى عَلَيْهَا وَهْيَا ^(١) وَأَنْتَارًا :

أَلَا عَرَّسَ الْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ أَلْيَى

وَمَا رَفَعُوا غَيْرَ الْقُبُورِ قِبَابًا

فَدَمَعَتْ كَمَا سَحَّ النِّعَامُ وَلَوْعَةً

كَمَا أَضْرَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شِهَابًا

إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً

تَلَدَدْتُ فِيهَا جَيْئَةً وَذَهَابًا ^(٢)

أَكْرُبُ بَطْرَفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْنَةٍ تَكِلْتُهُمْ بِيضَ الْوُجُوهِ شَبَابًا

(١) الوهي التصدع والشق في الشيء ، وهي الحائط إذا ضعف وهم بالسقوط
وأراد أن ينقض (٢) في الأصل والقلائد والديوان « تلذت » وأراها
مصحفة عن « تلذت » أي تلفت يمينا وشمالا متحيرا متبلا ، مأخوذ من ليدى
الوادي أي جانبه ، أو اللد يدين صفحتي العنق دون الازدين ، ولدلد الرجل أيضا
إذا تلبث وتمكث ومنه « فلما لك والتلد حول نجد » . « أحمد يوسف نجدي » .

فَطَالَ وَثُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَفُرْقَةٍ^(١)
 أَنَادِي رُسُومًا لَا تُحِيرُ جَوَابًا
 وَأُنْحُو جَمِيلَ الصَّبْرِ طَوْرًا بِعَبْرَةٍ
 أَخْطُ بِهَا فِي صَفْحَتَيْ كِتَابَا^(٢)
 وَقَدْ دَرَسْتَ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَعْظَمًا وَيَبَابَا^(٣)
 وَحَسْبِي شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقَمًا^(٤)
 خَلَاءَ ، وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تُرَابَا

(١) في القلائد والديوان « بين وجدوزفرة » وأحارجوابا رده (٢) صفحتا الوجه جانباه ، يريد خديه ، وورى عنهما بالصفحتين ورشح لذلك بقوله أخط كتابا، جعل مايسيل من الدموع على الخدين فيبقى بهما آثارا سطورا مكتوبة يقرأ منها الراى الحزن والجزع، وجعل ديباجة الوجه واشرافه ممحوة بهذه الدموع « يعنى أنه محاشينا كان يدل على الصبر والخلو من الحزن، وأثبت مايقراء منه آيات الأسى ، ففي البيت مراعاة نظير وتورية وطباق وحسن تعليل بديع ، هذا الى أنه بافراطه في الحزن والجزع وعدم الصبر انما يخط في صحائف أعماله ، وينقش في كتاب حسابه ، وقد أمر الله بالصبر ، ووعد الصابرين حسن الأجر ، ولكن مصابه غلب الغزاء وأعوز معه التنصير ، فالبيت كما ترى يشير الى كل هذه المعانى » « أحمد يوسف نجاشى »
 (٣) اليباب الخراب . وفي الديوان « أقبرا » بدل « أعظما » وفي البيت لف ونشر مرتب « أحمد يوسف نجاشى » (٤) الشجوا الحزن والهم ، والبلقع

وَلَقَدْ أَحْلَنِي بِهَذِهِ ^(١) الدِّيارِ الْمَنْدُوبَةِ وَهِيَ كَمَهْدِهَا فِي
جَوْدَةٍ مَبْنَاهَا ، وَعَوْدَةٍ سَنَاهَا ، فِي لَيْلَةٍ أَكْتَحَلْنَا ظِلَامَهَا
إِثْمِدًا ^(٢) ، وَمَحَوْنَا بِهَا مِنْ نُفُوسِنَا كَمَدًا ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ
الْأَنْسُ يَنْسُطُهُ ، وَالشَّرُورُ يَنْسُطُهُ ، حَتَّى نَشْرَى مَا طَوَاهُ ^(٣)
وَبَتَّ مَكْتُومَ لَوْعَتِهِ وَجَوَاهُ ، وَأَعْلَمَنِي بِلِيَالِيهِ فِيهَا مَعَ
أُتْرَابِهِ ، وَمَا قَضَى بِهَا مِنْ أَطْرَابِهِ . أَتَمَّهِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ
أُخْتِيَارِي مِنْ كَلَامِ أَبِي نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - فِي وَصْفِ بَعْضِ مُتَنَزِّهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْبَدِيعَةِ ،
وَرِيَاضِهَا الْمُتَوَقِّعَةِ الْمَرِيعةِ ^(٤)

وَمَا أَحْسَنَ رِسَالَةً لَهُ مُخْتَصَرَةً ، كَتَبَهَا مُهَنَّاتًا بَعْضُ مُلُوكِ
الْأَنْدَلُسِ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّمَكِينِ الَّذِي أَيْدَهُ بِهِ
وَنَصَرَهُ . وَقَدْ جَوَّدَ أَوْصَافَهُ ، وَأَسْتَطَرَّدَ مِنْهَا إِلَى ذِكْرِ النَّاصِرِ
وَوَلَدِهِ الْحَكَمِ الَّذِينَ عَمَرَا الزَّهْرَاءَ وَالرُّصَافَةَ ، وَنَصَهَا :

رسالة بيهتة بعض
ملوك الأندلس

القفر الحالية من السكان . والاشلاء جمع شلوا أى عضو (١) فى القلائد
« أحد » بدل « هذه » (٢) حجر الكحل وهو أسود الى حمرة (٣) يعنى
أفضى اليه بما كان يكتمه ويخفيه (٤) الحصبة ، ومرع الوادى « مثلثة
الراء » مراعاة ومرعا اذا كلاً وأخصب وأعشب كما مرع « وهو أكثر استملا »

أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى أَيَّامَ الْأَمِيرِ لِلْأَرْضِ^(١)، يَتَمَلَّكُهَا، وَيَسْتَدِيرُ
بِسَعْدِهِ فَلَكُهَا، وَقَدْ أُسْتَبَشِرَ الْمَلِكُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - وَحَقَّ لَهُ
الْإِسْتِبْشَارُ، فَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ السَّعْدُ وَأَشَارَ، بِمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ
تَوَلِّيَتِكَ، وَخَفَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَلِيَّتِكَ، فَلَقَدْ حُيِّ مِنْكَ بِمَلِكٍ
أَمْضَى مِنَ السَّهْمِ الْمُسَدَّدِ^(٢)، طَوِيلِ نَجَادِ السَّيْفِ رَحْبِ
الْمُقْلَدِ^(٣)، يَتَقَدَّمُ حَيْثُ يَتَأَخَّرُ الذَّالِبُ^(٤)، وَيَتَكَرَّمُ إِذَا
بَجَلَ الْوَالِبُ^(٥)، وَيَحْمِي الْحِمَى كَرِيْعَةَ بَنِي مُكْدَمٍ^(٦)،
وَيَسْقِي الطُّبَا نَجِيْعًا كُلُّوْبِ الْعَنْدَمِ^(٧)، فَهَيْنًا لِلْأَنْدَاسِ فَقَدْ
أَسْتَرَدَّتْ عَهْدَ خُلَفَائِهَا . وَأُسْتَجَدَّتْ رُسُومَ تِلْكَ الْإِمَامَةِ
بَعْدَ عَفَائِهَا^(٨)، فَكَأَنَّمَا لَمْ تَمُتْ أَعَاصِرُهَا، وَلَمْ يَمُتْ حَاكِمُهَا

- (١) في بعض النسخ « للآزمن » (٢) سدد السهم الى الرمي وجهه وصوبه
(٣) هذه الفقرة شطر بيت ، والمقلد موضع نجاد السيف على النكبين
(٤) الرمح (٥) الطر الغزير النهر (٦) فارس جاهلي مشهور وهور وهور بيرة
ابن مكدم بن حدنان بن جذيمة بن علقمة بن فراس من بني كنانة، والحمى
ماحمى من الشيء ومنع « يحمى الحمى كربيعة بن مكدم » شطر بيت وثر
الشعر وتضمن الابيات وأشطرها في رسائل ذلك العصر كان شائعا (٧) صبغ
أحمر يسمى دم الاخوين كان يتخذ من قشر بعض الشجر الأحمر ودم
الغزال (٨) زوال أثرها ومحوها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَا نَاصِرُهَا ، الَّذِينَ عَمَرُوا الرُّصَافَةَ وَالزَّهْرَا ، وَنَكَحَا
عَقَائِلَ الرُّومِ ^(١) وَمَا بَدَلَا غَيْرَ الْمَشْرِفِيَّةِ ^(٢) مَهْرًا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
أَسْأَلُهُ إِظْهَارَ أَيَّامِكَ ، وَبِهِ أَرْجُو أُنتِشَارَ أَعْلَامِكَ ، حَتَّى
يَكُونَ عَصْرُكَ أَجْمَلَ مِنْ عَصْرِهِمْ ، وَنَصْرُكَ أَغْرَبَ مِنْ
نَصْرِهِمْ ، بِمَنَّةٍ ، وَكَرَمِهِ وَيُمْنِهِ .

* *

« وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَرْجُمَةِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي
الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَطِيَّةٍ ^(٣) صَاحِبِ

ترجمة الفقيه
الحافظ عبد الحق
ابن عطية

(١) أصل العقيلة الكريمة من النساء المخدرة النفيسة ، ثم استعمل في
الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني ، يريد هنا بالعائلة المدن والمعاقل
والحصون ، وشبهها بالعرانس - ومن هذا قول الشاعر ابن خطيب سوسة
مهنتا تيم بن العزيز فتح مدينة قابس سنة ٤٨٩ :

ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت بمحمد سيفك قابسا
أنكحتنا عندها ما أمهرتها الأفنى وقواضا وفوارسا
من كان بالبعض القواضب خاطبا كانت له بيض الثغور عرائسا

(٢) السيوف الشرفية نسبة الى مشارف الشام قرى من أرض العرب
تدنو من الريف ، أو هي من أرض اليمن ، وللمشارف كل قرية بين بلاد
الريف وجزيرة العرب لانهما أشرفت على السواد ، ويقال لها أيضا الزارع
وقال أبو عبيدة : سيف البحر شطه ، وما كان عليه من الدن يقال لها المشارف
تنسب اليها السيوف الشرفية (٣) تقلم القول في بني عطية وترجمة الامام

التفسير الشهير ، بعد كلام كثير ، مآصورتُهُ : وَمَرَرْنَا فِي
إِحْدَى زُهُتِنَا بِمَكَانٍ مُقْفِرٍ ، وَعَنْ الْمَحَاسِنِ مُسْفِرٍ ،
وَفِيهِ بِكَبِيرُ نَرْجِسٍ كَأَنَّهُ عُيُونُ مِرَاضٍ ، يَسِيلُ وَسَطُهُ
مَاءً رَضْرَاضٌ ^(١) بِحَيْثُ لَاحِسٌ إِلَّا لِلْهَامِ ^(٢) وَلَا أَنْسَ
إِلَّا مَا تَعَرَّضُ لِلْأَوْهَامِ ، فَقَالَ :

نَرْجِسٌ بَاكَرْتُ مِنْهُ رَوْضَةً

لَدَّ قَطْعُ الدَّهْرِ فِيهَا وَعَذْبُ

حَثِّ الرِّيحِ بِهَا خَمَرٌ حَيًّا ^(٣)

رَقَصَ التَّنْبُتُ لَهَا ثُمَّ شَرِبَ

فَعَدَا يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ نَوْرُهُ الْغَضُّ وَيَهْتَرُ طَرْبُ

خَلَّتْ لَمَعُ الشَّمْسِ فِي مَشْرِيقِهِ لَهَا يَحْمَدُ مِنْهُ فِي لَهَبٍ ^(٤)

عبد الحق بن عطية التوفي بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ هـ (١) ماء رضراض أى
مطر د يترقق ، وماء رضراض « بالاضافة » أى يجرى على الرضراض
وهو صغار الحصى ومادق منها يجرى عليه الماء . والرضراض القطر من المطر
الصغار (٢) الهامة طائر من طير الليل صغير يألف للمقابر ، قيل هو الصدى أو
هو البومة (٣) غيث (٤) يروى صدر البيت : خلت لمع الشمس فى حافاته
وعجزه فى القلائد : لها يحمله منه لهب . « أحمد يوسف نجاشى »

وَيَبَاحِثَ الْاَاطِلِّ فِي صُفْرَتِهِ
تُقَطُّ الْفِضَّةُ فِي خَطِّ الدَّهَبِ
أُنْتَهَى .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَثِيرٌ مِنْ وَصْفِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ وَمُتَنَزَّهَاتِهَا وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ
فِي كَلَامٍ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ،
وْخُصُوصًا أَدِيبَ زَمَانِهِ غَيْرِ مُدَافِعٍ ، مَنْ اعْتَرَفَ لَهُ أَهْلُ
الشَّرْقِ ، بِالسَّبْقِ ، وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ ، بِالْإِبْدَاعِ الْمَغْرِبِ ،
النُّورُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنَسِيُّ (١) فَإِنَّهُ لَمَّا اتَّصَلَ
بِمِصْرَ وَدَخَلَهَا اشْتَقَى إِلَى تِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الرَّائِقَةِ ،
وَوَصَفَهَا بِالنِّصَائِدِ وَالْمَقْطُوعَاتِ الْفَائِقَةِ . وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَيْضًا
فِيمَا مَرَّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَحَاسِنِ
الْأَنْدَلُسِ ، فَلْيُرَاجَعْ فِي مَحَلِّهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

قُلْتُ: وَمَا ذَاعَ أَنْ نَذْكُرَ مِنْ مَحَاسِنِ قُرْطُبَةٍ وَالزَّاهِرَةِ
وَالزَّهْرَاءِ وَنُصِيفَ مَحَاسِنِ الْأَنْدَلُسِ الَّتِي تُبَصِّرُ بِكُلِّ مَوْضِعٍ

(١) سبقت ترجمته ويأتي له حديث طويل « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهَا ظَلًّا صَافِيًا^(١) وَنَهْرًا صَافِيًا وَزَهْرًا ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ تَعَالَى
أَدِيْبَهَا الْمَشْهُورَ ، الَّذِي اعْتَرَفَ لَهُ بِالسَّبْقِ الْخَاصَّةِ وَالْجُمْهُورِ ،
أَبَا اسْحَقَ بْنَ خَفَاجَةَ إِذْ قَالَ :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِلَّهِ دَرْكُمْ
مَاءَ وَظِلِّ وَأَنْهَارُ وَأَشْجَارُ

مَاجَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ اخْتَارُ

لَا تَخْتَشُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَدْخُلُوا سَفْرًا^(٢)

فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وَيُرْوَى مَكَانَ قَوْلِهِ « وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ اخْتَارُ »
مِثَالُهُ « وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيَّرْتُ اخْتَارُ » وَمَكَانَ لَا تَخْتَشُوا ،
لَا تَحْسَبُوا ، وَكَذَا رَأَيْتُ بِحِطِّ الْخَافِظِ التَّنْسِي^(٣)

(١) امتدا وارفا وسابفا كثيرا (٢) فيروى صدراليت : لا تحسبوا في غد أن
تدخلوا اسقرا (٣) نسبة الى نفس قرية بساحل افريقية بينها وبين البحر ميلان
وكانت آخر افريقية مما يلي الغرب من أعمال تلمسان ، بينها وبين وهران
٨ مراحل ، منها جمال الدين محمد بن محمد التنسي - ويقال سبط التنسي - محدث
اسكندري ، كان له نسل منهم جماعة فضلاء آخرهم كان قاضي المالكية بمصر

وَالْأَوَّلُ رَأَيْتُهُ بِخَطِّ الْعَلَّامَةِ الْوَانْشَرِيَّيْنِ^(١) - رَحِمَهُمَا اللَّهُ
تَعَالَى - وَحِكْيَ أَنْ أَلْخَلِيلٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ رَسُولًا
إِلَى سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ أَبِي عِثَانَ^(٢) فَارِسِ بْنِ السُّلْطَانِ
أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ أَنْشَدَ بِمُحَضَّرَةِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ

ناصر الدين أحمد بن التنسي. ومن أسلافهم أبو عبد الله محمد بن المعز التنسي ،
ومحمد بن عبد الله التنسي من القرن التاسع ، وفي الأصل «الشمسي» بدل
«التنسي» التي في بعض النسخ «الشمسي نسبة الى شمن مزرعة ظاهر
قسنطينة أو اسم قبيلة من العرب ينزلون هناك ، منها الفقيه شرف الدين
محمد بن خلف الشمسي القسنطيني ، وكان من المتصدرين بجامع عمرو
لافراء مذهب الامام الشافعي ، وحفيده كمال الدين محمد بن محسن
من أخذ عن الحافظ ابن حجر ، توفي سنة ٨٢١ وولده تقي الدين أحمد
ولد سنة ٨٠١ روى عن والده وعن ابن حجر وغيرهما وله مصنفات مديحة
«أحمد يوسف نجاتي» (١) أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريسي ، أصله
من تلمسان واستوطن مدينة فاس ، وله تأليف حسان في التاريخ والفقه
وغيرهما ، وتوفي سنة ٩١٤ وابنه الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد توفي
سنة ٩٥٥ وهو منسوب الى وانشريش جبل بين ملبانة وتلمسان من نواحي
المغرب ، وينسب اليه أيضا محمد بن عبد الله الوانشريسي الذي أعان محمد
ابن تومرت على أمره يوم قام بدعوة عبد المؤمن بن علي (٢) هو السلطان
المتوكل على الله أبو عثمان فارس بن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان
ابن يعقوب بن عبد الحق المريني ، قام بالأمر بعد وفاة والده سنة ٧٥٢
وتوفي سنة ٧٥٩ وكان مولده في ١٢ ربيع الأول سنة ٧٢٩ وأمه رومية
اسمها شمس الضحى . «أحمد يوسف نجاتي» .

أَيَّاتَ ابْنِ خَفَاجَةَ هَذِهِ كَالْمُفْتَخِرِ بِيَلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فَقَالَ
السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ : كَذَبَ هَذَا الشَّاعِرُ « يُشِيرُ إِلَى كَوْنِهِ
جَعَلَهَا جَنَّةَ الْخُلْدِ ، وَأَنَّهُ لَوْ خَيْرٌ لَاخْتَارَهَا عَلَى مَا فِي الْآخِرَةِ »
وَهَذَا خُرُوجٌ مِنْ رِبْقَةٍ ^(١) الدِّينِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنَ الْكَذِبِ
وَالْإِغْرَاقِ ، وَإِنْ جَرَتْ عَادَةُ الشُّعْرَاءِ بِذَلِكَ الْإِطْلَاقِ ،
فَقَالَ الْخَلِيلِيُّ ^(٢) : يَأْمُو لَا تَابِلَ صَدَقَ الشَّاعِرُ لِأَنَّهَا مَوْطِنُ جِهَادٍ ،
وَمُقَارَعَةِ لِلْعُدُوِّ وَجِلَادٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الرَّءُوفُ
الْوَدُودُ الرَّحِيمُ الْعَطُوفُ- يَقُولُ : « أَلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ
السُّيُوفِ » فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَرَفَعَ عَنْ
قَائِلِ الْأَيَّاتِ الْمَلَامَ ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ ، وَرَفَعَ مَنَزِلَتَهُ ،

(١) الرِّبْقَةُ فِي الْأَصْلِ : عُرْوَةٌ مِنْ عَمْدَةٍ عَرَا فِي حَبْلِ تَشَدُّ بِهِ الْبَهْمُ الصَّغِيرُ
مِنْ أَيْدِيهَا لِثَلَا تَرْضَعُ ، وَيَسْتَعَارُ لِمَا يَقْبِدُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ شَرِّعٍ أَوْ
قَانُونٍ ، وَيُرْوَى عَنْ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مِنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدُ شَبْرٍ فَقَدْ
خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » فَاسْتَعَارَ الرِّبْقَةَ لِلْإِسْلَامِ لِمَا يَشُدُّ بِهِ السَّلَامُ
نَفْسَهُ مِنْ عَرَا الدِّينِ ، وَلِحُدُودِهِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عَنْدهَا وَلَا يَتَعَدَّهَا .
فَلَيْسَ كَهَيْدِ الدَّارِ يَأْمُ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلِ
وَلَوْلَا تِلْكَ الْحُدُودُ لَكَانَ الْإِنْسَانُ كَالِدَابَةِ الْمُرْسَلَةِ وَالْبَهِيمَةِ الْمَهْمَلَةِ .
« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاقِي » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « الْخَلِيلُ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا فِي بَعْضِ الرَّاجِعِ

وَلَمَعَرِي إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ ، لَجَدِيرٌ بِالصَّوَابِ ، وَمَكَدَا
يَبْنِي أَنْ تَكُونَ رُسُلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِفْتَانِ ، رَوْحَ اللَّهِ
تَعَالَى أَرْوَاحَ الْجَمِيعِ فِي الْجِنَانِ .

وَأَبُو إِسْحَقَ بْنُ خَفَاجَةَ^(١) كَانَ أَوْحَدَ النَّاسِ فِي
وَصْفِ الْأَنْهَارِ ، وَالْأَزْهَارِ ، وَالرِّيَاضِ ، وَالْحَيَاضِ ، وَالرِّيَاحِينَ ،
وَالْبَسَاتِينَ . وَقَدْ سَبَقَ بَعْضُ كَلَامِهِ ، وَيَأْتِي أَيْضًا مِنْهُ
بَعْضٌ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

تفوق أبي إسحاق
ابن خفاجة في
الوصف

وَكِمَامَةٍ^(٢) حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا

عَنْ صَفْحَةٍ تَنْدَى مِنَ الْأَزْهَارِ

فِي أَبْطَحِ رَضَعَتْ ثُغُورُ أَقَاحِهِ

أَخْلَافَ كُلِّ غَمَامَةٍ مِدْرَارِ

(١) ولد ابن خفاجة بجزيرة شقري من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بشرق
الأندلس ، ولم يتعرض لاستباحة ملوك طوائفها مع تهاقهم على أهل الأدب
وتوفي سنة ٥٣٣ هـ (٢) الكمامة : غطاء النور ، وحدها حصرها وكشفها ،
والأخلاف جمع خلف وهو الضرع ، أو حلته ، ومدرار أى كثيرة الدر
أى اللبن ، أو من در اذا جرى وسال كثيرا ، ودرت السماء بالمطر اذا
كثر مطرها فهى مدرار ، وكذا سحابة مدرار . « أحمد يوسف نجاتي »

نَثَرْتُ بِحَجَرِ الْأَرْضِ ^(١) فِيهِ يَدُ الصَّبَا
 دُرَّرَ النَّدَى وَدَرَاهِمُ النُّوَارِ
 وَقَدْ أَرْتَدَى غُصْنُ النِّقَا، وَتَقَلَّدَتْ
 حُلَى أَلْحَابِ سَوَالِفِ الْأَنْهَارِ ^(٢)
 فَحَلَلْتُ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةً صَاحِكِ .
 جَذِلٌ، وَحَيْثُ الشَّطْبُ بَدَأَ عِذَارِ ^(٣)
 وَالرَّيْحُ تَنْفُضُ بُكْرَةً لِمَ الرُّبَا
 وَالطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ ^(٤)
 مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مُحَاسِنِ
 مِنْ رَدْفِ رَايِسَةٍ وَخَصْرِ قَرَارِ
 وَأَرَاكَةَ سَجَعَ الْهَدِيلِ بِفَرْعِهَا
 وَالصَّبِيحُ يُسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ ^(٥)

(١) في الديوان « الروض » (٢) ارتدى لبس الرداء واكتسى ، والنقا
 الكتيب من الرمل ، والسوالف جمع سالفة وهي مقدم العنق (٣) يصف
 الماء بالصفاء والشاطىء بالحضرة (٤) الملة في الأصل: الشعر المجاوز شحمة
 الأذن، سميت لمة لانتهائهم بالنسكبين، ونضحه اذا رشه (٥) الأراك شجر
 معروف يستاك بفروعه له حمل كمنافيد العنب ، وسجع: غنى وغرد ،
 والهديل ذكر الحمام ، أوفرخه ، والهديل أيضا صوته «أحمد يوسف نجاتي»

هَزَّتْ لَهُ أَغْطَافَهَا ، وَلَرُبَّمَا
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةَ الْأَنْوَارِ
وَقَوْلُهُ

سَقِيًّا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْتُ بِسَرَحَةٍ
رَبًّا تَلَاعِبُهَا الرِّيحُ فَتَلْعَبُ^(١)
سَكْرَى ، يُغْنِيهَا الْحَمَامُ فَتَنْشِي
طَرَبًا ، وَيَسْقِيهَا الْغَمَامُ فَتَشْرَبُ
يَلْهُو^(٢) فَتَرْفَعُ لِلشَّيْبَةِ رَايَةً

فِيهِ ، وَيَطْلُعُ لِلْبَهَارَةِ كَوْكَبُ
وَالرَّوْضُ وَجْهَ أَزْهَرٍ ، وَالظِّلُّ فَرْ
عٌ أَسْوَدٌ ، وَالْمَاءُ تَفَرُّهُ أَشْنَبُ^(٣)
فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً
فَشَدَا يُغْنِيْنَا الْحَمَامُ الْمُطْرَبُ

(١) السرحة: الشجرة الكبيرة العظيمة يستظل فيها ، أو السرح كل شجر لا
شوك فيه ، والسرحة دوحة محلال واسعة يحل تحتها الناس في الصيف
وينون تحتها البيوت وظلها صالح (٢) قد تكون « نلهو » (٣) أزهر:
مشرق وضئى ، والفرع الشعر التام ، والشنب: ماء ورقة تجرى على النغم مع
برد وعذوبة في الفم . « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَهْتَزَّ عِطْفُ الْفُضْنِ مِنْ طَرَبٍ بِنَا
وَأَفْتَرَّ عَنْ ثَعْرِ الْهَلَالِ الْمَغْرِبُ
فَكَانَتْهُ وَالْحُسْنُ مُقْتَرِبٌ بِهِ
طَوْقٌ عَلَى بُرْدِ النَّمَامَةِ مُذْهَبُ
فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدِعُ الدُّجَى
عَنْهَا، وَتَنْزِلُ بِالْجَدِيدِ فَيُخْصِبُ^(١)
كُرُمُوا فَلَا غَيْثُ السَّمَاحَةِ مُخْلِفُ
يَوْمًا، وَلَا بَرْقُ اللَّطَافَةِ خُلْبُ^(٢)
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لِلنَّعِيمِ بَوَاجِهِ
مَاءٌ يُرْقِرُهُ الشَّبَابُ فَيَسْكَبُ^(٣)

* *

مدح أبي إسحاق
للأمير أبي يحيى

وَقَالَ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ أَبَا يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ :

(١) انصدع أى انشق وانجلى ظلمته ، وانصدع الصبح اذا انشق عنه الليل
والصديع الصبح لانه يصدع الليل أى يشقه (٢) برق خلب لاغيث معه
كانه خادع خلاب ، يومض حتى تطمع بظلمته ، ثم يخلفك عدته (٣) يرققه
أى يحركه ويجريه ، وترقق الماء اذا تحرك وجاء وزهد ، وترقق الشيء
اذا لمع ، والرقرة: المرأة التى كأن الماء يجرى فى وجهها نضرة ونعمة وصبا
ورفاهية « أحمد يوسف نجاشى »

سَمَحَ الْخَيَالُ عَلَى النَّوَى بِمَزَارِ
وَالضُّبْحُ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
فَرَفَعْتُ مِنْ نَارِي لِضَيْفِ طَارِقِ .
يَمْشُوا إِنِّهَا مِنْ خَيَالِ طَارِي^(١)
رَكِبَ الدُّجَى أَحْسَنَ بَهَامِينَ مَرْكَبِ
وَطَوَى الشَّرَى أَحْسَنَ بِهِ مِنْ سَارِي^(٢)
وَأَنَاحَ حَيْثُ دُمُوعُ عَيْنِي مَنَهْلُ
يُرْوَى ، وَحَيْثُ حَشَايَ مَوْقِدِ نَارِ
وَسَقَى فَأَرْوَى غُلَّةً مِنْ نَاهِلِ
أُورَى بِجَانِحَتَيْهِ زَنْدُ أَوَارِ^(٣)

- (١) عشا النار وعشا إليها إذا رآها ليلا من بعيد فقصدتها مستضيئا بها، يرجو بهاهدي وخيرا أو اصطلاه وقرى (٢) أظن «أحسن» في صدر البيت مصحفة عن «أخشن» كما في قول أبي تمام :
أَعَاذَتْنِي مَا أَخْشَنَ اللَّيْلُ مَرْكَبَا وَأَخْشَنَ مِنْهُ فِي اللَّعَاتِ رَاكِبُهُ
دَعَيْنِي وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ أَقَاسُهَا فَأَهْوَالُهُ الْعَظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ
الا إذا أراد بكون الدجا أحسن مركب أن خيال محبوبه زاره فيها ، وأن لها يدا في ستر الزائر من الحب والمحبوب كما قال أبو الطيب :
وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تَخْبِرُ أَنَّ لِلْمَانُوِيَةِ تَكْذِيبَ
وَقَالَ كَرْدِي الْأَعْدَاءُ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذَوَالِدَالِ الْمَحْجَبِ
(٣) الغلة: شدة العطش وحرارته. والناهل العطشان، قال النابغة :

خَلَعَ الْهَوَى ثَوْبًا عَلَيْهِ مِنَ الضَّنَى
 قَدْ شَفَّ عَنْهُ فَهَوَ كَاسٍ عَارِي
 يَلْوِي الضَّلُوعَ مِنَ الْوُلُوعِ لِيَخْطِرَةَ
 مِنْ شَيْمٍ بَرَقَ أَوْ شَيْمٍ عَرَارٍ^(١)
 وَاللَّيْلُ قَدْ نَضَحَ أَنْتَدَى سِرْبَالَهُ
 فَاتَّهَلَ دَمْعُ الْطَّلِّ فَوْقَ صِدَارٍ^(٢)

الطاعن الطعنة يوم الوغى ينهل منها الأسفل الناهل
 والنهل أول الشرب ، والثاني العلل ، ونهلت الابل « كفرح » شربت
 في أول الورد ، والأوار: حرارة العطش ، مجاز عن الأوارحر النار ووهجها .
 والجوانح الضلع ، والجوانح أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع
 مما يلي الظهر ، أو الضلوع القصار التي في مقدم الصدر ، سميت بذلك لجنوحها
 على القلب ، وأورى الزند استوقده : لاستخراج ناره « أحمد يوسف نجاتي »
 (١) ولع به ولما ، ولولوعافهو ولوع أى لج فيه وأغرى به ، وشام البرق اذا نظر
 اليه أين يقصد وأين يخطر ، والعرار بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وهو
 النرجس البرى ، وللصمة بن عبد الله الفشيري من أبيات :

تمتع من شهيم عرار نجد فما بمد العشية من عرار

(٢) نضح رش . والسربال القميص ، وانهل انصب ، والطلل المطر الضعيف
 والندى ، والصدار فى الأصل ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى ، كانت نساء
 الأعراب تلبسه ، وكانت الشكلى اذا فقدت حميمها فأحدث عليه لبست
 صدارا من صوف ، ويقال لما يلي الصدر من الدرع صدار ، أو هو قميص
 صغير يلى الجسد ، وفى المثل : كل ذات صدار خالة : أى من حق الرجل أن

مُتَرَقِّبُ رُسُلِ الرِّيحِ عَشِيَّةً
 بِمَسَافِطِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَنْوَارِ^(١)
 وَحَجَرٌ ذِيلِ غَمَامَةٍ لَبِسَتْ بِهِ
 وَشَى الْخُبَابِ مَعَاطِفُ الْأَنْهَارِ
 خَفَقَتْ ظِلَالُ الْأَيْكِ فِيهِ ذَوَائِبًا
 وَأَرْجَحَ رِدْفًا مَائِجٍ^(٢) الْتِيَارِ
 وَلَوَى الْقَضِيبُ هُنَاكَ جِيدًا أَتْلَعَا^(٣)
 قَدْ قَبَّلَتْهُ مَبَاسِمُ النُّوَارِ
 بَاكِرَتُهُ وَالْغَيْمُ قِطْعَةً عَنَبَرٍ
 مَشْبُوبَةٌ ، وَالْبَرْقُ لَفْحَةٌ نَارٍ^(٤)

يفار على كل امرأة كما يفار على حرمه (١) الأنواء جمع نوء ، وهو في الأصل النجم اذا مال للغيب ، ولا يكون نوء حتى يكون معه مطر ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الأنواء ، وقد يسمى المطر نوءا مجازا (٢) في الأصل « مائل » والتيار موج البحر ولجته تسيل وتضطرب (٣) التلع طول العنق وفعله « كفرح وكرم » وجيد أطلع وتلعب : طويل قال الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيب د تلعب تزينه الأطواق

(٤) مشبوبة: موقدة ملتهبة تتأرجح رائحتها وتوهج ، وافحة النار: وهجها

وَالرَّيْحُ تَلْطِمُ^(١) فِيهِ أُرْدَافَ الرُّبَا
لِعِبَا، وَتَلْتِمُ أَوْجُهُ الْأَزْهَارِ
وَمَنَابِرُ الْأَشْجَارِ قَدْ قَامَتْ بِهَا
خُطْبَاءُ مُفْصِحَةٍ مِنْ الْأَطْيَارِ
فِي فِتْنَةٍ جَنَّبُوا الْمَجَاجَةَ لَيْلَةً
وَلَرُبَّمَا سَفَرُوا عَنِ الْأَقْمَارِ^(٢)
ثَارَ الْقَتَامُ بِهِمْ دُخَانًا، وَأَرْتَمَى
زَنْدُ الْخَفِيفَةِ مِنْهُمْ بِشَرَارِ^(٣)
شَاهَدَتْ مِنْ هَيْبَاتِهِمْ^(٤) وَهَبَاتِهِمْ
إِشْرَافَ أَطْوَادٍ وَفَيْضَ بَحَارِ

(١) في الأصل « تطلع » (٢) يصفهم بالشجاعة والجمال ، والمعجاجة الغبار
يريد غبار الحرب (٣) القتام: الغبار . والخفيفة الحمية والنضب لحرمة تنتهك
من حرمان الرء أو جار ذى قرابة يظلم من ذويه ، أو عهد ينكث أو نحو
ذلك (٤) في الأصل « من هيباتهم » وروى « هيباتهم » و « هباتهم »
و « همتهم » ففي البيت لف ونشر مرتب ، فأشراف الأطواد في عجزه يعود
الى الأول من صفتهم في صدره ، والمألوف في التشبيه بالأطواد « الجبال »
إذا قصد الحلم أو الرزاة والوقار والثبات فيناسب ذلك « هيباتهم » أو القوة
والصلابة والمتانة واحكام الخلق وشدة الأثر ، ويناسب ذلك « هباتهم »
أو « هيباتهم » . - أحمد يوسف نجاتي -

مِنْ كُلِّ مُنْتَقِبٍ بِوَرْدَةٍ خَجَلَةٍ
 كَرَمًا، وَمُشْتَمِلٍ بِشَوْبٍ وَقَارٍ
 فِي عِمَّةٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ لِلْمَةِ
 وَذَوَابَةٍ قُرِنَتْ بِهَا لِعِذَارِ
 ضَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ، طَمَّاحِ الْعُلَا
 طَائِي عُبَابِ الْجُودِ، رَحْبِ الدَّارِ^(١)
 جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَّا
 حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحَمَى وَالْجَارِ^(٢)
 طَرَدِ الْقَنْيَصِ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ
 زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورِدِ الْأُظْفَارِ^(٣)

(١) العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، أو اللوج (٢) الحقيقة كل ما يحق على المرء أن يحميه ويذود عنه ويجب عليه حفظه ومنعه ، قال عامر بن الطفيل :

لقد علمت عليا هوازن أنني أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر
 جعفر هنا القبيلة ، وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
 «أحمد يوسف نجاشي» (٣) يصف خروجهم الى القنص بالبراة وجوارح
 الطيور العلة كما كان عادة الملوك. والطرود: مزاولة الصيد، وطرود الكلاب
 الصيد طردا : نخته وراهقته « والطرودة : ما طرد من الصيد ، ويحسن
 قراءة «طرود القنص» بجمل طرد اسما ، واطافة القنص اليه للمبالغة ومشاكاة

مُتَفَتِّةٌ أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ
مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهُ بِنُضَارٍ^(١)
يُرْمَى بِهِ الْأَمْلُ الْقَصِيُّ فَيَنْثِي
مَخْضُوبَ رَأْيِ الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ^(٢)

« قيد الاوابد » والقنيص والقنص الصيد للقنوص أى الصيد ، وقيد الطريدة كناية عن البازى القوى السريع يقيد الطريدة لسرعة ادراكها ولحاقه اياها ، جعله قيدا لما لائه سبقها فكأنه قيدها . وأقدم من سبق الى هذا الوصف امرؤ القيس فى قوله :

وقد أغندى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلا
والزجل الصوت والجلبة والصوت الرفيع العالى ، وزجل الجناح كناية عن السرعة والقوة ، ومورد الاظفار : أحمرها لما يصبغها من دماء الفرائس (١) الحبرة ضرب من برود اليمن ، والحبير البود اللوشى ذو الخطوط ، وقد تكون « بحيرة » مصغر حبرة ، ومادة « ح ب ر » تفيد معنى الحسن والبهاء والنقش والوشى ، ويقولون : لبس حبير الجبور ، واستوى على سرير السرور - والنضار : الذهب . وأحسن أنواع البزاة ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشئ :

لو استضاء المرء فى ادلاجه بعينه كفته عن سراجهِ
ومن أنواع الصقور مايسمى باليؤيؤ ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران قصير الذنب ، وفيه يقول الناشئ أيضا :

ويؤيؤ مهذب رشيق كأن عينيه لدى التحقيق

* فسان مخروطان من عقيق *

(٢) راه . اما من الرؤية ، واما أنه يشبه ظفره ومتقاربه بحرف « الراء » لانهما معقوفان منحنيان ، وفيه خيال بديع أن شبه مسمى الظفر والنتقار بطرفى اسميهما ، وقد شبه ابن المعتز المنقار برأس حرف الجيم

وَبِكُلِّ نَأْيٍ الشَّوْطِ أَشْدَقَ أَخْزَرَ

طَاوَى الْحَشَى حَالِي الْمُقْلَدِ ضَارِي^(١)

يَفْتَرُ عَنْ مِثْلِ النَّصَالِ ، وَإِنَّمَا

يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَارِ^(٢)

مُسْتَقَرِّيًّا أَثَرَ الْقَنِصِ عَلَى الصَّفَا

وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِشَمْلَةِ قَارِ^(٣)

(١) يصف كلاب الصيد المضرة - وأشدق أى واسع الشدق ، وأخزر من الحزر وهو ضيق العين وصفرها ، أو هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين . وفى الديوان « أصدر » وهو العظيم الصدر ، وهو أحسن مما هنا . والطاوى الضامر ، والمقلد موضع القلادة ، والضارى للعود الافتراس المفرى به (٢) يصف حدة أنيابه ويشبها بالنصال كما قال أبو نواس :
كأثما الاظفور فى قرابه موسى صناع رد فى قرابه

وله من أرجوزة أخرى

يطير فى الجد بلا جناح يفتزعن مثل شبا الرماح

وكان أبو نواس من أوصف الشعراء لـ كلاب الصيد وجوارحه ، فقد لعب بالكلاب زماناً ، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب ، وترى كثيراً من نبتها فى شعره - ولا سيما فى أرجيزه - مع جودة الطبع وحسن السبك والحنق بالصنعة « أحمد يوسف نجاشى » (٣) مستقرياً متتبعا . والصفة : الحجر الصلد الأملس الضخم الذى لا ينبت ، وجمعه صنى وأصفاء وصنى ، ويصفى عجز البيت شدة ظلام الليل ، والقار الزفت . والبيت يدل على شدة معرفة الكلب بأثر الصيد حتى فى صم الحجارة لتعوده ذلك ، ويدل على حدة نظره

مِنْ كُلِّ مُسَوَّدٍ تَلَهَّبُ طَرْفَهُ
 تَرْمِيكَ فَحَمَّتُهُ بِشُعْلَةٍ نَارٍ^(١)
 وَمُورَسٍ^(٢) السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قَيْدُهُ
 عَنْ نَجْمٍ رَجَمَ فِي سَمَاءِ غُبَارٍ
 يَسْتَتِرُ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
 قَدَمًا فَتَقَرَّأَ أَحْرَفَ الْأَثَارِ^(٣)

(١) في الديوان «تهديك» بدل «ترميك» يصف ألوان الكلاب ، فهو في هذا البيت يصف كلبا أسود قد احمرت عيناه وتوقدنا ، كما قال أبو نواس :
 كأن عينيه لدى ارتيابه فها عقيق قد تقابلا به
 (٢) يصف كلبا أصفر ، وخير الكلاب ما كان لونه يذهب الى ألوان الأسد من الصفرة والحمر ، ثم الأسود ، قال الجاحظ وكل شيء من الحيوان اذا اسود شعره أو جلده أو صوفه كان أقوى لبدنه - واللورس الأصفر كأنه مصبوغ باللورس ، وهو نبات أصفر يصبغ به ، وأصفر وارس أي شديد الصفرة ، وورسه اذا صبغه باللورس ، والسربال القميص ، وشبهه في عجز البيت بنجوم الرجم في سرعة الانقضاء والقضاء على ما يقع عليه ، وبسرعة العدو حتى يثير غبارا كالسما - وراعى المناسبة بين النجم والسما . وفي الأصل « نده » بدل « قيده » وفي بعض النسخ « قده » والغرض أنه متى فك من قيده أو متى أطلق نفسه وراء الصيد انقضض كالنجم مثبرا غبارا يعلأ الفضاء « أحمد يوسف نجاتي » (٣) يصف شدة وقعه على الأرض وتأثيره فيها بأظافره ، واستن اذا جرى يعدو في غاية النشاط وسار على سنته في جهة واحدة. وعفا اذا محى أثره ودرس

عَطَفَ الضُّمُورُ سَرَاتَهُ فَكَانَهُ

وَالنَّقْعُ يَحْجِبُهُ هِلَالُ سِرَارِ^(١)

وَلَرُبَّ رَوَّاعٍ هُنَالِكَ أَنْبَطُ

ذَلِقِ الْمَسَامِعِ أَطْلَسِ الْأَطْمَارِ^(٢)

يَجْزَى عَلَى حَذَرٍ فَيُجْمَعُ بَسَطُهُ

يَهْوَى فَيَنْعَطِفُ أَنْعِطَافَ سِوَارِ^(٣)

مُتَمَدِّ حَبْلِ الشَّأْوِ ، يَعْسِلُ رَاتِقًا

فَيَكَادُ يَفْلِتُ أَيْدَى الْأَقْدَارِ^(٤)

(١) يصفه بالضمور ودقة الجسم وشدة الأمر ، وعطفه : خناه ،
والسراة الظهر ، والنقع الغبار ، والسرار : آخر ليلة في الشهر (٢) راغ
التعلب ونحوه اذا مال وحاد عن الشيء وانحرف في استخفاء ، وراغ
الصيد : ذهب هنا وهنا ، وفي التل « أروغ من تلعب » والأنبط ما كان ذا
بياض تحت ابطه و بطنه ، وربما عرض الأنبط حتى يفتش البطن والصدر ،
وذائق أى حاد . وفي الاصل « خلق » وخلق الشيء املأه ، والتلق أيضا
القلق . والاطلس ما كان في لونه غبرة الى السواد ، والاطمار جمع طمر
وهو الثوب الخلق والكساء البالى - ومن هنا أخذ يصف ما ترسل
الكلاب أو البزاة خلقه لصيده من تلعب أو ذئب أو طير ، ثم أحسن
التخلص من ذلك الى اللدح (٣) بين كيف يروغ وكيف ينقبض في
عدوه وينبسط (٤) الشأو : الغاية ، والامد ، والسبق ، وعسل التعلب أو الذئب
أو الفرس « كضرب » اذا اضطرب في عدوه وهز رأسه ، وفي الاصل
« راتقا » بدل « راتقا » « أحمد يوسف نجاشي »

مُتَرَدِّدًا يَرَى بِهِ خَوْفُ الرَّدَى
 كُرَّةً تَهَادَتْهَا أَكُفُّ قِفَارٍ^(١)
 وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى
 فَشِلًا بِجَارٍ^(٢) خَلْفَهُ طَيَّارٍ
 مِنْ كُلِّ قَاصِرَةٍ ائْخُطَى مُخْتَالَةٍ
 مَشَى الْفَتَاةَ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارٍ
 مَخْضُوبَةٍ الْبِنْقَارِ، تَحْسَبُ أَنَّهَا
 كَرَعَتْ عَلَى ظِلِّ بَكَّاسٍ عُقَارٍ
 لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا الْأَيَادِي خَشِيَّةً
 مِنْ لَيْلٍ وَبَلٍ أَوْ نَهَارٍ بَوَارٍ
 وَلَوْ اسْتَجَارَتْ مِنْهُمَا بِحِمَى أَبِي
 يَحْيَى لَأَمَّتَهَا أَعَزُّ جَوَارٍ

(١) تهادتها أى تناولتها كأنها هدية، وفي رواية «تهادها» أى تهادها. وقد وصف أبو نواس الثعلب وكيف أرسل وراء الكلب فصاده في أرجوزة حسنة في ديوانه أولها:

لما غدا الثعلب من وجاره يلتبس الكسب على صفاره

بما استعان به الشاعر هنا من المعاني والألفاظ «أحمد يوسف نجاني»

(٢) في الأصل «بشلا بحار» يقول ان هرب الطير لا ينفعها لأن خلفها جاريا أسرع منها «أحمد يوسف نجاني».

حَرَمٌ إِذَا اشْتَمَلَ الطَّرِيدُ بِظِلِّهِ
لَمْ يَخْشَ مِنْ جَوْرِ هُنَالِكَ جَارِي
خَدَمَ الْقَضَاءِ مُرَادُهُ، فَكَأَنَّمَا
مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعْنَةُ الْأَقْدَارِ
وَعَنَا^(١) الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
أَضْنَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
وَجَلَا الْإِمَارَةَ فِي رَفِيفِ^(٢) نَضَارَةٍ
جَلَّتِ الذُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
فِي حَيْثُ وَشَحَ لَبَّةٌ بِقِلَادَةٍ
مِنْهَا، وَحَلَى مِعْصَمًا بِسِوَارِ
جَذَلَانُ يَمَلَأُ مِئْخَةً وَبَشَاشَةً^(٣)
أَيْدِي الْعُقَاةِ وَأَعْيَنَ الزُّوَارِ
أَرْجَ النَّدَى بِذِكْرِهِ، فَكَأَنَّهُ
مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارِ

(١) عنا يعنو إذا خضع وأطاع (٢) في الأصل « رفيق » ولا بأس أن تكون « رفيق » ورف لونه رفيقا إذا برق وتلألأ . (٣) في الأصل « منحه وبشاشه » يصفه بأنه يهش للهش للعفاة ويشرق وجهه للزائرين . « أحمد يوسف نجاشي » .

بَطَلَ جَرَى^(١) أَلْفَلَكَ الْمُحِيطُ بِسَرِّهِ

وَأُسْتَلَّ صَارِمُهُ يَدُ الْمِقْدَارِ

يَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ

مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِنْصَارٍ^(٢)

وَالسَّمَرُ مُحَرَّرٌ ، وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ

وَالْجَوْ كَاسٍ ، وَالشُّيُوفُ عَوَارِي^(٣)

وَالْحَيْلُ نَعَثَرُ فِي شَبَا شَوْكِ الْقَنَا

قَصِيدًا ، وَتَسْبَحُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ^(٤)

(١) في الأصل « حوى » وفي بعض النسخ « سرى » ولا بأس بها
(٢) الأعصار الرمح التي فيها نار ، قال تعالى « فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت »
والعصر المطر من العصور « السحاب التي فيها المطر » والعصر « بالتحريك ،
لللجأ والمنجاة ، وجمعهما أعصار (٣) كان صدر البيت في الأصل والديوان
« والشمس خمر والجياذ عوابس » والسمر الرماح ، وحررتها من الدم ،
والبيت من قول الشاعر :

تبسمت والحيل العناق عوابس وأجبتها والحرب لم تتأجج
فما وطئت إلا على هام سيد ولا عثرت إلا برأس متوج
يصف الشاعر شدة الهول وقد شمرت الحرب عن ماقها « أحمد يوسف نجاشي »
(٤) الشبا جمع شبابة وهي طرف كل شيء حاد ، وفي الديوان « ونظال »
مكان « قصدا » وقصد العود اذا كسره ، وانقصد الرمح انكسر نصفين
حتى يبين ، وصارت الرماح قصدا أى قطعا ، والقصدة من كل شجرة
شائكة أن يظهر نباتها أول ما تنبت ، والقصدة القطعة مما يكسر ، وجمعه

وَالْيَيْضُ تُحْنَى فِي الطَّلَى ^(١) فَكَأَنَّمَا
تُلَوَّى عُرَى مِنْهَا عَلَى أَرْزَارِ
وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الصُّحَى
فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
صَحْبِ الْحَسَامِ النَّصْرُ صُحْبَةُ غِبْطَةِ
فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَّارِ ^(٢)
لَوْ أَنَّهُ أَوْمَى ^(٣) إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ
يَوْمًا لَنَارَ فَلَمْ يَنْمَ عَنْ نَارِ
وَمَضَى ^(٤) وَقَدْ مَلَكَتْهُ هَزَّةٌ عِزَّةٍ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَضِحْكَةُ أُسْتَبْشَارِ
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

قصد ، ورمح قصد وقصيد أى متكسر ، ومار الدم سال وجرى على
وجه الأرض ، والور للوج والاضطراب والجريان على وجه الأرض
والتحرك (١) الطلى الاعناق أو أصولها وصفحاتها ، جمع طلية أو طلاة ،
وفي الأصل « تجنى » مكان « تحنى » (٢) سورة السلطان : بطشه وسطوته ،
وسار الرجل : وثب وثار (٣) أو ماخفف من أوما أى أشار ، وفي بعض
النسخ « أوحى » يصف هيبة للمدوح وقوة بأسه ، وأن السيف يخضع
لاشارته ، ويعمل بنظرته ، ويتنصر بعزته وصولته « أحمد يوسف نجاشى »
(٤) فى الأصل « وقضى » وفى بعض النسخ « نخوة » مكان « عزة »

وَأَرَاكَ ضَرَبْتَ سَمَاءَ فَوْقَنَا
تَنَدَى، وَأَفْلَاكُ الْكُؤُوسِ تُدَارُ
حَفَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَجْرَّةُ جَدُولِ
نَثَرَتْ عَلَيْهِ نُجُومَهَا الْأَزْهَارُ
وَكَاثِبَهَا وَكَانَ جَدُولَ مَائِهَا
حَسَنَاءُ شَدَّ بِخَصْرِهَا زُنَارُ
زَفَّ الزُّجَاجُ بِهَا عَرُوسَ مُدَامَةٍ
تُجَلَّى، وَتَوَارَّ الْقُصُوفُ نِثَارُ
فِي رَوْضَةٍ جُنَحُ الدَّجَى ظِلٌّ بِهَا
وَتَجَسَّمَتْ نُورًا بِهَا الْأَنْوَارُ
غَنَاءُ يَنْشُرُ وَشْيَهُ الْبَزَّازُ لِي
فِيهَا، وَيَفْتِقُ مِسْكُهُ الْعَطَارُ^(١)
قَامَ الْغِنَاءُ بِهَا وَقَدْ نَضَحَ النَّدَى
وَجَهَ الثَّرَى وَأُسْتَيْقِظَ الثَّوَارُ

(١) البزاز: بائع البرأى الثياب ، وفتق للمسك اذا خلطه بغيره كالغبر اذا طيبه وخلطه بعود وغيره ، والعطار : بائع العطر «أحمد يوسف نجاتي»

وَالْمَاءِ مِنْ حَلِي الْحَبَابِ مُقَلَّدٌ

زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبَهَا الْأَشْجَارُ^(١)

وَقَالَ مُتْلِزِمًا مَا لَا يَلْزَمُ^(٢) :

(١) مقلد ذو قلائد وفي الأصل والديوان « الحياء » بدل « الحباب » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) لزوم مالا يلزم « ويسمى الالتزام والنضمين والتشديد والاعنات » هو من المحسنات البديعية اللفظية : وهو أن يأتي الشاعر في أبيات شعره بحرف يلتزمه قبل حرف الروى - أو في فواصل سجمه كذلك - أو أكثر من حرف مع عدم التكلف ، فابن عمار التزم في أبياته حرف الراء قبل حرف الروى « الحمزة » والالف اللازمة ، وهو أعا يحسن كغيره من المحسنات اللفظية إذا كان غير متكلف ، وكانت الألفاظ فيه تابعة للمعاني ، فان المعاني إذا تركت على سجيتهاء وأسلمها الشاعر البليغ إلى الطبع طلبت لا تسمى ألفاظا تليق بها وتجلى في معرضها ، فيحسن اللفظ والمعنى جميعا ، أما إذا جاءت الألفاظ متكلفه ، واقتسرت على أن تحل مواضع نافية بها تصنعاء وجاءت المعاني تابعة لها مرغمة على البروز فيها كان الكلام موه الظاهر ، مشوه الباطن ، كمن أثقل الفتاة التي لم ترزق حظا من الجمال بأنواع الحللى والحلل ، وأرهقها بكثرة الزينة والنقش ، فلم يفدها ذلك غناء ولم يكسبها جمالا ولا بهاء ، والله در ابن الرومى إذ يقول :

وما الحللى إلا زينة لنقيصة يتم من حسن إذا الحسن قصرا
ولكن إذا كان الجمال موفرا كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا
وما أحسن قول الآخر :

وإذا المر زان حسن وجوه كان للمر حسن وجهك زينا
ولا تبنى العلاء المعرى ديوان اللزوميات وهو مشهور ، ولم يخل فيه من تكلف
« أحمد يوسف نجاشي »

خُذْهَا إِلَيْكَ، وَإِنَّهَا لَنَظِيرَةٌ^(١)
 طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةُ النَّظَرَاءِ
 حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ بَهْجَةً مِنْ نَفْحَةٍ
 عَبَقُ الْعُرُوسِ وَخَجَلَةُ الْعَذَرَاءِ
 مِنْ كُلِّ وَارِسَةٍ الْقَمِيصِ كَأَنَّمَا
 نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرِيقَةِ الصَّفَرَاءِ
 نَجَمَتْ تَرَوْقُ بِهَا نُجُومٌ حَسْبُهَا^(٢)
 بِالْأَيْكَةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ خَضْرَاءِ
 وَأَتَتْكَ تُسْفِرُ عَنْ وُجُوهِ طَلْقَةٍ
 وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفٍ عَنِ الشَّفَرَاءِ^(٣)
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدَى، وَرُبَّمَا
 بَسَطَتْ هُنَالِكَ أَوَّجُهُ السَّرَاءِ^(٤)

(١) لعله يريد أن لها نظائر منه قد سبق أن مدح بها بمدوحه
 وسيلحقها بمثلا وشبهها في الحسن ، وليس مدحه إياه مقصورا على هذه
 وحسب ، وفي نسخة «نظيرة» وللعنى عليها أنظر وأظهر «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) في الأصل «حسنها» والخضراء الأخيرة «السماء» (٣) في الأصل
 «الشعراء» (٤) في الأصل «يندى بها وجه الندى ولربما» وفي بعض
 الروايات ، عجز البيت «بسطت هناك أسرة السراء» والأسرة جمع

فَاسْتَضَحَّكَتْ وَجْهَ الدَّجَى مَقْطُوعَةً

جَلَّتْ جَمَالَ الْغُرَّةِ النَّسْرَاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَصَدْرٍ نَادٍ نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَافِي عِقْدًا

فِي مَنَزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بُرْدًا

قَدْ طَنَّبَ الْمَجْدُ يَتَنَا فِيهِ ، وَعَرَّسَ وَفْدًا

تَذْكُوهُ الشَّهْبُ جَمْرًا وَيَعْبِقُ اللَّيْلُ نَدَا

وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرُ غَضْبٍ يُخَالِطُ وَرْدًا

كَمَا تَنْفَسُ^(١) ثَغْرُ عَذْبٍ يُقْبَلُ خَدَا

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ مُتَنَزِّهًا :

وصف منزله

يَا رَبُّ وَضَّاحِ الْجِبِينِ كَأَنَّمَا

رَسْمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتَيْهِ كِتَابُ

سرار ، وهو خط الوجه والجبهة ، ويجمع أسرة على أسارير . وفي حديث

عائشة رضى الله عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : تبرىق أسارير وجهه ،

وبسط الأسرة كناية عن السرور والبشر والطلاقة (١) ويروى « تبسم »

كما فى الديوان وهو أحسن . « أحمد يوسف نجاتى »

تَفَرَّى بِطَلْعَتِهِ أَلْعُيُونُ مَهَابَةً^(١)
وَتَبَيَّتْ تُعَشِّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
خُلِمَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ
تَنْدَى، وَمِنْ شَفَقِ الْمَسَاءِ^(٢) نِقَابُ
فَكَرَعَتْ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فِي مَنْهَلٍ
قَدْ شَفَّ عَنْهُ مِنَ الْقَمِيصِ سَرَابُ^(٣)
فِي حَيْثُ لِلرَّيْحِ الرِّخَاءُ تَنْفُسُ
أَرْجُ. وَلِلْمَاءِ الْفُرَاتِ عُبابُ^(٤)
وَلَرُبَّ غَضٍّ الْجِسْمِ مَرَّةً^(٥) بِمَحْوِضِهِ
سَبْحًا كَمَا شَقَّ السَّمَاءُ شِهَابُ

(١) كذا بالأصل والديوان وفي نسخة «ملاحة» (٢) في الأصل والديوان «السماء» (٣) شف عنه الثوب إذا تم على ماتحته، أو إذا قصر عنه، وشف الثوب يشف إذا رق فحكي ماتحته ورثي ماخلفه. وفي الديوان «شق» وفي موضع آخر منه يروى البيت هكذا :

ويعطفه للشيبه منهل قد شف عنه من القميص سراب
(٤) الرخاء الريح اللينة طيبة المهبوب، والفرات الشديد العذوبة القامع للعطش لشدة عذوبته، سعى بذلك لأنه يرفق العطش أى يسكنه ويكسر سوره، والعباب معطم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه للتلاطم
(٥) في الأصل «مد» وفي الديوان «مد بخوضه صيحا» وجسم

وَلَقَدْ أَنْخَتُ بِسَاطِئِهِ يَهْزِنِي
 طَرَبًا شَبَابٌ رَاقِيٌ وَشَرَابٌ
 وَعَبْرَتٌ^(١) دَجَلَتْهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
 مَرَحًا حَبِيبٌ شَاقِنِي وَحَبَابٌ
 تُجَلِّي مِنَ الدُّنْيَا عَرُوسٌ يَلِينَا
 حَسَنَاءُ تُرَشِّفُ وَالْمُدَامُ رُضَابٌ
 ثُمَّ أُرْتَحِلْتُ وَلِلنَّهَارِ ذُوَابَةٌ
 شَيْبَاءُ^(٢) تُخَضَّبُ وَالظَّلَامُ خَضَابٌ

غض أى ناعم رقيق ناضر (١) فى الأصل «وبكيت» وكذا بالديوان
 وفى موضع آخر منه «وركبت» وهى مثل «عبرت» (٢) قالوا
 هو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت إنما يكون من باب «فرح»
 وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان أو الخلى ، والأشيب المبيض
 الرأس ، وللمهم جعلوه وصفا من المصائب الخلقية كالأعمى والأعرج فعدوه
 من العيوب :

نعيب الغانيات على شيبى ومن لى أن أمتع بالمعيب

كفى الشيب عيبا أن صاحبه إذا أردت به وصفا له قلت أشيب
 وكان قياس الأصل لو قلت شائبا ولكنه فى جملة العيب يحسب
 ولكنهم لم يقولوا منه «شيباء» فلم يؤثروه على فعلاه بل أهملوه ولم يرد
 فى كلام من بعدهم ، اكتفوا «بالسمطاء» عن «الشيباء» ولكن ابن
 خفاجة استعمله . وقد تكون مصحفة عن «شهباء» وفى الأصل «والنهار

تَلَوِي مَعَاطِفِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
وَاللَّيْلِ دُونَ الْكَاشِحِينَ^(١) حِجَابُ
وَقَالَ :

مَرَّ بِنَا وَهُوَ بَدْرٌ تَمَّ^(٢) يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابًا
بِقَامَةٍ تَنْشِي قَضِيبًا وَغُرَّةً تَلْطِي شَهَابًا
يَقْرَأُ وَاللَّيْلُ مُدْلِهِمْ^(٣) لِنُورِ إِجْلَالِهِ كِتَابًا
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ أَزْجُرُ مِنْ جُنْحِهِ غُرَابًا^(٤)
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَ سُكْرًا وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابًا^(٥)
وَحَامَ مِنْ سُدْفِهِ غُرَابٌ طَالَتْ بِهِ سِنُهُ فَشَابًا^(٦)

خضاب» بدل «والظلام» فهو المناسب للخضاب الذي يدل عليه السياق
وبؤيده البيت بعده «أحمد يوسف نجاشي» (١) الكاشح : من يضم
العداوة ويتولى عنك بوجهه ، والعدو المبغض . كأنه يطوى العداوة في
كشحه «أى خصره وجانبى بطنه» وفيه كبده والكبد بيت العداوة
والبغضاء . ومنه قيل للعدو أسود الكبد كأن ناز الحقد أحرقت كبده
أو كأنه يولي ككشحه ويعرض عنك بوجهه . «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) بدرتم وتام يقال ذلك للبدر إذا تم امتلاؤه ليلة البدر فيهر (٣) ادلهم
الظلام إذا اشتد وكشف (٤) فى الأصل والديوان «نكبا» ؟ والجرح
من الليل الطائفة منه أو أوله ، وقد يطلق على ظلامه (٥) جاب الشيء :
خرقه ونقبه وقطعه (٦) السدفة : الظلمة كالسدف ، أو السدفة ظلمة فيها ضوء
من أول الليل وآخره ما بين الظلمة إلى الشفق وما بين الفجر إلى الصلاة

ازْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا^(١) فَحَثَّ مِنْ غُلَّتِي شَرَابًا
وَمَا خَطَا قَادِمًا فَوَاقِي حَتَّى أَتْنَى نَاكِصًا قَابًا^(٢)
وَيَيْنَ جَفْنِي بَحْرُ شَوْقٍ يَعْْبُ فِي وَجْتِي عُبَابًا
قَدْ شُبَّ فِي وَجْهِهِ شُعَاعٌ وَشُبَّ^(٣) عَنْ قَلْبِي إِلَهَابًا
وَرَوْضَةٍ طَلْقَةٍ حَيَاءٍ غَنَاءٍ مُخْضَرَّةٍ جَنَابًا^(٤)
يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامٌ يَحْطُ عَنْ وَجْهِهِ نِقَابًا^(٥)
بَاتَ بِهَا مَبْنِيٌّ الْأَفَاحِي يَرْشُفُ مِنْ طَلْهَاهَا رُضَابًا^(٦)
وَمِنْ خُفُوقِ الْبُرُوقِ فِيهَا أَلْوِيَّةٌ مُمَرَّتْ خِضَابًا

و يروى صدر البيت « وحامى سدفه غراب » وهى أرجح لأنه لا يقال سدف بل « سدف » « بفتح الدال ، إلا إذا كانت سدف اسم جنس جمعيا واحده سدفه » والشاعر يريد بهذا البيت وما قبله إقبال الصباح بعد ليل طويل قضاء ساهدا حتى شاب غرابه ، وشيب الغراب كما تعرف مستحيل ، وفى البيت مبالغة فى طول الليل مع حسن تعليل (١) و يروى « جئت » والحبال العناء والهلاك وفساد العقل ، والالوعة : حرقه فى القلب وألم يشعر به ذو الحب أو المم أو المرض أو نحو ذلك ، ويقرب من معنى البيت قول امرئ القيس :

* وما إلا أصبح منك بأمثل *

(٢) نكص إذا رجع على عقبيه عائدا ، وفعله « كضرب ونصر »
(٣) و يروى « فى قلبى » وفى الديوان « عن قلبه » . « أحمد يوسف نجابتى »
(٤) الجنب الناحية والقناء كالجنب (٥) انجاب انشق وانكشف ، والكمام جمع كم وهو غلاف النور وعطاؤه (٦) الأفاحى جمع أقحوان والرضاب الريق

كَأَنَّمَا أُنْمِلُ وَرَادُ^(١) تَحْضُرُ قَطْرَ الْحَيَا حِسَابًا
وَلَهُ:

رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَلِي فُؤَادُ^(٢) تُنْقِضُ^(٣) أَضْلَاعُهُ حَيْنًا
أَجُودُ فِيكُمْ بِعِلْقٍ^(٤) دَمَعٍ كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ صَنِينًا
يُثُورُ فِي وَجَّتِي جَيْشًا وَكَانَ فِي جَفْنِهِ كَمِينًا
كَأَنَّنِي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقَتْ مِنْكُمْ يَمِينًا
وَقَالَ:

يَا لَشَجَا قَلْبٍ^(٥) مِّنَ الصَّبْرِ فَارِغٍ!
وَيَا لَقَذَى طَرْفٍ مِّنَ الدَّمَعِ مَلَانٍ!

أو الرقيق المرشوف ، ورضب ريقها اذا رشفه وامتمه (١) جمع ورد أى
أحمر ، والحيا: الغيث (٢) أنقض أى صوت، والنقيض من الأصوات ما يكون
لمفاصل الانسان وأضلاعه وأصابعه ونحوها . وفى التنزيل : « الذى أنقض
ظهرك » أى أثقله حتى جعله نقضا أى مهزولا ، أو أثقله حتى سمع نقيضه
أى صوته - ويصح أن يكون « تنقض » تنفعل من قضض لامن « نقض »
قض الشيء اذا كسره ودفعه ، وانقض الجدار إذا تصدع ، وقض الحائط: هدمه
بالعنق ، ولكن الأولى أن يكون من الأول فهو المستعمل كثيرا فى صوت
الأضلاع ونحوها ، وفى الاصل والديوان « تنقض » « أحمد يوسف نجاشى »
(٣) نفيس ثمين غال يضمن به (٤) ويروى « فيالشجى صدر » كما يروى
« جفن » فى عجز البيت بدل « طرف » والمعنى واحد ، واذا فرغ القلب
من الصبر ، وضاق بالشجوى الصدر ، قذيت العين بكثرة الدموع ، ونبا الطرف
عن المهجوع . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَنَفْسٍ إِلَى جِوَالِ كَنِيسَةٍ صَبِيَّةٍ وَقَلْبٍ إِلَى أَفْقِ الْجَزِيرَةِ حَنَانٍ
 تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهاً بِآهٍ ، وَمِنْ هَوًى
 بِهُونٍ ، وَمِنْ إِخْوَانٍ صِدْقٍ بِخَوَّانٍ ^(١)
 وَمَا كُلُّ يَبِضَاءٍ تَرُوقُ بِشَحْمَةٍ ^(٢)
 وَمَا كُلُّ مَرَعًى تَرْتَعِبُهُ بِسَعْدَانٍ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِدَهْرِي عَطْفَةٌ
 فَتُجْمَعَ أَوْطَارِي عَلَى وَأَوْطَانِي !
 مَيَادِينُ أَوْطَارِي ، وَبَلَدَةٌ ^(٣) لَدَّتِي
 وَمَنْشَأُ تَهْيَايَ ، وَمَلْعَبُ غِزْلَانِي

(١) « وَاها » كلمة تعجب من طيب الشيء وحسنه نقول : وَاها له ما أطيبه
 كما قال أبو النجم :

وَاها لِسُلْمَى ثُمَّ وَاها وَاها نَلْنَا لَنِي لَوْ أَنَّنَا نَلْنَاها الخ
 أما « آه » فكلمة يقال عند التوجع والتألم ، والهون الدل والعذاب والهوان
 (٢) في الأصل « بروق » ولعله مبالغة من « برق » أى أضاء ، وصدر البيت
 من اللؤلؤ « ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء ثمرة » وقال أبو الهذيل
 زفر بن الحرث الكلبي « وهو من التابعين » :

وَكُنَّا حَسْبَنَا كُلُّ بِيضَاءٍ شَحْمَةٍ لِيَالِي لَأَقِينَا جِذَامَ وَحْمِيرَا
 أى كننا نطمع فى أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن . وتقدم شرح
 للتل « مرعى ولا كالسعدان » قريبا . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) فى
 الأصل والديوان « ولدة لذتى » و « موطن » « أحمد يوسف نجاشى »

كَأَنَّ لَمْ يَصِلْنِي فِيهِ ظَنِّي يَقُومُ لِي
 لَمَاهُ ^(١) وَصُدْغَاهُ بِرَاحِي وَرِيحَانِي
 فَسَقِيًّا لَوَادِيهِمْ وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا
 أَيْتُ لِدِكْرَاهُ بِفُلَّةٍ ^(٢) ظَمَانٍ
 فَكَمْ يَوْمَ لَهْوٍ قَدْ أَدْرَنَّا بِأَفْقِهِ
 نُجُومَ كُوُوسٍ بَيْنَ أَقْمَارٍ مُنْذَمَانٍ
 وَلِلْقُضْبِ وَالْأَطْيَارِ مَلْهَى يَجْزَعُهُ ^(٣)
 فَمَا شِئْتُ مِنْ رَقْصٍ عَلَى رَجْعِ أَلْحَانٍ
 وَبِالْحُضْرَةِ الْفَرَاءِ غِرٌّ عَلِقَتْهُ ^(٤)
 فَأَحْبَبْتُ حُبًّا فِيهِ قُضْبَانُ نَعْمَانٍ

- (١) اللى سمره في الشفة كانوا يستحسنونها ، وفي البيت لفونشر مرتب
 (٢) الفلة شدة العطش وحرارته ، وفي معنى البيت قول المرحوم محمود باشا سامي
 البارودي :

أدعو الى الدار بالسقيا وبى ظمأ أحق بالرى ، لكنى أخو كرم
 (٣) في الأصل والديوان « بجرعة » وجزع الوادى : منقطعه أو وسطه أو
 منقطعه أو منحناه ، أو ما تسع من مضايقه ، أو لا يسمى جزعا حتى تكون
 له سعة تنبت الشجر وغيره - ويروى « بأفقه » وهو أطف (٤) الفر :
 الحدث السن الذى لا يجرب له ، والفره الفتاة الشابة لم تجرب الامور ولم

رَقِيقُ الْحَوَاشِي ، فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
وَمَنْطِقِهِ مَسَلَى قُلُوبٍ وَآذَانٍ^(١)
أَغَارَ لِحْدَيْهِ عَلَى الْوَرْدِ كُلَّمَا
بَدَأَ ، وَلِعِطْفِيهِ عَلَى أَغْصَنِ الْبَانِ
وَهَبْنِي أَجْنَى وَرَدَّخَدٍ بِنَاطِرِي فَنَإِنِّي لِي مِنْهُ بِتَفَاحِ لُبَّانِ
يُمَلِّلُنِي مِنْهُ بِمَوْعِدِ رَشْفَةٍ
خَيَالُ أَهْ يُغْرَى بِمُطْلِ وَلِيَّانٍ^(٢)
حَبِيبٌ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمِ
عَلَاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسِنَّةِ مُرَّانٍ^(٣)

تسكن تعلم ماتعلم النساء من الحب ، ويقال فيها أيضا غرير وغيرة ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولقد لموت بطفلة ميالة بلهاء تطلعن على أسرارها
أراد أنها غر لادهاء لها فهي تخبره بأسرارها ولا تفتن لما عليها في ذلك
« أحمد يوسف نجاتي (١) » رقيق الحواشي أي دمت الطباع سهل الاخلاق ،
لطيف المعاشرة ، وفي البيت بعد ذلك لم ونشر مرتب .
(٢) لواه دينه وبدينه ليا وليانا « وفتح اللام في ليان أشهر » اذا مظهره ،
وقال ذو الرمة :

تطيلن ليسانى وأنت مليئة وأحسن يا ذات الوشاح التفاضيا
ومليئة أى غنية غير محتاجة الى الطال فليانك بخل وذن بالحق .
« أحمد يوسف نجاتي » (٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة واحدة مرانة ،

تَرَأَى لَنَا فِي مِثْلِ صُورَةِ يُوسُفَ

تَرَأَى لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ

طَوَى بُرْدَهُ مِنْهَا صَحِيفَةً فِتْنَةً

قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطَرَ عُنْوَانَ

وفي معنى البيت قول الطغرائي :

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الغدائر حمر الحلى والحلل
وصف حالمهن بالحمرة لأن الأحمر يزيد الحسن بهجة وحسنا ، كما قيل :
هجان عليها حمرة في بياضها تروق به العينين والحسن أحمر
والهجان : الحيار من كل شيء ، وللسراج الوراق .

من البيض تمشى البيض حول خباثتها شبيهة نومي ليس ياوى الى جفن
غزالة أنس والرماح كناسها ومن حولها قوم يخالون كالجن
لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها فضنوا عليها بالكبرى خيفة الظن
وله أيضا وقد أحسن :

ومحجوبة أما الدجا فغدائر عليها ، وأما الصبح فهو جبينها
عجبت لسرى الطيف الى من كناسها ومن حوله أسد الشرى وعريتها
ولابن النبية :

وفي السكة الحمراء بيفضاء طفلة بزرق عيون السمر يحمى احوارها
أثار لها نفع الجياد سرادقا به دون ستر الحدر عنا ستارها
وما أجود قول بعضهم في هذا المعنى :

وأرى لليلي العامرية منزلا بالجود يعرف والندى أصحابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا من حوله فهو المنع حجابها
وعلى حماء جلالة من أهله فلذاك طارقة العيون تهابه
والقول في هذا المعنى كثير لانطيل به . « أحمد يوسف نجاتي » .

مَحَبَّتُهُ دِينِي ، وَمَثْوَاهُ كَعْبَتِي
وَرُؤُوسُهُ حَجَّتِي ، وَذِكْرَاهُ قُرْآنِي
وَقَالَ :

وَلَيْلٍ تَعَاظَيْنَا الْمُدَامَ وَيَنَّنَا
حَدِيثُ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الْوَرْدِ
نُعَاوِدُهُ وَالْكَاسُ يَعْبِقُ نَفْحُهَا
وَأَطْيَبُ مِنْهَا مَا نُعِيدُ وَمَا يُبْدِي^(١)
وَنَقْلِي أَقَاحَ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطَّلِي
وَتَرْجِسَةُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الْخَلْدِ^(٢)

(١) يريد بعجز البيت الحديث ، ومنه قول ابن المنز :

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عداه كلام
في الديوان « يعبق نفحة » (٢) النقل « بفتح التون وقد تضم » ما ينقل
على الشراب من القواكه ونحوها « الزرة » ولابن عمار من محبوبه أزهار
مختلفة وثمار غضة جنية هي خير ما ينقل به وألذ وأطيب ، ولابن النبيه :
رضابك راحي ، آس صدغيك ريحاني شقيق جني خديك ، جيدك سوساني
وقال عمر بن الفارض :

عليك بها صرفاً فإن رمت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
الظلم الأول بفتح الظاء وهو الريق أو الرضاب يرشف من الثغر .
« أحمد يوسف نجاتي »

إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ وَالْكَرَى
وَمَالًا بِعِطْفِيهِ فَمَالَ عَلَى عَضْدِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا يَبِينُ أَضْلُعِي
مِنْ الْحَرِّ مَا يَبِينُ الثَّنَائِيَا^(١) مِنْ الْبُرْدِ
وَعَايَنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَشِي بُرْدِهِ
فَعَايَنْتُ^(٢) مِنْهُ السَّيْفَ سُلَّ مِنْ النِّعَمِ

(١) استهدى: أطلب هدية - وفي الأصل والديوان «الضلوع» في عجز البيت بدل «الثنائيا» وهو خطأ لا يصلح المعنى المراد عليه بل قد يفسد فانه يقول انه لما مالت بمن يحب سنة الكرى طوفه ذراعيه ، وبات يمل من رضابه وينهل ، ويطفئ نار أشواق تنوقد في ضلوعه يبرد رضاب من مقبل محبوبه العذب ، وان كنت أخشى أن ذلك قد يزيد نار الوجد اشتعالا كما يقول ابن الرومي :

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ليطفئه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي لبس يروى غليله سوى أن ترى الروحان تمتازجان
ولكن ذلك الحر برد وسلام يشفي من غلة الوجد - « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) و يروى « فعاقت » والبيت يصف محبوبه وقد تجرد من ثيابه للنوم وكأنني به ينشد عند ذلك قول بعض الأدياء :

تجردت عن جسم كأعواد مرمر أغار عليه عند نظرة أحداق
ولما كشفت الساق قامت قيامتي فياويح قاي يوم يكشف عن ساق
والبيت بعده يبين وجه الشبه بينه وبين السيف وان كانت تلك المحاسن تفوق ما فيه

لِيَاكَ حَسْبِي وَأُسْتَقَامَةً قَامَةً
 وَهَزَّةَ أَغْطَافٍ وَرَوْتَقَ إِفْرِنْدٍ^(١)
 أَغَاوِلُ مِنْهُ الْقُصْنُ فِي مَغْرَسِ النَّقَا
 وَالْتُمُ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
 أَخُوهَا كَمَا قَدْ الشَّرَّاءُ مِنَ الْجِلْدِ^(٢)
 تُسَافِرُ كِلْتَا رَاخَتِي بِجِسْمِهِ
 فَطَوْرًا إِلَى خَصْرِ وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ
 فَتَهْبِطُ مِنْ كَشْحِهِ كَفِّي تِهَامَةً
 وَتَضَعُهُ مِنْ نَهْدَيْهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ^(٣)

(١) فرند السيف وافرند روثه وماؤه وصفائه ، وجوهره ووشيه

(٢) هذا من قول الشاعر في الحجر والجنب :

فلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها

ومع حسن الأبيات لا تراهي مستريحا جدا لتشبيه جسم المحبوب بالسيف من كل جهة ، ولا في جعله مع السيف والنصن والشمس أخصا مثل قد الشراك من الجلد ، نعم ان الغرض بيان المساواة التامة ولكن كلمة الشراك أنزه المحبوب عنها . « أحمد يوسف نجاشي » (٣) أراد بتهامة غور الخصر ، وبنجد علو النهدي وارتفاعه . وتهامة تلك الأرض للعروقة وهي ما بين ذات عرق الى مرحلتين من وراء مكة « وذات عرق أول تهامة الى البحر »

وَقَالَ أَيْضًا :

وَرِدَاءُ لَيْلٍ بَاتَ فِيهِ مُعَانِقِي

طَيْفُ أَلَمٍ بِطَيْبَةِ الْوَعَسَاءِ^(١)

فَجَمَعْتُ بَيْنَ رُضَائِهِ وَشَرَابِهِ

وَشَرِبْتُ مِنْ رِيقٍ وَمِنْ صَهْبَاءِ

وَلَثَمْتُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلَةٍ وَفَرَةٍ^(٢)

شَفَقًا هُنَاكَ لِوَجَنَةِ سَحَرَاءِ

وَاللَّيْلُ مُشْمَطٌ الدَّوَابِّ كَبَرَةٍ

خَرَفُ يَدٍ عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ^(٣)

وما وراء ذلك من الغرب فهو غور ، وقد يكنى بهامة عن المكان المنخفض
وينجد عن المرتفع ، ومثل البيت قول ابن مطروح :

وكم تهت في غور خصرله وأشرفت في نجد ذاك الكفل

وأنت تعرف الفرق بين النجدين نجد ابن عمار ونجد ابن مطروح ، وكل
امرئ ومايهوى وقد هديناه النجدين . « أحمد يوحف نجاني » .

(١) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول ، والوعساء موضع
بعينه في بلاد العرب ، وفيه يقول ذو الرمة :

أيا طيبة الوعساء بين حلالحل وبين النقا آأنت أم أم سالم

ويروي « لرب ليل » بدل « ورداء ليل » (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على
الرأس ، أو ماسل على الأذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الأذن (٣) الشمط :
بياض شعر الرأس يخلط سواده ، وفعله شمط « كفرح وأشمط » وفي

ثُمَّ أَنْثَى وَالصَّبْحَ يَسْحَبُ فَرَعَهُ
 وَيَجْرُ مِنْ طَرَبٍ فُضُولَ رِدَاءِ^(١)
 تَنْدَى فِيهِ أَقْحَوَانُهُ أَجْرَعُ
 قَدْ غَاظَلَهَا الشَّمْسُ غِبَّ سَمَاءِ^(٢)
 وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رِيحَانَةٌ كَرَعَتْ عَلَى ظِلْمٍ يَجْدُولِ مَاءِ
 نَفَاحَةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَنَّهَا حَذَرُ النَّوَى خَفَاقَةُ الْأَفْيَاءِ^(٣)
 فَلَوَيْتُ مَعْطِفَهَا أَعْتِنَاقًا حَسْبُنَا
 فِيهِ يَقْطُرُ الدَّمْعُ مِنْ أَنْوَاءِ
 وَالْفَجَرُ يَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ غَمَامَةٍ
 عَنْ مُقْلَةٍ كُحِلَتْ بِهَا زَرْقَاءُ

البيت حسن تعليل لطيف ، وعلته كبرة اذا طعن في السن ، وخرف الرجل
 « كفرح ونصر وكرم » فهو خرف اذا فسد عقله من الكبر (١) الفرع
 الشعر التام ، وفي بعض النسخ « ثم انثى والسكر الخ » وأظنه سحب فرعه
 ليكون منه في الصباح ليل يستره عن أعين الرقباء فلا يفرهم به بياض
 الصبح . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) يصف ثمره وطيب نكهته ، والسماء هنا للطير ، وغب بعد (٣) نفاحة
 أى دائمة النفخ وطيب الرائحة ، وفي الأصل « التندى » وأراه مصحفا عن
 « النوى » ويريد بالافياء الشعر ، والافياء في الأصل جمع فيء وهو الظل

فَرَعِبْتُ عَنْ نُورِ الصَّبَاحِ لِنُورِ
أَغْرَى لَهَا يَنْفَسُجِ الظُّلَمَاءِ
أُنْتَهَى .

نزه المتمد
ابن عباد
بوادي الطلح

« وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » كَثِيرًا
مَا يَنْتَابُ وَادِي الطَّلَحِ مَعَ رُمَيْكَيْتِهِ ^(١) وَأُولَى أَنْسِهِ وَمَسَرَّتِهِ،
وَهُوَ وَادٍ بِشَرْقِ إِشْبِيلِيَّةٍ مُلْتَفٍّ الْأَشْجَارِ ، كَثِيرُ تَرْتُمٍ
الْأَمْخِيَارِ ، وَفِيهِ يَقُولُ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعِيدٍ ^(٢) :
سَائِلُ بَوَادِي الطَّلَحِ ^(٣) رِيحُ الصَّبَا
هَلْ سَخَّرْتَ لِي مِنْ زَمَانِ الصَّبَا

(١) تقدم التعريف بالمركبة جارية المتمد وأولاده وفي الأصل « زملمته »
وهو تصحيف فاسد . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) سبقت ترجمته ، وسيأتي
حديث عنه طويل (٣) الطلح شجر عظام حجازية الأصل ومنابتها بطون
الأودية ، وهي أعظم العشاء شوكا وأصلها عودا وأجودها صمغا ، لها ظل وارف
ممدود وخضرة شديدة ناضرة ، وأغصان طوال عظام طيبة الريح ، وساق ضخمة
لا تلتقي عليها يد الرجل ، ولا ينبت إلا في أرض غليظة شديدة خصبة ، قلت ووادي
الطلح هو الذي خاطب نائحه المرحوم أمير الشعراء أحمد بك شوقي في مطلع إحدى
أندلسياته الرائقة التي يجارى بها ابن زيدون وأولها :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نأسي لواديك أم نأسي لوادينا
وسنعرض ان شاء الله للموازنة بين القصيدتين في كتاب الأدب العربي . .
« أحمد يوسف نجاتي » .

كَانَتْ رَسُولًا فِيهِ مَا يَنْتَنَّا
لَنْ نَأْمَنَ الرُّسُلَ وَلَنْ نَكْتُبَا^(١)
يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَنَا إِذَا
مَا اسْتَوْمِنُوا خَانُوا ، فَمَا أُعْجِبَا
هَلَّا رَعَوْا أَنَا وَثِقْنَا بِهِمْ
وَمَا اتَّخَذْنَا عَنْهُمْ مَذْهَبًا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّبِ
مِنْ غَدَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَرَّبَا
وَالَيْمُ^(٢) لَا يَعْرِفُ مَا طَعْنُهُ
إِلَّا الَّذِي وَافَى لِأَنْ يَشْرَبَا
دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ الْوُشَاةِ الْآلِي
لَمَّا يَزَلْ فِكْرِي بِهِمْ مُلْهَبَا
وَأَذْكُرْ بَوَادِي الطَّلْحِ عَهْدًا لَنَا
لِلَّهِ مَا أَخْلَى وَمَا أَطْيَبَا

(١) مالى اليك سوى النسيم رسول يحكى صبايات الهوى ويقول
(٢) البحر ، أو الذى لا يدرك قعره ولا شطاه ، ولكن يقع اسم اليم على ما كان
ماؤه ملوحا زعاقا ، وعلى النهر الكبير العذب الماء ، وقد أمرت أم موسى حين

بِجَانِبِ الْعَطْفِ وَقَدْ مَالَتْ أَلْ
 أَغْصَانُ وَالزَّهْرُ يَبْتُ الصَّبَا
 وَالطَّيْرُ مَارَتْ^(١) يَيْنَ أَلْحَانِهَا
 وَلَيْسَ إِلَّا مُعْجِبًا مُطَرَّبًا
 وَخَانِي مَنْ لَا أُسْمِيهِ مِنْ
 شُحِّ أَخَافُ الدَّهْرَ أَنْ يُسْلِبَا
 قَدْ أَتْرَعُ^(٢) الْكَأْسَ وَحَيًّا بِهَا
 وَقُلْتُ أَهْلًا بِالْعَنَى مَرْحَبًا
 أَهْلًا وَسَهْلًا بِاللَّيِّ شَتْنُهُ يَا بَدْرَتِمِ مُهْدِيًا كَوْكَبَا
 لَكِنِّي آلَيْتُ أُسْقِي بِهَا أَوْ تُودِعْنَهَا تُفْرِكُ الْأَشْنَبَا^(٣)
 فَمَجَّ لِي^(٤) فِي الْكَأْسِ مِنْ ثَغْرِهِ
 مَا حَبَّبَ الشُّرْبَ وَمَا طَيَّبَا

ولدته وخافت عليه فرعون أن يجعله في تابوت ثم تقذفه في اليم وهو نهر
 النيل ، وقال تعالى : « فليلقه اليم بالساحل » لجعل له ساحلا ، وهولفظ
 معرب (١) فصلت بينها وتفاوتت أصواتها واختلفت نغماتها (٢) ملاهاحتي
 فاضت (٣) أى أقسمت أن لا أشربها حتى تمزجها برضاب ثورك ، والشنب
 ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة في الفم (٤) معجج الشراب من
 فيه ألقى به ، ومعجج بريقه اذا لفظه . وحقيقة اللج طرح للمائع من الفم فاذا

وَقَالَ هَا لَثِي تُقَلَّا وَلَا تَشْمُ إِلَّا عَرَفِي^(١) الْأَطْيَا
وَأَقْطَفْ بِجَدِّي الْوَرْدَوِ الْأَسْوَادُ

نَسْرِينَ لَا تَحْفِلْ بِزَهْرِ الرُّبَا
أُسْعِفْتُهُ غُصْنًا غَدَا مُثْمِرًا وَمِنْ جَنَاهُ مَيْسُهُ قَرَبًا
قَدْ كُنْتُ ذَانِهِي وَذَا إِمْرَةٍ حَتَّى تَبَدَّى فَحَلَلْتُ الْحَبَا^(٢)
وَلَمْ أَصْنُ عَرِضِي فِي حُبِّهِ وَلَمْ أَطْعِ فِيهِ الَّذِي أَنَبَا
حَتَّى إِذَا مَا قَالَ لِي حَاسِدٌ

تَرْجُوهُ وَالْكَوْكَبَ أَنْ يَقْرُبَا^(٣)

أَرْسَلْتُ مِنْ شِعْرِي سِجْرًا لَهُ

يُسْرُ الْمَرْغَبِ وَالْمَطْلَبَا^(٤)

فَقَالَ عَرَفُهُ بِأَنِّي سَاحِدٌ تَالُ فَمَا أَجْتَنِبُ الْمَكْتَبَا^(٥)

لم يكن مافي الفم مائما قيل « لفظ » وقد يستعمل المج في غير المانع مجازا،
نحو هذا كلام تمجده الاسماع بتشبيه اللفظ بالماء والاذن بالفم « لأن كلا
منهما حاسة مدركة » (١) الرائحة الذكية . « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) حل الحبوة كناية عن الانبساط وترك التوقر ، وعن استخفاف شيء
للمرء واستفزازه اياه ، وسبق شرح الاحتباء ، وفلان لتاحل حبوته أى انه
حليم غير طائش ، ورزين ثابت (٣) في الاصل « يفر » والترض ان
رجاءه محبوبه كرجاء الكوكب أن يدنو منه ، كناية عن البعد وعزة المطلب
(٤) أراد أن يؤثره بشعره ويرقيه بتأثيره وغزله (٥) أثرت رقية الشيطان

فَزَادَ فِي شَوْقِي لَهُ وَعَدُهُ وَلَمْ أَزَلْ مُقْتَعِدًا^(١) مَرْقَبًا
 أُمِدُّ طَرْفِي ثُمَّ أَتْنِيهِ مِنْ
 خَوْفِ أَخِي التَّنْغِيصِ أَنْ يَرْقُبَا
 أَصَدِّقُ الْوَعْدَ ، وَطَوَّرَا أَرَى
 تَكْذِيبَهُ ، وَالْحَرْثُ لَنْ يَكْذِبَا
 أَتَى وَمَنْ سَخَّرَهُ بَعْدَ مَا أَيْنَأَسَ بَطْنًا كَادَ أَنْ يُغْضِبَا
 قَبَّلْتُ فِي التُّرْبِ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ
 مِنْ حَصَرٍ^(٢) أَلْقِيَا سِوَى مَرْحَبَا
 هَنَأْتُ رَبِّي إِذْ غَدَا هَالَةً
 وَقُلْتُ يَا مَنْ لَمْ يُضِغْ أَشْعَبًا^(٣)
 بِاللَّهِ مِلَّ مُقْتَنَقًا لَائِمًّا
 فَمَالَ كَالْفُضْنِ ثَنَّتُهُ الصَّبَا

(١) في الأصل « معتقدا » واقطعه أى جعله مقعدا يجلس عليه ، والرقب :
 المكان المرتفع (٢) حصر « كفرح » العجز عن القول والمعنى في النطق
 لسبب من خجل أو نحوه (٣) الريع للنزل ، والهالة دائرة القمر ، وأشعب
 ابن جبير مولى عبد الله بن الزبير من أهل المدينة يضرب به المثل في
 الطمع وهو مشهور « أحمد يوسف نجاتي »

فَقَالَ مَا تَرْغَبُ ؟ قُلْتُ أَتَيْدُ
أَدْرَكْتُ إِذْ كَلَّمْتَنِي الْمَرْغَبَ^(١)
فَقَالَ : لَأَمْذَهَبَ^(٢) عَنْ ذِكْرِ مَا
تَرْغَبُهُ ، قُلْتُ : إِذَنْ مَرَّ كَمَا
وَكَانَ مَا كَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهُ دَهْرِي أَوْ أَغْلِبَا^(٣)
وَسَتَأْتِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِكَمَالِهَا فِي جُمْلَةٍ مِنْ نَظْمِ
أَبْنِ سَعِيدٍ الْمَذْكُورِ . وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِشْبِيلَةَ - وَهِيَ
حِمْلُ الْأَنْدَلُسِ :

أَنْ أَلْخَلِيجُ وَغَنَّتِ الْوَرْقَاءُ
هَلْ بُرْحَا إِذْ هَاجَتِ الْبُرْحَاءُ^(٤) ؟

تشوق نور الدين
الى اشبيلية

(١) اتند: تأن ونهل، قالت الخنساء :

فتى كان ذا حلم رزين وتودة اذا ما الحبا من طائف الجهل حلت
والبيت مثال لقولهم « حل حبوته » وتودة أصلها أداة من مادة « وأد »
وفى بعض النسخ « المأربا » بدل « للرب » آخر البيت « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) أى لا معدل عنه ولا فرار منه ، وفى الأصل « لا مرغب » (٣) من
قول ابن المعتز :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
(٤) الورقاء الحمامة « والأورق الذى لونه لون الرماد فيه سواد » قال :
وما هاج هذا الشوق غير حمامة من الورق حماء الجناح بكور

أَنَا مِنْكُمْ أَوْلَى بِحِلْيَةِ عَاشِقٍ
 أَفَنِي وَمَا نَمَّتْ بِي الصُّعْدَاءُ^(١)
 أَخَشَى الْوُشَاةَ فَمَا أَفُوهُ بِلَفْظَةٍ
 وَالْكَثْمُ عِنْدَ الْعَاشِقِينَ عَنَاءُ
 لَوْ لَا تَشَوُّقُ أَرْضِ حِمِصٍ مَا جَرَى
 دَمْعِي، وَلَا شَمِتَتْ بِي الْأَعْدَاءُ
 لَمْ أَسْتَطِعْ كِتْمَانَهُ فَكَأَنِّي
 مَا كَانَ لِي كَتْمٌ وَلَا إِخْفَاءُ
 وَالْبَدْرُ مَهْمَا رَامَ كَتْمًا مِنْ سَرَى
 فِيهِ يَنْمُ عَلَى سُورِهِ ضِيَاءُ

و يرح به الأمر اذا جهده وألح عليه فهو مبرح به من البرح وهو الشدة والأذى والعذاب الشديد والشقة ، ويقال لقي منه برحا بارحا ، و برحا مبرحا . و برحاء الحمى وغيرها شدة الأذى وقوة تأثيرها وشدة كرهاها (١) الحلية الصفة والصورة وما يتحلى به ، والصعداء تنفس مدود طويل يتوجع منه ، ومنه :

وتنفس الصعداء ليس شكاية منى لحبك يا حياة الناظر
 لكن حر هواك آلم مهجتي فرأيت فيه راحة لل خاطر

بَلَدٌ مَتَى يَخْطُرُ لَهُ ذِكْرُ هَفَا
 قَلْبِي ، وَخَانَ تَصَبُّرٌ وَعَزَا^(١)
 مِنْ بَعْدِهِ مَا الصَّبْحُ يُشْرِقُ نُورُهُ
 عِنْدِي ، وَلَا تَبْدَلُ الظُّلُمَاءُ
 كَمْ لِي بِهِ مِنْ ذِي وِفَاءٍ لَمْ يَخُنْ
 عَهْدِي ، وَيَنْمُو بِالْوَدَادِ وِفَاءُ
 قَتْرَاهُ إِذَا مَا مَرَّ ذِكْرِي سَائِلًا
 عَنْ حَالِي إِنْ قَلَّتِ الْأَنْبَاءُ
 يُنْسِي وَيُصْبِحُ فِي تَذَكُّرٍ مُدَّةُ
 يَرْضَى بِهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
 مَعَ كُلِّ مَبْدُولِ الْوِصَالِ ، مُنَمَّعٍ
 مِنْ غَيْرِنَا ، تَسْمُو بِهِ الْخِيَلَاءُ^(٢)
 كَالظَّنِّي ، كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، كَالنَّقَا
 كَالْفُضْنِ يَثْنِي مَعْطِفِيهِ رُخَاءُ^(٣)

(١) هفا فواده اذا ذهب في أثر الشيء ، أو طرب ، وهفا الطائر خفق
 بجناحيه وطار (٢) الخيلاء الكبر والاعجاب عن تخيل زية تراءى
 للانسان من نفسه (٣) الرخاء: ربح سهلة لينة «أحمد يوسف نجاتي»

يَسْعَى بِرَاحٍ كَالشَّهَابِ ، بِرَاحَةٍ
 كَالْبَدْرِ ، وَالْوَجْهَ الْمُنِيرُ ذُكَا^(١)
 مَا لَانَ نَحْوُ^(٢) أَلَوْصِلَ حَتَّى طَالَ مِنْهُ
 هُ الْهَجْرُ وَأَتَصَّلَتْ بِهِ الْبُلُوَاءُ
 خَيْرُ الْمَحَبَّةِ مَا تَأْتَتْ عَنْ قَلْبٍ^(٣)
 تُدْرَى بِبُؤْسِ الْفَاقَةِ النِّعْمَاءُ
 مَا زِلْتُ أَرْقِي بِالْقَرِيضِ جُنُونَهُ
 حَتَّى اسْتَكَانَ ، وَكَانَ مِنْهُ إِبَاءُ^(٤)
 فَظَفِرْتُ مِنْهُ بِمِدَّةٍ لَوْ أَنَّهَا
 دَامَتْ لَدَامَتْ لِي بِهَا السَّرَاءُ
 صَفْوُ تَكْدَّرَ بِالتَّحَرُّكِ ، لَيْتَهُ
 مَا زَالَ ، لَكِنْ لَا يُرَدُّ قَضَاءُ

(١) ذكاء اسم للشمس « معرفة لا تدخلها الألف واللام » وابن ذكاء الصبح ،
 وهو من ذك النار تذكو إذا اشتعلت (٢) في الأصل « تحت » (٣) القلى
 البغض والعداوة والكره (٤) استكان خضع وسكن وانقاد ، والاباء التمتع
 والنفار ، ونقلم لابن سعيد في قصيدته مثل هذا المعنى من أنه يجال
 الشعر وسيلة لاستمالة من يهواه « أحمد يوسف نجاني »

إِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْمَنِيَّةُ ، إِنَّمَا
 أَهْلُ النَّوَى مَاتُوا وَهُمْ أَحْيَاءُ
 لَوْلَا تَذَكُّرُ لَذَّةِ طَابَتْ لَنَا
 بِذَرَى^(١) الْجَزِيرَةِ حَيْثُ طَابَ هَوَاءُ
 وَجَرَى النَّسِيمُ عَلَى الْخَلِيجِ مُعْطَرًا
 وَتَبَدَّدَتْ فِي الدَّوْحَةِ الْأَنْدَاءُ
 مَا كَابَدَتْ نَفْسِي أَلِيمَ تَفَكُّرٍ
 أَلْوَى بِهِ عَنْ جَفْنِي الْإِغْضَاءُ^(٢)
 يَا نَهْرَ حِمِصٍ لَا عَدَّتْكَ مَسَرَّةُ
 مَاءٍ يَسِيلُ لَدَيْكَ أَمْ صَهْبَاءُ^(٣) ؟
 كُلُّ النُّفُوسِ تَهَشُّ فَيْكَ ، كَأَنَّمَا
 جَمَعَتْ عَلَيْكَ شَتَاتَهَا^(٤) الْأَهْوَاءُ

(١) الذرا : الظل والستر والسكنف والكن ، يقال أنا في ظل فلان وفي ذراه أى في كنفه وستره وحماه (٢) وفي نسخة « الاغفاء » أى النوم ، وألوى به التفكر عن جفنه أى ذهب به وأبعده ، وألوى برأسه أمال وأعرض (٣) لا عدتكم أى لا تجاوزنكم ولا فارقنكم (٤) الشتات المتفرق المختلف ، يعنى أن الأهواء المختلفة والميول المتفرقة والأغراض التباينة أجمعت كلها متفقة على الارتياح إليه والسرور به «أحمد يوسف نجاشي»

وَدَّى إِلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ مُجَدِّدٌ
 مَا إِنْ يَحُولُ تَذَكَّرْتُ وَعَنَاءُ
 وَلَوْ أَنِّي لَمْ أُحْيِ ذِكْرًا لِلَّذِي
 أَوْلَيْتُهُ مَا كَانَ فِي حَيَاءِ
 مَا كُنْتُ أَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ لَوْ أَنِّي
 أَيقَنْتُ أَنْ لَا يُسْتَرَدُّ^(١) لِقَاءُ
 غَيْرِي إِذَا مَا بَانَ حَانَ^(٢) ، وَإِنَّمَا
 أَبْقَى حَيَاتِي حِينَ بَنْتُ^(٣) رَجَاءُ
 وَسَيَاتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - لِهَذَا النَّمَطِ وَغَيْرِهِ
 مَزِيدٌ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْمُنَاسَبَةُ ، وَاللَّهُ
 تَعَالَى الْمَرْجُو فِي حُسْنِ الْمَتَابِ^(٤) ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ .

(١) أن هنا مخففة من أن «الثقيلة» لأنها مسبوقة «بأيقن» ولذا رفع الضارع بعدها (٢) هلك وقضى عليه ، وبان : بعد وفارق (٣) في الأصل «بان» وهو تحريف ظاهر (٤) لعلها «الآب» «أحمد يوسف نجاتي»

﴿ انتهى الجزء الخامس من كتاب نفع الطيب ﴾
و عليه الجزء السادس إن شاء الله وأوله

﴿ الباب الخامس ﴾

في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين الى بلاد الشرق

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور احمد فريد رفاعي

جميع النسخ موهورة بتوقيع ناشره

فهرست

الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	إلى
كلمة المهاد الأصفهاني	٣	٤
وصف مسجد قرطبة	٥	١٢
» منارة مسجد قرطبة	١٢	٢٠
» ابراهيم الوليني لجامع قرطبة	٢١	٣٣
اعتماد عمل قرطبة بالمغرب	٣٣	٤٠
مدن قرطبة قاعدة بلاد الأندلس	٤٠	٤٢
قنطرة قرطبة	٤٣	٥١
مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه	٥١	٥١
مدينة الزهراء ومسجدها	٥١	٥٦
قصر الزهراء	٥٦	٨١
خلافة المهدي وزوال دولة بني عامر	٨١	٨٤
وصف ابن خلدون لمدينة الزهراء	٨٤	٨٥
مدينة الزاهرة . وفي العنوان الزهراء وهو تحريف	٨٥	٨٧
زول المنصور بالزاهرة واستبداده بالحكم	٨٧	٩٢
وصف قصر العاصرية	٩٢	١١١

٢ فهرست الجزء الخامس من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
وفاة المنصور وقيام سنجول بالأمر	١١١	١١٦
طرف من أخبار المنصور	١١٦	١١٨
الحاجب جعفر المصحفي	١١٨	١٢٨
مفاخر المنصور	١٢٩	١٣٠
مآثر المنصور	١٣٠	١٣٣
كتاب عبد الله بن يوسف الى المنصور بن أبي عامر	١٣٣	١٤١
سجن جعفر المصحفي	١٤١	١٤٨
شيء من شعر جعفر المصحفي	١٤٨	١٥١
المصحف العثماني بقرطبة	١٥٢	١٦١
كيف وصل المصحف الى دولة الموحدين	١٦١	١٧٥
انتخاب كسوة المصحف	١٧٥	١٨٤
بناء المسجد الجامع	١٨٤	١٨٦
وداع أهل قرطبة	١٨٦	١٨٧
حديث أبي الحسن الأشعري القرطبي	١٨٧	١٩١
المنصور والجارية	١٩١	١٩٢
الرشيذ والجارية	١٩٢	١٩٥
أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم	١٩٥	١٩٩
أبو عامر احمد الأشجعي	٢٠٠	٢٠٤
الوزير أبو الحسين بن سراج	٢٠٤	٢١٠
رقعة المعتمد	٢١٠	٢١٨

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
مجالس الأنس بمتزهات قرطبة	٢١٩	٢٢٠
التعريف بالوزير أبى الوليد بن زيدون . وفى العنوان	٢٢٠	٢٣٣
الوزير ابن السراج وهو خطأ	٢٣٣	٢٣٧
موشحة ابن الوكيل	٢٣٨	٢٤٥
قصيدة أبى بكر بن القبطرنة	٢٤٥	٢٤٦
شهرة بنى القبطرنة بالأندلس	٢٤٦	٢٥١
ولع المتوكل بمنية البديع	٢٥١	٢٥٢
استقبال أبى الحسن ذى الوزارتين ابن الیسم	٢٥٢	٢٥٣
كتاب المستقبلين الى ذى الوزارتين ورده	٢٥٣	٢٥٨
وصف الأندلسيين لغافى الأندلس	٢٥٨	٢٥٩
زواج المستعين بنت وزيره	٢٥٩	٢٦١
كتاب الوزير أبى الفضل الى ابن طاهر	٢٦١	٢٦٥
وصف الوزير لبعض نزه المستعين	٢٦٥	٢٦٨
وصف الوزير لأبى محمد البطليوسى فى مجلس الناعورة	٢٦٨	٢٦٩
وصف آخر للمجلس	٢٦٩	٢٨٧
وصف مجلس لأبى عيسى ابن لبون	٢٨٧	٢٩٢
التعريف بابن المطار	٢٩٢	٢٩٧
وصف يوم ركوب النهر	٢٩٧	٢٩٨
وصف عشية أنس	٢٩٨	

الموضوع	الصفحة	
	من	إلى
ما قيل في ترجمة ابن عمار	٢٩٨	٣٠٦
رائية ابن عمار في مدح المعتضد	٣٠٧	٣١٥
التعريف بابن وهبون	٣١٥	٣١٨
وصف الفتح لنية المنصور	٣١٨	٣٢٠
وصف علي بن أحمد لمجلس منية المنصور	٣٢٠	٣٢٤
وصف زهرة ببعض متزهات الأندلس	٣٢٤	٣٢٩
الراضى بالله بن عباد	٣٢٩	٣٣٥
التوكل بن الألفطس	٣٣٥	٣٣٨
عدي بن زيد يصف صنماء . والصحيح أنه يزيد بن معاوية	٣٣٩	٣٤٤
وصف روض	٣٤٤	٣٤٦
التعريف بالمعصم بن صمادح	٣٤٦	٣٤٨
التعريف بابن رزين	٣٤٨	٣٥٤
وصف روضة	٣٥٤	٣٥٦
التعريف بابن طاهر	٣٥٧	٣٥٩
التعريف بابن عمار	٣٦٠	٣٦١
وصف قصر شيده خلفاء بني أمية	٣٦١	٣٦٢
التعريف بذى الوزارتين ابن لبون	٣٦٢	٣٦٤
التعريف بأبي بكر بن رحيم	٣٦٥	٣٦٦
التعريف بأبي محمد بن عبدون	٣٦٦	٣٦٩
التعريف بالوزير أبي محمد بن مالك	٣٦٩	٣٧١

فهرست الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
التعريف بأبي القاسم بن السقاط	٣٧١	٣٧٤
التعريف بالقاضي أبي الحسن بن أضحي	٣٧٤	٣٧٧
التعريف بأبي اسحاق بن خفاجة	٣٧٨	٣٨٠
رسالة بتهنئة بعض ملوك الأندلس	٣٨٠	٣٨٢
التعريف بالفقيه عبد الحق بن عطية	٣٨٢	٣٨٨
تفوق أبي اسحاق بن خفاجة في الوصف	٣٨٨	٣٩١
مدح أبي اسحاق للأmir أبي يحيى	٣٩١	٤٠٨
وصف منزله	٤٠٨	٤٢٣
نزه المعتمد بن عباد بوادي الطلح	٤٢٣	٤٢٨
تشويق نور الدين الى اشبيلية	٤٢٨	٤٣٣



مكتبة ومطبعة

عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَنَاءُ الْبَلَدُ وَشَرْكَاهُ

بشارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين بمصر

صندوق بريد القومية رقم ٢٦

تليفون رقم ٥٠٨٥٦

Bibliotheca Alexandrina



0237891